

موسوعة

التحقيق المتكامل

في

﴿ مناقب وقيم وتقاليد وتراث ونسب أولاد سيدي نايل ﴾
﴿ ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل ﴾

﴿ الجزء الأول ﴾

تأليف

راجي عفوره
الميلود قويسم بن الهدار
﴿ إمام أستاذ بعين الإبل. الجلفة. الجزائر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وثناء

أشكر مساعي جنود الخفاء

أهل الغيرة والوفاء . والمبرة والاصطفاء . السادة الأبرار . والصفوة الأخيار
المشايخ النبلاء . العظماء الكرماء . والساسة الأوفياء
الذين ساهموا في طبع وتوزيع ومراجعة هذا الكتاب
نشرا للثقافة الهادفة . واحتسابا للأجر والثوبة
حقق الله قصدهم وبارك سعيهم

*

﴿ ملاحظة ﴾

﴿ طُبع الكتاب بأجزائه الأربعة ﴾

﴿ على نفقة المحسن الكبير الحاج بلقاسم العمراوي ﴾

تقريب الأحاب القادرية والرحمانية بالجلفة

أجزل الله له المثوبة والشفاء والعافية

*

الطبعة التجريبية الأولى

1427هـ / 2006م

ملاحظة

قد تكون هناك تصحيحات مطبعية لا بد من إصلاحها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حول المؤلف والكتاب

بقلم

الأستاذ الشيخ أبي محمد الجابري سالت

داعية إسلامي . بالجلفة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد : لقد ظلت أرجاء (الجلفة) ونواحيها - ردحا من الدهر - ذاهلةً عن تاريخها الثقافي لأسباب قد تعود إلى خمول النخب المؤهلة التي رامت التلقي العفوي - مُشاهدةً - بديلا عن الاستقصاء اليقظ حول مظان وجود تراثها الدفين بُغية تحويله إلى مادة خام تقوم بتصنيفها الأجيال المتلاحقة ، ولا تسئل عما ترتب إثره من إهدار سافر تعرّض له الركاز الأدبيّ النفيس . وقد يتشأ كذلك عن الاشتغال بمطالبات حياة التبدّي وما يطبعها من أمّية مُستشرية وظعن مهيمن لا ينجم عنهما إلا الزهد والاستخفاف بقيمة هذه الذخيرة الثمينة . وما إن لاحت بوادر الاستقرار وظهر الاهتمام بالتعليم وسهّلت طرق التدوين حتى سرى الحنين إلى مآثر الماضي في وجدان الفئات المتبصرة ، فطفقت تنقب عما يمكن تداركه من ذلك الموروث القيم ، و تصدرّ طليعة الاهتمام التقصي عن خيوط اللحمة النسبية المنحدرة من العترة النائية زكية النجار . وقد عززت واعتز بها الأثال الحسيب المتغلغل في الأوساط الصحراوية والمتجذر في البيئة السهبية المشخصة لمعالم المنطقة فأسعد مجظ القارئ الشغوف بالتعرّف على أمجاد هذه الربوع ، وهويقف على مُبادرة جاهزة تروي بإسهاب وعذوبة - ملحمة الدوحة السعدية (النائية) من جمع وإعداد الأستاذ الشيخ الميلود قويسم بن الهدار (إمام ومعمدعين الإبل) نحت لها هذا العنوان [التحقيق المتكامل] ليكون اسماً على مسمى . هو كبير في حجمه ، خصب في مادته . ممتع في أسلوبه . ولا غرو ، إذ كان مأتاه

من همة متّدة ووقورة. وما كان لي أن أبدي هذا (التقديم) ولا لأنبس ببت شفة حول موضوع لا تسعه طاقتي - تقويما - ولا تجديه بضاعتي - نقدا - لولا التماس ظريف أحرّجني به فضيلته ، حدا بي إلى التقوّه بهذه المشاعر الأخوية في سياق التوطئات التي تحفل بها الدباجة من هذا المنتوج الطارف الذي يبدو كأول باكورة تقطف من جنى مثمر سوف يؤتى أكله كل حين بإذن ربه. بيد أن المقام يقتضي التحفظ حيال المضمون وتركه لأرباب الصنعة فهم أولى وأليق بتقرير الحكم من حيث استنطاق الوقائع وكيفية ورود الخبر وصحة المصدر.

أما الانعكاس على الجمهور القارئ : تعاطيا وتأملا واستخلاصا للعبّر ، فيتراءى لي من خلال ثلاث زوايا : "أهل المخابر" و "أهل المحابر" و "أهل المنابر" . فمن منظور الفئة الأولى هو مادة معرفية قد تحال على محكّ التمحيص والمقارنة وربط الشاهد بالغائب استبقاء لما يُقره العقل ولا ينكره الحسّ واستبعادا لما يمكن أن يذهب جُفاء. ومن منظور الفئة الثانية هو تصوير فني يرح في فضائه الخيال لنسج البطولات وإنشاء المقالات. يستمدّ منه الفنان ملح شاعريته وجذوة إلهامه كما يتداوله الناس في سمرهم وقيامهم : مُنادمة و تسليّة ومواساة. أما الفئة الثالثة فتعبّره خطابا دعويا ، تغتم مناسبة تناوله للتحذير من عواقب الإطراء النسبي والمزايدة الحسبية والحمية الجاهلية التي تفجر - عادة - كوامن النعرة وتوجّج سعير التشاجر وتعمل على إيقاد الفتن - ما استطاعت إلى ذلك سبيلا - تماما كما تنتهزها الفئة هذه فرصة للترغيب في دعم وشائج القربى وأواصر الجوار وعلائق الخلة ونصرة المظلوم (وإن بُعد وغاب) وقمعا للظالم (ولو دنا وحضر) ترجمة لمدلول الحديث المشهور (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) فضلا عن التذكير الدائم والمألوف بأن الأصل واحد وأن غرض الانتشار العرقي هو التعارف المنشئ للحقوق والواجبات بين الأفراد والجماعات وأن مدار التفاضل ومناط التكريم هو " التقوى " - فقط - مثلما أوحى به النصّ المعصوم.

إن الخلفية السلوكية والمعرفية للمؤلف تأبى أن يجح عن الركن الأخير : منصة الوعظ والإرشاد فقد كان سنده المغفور له شيخنا عطية مسعودي [وهو الأب الروحي لأجيال الاستقلال في هذه الضواحي] ومن رواد من خاض في هذا المضمار ، كان - رحمه الله - ينعى على من يتاجر بمنقبة [الشرف] أو يروج العملة العشائرية في مختلف الاستحقاقات ، ويتحرى الشيخ الإنصاف في حق من سلف رحمهم الله دون انحياز إلى إفراط المغالي ولا ميل إلى تفریط الجافي . ولعمري أن هذا هو أقوم منهج ينبغي أن يعول عليه النسب والولع بالبحث عن مخزون الذاكرة الشعبية ليقدم عملاً سليماً لمجتمعهم ، لا ليحكي ويطوى ولكن للتأمل في أسباب الاتصا . وتداعيات الانكسار . وفي سنة التدافع التي عاقبتها - دوماً - للأصلح . وليست للأقوى .

ولا أحسب المؤلف وهو يبذل هذه الجهود المضيئة المشكورة في كتابه (التحقيق المتكامل) الإداعيا للمقارنة بين خصال الأجداد الذين لم يسلبهم شطف العيش وظلم الدخيل المحتل غيرتهم ولا مروءتهم ولا تمسكهم بالقوت الحلال وبين حالنا ونحن نرقل في رغد الرفاهة دون مبالاة بواجب الشكر ولا لفضيلة القناعة . كما لا إخاله إلا راجياً من الحفدة أن يتذكروا الأجداد بالدعاء والتصدق ويحفظوا لهم عهدهم ويكرموا أهل ودّهم ويصلوا أرحامهم على نحو ما جادت به مشكاة النبوة التي أدرجت هذه الخصال في خانة المبرة والوفاء واستدراك التقصير في شأن الوالدين ، ناهيك عن تجلياتها من خلال القبور إنارة والأجور زيادة والدرجات رفعة . فمن أين للمرء أن يؤدي واجب الحبة لآل بيت المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أو أن يقوم بمودة القربى : عمومة أو خوولة أو أن يعرف معادن الناس الذين يربطهم به مصير المعاشرة والمصاهرة . في غياب مقاربات تعنى بالتركيبات الإجتماعية والمكونات الثقافية والمقومات الأخلاقية التي تسبك ملامح محيطه الذي يتأثر به ويؤثر فيه ؟ ومن ثم فإن هذه الدراسة تصادف أوان طرحها في سبيل تحقيق ما أمكن من هذه الأغراض الإنسائية النبيلة التي تحل أولوية بارزة في سلم مكارم الشيم . نأمل أن تعقبها نظائر من جنسها تكملها وتثريها وتعفي المكلف من ميز الغث عن السمين . فحسب هذه (المدونة) مكانة أن

يستفيد الآخر من أثاره الأول في الحياة الدنيا. ويستفيد الأول من إشارته الآخر في الحياة البرزخية والأخرية. وكفى صاحبها فخراً أن يقترن فيه صدق الطوية بمجدية الفعل ليتحقق لمصنّف من هذا القبيل النفع في العاجلة والقبول في الآجلة بحول وقوة من لا يضيع أجر المحسنين آمين. (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) وَصَلَّى اللهُ عَلَى الرَّحْمَةِ الْمَهْدَاةِ وَالنَّعْمَةِ الْمَسْدَاةِ. سَيِّدِنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الجلفة في يوم الإثنين 07 ربيع الآخر 1426هـ / الموافق لـ 16 ماي 2005 م / وبه أبو محمد الجابري سالت .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم مؤلفه الميلود قويسم بن الهدار

الحمد لله الذي جعل البشر شعوبا وقبائل ليتعارفوا. وبيّن في كتابه الجليل أن أكرمهم عنده أتقاهم وأشهد أن لا إله إلا الله سبحانه وتعالى اختار آل النبي واجتباهم. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه رحمة ونورا فأرشد الخلق وهداهم. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم. أما بعد: فيقول العبد الفقير راجي عفوره التقدير. الميلود قويسم بن الهدار السعداوي. وقاه الله الأخطاء والمساوي. إني ومنذ زمن غير قصير. كنت ولا زلت أسمع من كبارنا السالفين. وسلفنا الصالحين. ذكر نسب الأجداد. ومن جاورهم من بقية أولاد نايل وسائر الأشراف والأحرار والأسياذ. وما لكل في التاريخ من عطاآت وصولات وجولات. ومغازي وعادات وتراث وآثار ومأثورات. وكم كنت أود لو أن تلك المعلومات قد دونت. وتلك السلالات والقربابات قد رسمت. ولكن وللأسف الشديد. ونظرا لزهادة العبيد لم تدون هذيك المذكورات. ولم ترسم. وبقيت مهملات مبعثرات. بعضها محفوظ في صدر ذا وبعضها محفوظ في صدر ذاك. ولما رأيت تلك الحال

المكدره لصفو البال .عزمت على بركة الجليل القادر .في تبين نسب الأهل والآل .من الأصول والفروع والأنجال .وما لهم في كل رحبة ومجال .من مآثر وخصال .وفضائل وخلال .معتمدا على ما ذكره صفوة الأخيار .مشفعا بقبس من نورا لشريعة .ونبذة من معالم الحقيقة .مع إيراد نصوص ثرية .ومختارات شعرية .فصيحة وملحونة .حرة وموزونة .من عصارة فكري الحاضر .وموطني العامر .وقد أتيت بها ليكون المصنّف دسما .يعيشه القراء الأخيار وتذوقه العقول والأفكار .وكل ما أوردته فيه من مختارات .وجل ما أودعته فيه من معلومات .عدا القرآن والسنة .لا يعني إطلاقا قناعتي الشخصية بكليته .أو الاعتقاد فيه . وإنما هو مجرد إيرادات جئت بها أداء للأمانة العلمية .ونشرا للمحتويات النسبية . أما ما عدا ذلك فعلى القارئ وحده تمييزه .والتنقيب عنه وتحريره . ولذا لا أجدني في الغالب مضطرا لأن أعلق على ما قد يرد فيه .أو يُنقل عن كل (خوني أو درويش أونبيه) .لما قد قلته سابقا .وما سأقوله لاحقا .وما تألفني هذا في الحقيقة إلا جهد مُقل .إذا أصبت فيه فمن توفيق الله القادر .وإن أخطأت والخطأ من طبيعة البشر .فمن نفسي وهواها القاصر .ولما أتمته أسميته (التحقيق المتكامل في مناقب وعادات ونسب وتراث وآثار أجداد أولاد سيدي نايل . ومن جاورهم من العروش والرفق والقبائل) وقد تضمن جملة مقدمات .وعدة ملاحظات .وثمانية وعشرين كتابا .كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يحتوي عدة أبواب .تتبع ذلك خاتمة حسنة .وتقاريط مستحسنة .وهو بكامله في أربعة أجزاء متناسقة متتابعة .وهنا أهيب بكل قارئ لهذا الكتاب أن يقتني كل الأجزاء ولا يقتصر على جزء واحد حيث أن الأجزاء مترابطة البحوث والإحالات .وهنا تجدر بي الإشارة إلى (حقائق ثمانية) لا بد من الإتيان على ذكرها وإدراك معرفتها .لخطورتها وأهميتها .وهي : (أولا) أن النسب كما هو معلوم يرجع إلى نسب طيني ونسب ديني .والنسب الطيني إذا لم يزره دين فلا خير فيه . إذ الكرامة الحقة تثبت للإنسان بانتهاج الدين . لا بعنصر الطين .قال الله جل وعلا (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . (ثانيا) إن الأصل في بعض البيوتات أنها في الواقع ليست من نفس العروش التي سأذكرها بعد .ولكنها نظرا لتربيتها وقدمها وانصهارها بالحوالة

المتألية .واندماجها في القرابة الحميمة الثابتة .صارت تلقائياً منها .الأمر الذي جعلني أعتبرها من نفس القبيل لقناعتي الشخصية بأن القرابة كما تكون بالأبوة والعمومة تكون أيضاً بالرضاعة والخوالة والأمومة .بل وتكون بالولاء والتحالف والتربية أيضاً .وذلك أمر متفق عليه لدى كثير من المؤرخين .وصفوة من الباحثين وإلا فما عسانا أن نقول في بنوة سيدنا لوط وسيدنا عيسى لسيدنا إبراهيم الخليل كما هو نص الآية حيث قال رب العزة سبحانه عن ابراهيم (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كَلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) ولوط كما هو معلوم ابن أخيه لا أبنا له كما أن عيسى أيضا هو ابن مريم فقط وليس ابنا له إذن فلا مندوحة للنقاد في أن يعيبوا علي في هذه الحثية . (ثالثا) بما أن القاب بعض الأسر أو الافراد قد أبدلت حديثا في الحالات المدنية لضرورة أو أخرى .وحيث أنني لم أتمكن من الاطلاع عليها لشساعة المنطقة وتشعب الانساب فإن الظرف الحالي لايسمح لي بإدراجها في مضانها والتنقيب عنها .لذا أرجو من أولئك المعنيين .وجمهرة المتبعين .أن يلحقوا ألقابهم بالعرش الذي ينتمون إليه أو يتصلوا بي لأضيف ما امكنتني إضافته من ألقابهم لدى إعادة طبع الكتاب كما نبهت عليه في كل فصل وفي كل ملاحظة . (رابعا) بما أن أسماء بعض الأشخاص ونظرا لطول الأمد قد تنوسيت وبقيت فقط كناههم وألقابهم مثل الأعمش وخميصة والأكحل والأطرش والأعرج والنفير والرخيص والشايب وبلكحل والأحدب وغير ذلك .وصار الناس يتخيلون فيها فقط ويتكهنون ويقولون : فلان قيل اسمه كذا وقيل كذا وكذا دون أن يحددوا لذلك اسما ثابتا في حين تقول الحقيقة المسلم بها أن كل شخص لابد أن يكون له اسم معين خاص به .به يُعرف .واليه ينتسب .وعليه فإني جعلت لكل شخص منهم اسما معيناً اصطلاحياً اخترته من أسماء متعددة واردة ليعرف به كشخص .ويعرف به نسبه وعقبه بعد ذلك كقبيل .ولست مغاليا في ذلك وإلا فما هذا الخلاف الذي جرى ويجري بين الباحثين والمترجمين في مجوهم حيث يقولون : فلان قيل اسمه كذا .وقيل اسمه كذا .ويعددون

ذكر وجوه الخلاف إلى درجة ملفقة للانتباه مثل اختلافهم في اسم سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه وهو من هو في العلمية والشهرة حيث اختلفوا فيه على بضع وثلاثين اسما أشهرها عبد الرحمن بن صخر. إذن فما أتيت به ليس بدعا من القول. (خامسا) أني أعرضت كلية عن كل ما ذكر من وقائع وقعت بين أبناء القوم في سالف عهدهم. وماضي دهرهم. من غزوات وغارات. وهجاء وطيجات ونشد ودعوات. وما إلى ذلك من حالات وصفات. ومفاجع وأزمات. لعلمي بأنها وإن كانت في أغلبها واقعية. فإنها بلا شك أخطاء ومزالق دعا إليها الجهل والجبروت والصعلكة. أودعت إليها الغيرة والأنفة وحماية الدار والجوار. ولذا فإني لم ولن أتعرض لبعض نقاطها خصوصا منها النقاط ذات الحساسية الاجتماعية وضربت عنها صفحا لا تهاونا بشأنها. ولكن تفاديا لما قد ينجر عن إيرادها وذكرها والخوض فيها من هزات وحساسيات. ومس عواطف وتأسفات. خصوصا وأن الظرف الحالي يدعوا أمتنا إلى التآلف والمصالحة والوئام والمقاربية والتضامن والتوافق والسلام. وعلى كل فيجب أن تمحى تلك المآثرات المشينة فورا من ذاكرة التاريخ خصوصا وأن القوم قد أفضوا إلى ربهم وخالقهم. فلا داعي لتعداد مثالبهم. وإيراد هفواتهم. وفي الحديث (اذكروا محاسن موتاكم) وهنا لا يسعني. كما لا يسع أي عاقل إلا قول رحم الله الجميع وتقبلهم بمنه وكرمه (سادسا) أني لم أتعرض في ذكرنا لأنساب إلا لمن تربطهم علاقة حميمة بـ (أولاد ساعد بن سالم) من قريب أو من بعيد كـ (مجاورة أو مصاهرة أو مشيخة أو زهادة أو رحلة أونضال أو تولية أو مناقضة) ليس غير. أما من عداهم من الرفق الأخرى وهي كثيرة بلا شك فإني لن أعرج عليها ولا أذكر من نسبها إلا ما دعا إليه البيان. أو ذكره الأعيان. لعلمي الأكيد بأن أسماء رفقها وفروعها وأنسابها ورجالاتها وتراثها قد تكون بلا شك قد ذكرت في مدونات علماء وشعراء وكبراء المناطق الخاصة بذلك. وعليه فليس لي أي دخل أو مصلحة في ذكرهم. أو التعرض لأنسابهم وفروعهم. إذ ذاك شيء أجهله. وجاهل الشيء يفقده ولا يمنحه. ومن عكس علي منهم في هذه المقالة فسأقول له مسبقا ما قاله المثل الشعبي (بيناتكم يا حجاج) أو (بيناتكم يا عبازين)

وهذا لا يعني أنني قد أغفلت ذكرهم بالمرّة معاذ الله بل إنني قد أشرت إلى بعض نكتهم على استحياء وعليه فمعدرة عن الإغفال يا سادة يا كمال (سابعاً) وتبرئة لذمتي بين يدي الله الغني المتعال. وأمام التأريخ السجّال. أصرح بملء في. وبكامل قواي أن نرزا مما أوردته في هذا الكتاب. هو استنباط أو قياس أرجو إن لم يكن كله حقيقة أن يكون جله قد قارب الحقيقة. وذلك حسب ما سمعت به أو استنبطته. وعليه. وبدون مبالغة مني فسكون نسبة الصحة في هذا الكتاب كثيرة عالية (ثامناً) أوكد هنا على أمر علمي عقدي تشريعي تاريخي خطير وهو أن ما أوردته في هذا المصنف من معلومات ليس بالضرورة أن أكون مقتنعا به. وإنما هو مجرد ماثورات ومنتخبات. على المطالع أن يقرأها على حذر. وليتريث في اتباعها والأخذ بها حتى يعرض مسألها على محك التمحيص العقدي والتشريعي والاخلاقي والتاريخي. ليكون على بينة من أمره. وما هو قادم عليه. ولا يكون كحاطب ليل أو ماخض غثّ وسمين. هذه هي الحقائق الثمانية التي ينبغي أن تدرك لئلا نقع في مآهات وقع فيها الغير نحن جميعاً في استغناء عنها وهنا أمثل بقول الشاعر الذي يقول:

يا سامعني كون في حكمك عادل واحسن عوني لا اتوجهلش اللوم

وقبل الوصول. إلى تفصيل موضوعات أنساب تلك الفروع والأصول. الخاصة بمنطقتنا السعداوية والدوحة الرقادية. والرقعة النابلية. والأقاليم الجلفاوية. أذكر نفسي. وكل قاصر مثلي بملاحظات أربع جد هامة يجب أن تراعى حقيقتها ويحتفل بها وهي: (أولاً) أن هناك ألقاباً أي (انكاوي) كثيرة ومتنوعة ومتشابهة يمكن الرجوع إليها في مصالح الحالات الخاصة بها في مقرات البلديات وهي ليست من موضوع كتابي هذا لتشعبها وتفرعها كما ألحت إلى ذلك سابقاً وكما سأذكره لاحقاً (ثانياً) هناك القاب أبدلت بألقاب أخرى رسمياً لظرف أو آخر ليس لي بها أي علم وهي متجددة دوماً حسب الرغبات والنزعات والتعرات كما يحاول جاهداً شباب اليوم لا يمكنني متابعتها. (ثالثاً) هناك مع كل رفقة أذكرها قد سجلت رفق أخرى لظروف اقتضت ذلك لاداعي للخوض في شأنها وتقليب مواجعها. (رابعاً) إطرائي ومدحي لبعض الرفق لا يعني. إطلاقاً. التعميم ولا خلوا الساحة ممن تختلف حاله عن مسير

عرشه وشيمه وقيمه وأخلاقه وهذا في اعتباري شاذ. والشاذ كما هو معلوم لا يقاس عليه. وإنما فقط نسأل له ولنا الهداية والتوفيق. وأمره إلى الله إن شاء أخذه بعدله وإن شاء عفا عنه بفضلته وكما قال أحد الحكماء:

إذا غاب أصل المرء فاستقر فعله
فقد يشهد الفعل الجميل لربه
لعمرك لا يغني الفتى طيب أصله
فإن دليل الفرع يني عن الأصل
كذلك مضاء الحد من شاهد النصل
وقد خالف الآباء في القول والفعل

وللأهمية سأكرّر هذه الملاحظات في مضانها كلما أتحت لي فرصة على رغم ما في بعض ذلك التكرار من ملل. وذلك لأسباب أربع وهي: (الأولى) لأرسخ في حافظته القارئ فهم تلك الملاحظات ودلالة معنى هاذيكم الوردات. (الثانية) لأعفي نفسي من شر المزلق والمهالك المترتبة عن ذكر ما قد يلتبس على الفهم إدراكه. (الثالثة) لأتفادي ما قد ينتقدي به أحد ممن لا معرفة لهم بموضوعات الأنساب والمسالك. ثم أقول كما قال الأوائل:

يا من غدا ناظرا فيما كتبت ومن
سألتك بالله إن عانيت لي خطأ
أضحى يردد فيما قلته النظرا
فاستر عليّ فخير الناس من سترنا
هذا وأسأل الله منزل الآيات البينات. ومعجز الكائنات. أن يقبلنا برحمته. ويعفو عنا بمغفرته. وأن يوفق الجميع للصواب. وأن يتقبل مني ذا الكتاب. بأحسن قبول وأجزل جزاء، يوم الوفود واللقاء، إنه على ما يشاء قدير. وبالإجابة جدير. وصلى الله وسلم وبارك على كامل النور. سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البدور. والحمد لله رب العالمين.

فوائد التأليف والتصنيف

إن التأليف كما قال العلماء على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه. أو شيء ناقص يتممه. أو شيء مغلق يشرحه. أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه. أو شيء متفرق يجمعه. أو شيء مختلط يرتبه. أو

¹ للمزيد من البحث. راجع كتب الادب ومنها خزينة الأدب وجواهر الأدب والمستطرف
² البيان لأحد القدماء رحمه الله تعالى.

شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه. وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء كان معضلاً، أو جمعه إن كان مفرداً، أو شرحه إن كان غامضاً، أو حسن نظم وتأليف أو إسقاط حشو وتطويل. ويشترط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز اللهم إلا في الرمز. والاحتراز عن إدخال علم في علم آخر وعن الاحتجاج بما يتوقف بيانه على المحتج به عليه لتلايلزم الدور. وزاد المتأخرون اشتراط حسن الترتيب ووجازة اللفظ ووضوح الدلالة وينبغي أن يكون مسوقاً على حسب إدراك أهل الزمان وبمقتضى ما تدعوهم إليه الحاجة فمتى كانت الخواطر ثاقبة والإفهام للمراد من الكتب متناولة قام الاختصار لها مقام الإكثار وأغنت بالتلويح عن التصريح والإفلا بد من كشف وبيان وإيضاح وبرهان ينبه الذاهل، ويوقظ الغافل (قلت) وحظ كتابي هذا من تلك الأقسام يتمثل في ثلاثة مناسبات وهي (1) اختراع موضوع بأسلوب لم يوجد له مثل في المنطقة (2) إتمام ما قد أُلّف في مناطق أخرى (3) شرح وإدراج ما به حاجة الناس في هذه النواحي. وهنا أقول لقارئ الكريم ما قاله الحكيم:

ما تمدحني حنان تجرب غيري ومن بعد العشر اتبان الناس

التعريف بالكتاب

قد جرت عادة المصنفين بأن يذكروا في صدر كل كتاب تراجم ثمانية لتعرب عنه سموها الرؤوس وهي (أولاً) الغرض وهو الغاية السابقة في الوهم المتأخرة في الفعل (ثانياً) المنفعة المشوقة للطبع (ثالثاً) العنوان الدال بالإجمال على ما يأتي تفصيله وقد يكون بالتسمية وقد يكون بألفاظ وعبارات تسمى براعة استهلال (رابعاً) الواضع له لمعرفة قدره (خامساً) الموضوع وهو نوع العلم لتعلم مرتبته وقد يكون الكتاب مشتملاً على نوع من العلوم وقد يكون جزءاً من أجزاءه وقد يكون مدخلاً (سادساً) مرتبة ذلك الكتاب أي متى يجب أن يقرأ (سابعاً) الترتيب وهو معرفة رتبة إيرادها (ثامناً) التعليم المستعمل فيه وهو بيان الطريق المسلك

³ - هذا البيت تمثل به الشيخ عامر محفوظي ليلة الإثنين 22 أبريل 2006 بعد صلاة المغرب في بيت الحاج الجديد دراري يحيى بن اربيع / الحلفة

في تحصيل الغاية منه. وعليه ولو أنني لا أعتبر كتابي هذا مصنفاً (الغرض) من هذا الكتاب هو ذكر (نبذة من مناقب وتراث ونسب بعض الانساب الخاصة بأولاد سيدي نايل ومن هم بجوارهم فقط دون غيرهم . (والمنفعة منه) هي تصنيفه ليكون للنشء عوناً على صلة الأرحام. ومعرفة ذوي الإنعام . (وعنوانه) كما هو على غلافه يدل دلالة واضحة على محتواه ومبناه . (والواضع له) كالألف هو مؤلفه الميلود قويسم بن الهدار شخصياً بعد أن جمع مادته من موارد مختلفة في مدة تفوق العشرين سنة. (وموضوعه) الوارد فيه هو إيراد ما أمكنتي ترجمته من انساب من حلوا بالمنطقة ومن جاوروها دون سواهم . (ومرتبة الكتاب) هي الأولى بالنسبة للمنطقة السعداوية لاغيرها وذلك من ناحية التأليف والوضع والمبادرة والاحتواء . (وترتيبه) هو ذكر الأنساب مرتبةً بدايةً من الأصول الأولى وانتهاءً بالفروع المعاصرة إلى زمن المؤلف (والترتيب المستعمل فيه) هو بلا شك سرد التراجم والأنساب أولاً فأولاً مشفعة بإيراد نصوص عامة لإفادة القارئ بالنسب والتقاليد والعادات واللهجة المحلية. وهنا أكرر الاعتذار لأهل الاحتساب. عما قد يرد في هذا الكتاب. من إغفال فيه. أو خطأ يعرفه النبيه. والناس مصدقون في أنسابهم. نفعني الله بهم والرجاء ممن لهم خبرة واهتمام بهذا الموضوع أن يوافوني بذكر أنسابهم التي لا عمداً أكون قد هفوت عنها. أولم اطلع على معلوماتها. لأدرجها في (كتابي الآخر) الذي اعزم على تأليفه اذا وفقني ربي وهو لازال فكرة تخامرني وإيحاءات تلاحتني ولو ان بداية رؤوس عناصره موجودة. والحق أقول : ان العمل في كلا الكتابين شاق وشائك لا يقدر أحد على تحقيقه وتمحيصه إلا بمعونة ربانية ومصادر موثقة ومجهود جماعي. هذا وأسأل الله أن يحقق المراد. ويحفظ الجميع من كل خطأ أو فساد. إنه الرب الجواد .

توزيع الكتاب

إن كتاب (التحقيق المتكامل) بأجزائه الأربعة. يتضمن جملة من المقدمات. وعدة ملاحظات وثمانية وعشرين كتاباً كل كتاب يتضمن عدة فصول. كل فصل يتضمن عدة أبواب. تتبع ذلك خاتمة حسنة وتقاريط مستحسنة. وردت على المؤلف من مشايخ

علماء . وأساتذة حكماء . وإطارات نبلاء . أفادوها بها تشجيعاً له على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة و تلك الموضوعات كلها (مقدمات وكتباً و فصولاً وأبواباً وتقاريف) ستأتي بإذن الله مفصلة ومنظمة في الأجزاء الأربعة بأسلوب سلس . وبطريقة بديعة سهلة . تحتوي معلومات نسبية . ونصوصاً تراثية معتمدة واقتباسات مروثقة . منقولة من مراجع موثقة . ومن ذكريات حافظة لا تكمل ولا تنسى . ومع ذلك فالكمال لله الواحد الأحد . وللإفادة والاستفادة بإمكان القارئ الكريم أن يتعرف على صور بعض الشخصيات الواردة أثناء هذا الكتاب في كتابي (بغية الوصال في معرفة صور بعض الرجال) وهو أيضاً جاهز للطبع وله نقاسة جهوية لا تقل عن هذا الكتاب ولا عن كتابي (المنتخب الكافي) الذي سيطلع في القريب العاجل إن شاء الله تعالى .

مصادر الكتاب

بما أن كل مؤلف لابد لمؤلفه من مراجع يعتمد عليها . ومصادر يقتبس منها . لتكون محتوياته معتمدة ومعلوماته مستندة . وعليه وليكون القبول المستطاب . هاهي ذي مراجع ذا الكتاب أذكر منها هنا ما يسعني ذكره للتبرك . وللأمانة أقول إنني ولو أدرجتها كمراجع فإني اختلف مع بعضها في معلومات معينة . إذ أني لا آخذ إلا عمن سمعت منهم من محققي منطقتنا . ومن مدونات أئمتنا وتلكم المراجع هي : تفسير القرآن للإمام ابن كثير وتفسير القرآن للإمام الخازن وتفسير المنار للشيخ رضا وتفسير الدر المنثور للإمام السيوطي والجامع للإمام القرطبي والترغيب والترهيب للإمام المنذري والتمهيد للإمام ابن عبد البر وفتح الباري للإمام ابن حجر وبدائع الصائغ للإمام الكاساني ونيل الأوطار للإمام الشوكاني والحجة البالغة للإمام الدهلوي وقلائد الجمان للإمام القلقشندي والمنظم للإمام ابن الجوزي والتاريخ للإمام الطبري وسير اعلام النبلاء للإمام الذهبي والتذكرة للإمام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي والبداية والنهاية للإمام ابن كثير والروض الانف للإمام السهيلي والسيرة النبوية للإمام ابن اسحاق وابن هشام وفقه السيرة للشيخ البوطي وفقه السيرة للشيخ الغزالي ومعالم في الطريق للأستاذ قطب

⁴ أعني بالمراجع المراجع المكتوبة والمخطوطة والمسموعة والذاكرة الشعبية الشفوية .

والعقيدة للإمام الطحاوي والمستطرف للإمام الأبيشي والمدهش للإمام السيوطي وتهذيب هداية الحيارى للإمام ابن القيم والإستقصا للشيخ الناصري والبحرالزخار للإمام الشوكاني وصيد الكتب للاستاذ الشيهوب والفصل للإمام ابن حزم والحلية للإمام الحلبي والعقد الفريد للإمام ابن عبدربه والجمهرة للإمام الحموي والرسم في النسب الإدريسي للشيخ أفندي وسلسلة الاصول للقاضي حشلاف وقصص الانبياء للشيخ النجار وظهور الاسلام للشيخ نجيت وكزالانوار للشيخ ابن الهدار والمقنطف للشيخ عبدالقادر بن ابراهيم والإباضية في موكب التاريخ للاستاذ معمري والطبقات للشيخ الدرّجيني والفتاوى للشيخ الوادعي ونسخة الشجرة للبلدية والقييد النسب للقس ديفيلاري افراسوا المدعو عبد الرحمن ومروج الذهب للإمام المسعودي والتاريخ للإمام ابن خلدون والمقدمة للإمام بن خلدون ووصية الولدين للإمام الباجي والمغني للإمام المقدسي والأذكياء للإمام ابن الجوزي وقصص الانبياء للإمام العالمي والمنجد للاب معلوف والمعجم الاساسي للاساتذة والرائد للأستاذ مسعود والموسوعة العربية لشركة العريس وبرنامج مفاهيم للحاسوب وتقييد الشجرة للشيخ بن عيسى الهدار وتاريخ الآداب للاستاذ زيدان والفخري للإمام طباطبا و نيل الابتهاج للشيخ بابا التمبكتي و موسوعة التاريخ الإسلامي للأستاذ أحمد ونزهة المشتاق للإمام الإدريسي والمغرب للإمام البكري وموسوعة التاريخ الإسلامي للحاسوب وجواهر الادب للأستاذ الهاشمي وتعطير الاكوان للشيخ محمد الصغير والتاريخ للشيخ اليعقوبي ونفح الطيب للشيخ المقرئ وصيف في الصحراء للرحالة الفرنسي والمولد النبوي للشيخ البرزنجي ومنحة الحنان للشيخ الديسي وشجرة سيدي نايل للشيخ سي عطية وارشاد الانام للشيخ عبدالقادر الشطي وباقات للشيخ سي عطيه ونافذة للاستاذ يحيى مسعودي وتحفة السائل للشيخ عامر وهدية المعارف للشيخ الميلود شريط واملاء الحاج محمد بن ملاك واملاء الحاج العربي بن الهدار وإفادة السيد المصفي عموري بن المبخوت وإفادة الحاج محمد عموري بن اعمر واملاء الحاج محمد رينوبة واملاء الشيخ بن حمزة تنوم واملاء الحاج قويدر بن عيسى وتسجيل الحاج النعوم بن الهدار واملاء الشيخ منادالفويح واملاء الحاج احمد كريع واملاء الحاج المصفي بن امعمر واملاء الحاج بن

ضيف الله بن ساعد واملاء الحاج عمارة بن اعبير واملاء محمد الكشه بن البشير واملاء
الحاج عبد الهادي صحراء بن احمد واملاء العسكري احمد بوحمله و املاء الحاج بلقاسم بن
الهدار وتقييد الشيخ احمد بن احفاف واملاء الزهدي بن حوه الصحراوي وإفادة الحاج بلعباس
دلولة واملاء السيد بن الطاهر تاوتي بن عبدالرحمن وإفادة الحاج المصفي حلفاوي وتقييد
السيد بلخير الاشهي بن محمد واملاء الحاج البشير بن مودد واملاء الحاج سليمان بن بوعلافة
وتقييد الحاج العياشي بن دراح واملاء السيد المبخوت حلاسة وتقييد الحاج البشير اباح بن
عطيه وإفادة الشيخ الحاج بوبكر رينوبه وإفادة الشيخ محمد طوير القحطاني وإفادة الحاج علي
معيلي بن سالم ومساهمة الاخ المسعود الداوي وإفادة الشيخ السعيد بن سليمان واملاء السيد
يحيى الكورديني المقني وإفادة الاستاذ منصور مرسلني ومساعدة الحسن قويسم وإفادة الحاج
محمد بلطرش وإفادة الحاج البشير بن زاهية وإفادة السيد احمد الاحرش تومي وإفادة الحاج علي
بودربالة وإفادة الاستاذ المسعود حريزي ومساعدة الاستاذ بن قرينه ثامر بن عماره ومساعدة
فطينة ومباركة صبرين ومساعدة الحاج عيسى طوير بن مفتاح وإفادة الحاج بن احمد محمد بن
عطية وتقييد الحاج بوالارباح عريشة وإفادة الشيخ الطيب خرخاش واملاء الحاج فرحات
دهاس واملاء الحاج المصفي حلاسه بن احمد واملاء الحاج السعيد مياح واملاء الامام علي
بالسعود وإفادة الشيخ محمد بالسعود ومساهمة الحاج عبد القادر عقوني ومساعدة الاستاذ
احمد عمار ومساغي الحاج البشير تريش وتبنيه السيد العيد جابري ومساعدة محمد أحمد
قويسم ومحاولة الحاج احمد التجاني قريشي وإفادة السيد علي طوير بن الجديد وترجمة الاستاذ
صلاح الدين كاس بن البختي وإفادة السيد قويدر بوعلافة بن احمد وإفادة الشيخ السعدي
سليم وإفادة الشيخ سعد العقون ومساعدة السيد الطاهر الأحرش بن علي بن احمامه
وإفادة الحاج عبد المجيد بوزيدي بن عطالله وإفادة الشيخ زيان ابديرينه وإفادة السيد الاخضر
حساني ومساعدة أحمد قويسم وإفادة الشيخ بلقاسم طالبي ومساعدة الحاج مصطفى
مكوري ومساعدة السيد محمد تريش بن احمد وإفادة الحاج البشير عرابه بن المختار وإفادة
الحاج ساعد عرابه بن الطالب وإفادة السيد بلقاسم افير بن قدور ومعاونة نعيم قويسم وإفادة

الاستاذ عبد الباقي بلحور ومساعدة السيد ابراهيم عبد الالي بن محمد وإفادة الشيخ الجابري
 سالت وإفادة الحاج عبد الله مزوز بن الحران وإفادة الحاج السعيد بن النعم وإفادة الحاج
 قويدر بن احمد مقراني وإفادة الاخ العلمي بن هوره وإفادة السيد موسى بن يطو وإفادة الشيخ
 عيسى درماش وإفادة الحاج مناد بن يريكة ومساعدة عبد الرزاق قويسم وإفادة الحاج عطية
 بشيري وإفادة الحاج على جعلاب وإفادة الحاج عبد القادر النوراني وإفادة الحاج سليمان
 النوراني وإفادة الحاج عمر الاشهي بن ابراهيم ومساعدة السيد بن الاحرش احمد بن ابراهيم
 وإفادة الحاج المبارك البخيتي وإفادة الشيخ محمد شاربي بن العقون ابن علي وإفادة الشيخ
 المسعود بن الصالح العيفاوي وإفادة الشيخ الطيب اسعيد وإفادة السيد محمد بن النعم بن
 الهدار وإفادة الحاج بلقاسم العمراوي وإفادة الحاج الجديد دراري وإفادة السيد عيسى بن
 دراح وإفادة البركة عويشة بنت بلقاسم وبرنامج المحدث لجمع ابي النور وموسوعة الشعر
 للحاسوب والسيرة النبوية للحاسوب إلى اخرها ورد في مضامين وهوامش الكتاب . وهذا
 غيض من فيض . وأسأل الله واهب المنز كما قال شيخنا سيدي محمد بن احمد بلقايد
 التلمساني أن يرحمنا بالمرحوم فينا . إنه على ما يشاء قدير . وبالإجابة جدير . ولا حول ولا
 قوة الا به سبحانه هو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت وإليه أنيب .

كتابات مجحفة

في العقود الأخيرة من القرن العشرين الميلادي الفارط خرجت علينا كتابات خاطئة غير
 تخصصية أرخت لأبناء منطقة الجلفة أجحف فيها جانب (أولاد ساعد بن سالم) إجحافا
 شديدا وشوهت انسابهم . وزيد فيها وأخر وأضيف إليها غيرهم واخرج منها من هو منهم
 او معهم لعدم استقصاء كتبها الحقائق من مصادرها المعتمدة . ومواردها المستندة
 . واعتمادهم فقط على القال والقليل والتخمين وما نقله النساخ غير المهرة أو الرهبان المبشرون
 أو كتبه الجرائد المزجاة . وهذا لا يشرف أولئك الكتبة الذين أقحموا أنفسهم في مآهات
 التاريخ خصوصا وأن أمانة الكتابة المنوطة بهم تأبى عليهم أن يدرجوا تلك السفساف على

⁵ أعني بها الكتابات التي تناولت أنساب المنطقة ولم تعرج على أولاد ساعد بن سالم أو عرّجت عليهم ولم تكن مستمدة معلوماتها من تراث المنطقة الأصيل

السننهم فضلا عن اقلامهم والتي ستبقى كتابتها شاهدة عليهم بالتأثر والتعثر ، وإلا فإن (أولاد ساعد بن سالم ومن معهم) لهم تاريخهم التليد الاصيل المكتوب والمسموع المحفوظ في الصدور . والمكتوب في السطور . الأمر الذي بفضل لا يضرهم غيره من الترهات المهلهة الواهية . وللعلم فقد جرت مناوشات كلامية بين الشيخ عبد القادر بن إبراهيم الطعبي وبين الأستاذ أحمد توفيق المدني حول تلكم الكتابات الخاطئة وقد كانت الغلبة فيها للشيخ عبد القادر بن إبراهيم ولولا تدخل أفراد من جمعية العلماء لأفضى الموضوع إلى ما لا تحمد عاقبته علميا وشعبيا وقد نشرت تلكم المناوشات في الجرائد والمجلات المحلية آنذاك . كما جرت واقعة بين الشيخ عبد القادر هذا وبين القاضي حشلاف في نفس الموضوع وكان النصر فيها للشيخ عبد القادر (أقول) وعليه وتفاديا لأي التباس أو انعكاس واردة ممن لا علاقة لهم بموضوعنا فإنني سأورخ لأناسي الأطهار . وجماعتي الأخيار . بفضل ذي الجود . وما تركه لنا الآباء والجدود . من علم مسموع ومكتوب . محقق وموثوق . أقول لكل متطفل على ربع بني سعد (هذا ليس بعشك فادرجي) أقول له كما قال الشاعر الفرزدق :

أو لك ءابا ئي فجنني بملهم إذا جمعتنا يد (جري) المجمع

وهذا البيت كما هو معلوم من قصيدة طويلة رائعة شيقة منافحة يفاخر فيها الشاعر الفرزدق الشاعر جريرا وهي كما في الديوان بنصها الكامل يقول فيها :

قصيدة الفرزدق

مَنَا الَّذِي اخْتِيرَ الرَّجَالَ سَمَاحَةً	وَخَيْرًا إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الزَّعَانِعُ
وَمَنَا الَّذِي أُعْطِيَ الرَّسُولَ عَطِيَّةً	أَسَارَى تَمِيمٍ، وَالْعِيُونَ دَوَامِعُ
وَمَنَا الَّذِي يُعْطِي الْمَسِينِ وَيَشْتَرِي الدَّ	غَوَالِي، وَيَعْلُو فَضْلَهُ مَنْ يُدَافِعُ
وَمَنَا خَطِيبٌ لَا يُعَابُ،	وَحَامِلٌ أَغْرَ إِذَا التَّفْتُ عَلَيْهِ الْمَجَامِعُ
وَمَنَا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وَعَمْرُو	وَمَنَا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ
وَمَنَا غَدَاةَ الرَّوْعِ قِيَانُ غَارَةٍ	إِذَا مَتَعَتْ تَحْتَ الزَّجَاجِ الْأَشَاجِعُ

⁶ راجع القصيدة في كتاب النقااض

وَمَنَا الَّذِي قَادَ الْجِيَادَ عَلَى الْوَجَا
أَوْلَكَ آبَائِي، فَجِئْتِي بِمِثْلِهِمْ
نَمُونِي فَأَشْرَفْتُ الْعَلَايَةَ فَوْقَكُمْ
بِهِمْ أَعْتَلِي مَا حَمَلْتَنِي مُجَاشِعُ
فِيَا عَجَبِي حَتَّى كَلَيْبُ تَسْبِنِي
أَتَفْخِرُ أَنْ دَقْتُ كَلَيْبُ بِنَهْشَلِ
وَلَكِنْ هُمَا عَمَّايَ مِنْ آلِ مَالِكِ
فَأِنَّكَ إِلَّا مَا اعْتَصَمْتَ بِنَهْشَلِ
إِذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْكَلْبِ أَلْتَكِ نَهْشَلِ
أَلَا تَسْأَلُونَ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْكُمْ
تَعَالَوْا، فَعُدُّوا، يَعْلَمِ النَّاسُ أَنِنَا
وَأَيُّ الْقَبِيلِينَ الَّذِي فِي بُيُوتِهِمْ
وَأَيُّ تَقْضِي الْمَالِكَانَ أُمُورَهَا
وَأَيُّ الْوُجُوهُ الْوَاضِحَاتِ عَشِيَّةَ عَلِيِّ الْبَابِ
تَنْحَ عَنِ الْبَطْحَاءِ، إِنْ قَدِمِيهَا
أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ
لَنَا مَقَرِّمٌ يَعْلُو الْقُرُومَ هَدِيرُهُ
هُوَ الْخَطْفِيُّ لَمَّا اخْتَطَفْتُ دِمَاقَهُ
أَتَعْدَلُ أَحْسَابًا لَأَمَّا أَدَقَّةُ
وَكَمَا إِذَا الْجِبَارُ صَعَرَ خَدَّهُ
وَيَحْنُ جَعَلْنَا لِابْنِ طَيْبَةِ حَكْمَهُ
وَكُلَّ فَطِيمٍ يَنْتَهِي لِفَطَامِهِ
تَزِيدُ يَرْبُوعٌ بِهِمْ فِي عَدَادِهِمْ

لَنْجِرَانَ حَتَّى صَبَحَتَهَا التَّرَائِعُ
إِذَا جَمَعْتَنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ
بُحُورٌ، وَمَنَا حَامِلُونَ وَدَافِعُ
وَأَصْرَعُ أَقْرَانِي الَّذِينَ أَصَارِعُ
كَأَنَّ أَبَاهَا نَهْشَلُ أَوْ مُجَاشِعُ
وَمَا مِنْ كَلَيْبٍ نَهْشَلُ وَالرَّبَائِعُ
فَأَقَعَ فَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَطَاعُ
لِمُسْتَضْعَفٍ يَا ابْنَ الْمَرَاعَةَ ضَاعُ
وَلَمْ تَكُنْ فِي حَلْفٍ فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
إِذَا عَظَمْتَ عِنْدَ الْأُمُورِ الصَّنَاعُ
لِصَاحِبِهِ فِي أَوَّلِ الْإِدْهَرِ تَابِعُ
عِظَامِ الْمَسَاعِي وَاللَّهْيِ وَالِدِسَاعُ
بِحَقِّ، وَأَيُّ الْخَافِقَاتِ الْوَامِعُ
وَالْأَيْدِي الطَّوَالِ التَّوَالِعُ
لَنَا، وَالْجِبَالِ الْبَادِخَاتِ الْفَوَارِعُ
لَنَا قَمْرَاهَا وَالنَّجُومِ الطَّوَالِعُ
بِذِخٍ، كُلُّ فِخْلٍ دُونَهُ مَتَوَاضِعُ
كَمَا اخْتَطَفَ الْبَازِي الْخَشَاشُ
الْمُقَارِعُ بِأَحْسَابِنَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
ضَرْبِنَاهُ حَتَّى تَسْتَقِيمَ الْأَخَادِعُ
مِنْ الرِّمْحِ إِذْ نَقَعَ السَّنَابِكُ سَاطِعُ
وَكُلَّ كَلَيْبِي وَإِنْ شَابَ رَاضِعُ
كَمَا زِيدُ فِي عَرَضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ

إِذَا قِيلَ: أَيُّ النَّاسِ شَرُّ قَبِيلَةٍ
 وَلَمْ تَمْنَعُوا يَوْمَ الْهَذِيلِ بِنَاتِكُمْ
 غَادَةً أَتَتْ خَيْلَ الْهَذِيلِ وَرَاءَكُمْ وَسُدَّتْ
 بِكَيْنِ إِلَيْكُمْ، وَالرِّمَاحُ كَانَتْهَا
 دَعَتْ يَالَ يَرْبُوعَ، وَقَدْ حَالَ دُونَهَا
 فَأَيُّ لِحَاقٍ تَنْظُرُونَ، وَقَدْ أَتَى
 وَهُنَّ رُدَافِي، يَلْتَقِنَنَّ إِلَيْكُمْ
 بَعِيطٌ إِذَا مَالَتْ بِهِنَّ خَمِيلَةٌ
 تَرَى لِلْكَلْبِيِّاتِ، وَسَطَ بَيْوتِهِمْ
 أَظَنَّ رَجَالَ الدَّرْهَمِينَ تَسُوقُهُمْ
 وَأَحْزَمُهُمْ مَنْ قَرَى فِي قَعْرِ بَيْتِهِ
 أَشَارَتْ كَلْبٌ بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ
 بَنِي الْكَلْبِ، وَالْحَامِي الْحَقِيقَةُ مَانِعٌ
 عَلَيْكُمْ مِنْ إِرَابِ الْمَطَاعِ
 مَعَ الْقَوْمِ أَشْطَانُ الْجِرُّورِ التَّوَانِعُ
 صُدُورُ الْعَوَالِي وَالذُّكُورُ الْقَوَاطِعُ
 عَلَى أُمَّلِ الدَّهْنِ النَّسَاءُ الرِّوَاضِعُ
 لِأَسُوقِهَا خَلْفَ الرِّجَالِ قَعَاقِعُ
 مَرَى عَبْرَاتِ الشُّوقِ مِنْهَا الْمَدَامِعُ
 وَجُوهَ إِمَاءَ لَمْ تَصْنَعِهَا الْبَرَاقِعُ
 إِلَى قَدَرٍ، أَجَاهُهُمْ وَمَصَارِعُ
 وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ الْعَزْمَ لَا بُدَّ وَقَعُ

ثم أقول لقرائي ولكل عاقل ملتزم خذوا العلم من مضانه . والحق من مواضعه . وإياكم إياكم من
 تلكم الكتابات . غير الموثقة فإنها قاطعة للأرحام مضللة للنام . خصوصا وقد يطلع عليها (
 قبل سبر الآراء حولها) من لادراية لهم بهذه المتاهات فيضلون بضمونها ويضلون أناسي كثيرة
 وقديما قيل:

فأناس لم يصنفوا في العلم
 إلا رجاء لثواب الأجر
 والله عند قول كل قائل
 وأسأل الله صلاح الحال
 لكي يصيروا هدفا للذم
 ولدعوات وجميل الذكر
 وذوا الحجا من نفسه في شاغل
 لي ولكم والفوز في المال

(قلت) ولماذا نرى الناس يتهاقون على كتابات الرهبان المكيدين للإسلام والمسلمين أو
 كتابات المخرفين التائبين . ولماذا لا يراجعون كتابات علماءهم ومشايخهم وشعرائهم ومؤرخيهم من
 مثل الشيخ عبد القادر بن إبراهيم والشيخ عبد الرحمن بن الطاهر والشيخ السعيد بن عبد

السلام والشيخ محمد الديسي والشيخ عاشور الخنقي والشيخ محمد حشلاف والشيخ بلخير بن دهاس والشيخ محمد الرايس والشيخ سي عطية مسعودي والشيخ عامر محفوظي والشيخ عبد القادر الشطي والشيخ البشير ضيف والشيخ سي بن عيسى بن الهدار وأنا (الميلود قويسم بن الهدار) أيضا من أتباع ذلك الرعيل - و تحدثا بنعمة الله علي - أنني قد جمعت الكثير من الفوائد والدرر . لماذا لماذا أم هي الإستهانة والإستغناء .

مجدُّ الأصول عزيزٌ ما سَهَرَتْ علي حفظ الأصول، فإن ضيعتم هانا
فلا تقولنَ يَومَ الفخر كان أبي حتى يراكُ بنو الدنيا كما كانا

وهنا إنصافا للحق تجدر الإشارة إلى أمرين اثنين هامين وهما : (الأول) أن هذه الكتابات الأخيرة ولو كانت محلية ولو كانت من إنشاء مشايخ من المنطقة كما ذكرنا وهم (علي الراس والعين) فلا بد من تحييصها ومتابعتها حيث أنهم هم أيضا لم يتحروا الدقة اللازمة بل اكتفوا بما قيل (الثاني) أن الباحث المجد لا بد له من مطالعة جميع مدونات أبناء القوم ومقارنتها ببعض البعض ليلم بالموضوع حيث أنهم لما كتبوا كتبوا باقات موضوعية محدودة الزمان والمكان والمنوال وكانهم أخذوا فيها فقط من كل بستان زهرة كما يقال (قلت) وبالمناسبة تحضرنى هنا قصة قال فيها أبو بكر الهذلي لقد سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء تطوى الفلاة وعليه جبة حمراء وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الأرض فلما رآه المنصور أمرني بإحضاره فدعوته وسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأى منه فقال له المنصور أنشدني شعرا فأنشده شعر الأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن تميم وحدثه حتى أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله :

إن الأمور إذا أوردتها صدرت إن الأمور لها ورد وإصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان أثقل العرب على عدوه وطأة وأقراهم لضيفه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم أقروا له بهذه

الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك ولكني أحق ببيته منه
(قلت) وهنا أيضا تحضرني أبيات قالها شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة ونصها هو:

قف حيث شعبك مهما كان موقفه	أولا فإنك عضو منه منحسم
تقول أضحي شتيت الرأي منقسما	وأنت عنه شتيت الرأي منقسم
فكن مع الشعب في قول وفي عمل	إن كنت بالرجل الشعبي تتسم
ولا يرقك شفيف الذات مائعا	كالماء فيه وجوه الناس ترتسم
أعدى عدى القوم من يعزى لهم نسبا	ويسمع القدح فيهم وهو يبتسم

هذا ما أقوله وأتأوله وأستنبطه. وهذا ما أورده وأختاره وأتخرصه. وهذا ما أدلي به وأتحينه
وأعتقده. ولست منافسا فيه لأي أحد ولا أبتغي من وراء ذكره إلا تقييد ما يمكن
تقييده. عالما في قرارة نفسي أنه كما قال أبو العلاء المعري رحمه الله تعالى

إذا ما الأصلُ الفبي غيرَ زاك	فما تزكو مدى الدهر الفروعُ
وليس يوا فوق ابن أب وأم	أخاه فكيف تتفقُ الشروعُ

التحذير من السرقة والإختلاس

أحذر هنا من مغبة أولئك السفلة الأراذل الذين (يسرقون) كتابة الآخرين وينسبونها
لأنفسهم غافلين عن جرم السرقة والإختلاس والقطرسة الفكرية . ناسين حقوق المؤلف التي
يضمنها له الشرع والعقل والقانون . متجاهلين أن من نسب قولاً إلى غير قائله كان كمن نسب
فرعا إلى غير أصله (قلت) وقد جاء في كتاب الصناعتين قول مؤلفه : ومن أخفى أسباب
السرقة أن يأخذ أحدهم معنى من نظم فيورده في ثر أو من ثر فيورده في نظم ينقل المعنى
المستعمل في صفة خمر فيجعله في مديح أو في مديح فينقله إلى وصف إلا أنه لا يصل لهذا إلا
المحترف وقال في المثل السائر أشكل سرقات المعاني وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا أن يؤخذ

7 راجع ديوان الشيخ محمد العيد آل خليفة الجزائري
8 راجع ديوان اللزوميات للمعري وكذا الموسوعة الشعرية للحاسوب

المعنى مجردا من اللفظ. قال وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتي إلا قليلا ولا يتفطن له ويستخرجه من الأشعار إلا بعض الخواطر دون بعض فمن ذلك قول أبي تمام في المدح :
 فتي مات بين الضرب والطعن مية تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
 أخذه من قول عروة بن الورد أحد شعراء الحماسة حيث قال :
 ومن يك مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
 (قلت) والسرقة بجميع أشكالها مادية كانت أو معنوية. جريمة لا تغتفر. وخسياسة لا
 تأتمن. لا يتعامل بها إلا الضعاف ذوو النيات السيئة. والطوايا الخبيثة. وكما قال المعري رحمه
 الله تعالى :

ما ركب الخائن في فعله أقبح مما ركب السارقُ
 هذي طباعُ الناس معروفةٌ فخالطوا العالمَ أو فارقوا
 وهنا وبكل حماسة أهيب بكل غيور أن يردَّ عني كيد أولئك الأشرار الأوباش الأغرار بقوة
 الحججة والدليل والبيان. أو بقوة الردع والقانون والسلطان .
 أخلق بمن رضي الخيانة شيمة أن لا يرى إلا صريحَ حوادث
 ما زلت الأرزاءُ تلحقُ بؤسها أبدا يغادر ذمة أو ناكثُ
 قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة رحمه الله تعالى ورضي عنه ولم يخرج عما نحن فيه من
 التورية

إن ابن أيبك لم تزل سـرقاته تأتي بكل قبيحة وقبيح
 نسب المعاني في النسيم لنفسه جهلا فراح كلامه في الريح
 وليعلم كل منا علم اليقين. الذي لاشك فيه ولا مین . أن عبد الدنيا مهما طال عمره واستمر
 أمده فإنه كما يقول المثل (لا محالة زائل) ولا يبقى منه إلا عمله الذي سيلقى الله به. ويا
 ويحه لو لقي الله بعمل مكذوب . وقول مسلوب . وعرض مشوب . قال الإمام الرضى رحمه
 الله تعالى :

المرءُ يجمعُ والدنيا مفرقةٌ والعمرُ يذهبُ والأيامُ تختلسُ

ونحن نخبطُ في ظلماءٍ ليس بها
فكم نرتقُ خرقاً ليس مرتقاً
وكم نذلُ وفينا كلُ ذي أنفٍ
وكيف برضىٍ لبيبٍ أن يكونَ له
أم كيف يطبقُ يوماً جفنُ ذي دَسٍ
بدريضيءٍ ولا نجمٍ ولاقبَسُ
فيها ونحرسُ شيئاً ليس ينحرسُ
ونستكينُ وفينا العزُّ والشوسُ
ثوبٌ تقيُّ وعرضٌ دونَه دَسُ
وخلفه فاعرُّ للموتِ مفسرُ

الإقتباس

وما ذكرناه في السرقة والإختلاس والتبني يخالف الإقتباس إذ الإقتباس كما قال الإمام الحموي في كتابه خزانة الأدب. هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو حديث أو غيرهما. (قال) والإقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود. فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ونحو ذلك. والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص. والثالث على ضربين. أحدهما ما نسبته الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله (إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم) والآخر تضمنين آية كريمة في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل :

أوحى إلى عشاقه طرفه
وردفه ينطق من خلفه
هيئات هيئات لما توعدون
لمثل ذا فليعمل العالمون

(قال) واعلم أن الإقتباس على نوعين . نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريري (فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأعرب) فإن الحريري كنى به عن شدة القرب وكذلك هو في الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومي :

لئن أخطأت في مدحيك
لقد أنزلت حاجاتي
ما أخطأت في منعي
بواد غير ذي زرع

فإن الشاعر كنى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه والمراد به في الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمتها . ثم اعلم أنه يجوز أن يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو

تأخير أو إبدال الظاهر من المضمّر أو غير ذلك فالزيادة وإبدال الظاهر من المضمّر كقول الشاعر :

كان الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعون
فزاد الألف في راجعون على جهة الإشباع وأتى بالظاهر مكان المضمّر في قوله إنا إلى الله
ومراده آية التعزية في المصيبة وهي قوله تعالى (إنا لله وإنا إليه راجعون) والنقصان ما
تقدم من قول الحريري (فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب) فإنه أسقط لفظه هو إذ الآية
الكريمة لفظها (كلمح البصر أو هو أقرب) والتقديم والتأخير كقول الشاعر :

قال لي إن رقيبي سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك الجنة حفت بالمكاره

(قال) وقد تقدم أن الإجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمّن في
الكلام من الحديث النبوي اقتباسا وزاد هنا الطيبي في الاقتباس من مسائل الفقه نكّتا (قال)
ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم في الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك للزمهم
الكفر في لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على أنه لفظ القرآن ومن أمثله الشعرية قول
الحماسي .

إذا رمت عنها سلوة قال شافع من الحب ميعاد السلو المقابر
سببقي لها في مضمّر الحب والحشا سرائر تبقى يوم تبلى السرائر
ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في معشوقه المسمى بالنسيم :

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم يا ليستي كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
شهادة الزور

بمناسبة ذكر سرقة المعلومات والإختلاس أدرج هنا حكم الزور لتوقاه جميعا وهو كما قال
الشيخ الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة (الكبيرة الثامنة) شهادة الزور وقد

ورد في الصحيح أنها أكبر الكبائر، أما كون شهادة الزور جريمة خلقية شائنة تنافي النظام العمراني، وتفضي إلى الفوضى في كل نواحي الحياة فظاهر لا يخفى على أحد، فهي شر مستطير، يجب على الناس أن ينزهوا عنه أنفسهم تنزيهاً تاماً فقد ذكر العلماء أن شهادة الزور من أكبر الكبائر لأن الله تعالى أمرنا باجتنابها وقرنها بالشرك. والعياذ بالله تعالى. فقال عز وجل: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان، واجتنبوا قول الزور﴾ أي ابتعدوا عن الرجس الذي هو الأوثان، وابتعدوا عن شهادة الزور، فقرن الله عبادة الأصنام بشهادة الزور كقوله تعالى ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير حق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ ومنه شهادة الزور. وروى الإمام أحمد عن أيمن بن خريم أنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكاً بالله ثلاثاً) ثم قرأ ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ وقال الإمام أحمد عن خريم بن فاتك الأسدي قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال: (عدلت شهادة الزور الإشراك بالله عز وجل) ثم تلا هذه الآية ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاً لله غير مشركين به﴾ وقال سفيان الثوري عن ابن مسعود أنه قال: تعدل شهادة الزور الإشراك بالله، ثم قرأ هذه الآية. وفي الصحيحين عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت) أي شفقة عليه وكرهية لما يزعجه، وهذا يدل على انقسام الكبائر في عظمها إلى كبير وأكبر، ولا يلزم من كون هذه أكبر الكبائر استواء رتبتهما، فإن الإشراك أكبر الذنوب المذكورة، وجلوس النبي صلى الله عليه وسلم بعد اتكائه يشعر باهتمامه بذلك، ويفيد تأكيد تحريمه وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون شهادة الزور أسهل وقوعاً على الناس، والتهاون بها والحامل عليها كثير مثل العداوة والحقد والحسد وغير ذلك

فاحتجج إلى الاهتمام بها وفي رواية (لاتزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار) وفي الأثر (عدلت شهادة الزور الإشراف بالله) والعياذ بالله .

قال عدنان مردم بك

ليس الضراوة في دم متصبب ينهل منه ————— مرأ كصوب رباب
إن الضراوة في امتهان كرامة أو في امتهان شريعة الآداب

قال الشيخ عمرو بن الوردى

إياك من عسف الأنام وظلمهم واحذر من الدعوات في الأسفار
وإن ابتليت بذلة وخطيئة فاندم وبادرها بالاستغفار
أطل افتكارك في العواقب واجتنب أشياء محوجة إلى الأعذار

الكتاب الأول

في بيان علم الأنساب وما يتبعه

ويتضمن علم الأنساب وفروعه ومتعلقاته وحيثاته ومهامته وضرورة تعلمه واستقرائه

الفصل الأول

في

علم الأنساب وفروعه

النسب

النسب لغة : هو القرابة ويختص قيل بالقرابة من جهة الآباء وقيل بجهة الأب والأم معا كما في مقاييس اللغة . واصطلاحاً هو اتصال شخص بغيره لانتهاؤ أحدهما في الولادة إلى الآخر ، أو لانتهاؤهما إلى ثالث على الوجه الشرعى . ولقد حرص الإسلام على حفظ الأنساب عن الاختلاط وجعله من مقاصد الشرع الضرورية ولهذا حرم الزنا لما يترتب عليه من اختلاط فقال تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) كما حرم انتساب المرء إلى غير أبيه سواء كان بالادعاء أو التبنى أو غيرهما ، فقال سبحانه (وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم

قولكم بأفواهكم) وقال تعالى (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام) وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أيا امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته وأيا رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين) أو كما قال .⁹

علم الانساب

علم الأنساب ، هو سبب التعارف والتواصل ، وسلم التكامل والتفاضل ، به تعاطف الأرحام الواشجة ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة قال الله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير) وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (تعلموا من النسب ما تعرفون به أحسابكم وتصلون أرحامكم) وقال الحكماء من لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس . وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه (تعلموا النسب ولا تكونوا ككبيط السواد إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا وكذا) قلت وسمعت شيخنا عامر محفوظي يقول قال الإمام العراقي فى ألفيته :

وضاعت الأنساب بالبلدان فنسب الأكثر للأوطان

(قلت) وقد قال الإمام السخاوي فى شرح هذه البيت : وقد كانت العرب إنما ينسبون إلى الشعوب والقبائل والعمائر والعشائر والبيوت كما قال الله تعالى (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وكان العجم ينسبون إلى رسايقها وهي القرى وبلدانها . وكان بنو إسرائيل ينسبون إلى أسباطها . فلما جاء الإسلام وانتشر الناس فى الأقاليم والمدن والقرى (ضاعت) كثيرا (الأنساب) العربية المشار إليها (فى البلدان) المتفرقة (فنسب الأكثر) من المتأخرين منهم كما كانت العجم تنسب (للأوطان) والأوطان جمع وطن وهو محل الإنسان من بلدة أو ضيعة أو

⁹ راجع كتاب مقاييس اللغوى ركتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

سكة وهي الزقاق أو نحوها (قال) وهذا وإن وقع في المتقدمين أيضاً فهو قليل، كما أنه يقع في المتأخرين أيضاً النسبة إلى القبائل بقلة (قلت) وإذا كان هذا في عصر الإمام السخاوي فهو الواقع الآن أيضاً في مجتمعنا الحديث ومدننا الكبرى حيث تجد أبناء الجهة أو أبناء الحومة ينسبون إلى جهتهم أو حومتهم فمثلاً نحن في الجزائر إذا سألت أحداً من أين أنت قال لك أنا (قبلي أو ظهراوي أو شرقي) أو يقول لك أنا (جلفاوي أو أغواطي أو بوسعادي) أو يقول لك أنا من (بلكور أو القبة أو اسطوالي) أو يقول لك أنا من (قناني أو بن جرمة أو بوتريفيس) أو يقول لك (أنا من عين الأبل أو الدزيرة أو عامرة أو الهيوهي أو تعظيت أو الدويس أو زكار أو الفيض أو الزعفران أو العقلة أو الشارف أو وسارة) إلى آخره وفعلاً وبهذا قد ضاعت الأنساب كما قال الناظم والشارح والعجيب من أهل العصر أنهم يدعون أن البحث عن الأنساب والانتساب أمر يرجع إلى العصبية والقبلية والعروشية غافلين عن فوائد الأنساب وما يتولد عنها من ألفة وتضامن وتكافل ومن حياء والتزام وإخاء ومودة ومعرفة وتشريع في نواحي الموارث والمصاهرة وما إلى ذلك .

اعتناء الأمم القديمة بالأنساب

إن للأنساب عند الأمم القديمة شأنا كبيرا إذ كان لهم بها عناية عظيمة في حفظ أنسابهم. إماللتناصر على الأعداء وإماللتقاخر بالآباء. وبالغ اليونان في ذلك حتى حفظوا أنساب معبوداتهم ونظم بعضهم الأشعار للتقاخر بذلك قبل المسيح عليه السلام ببضعة قرون وكذلك كان الرومان وازدادت عناية العرب بالأنساب رغبة في التناصر على الغرباء. بل وفي الإسلام أيضاً يوجد اعتناء كبير بالنسب لكنه إعتناء خاص بالتعارف والصلة والتشريع إذ لا بد من معرفته في موضوعات النكاح والرضاع والصلة والموارث والإمامة وما إلى ذلك. هذا وإن كلمة التَّسَبُّبُ محرَّكةٌ. والتَّسَبُّبُ بالكسر والضمُّ تعني القرابة إمامة، وإما في الآباء خاصةً. وقولهم استنسبَ يعني ذَكَرَ نَسَبَهُ. والتَّسَبُّبُ هو المناسبُ. وذو النَّسَبِ كالمُنْسُوبِ (قلت) وفي منطقنا الجلفاوية يطلق اسم (التَّسَبُّبُ) على الصَّهْرِ¹⁰

¹⁰ راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن خلدون ولسان العرلاب من منظور

معرفة الأنساب

لا خفاء أن معرفة الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة. لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية، والمعارف الدينية. فقد وردت الشريعة باعتبارها في مواضع (منها) العلم بنسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه النبي القرشي الهاشمي الذي نشأ كان بمكة وهاجر منها إلى المدينة وتوفي ودفن بها، فإنه لا بد من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به وناهيك بذلك. (ومنها) التعارف بين الناس حتى لا يعتزى أحد إلى غير أبيه، ولا ينسب إلى سوى أجداده. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) ولولا معرفة الأنساب لفات إدراك ذلك وتعذر الوصول إليه (ومنها) اعتبار النسب في الإمامة التي هي الزعامة العظمى. فقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية الإجماع على كون الإمام قرشياً، ثم قال: ولا اعتبار بالإمام ضرار حيث جوزها في جميع الناس. فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: الأئمة من قريش. قال أصحابنا الشافعية: فإن لم يوجد قرشي اعتبر كون الإمام كنانياً من بني كنانة من خزيمية فإن تعذر اعتبر كونه من بني إسماعيل عليه السلام، فإن تعذر اعتبر كونه من بني إسحاق عليه السلام فإن تعذر اعتبر كونه من جرهم، لشرفهم بصهارة إسماعيل عليه السلام، (قال) بل قد نصوا أن الهاشمي أولى بالإمامة من غيره من قريش. فلولا المعرفة بعلم النسب لفات وتعذر حكم الإمامة العظمى التي بها عموم صلاح الأمة، وحماية البيضة، وكف الفتنة، وغير ذلك من المصالح (ومنها) اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة عند الشافعي رضي الله عنه حتى لا يكافئ الهاشمية والمطلبية غيرها من قريش، ولا يكافئ القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي، ولا يكافئ الكنانية غيرها من العرب ممن ليس بكناني ولا قرشي على الأصح. وفي اعتبار النسب في العجمي أيضاً وجهان: أحدهما الاعتبار فإذا لم يعرف النسب تعذرت هذه الأحكام (ومنها) مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (تنكح المرأة لأربع: لدينها، وحسبها وماله، وجمالها) فراعى صلى الله عليه وسلم في المرأة الحسب وهو شرف الآباء (ومنها) جريان الرق على العرب في

أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وموافقيه، فإذا لم يعرف النسب تعذر ذلك، إلى غير ذلك من الأحكام الجارية هذا المجرى.

الاختلاف في النسب العالي

التكلم في النسب العالي من عدنان إلى آدم اختلف في حكمه العلماء فمنهم من رآه ولم يكرهه كابن اسحاق والطبري والبخاري والزيبر وغيرهم. ومنهم من كرهه كمالك رحمه الله فقدم. كما في الكتاب الكبير - عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك . قيل له فإلى اسماعيل فكره ذلك أيضا وقال فمن يخبره به . وقول ما لك هذا هو نحو ما روي عن عروة بن الزبير القائل ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسماعيل ، وعن ابن عباس قال ما بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون (قلت) وعلى مذهب الأولين سأذكر في الفصول التي تأتي بعد . النسب العالي والعهد على أهل السير والتاريخ والتراجم ، مبتدئا بسيدنا آدم عليه السلام . مارا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . منتهيا بموضوع ومقصود هذا الكتاب .

أجزاء النسب

إن نسب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي يهمننا في هذا المصنف هو على ثلاثة أجزاء جزء اتفق على صحته أهل السير والأنساب وهو منه عليه إلى عدنان . وجزء اختلفوا فيه ما بين متوقف فيه وقائل به وهو ما فوق عدنان إلى إبراهيم عليه السلام . وجزء لا نشك أن فيه أمورا غير صحيحة وهو ما فوق إبراهيم إلى آدم عليه السلام (قلت) وسيأتي ذلك مفصلا - طبعا - والعهد على أهل السير كما قلت آنفا !!!

أبو بكر والفتى في استقراء النسب

حكى صاحب الريحان والريعان عن أبي سليمان الخطابي رحمه الله أنه قال كان أبو بكر رضي الله عنه نسبة فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوقف على قوم من ربيعة فقال: ممن القوم . قالوا: من ربيعة، قال: وأي ربيعة أتم أمن هامتها أم من لهازمها . قالوا: بل من هامتها العظمى قال أبو بكر: ومن أيها . قالوا من ذهل الأكبر . قال أبو بكر:

فمنكم عوف بن مُحَلَم الذي يقال له : لا حُرَّ بوادي عوفٍ . قالوا: لا . قال: فمنكم بسطام بن قيس أبو القرى ومنتهى الأحياء . قالوا: لا، قال: فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالباها أنعمها . قالوا: لا . قال: فمنكم المزدلف الحرّ صاحب العمامة الفردة . قالوا: لا . قال: فمنكم أخوال الملوك من كعدة . قالوا: لا . قال: فمنكم أصهار الملوك من لحم . قالوا: لا . قال: فلستم بذهل الأكبر بل أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام من شيبان يقال له دغفل حين بَقَلَ وجهه فقال: إن على سائلنا أن نسأله يا هذا إنك قد سألت فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً من خبرنا، فمن الرجل . قال أنا من قريش . قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، قال فمن أي القرشيين أنت . قال: من تيم بن مرة . قال: أمكنت والله الرامي من سواء الثغرة فمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر وكان يُدعى مُجمعاً . قال: لا . قال: فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه . قال: لا . قال: فمنكم شيبه الحمد مطعم طير السماء . قال: لا . قال: فمن المفيضين بالناس أنت . قال: لا . قال: فمن أهل الندوة أنت . قال: لا . قال: فمن أهل السقاية أنت . قال: لا . قال: فمن أهل الرفادة أنت . قال: لا . قال: فمن أهل الحجابة أنت . قال: لا . واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته، فقال الفتي:

صادف دَرُّ السيل دَرّاً يدفعه يهَيضه حيناً وحيناً يصدعُه

أما والله يا أخا قريش لو لبثت لأخبرتكَ أنك من رعيان قريش ولست من الذوائب . فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسّم . فقال عليّ رضي الله عنه: يا أبا بكر، لقد وقعت من الغلام الأعرابي على باقعهِ . فقال: يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها طامة .

المشهورون بعلم النسب

من اشتهر في العهد القديم بمعرفة الأنساب الجماعة الآتية أسماءهم وهم (1) دغفل بن حنظلة النسابة الذي يُضرب به المثل في معرفة النسب، يقال أنه قدم مرة على معاوية بن أبي سفيان في خلافته فاخبره فوجده رجلاً عالماً، فقال: بم نلت هذا يا دغفل . قال: بقلب عقول، ولسان سؤول، وآفة العلم النسيان . (2) ابن الكيس وهو من بني عوف بن سعد بن ثعلب بن وائل وفيهما يقول مسكين ابن عامر:

فحكّم دغفلاً وارحل إليه
أو ابن الكيس التمرى زيدا
ولا تدع المعطي من الكلال
ولو أمسى بمنخرق الشمال

(3) أبو بكر الصديق وقد أمر الرسول الحسن بن ثابت قبل أن يهجو قريش أن يلتحق بأبي بكر ليعرفه فروع الأنساب مخافة أن يتعرض لنسب الرسول بالهجاء .

المؤلفون في علم الأنساب

صنف في علم الأنساب من المسلمين جماعة من جلة العلماء القدامى وأعيانهم ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن حزم وغيرهم وذلك دليل على شرفه ورفعة قدره.

معرفة طبقات الأنساب وما يلحق بذلك

عد أهل اللغة طبقات الأنساب ست وهي : (الطبقة الأولى) الشعب بفتح العين وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً. قال الجوهري الشعب هو أبو القبائل الذين ينسبون إليه ويجمع على شعوب. قال الماوردي في "الأحكام السلطانية": وسمي شعباً، لأن القبائل تشعب منه. وذكر الزمخشري في كشفه نحوه (الطبقة الثانية) القبيلة وهي ما انقسم فيه الشعب كربيعة ومُضر. قال الماوردي: وسميت القبيلة قبيلة لتقابل الأنساب فيها وتجمع القبيلة على قبائل وربما سميت القبائل: جماجم أيضاً، كما يقتضيه كلام الجوهري حيث قال: وجماجم العرب هي القبائل التي تجمع البطون (الطبقة الثالثة) العمارة بكسر العين المهملة وهي ما انقسم فيه أنساب القبيلة كقريش وكنانة وتجمع: على عمارات وعمائر (الطبقة الرابعة) البطن وهو ما انقسم فيه أقسام العمارة كبنو عبد مناف وبنو مخزوم ويجمع على بطون وأبطن (الطبقة الخامسة) الفخذ وهي ما انقسم فيه أقسام البطن كبنو هاشم وبنو أمية وتجمع على أفخاذ (الطبقة السادسة) الفصيلة بالصاد المهملة. وهي ما انقسم فيه أقسام الفخذ كبنو العباس هكذا رتبها الماوردي في الأحكام السلطانية وعلى نحو ذلك جرى الزمخشري في تفسيره في الكلام على قوله تعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل) إلا أنه مثل للشعب مجزئة، وللقبيلة بكنانة، وللعمارة بقريش، وللبطن بقصي، وللفخذ بهاشم، وللفصيلة

بالعباس وبالجملة فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر والشعب يجمع القبائل. قال النووي وزاد بعضهم "العشيرة" قبل "الفصيلة". قال الجوهرى: وعشيرة الرجل: رهطه الأذنون.

الطبقات النسبية المحلية

ما ذكر أعلاه يشبه إلى حد بعيد ما تعارف عليه أهل منطقتنا الجلفاوية وما زالوا يحافظون عليه في البوادي والحواضر من مثل: الاشراف فاولادنايل فالسعادات فاولادالرقاد فاولاد عبيدالله فالرفقة فالاسرة فالوالد فالمتحدث إلى آخره وقل مثل ذلك في العبايز والصحاري وغيرهم من كل عرش.

رسم شجرة النسب

اعلم أن الأنساب تشعب دائماً، كما جاء في كتاب العبر. وذلك أن الرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر، ويكون لكل واحد منهم أولاد كذلك، وكل واحد منهم فرع ناشئ عن أصل أو فرع أو عن فرع فرع فصارت بمثابة الأغصان للشجرة تكون قائمة على ساق واحدة هي أصلها والفروع عن جانبها، ولكل واحد من الفروع فروع أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية. فلذلك اختار الإمام ابن خلدون بعد الكلام على الأنساب للأمة وشعوبها أن يضع ذلك على شكل شجرة يجعل أصلها وعمود نسبها باسم الأعظم من أولئك الشعوب ومن له التقدم عليهم، فيجعل عمود نسبه أصلها وتتفرع الشعوب الأخرى عن جانبه من كل جهة كأنها فروع لتلك الشجرة حتى تتصل تلك الأنساب عموداً وفروعاً بأصلها الجامع لها ظاهرة للعيان في صفحة واحدة فترسم في الخيال دفعة، ويكون ذلك أعون على تصور الأنساب وتشعبها فإن الصور الحسية أقرب إلى الإرتسام في الخيال من المعاني المتعلقة (قال ابن خلدون ثم لما كانت هذه الأمم كلها لها دول وسلطان اعتمدنا بالقصد الأول ذكر الملوك منهم في تلك الشجرات، متصلة أنسابهم إلى الجذ الذي يجمعهم، بعد أن ترسم على كل واحد منهم رتبته في تعاقبهم واحداً بعد واحد بحروف (أ ب ج د هـ) فالألف للأول والباء للثاني، والجيم للثالث، والدا للرابع والهاء للخامس، وهلم جرا. ونهاية الأجداد لأهل تلك

الدولة في الآخر منهم ، ويكون للأول غصون وفروع في كل جهة عنه فإذا نظرت في الشجرة علمت أنساب الملوك في كل دولة وترتيبهم بتلك الحروف واحدا بعد واحد .

(قلت) وفي منطقتنا الجلفاوية ونواحيها ترسم شجرة الأنساب غالبا مبدوءة بسيدنا محمد عليه السلام ثم تأتي التفاريع ولا يتعرض فيها للنسب العالي اكتفاء بما ذكر في المراجع (قلت) وفي بعض تلك الرسومات فروع لم يتوخ فيها رساموها الدقة فرسموها خطأ كما هو حال رسم أولاد نايل الموجود بالأسواق المحلية وهو على أشكال مختلفة كما هو حال رسم شجرة الأنبياء المطبوع (قلت) والعجيب أن بعض تلك الرسومات ينسبها البعض للشيخ فلان وبعضهم ينسبها للشيخ فلان وبعضهم ينسبها للشيخ الرايس وبعضهم ينسبها لشيخ آخر وهكذا إلى درجة لم ندر من نصدق . وعليه فلا تعتمد تلك الرسومات كمراجع حسيصة دقيقة غير أنه يستأنس بها في بعض الفروع وحدثني البركة الحاج أحمد عريشه بن سي عبد القادر بن رافع قال إني اتصلت براسم تلك الشجرة وقلت له يا الشيخ لماذا جعلت جدنا (احبيش) مع أولاد يحيى بن سالم وهو رقادي أصالة ونشأة واعتبارا فقال له (قالوا لي) قال فقلت له يا شيخنا ينبغي التحقيق في هذه الكتابات ولا يكفى فيها بمجرد القول .

توسع الفقهاء في ثبوت النسب

نظرا لاهتمام الإسلام باتساق كل إنسان إلى من كان سببا في وجوده ، توسع فقهاء الإسلام في أسباب ثبوت النسب فذكروا أنه يثبت بأحد الوجوه الآتية وهي (1) ولادة الطفل على فراش الزوجية الصحيحة (2) الإقرار الشرعي بالبنوة (3) الشهادة على الإقرار بالبنوة (4) نكول المدعى عليه بالبنوة عن اليمين (5) اليمين المردودة على المدعى بالبنوة عند نكول المدعى عليه (6) القيافة وذلك بتبع العلامات الموجودة في شخصين للوصول إلى إثبات القرابة بينهما (7) القرعة بين المتنازعين على نسبة مولود لهما عند تساوى بيناتهما بنسبته (8) حكم القاضي إذا ثبت عنده نسبة الولد إلى رجل بعينه (9) التحكيم عند اختلاف المدعين في هذه النسبة

قلت) وأنظر حكم تحليل الفصيلة الدموية والخلايا وما الى ذلك مما يعرفه الطب الشرعي الاكيد المعاصر ولو ان المسألة لازالت قيد البحث ويشترط في هذا الأخير أن يكون بعلاقة زوجية شرعية لامانع فيها وانظر حكم من أسلموا ولهم أولاد ما حكم نسبة تلك الذرية لهم وما حكم أطفال الأنايب وما حكم الإستنساخ وما حكم التبني وما حكم الإستلحاق وما حكم كل مستجد في هذا المجال.

حكم نسب التبني في الإسلام والقانون

إن التبني بمعنى استلحاق شخص معروف بالنسب أو مجهول النسب ونسبته إلى ملحقه مع التصريح من هذا الأخير بأنه يتخذه ولدا له في حال أنه ليس بولد له حقيقة (قال المحقق) والتبني بهذا المعنى أمر محرم في الإسلام ثبت تحريمه وإبطاله بقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ﴿ وما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ (قال) واعلم أن التبني هذا غير الإقرار بالنسب إذ أن المقر يعترف بنوة ولد مخلوق من مائه بنوة حقيقية كالبنوة الثابتة بفراش الزوجية (قال) ولكي يقع الإقرار بالنسب صحيحا يتعين توافر شروط ثلاثة وهي : 1 - أن يكون الولد (ذكرا كان أو أنثى) مجهول النسب، لا يعرف له أب، فإن كان معلوم النسب فلا يصح الإقرار به . 2- أن يكون من الممكن أن يولد مثل هذا الولد للمقر فلو كانت سن المقر ثلاثين سنة مثلا وسن المقر له بمثل هذا أو أكثر أو أقل بقدر يسير كان كذب الإقرار ظاهرا فلا يثبت به النسب . 3- أن يصدق الولد المقر في إقراره بالنسب إذا كان مميزا يحسن التعبير عن نفسه فإذا كذبه وأنكر نسبه إليه فلا يثبت نسبه منه، وإذا كان الولد لا يحسن التعبير عن نفسه فإنه يكفي إقرار المقر لثبوت النسب مع مراعاة الشرطين السابقين . (قال) وخلاصة ما تقدم أن التبني محرم بنص قاطع في القرآن الكريم وهو المصدر الأول للأحكام الشرعية الإسلامية، وان الإقرار بالنسب جائز ويقع صحيحا بالشروط الموضحة وينبغي التفرقة بين التبني وبين الإقرار بالنسب حتى لا يختلط أمرهما والفرق بينهما واضح من تحديد كل منهما على الوجه السابق بيانه . إذ أن التبني ادعاء

نسب لا وجود له فى الواقع، أما الإقرار بالنسب فهو ادعاء نسب واقع فعلا لكنه غير ثابت بمراعاة تلك الشروط. وانظر حكم من كتب طفلا باسمه من غير أن يتبناه.

الإستلحاق

الاستلحاق هو الإقرار بالنسب . والتعبير بلفظ الاستلحاق هو استعمال المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، وأما الحنفية فاستعملوه فى الإقرار بالنسب على قلة وحكمه التكليفي (هو أنه قد) جاء فى حديث عمرو بن شعيب « أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى أن كل مستلحق استلحق بعد أبيه الذي يدعى له فقد لحق بمن استلحقه »

أحكام الإستلحاق

قال الخطابي : هذه أحكام وقعت فى أول زمان الشريعة ، وذلك أنه كان لأهل الجاهلية إماء بغايا وكان سادتهن يلمون بهن ، فإذا جاءت إحداهن بولد ربما ادعاه السيد والزاني ، فألحقه النبي صلى الله عليه وسلم بالسيد ، لأن الأمة فراش كالحرة ، فإن مات السيد ولم يستلحقه ثم استلحقه ورثه بعده لحق بأبيه . وقد اتفق الفقهاء على أن حكم الاستلحاق عند الصدق واجب ، ومع الكذب فى ثبوته ونفيه حرام ، ويعد من الكبائر ، لأنه كفران النعمة ، لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم ، فليست من الله فى شيء ، ولن يدخلها الله الجنة وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله تعالى منه ، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين يوم القيامة » .

العدل فى شرعة الإنتساب

قد جعل الشارع الحكيم نسب الإنسان إلى من كان سببا فى ولادته الشرعية من العدل فقال الحق سبحانه ﴿ ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله ﴾ أي اعدل وهو نص يدل بجلاء على أن انتساب الإنسان إلى غير أبيه من الجور. وانظر هنا حكم من قال لعم أو مرب أو كبير أو كهيل يا أبته أو ياعمه أو سيدها تقديرا واحتراما لا انتسابا .

الانتساب

كان قدماء الرومان يميزون للرجل الاعتراف بمن يشاء من أولاده والتنكر لمن يشاء حسب رغبته وكانوا هم والبيزنطيون والأقباط والروس ينكرون الولد وينفونه إذا لم يعجبهم أو لا يشبه أفراد العائلة وكان قدماء الرومان واليونان يهدرون نسب المرأة بعد زواجها حيث تلحق بنسب عائلة زوجها ومازال هذا معمولاً به في كثير من دول الغرب حتى الآن فيقال (مُدام فلانة) بلقب زوجها او قل خدنها أو عشيقها

(قلت) وقد وصل هذا إلى بيئتنا فصارت المرأة تعرف بلقب زوجها . هذا وقد ساد في الجاهلية انتساب الإنسان إلى غير آباءه وذلك بالتبني أو الاستحقاق أو المولاة فأبطل الإسلام ذلك كله وحرمه وحفظ النسب الذي رسمه الإسلام ليتحقق الانتماء إلى الأسرة والترابط بين أفرادها .

بيان أمور يحتاجها الناظر في علم الأنساب

هناك أمور عشرة يحتاجها الناظر في علم الأنساب وهي : (أولاً) قال الماوردي : إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوباً والعماثر قبائل ، يعني : وتصير البطون عماثر ، والأفخاذ بطوناً والفصائل أفخاذاً . والحادث بعد ذلك فصائل (ثانياً) قد ذكر الجوهري أن القبيلة هي بنو أب واحد . وقال ابن حزم جميع قبائل العرب راجعة إلى أب واحد سوى ثلاث قبائل ، وهي تنوخ ، والعنق ، وغسان ، فإن كل قبيلة منها مجتمعة من عدة بطون . ثم أن القبيلة قد يكون له عدة أولاد فيحدث عن بعضهم قبيلة أو عدة قبائل ، فنسب إليه كل قبيلة تحدث عنه وترك النسبة إلى القبيلة الأولى ، كحنظلة بن تميم فينسب إلى "حنظلة" ويترك "تميم" ويبقى بعضهم بلا ولد ، بالأب يولد له أو لم يشتهر ولده فينسب إلى القبيلة الأولى (ثالثاً) إذا اشتمل النسب على طبقتين فأكثر ، كهاشم وقريش ومُضر وعدنان جاز لمن في الدرجة الأخيرة من النسب أن ينتسب إلى الجميع فيجوز لبني هاشم أن يُنسبوا إلى هاشم وإلى قريش وإلى مضر وإلى عدنان فيقال في أحدهم : الهاشمي والقريشي والمضري والعدناني . كما يقال ذلك في رسول الله عليه السلام (العدناني أو القرشي أو الهاشمي) بل قد قال الجوهري : إن النسبة إلى

الأسفل تُعني عن النسبة إلى الأعلى فإذا قلت في النسبة إلى كلب بن وبرة : الكلبى استغنيت أن تنسبه إلى شيء من أصوله وذكر غيره أنه يجوز الجمع في النسب بين الطبقة العليا والطبقة السفلى ثم إن بعضهم يرى تقديم العليا على السفلى مثل أن يقال في النسب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه الأموي العثماني وبعضهم يرى تقديم السفلى على العليا فيقال : العثماني الأموي (رابعا) قد ينضم الرجل إلى غير قبيلته بالحلف والموالاتة فينسب إليهم فيقال: فلان حليف بني فلان، أو مولاهم كما يقال في البخاري: الجعفي مولاهم ونحو ذلك (خامسا) إذا كان الرجل من قبيلة ثم دخل قبيلة أخرى جاز أن ينسب إلى قبيلته الأولى وأن ينسب إلى قبيلته التي دخل فيها، وأن ينسب إلى القبيلتين جميعا، مثل أن يقال: التميمي ثم الوائلي، أو الوائلي ثم التميمي، وما أشبه ذلك (سادسا) القبائل في الغالب تسمى باسم الأب والد القبيلة كربيعة ومضر والأوس والخزرج ونحو ذلك وقد تسمى القبيلة باسم أمها والوادة لها كخندف وبجيلة ونحوهما، وقد تسمى باسم حاضنة ونحوها وربما وقع اللقب على القبيلة بحدوث سبب كغسان حيث نزلوا من ماء يسمى غسان، فسموا به (سابعاً) غالب أسماء العرب منقولة عما يدور في خزنة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه إما من الوحوش كأسد ونمر وإما من النبات ككبت وحنظلة وإما من الحشرات كحية وحنش وإما من أجزاء الأرض كفهز وصخر ونحو ذلك (ثامنا) الغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء ككلب وحنظلة وضرار وحرب وما أشبه ذلك وتسمية عبيدهم بمحسوب الأسماء كفلاح ونجاح ونحو ذلك والمعنى فيه ما حكى أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء معدة للأعداء في المحاربة ونحوها فاختاروا لهم شر الأسماء، والعبيد معدة لأنفسهم فاختاروا لهم خير الأسماء (تاسعا) إذا كان في القبيلة اسمان متوافقان كالحارث والخزرج ونحو ذلك وأحدهما من ولد الآخر أو بعده في الوجود عبّر عن الوالد أو السابق منهما بالأكبر وعن الولد أو المتأخر منهما بالأصغر، وربما وقع ذلك في الأخوين إذا كان أحدهما أكبر من الآخر (عاشرا) حدثني

والد سي العربي درويش بسطيف قال إن الألقاب المهينة كالحمار أو الكلب أو الكسكاس أو القرية أو غيرها التي تلاحظونها شائعة في المجتمع عندنا وعندكم سببها أن الأوائل كانوا يستهزئون بالفرنسيين حيث أنهم كانوا إذا جاءوهم مع القياد في حملة التسجيل آنذاك وسألوهم عن لقب زيد أو عمر أو فلان أو علان يقولون لهم لقبه كذا فيسجلونها ويشنونها فتبقى رسميا هكذا قال ولم ننتبه إلا بعد فوات الأوان وبقيت الألقاب المصرح بها كما هي في البطاقات والعناوين وجرايد البزرة والغرامة.

أسماء القبائل في الإصطلاح

أسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب (أولها) أن يطلق على القبيلة لفظ الأب كعاد وثمرود ومدين وما شاكل ذلك وبذلك ورد القرآن الكريم في عدة مواضع كقوله تعالى: وإلى عاد وقوله وإلى ثمود وقوله وإلى مدين. يريد: بني عاد، وبني ثمود، وبني مدين، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام لا سيما في الأزمان المتقدمة، بخلاف البطون والأفخاذ ونحوها (وثانيها) أن يطلق على القبيلة لفظ البنية فيقال: بنو فلان، وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار، لا سيما في الأزمان المتأخرة (وثالثها) أن ترد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام كالتالبيين، والجعافرة ونحوهما وأكثر ما يكون ذلك في المتأخرين دون غيرهم (ورابعها) أن يعبر عن القبيلة بـ (آل فلان) كآل ربيعة وآل فضل، وآل علي، وما أشبه ذلك وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخرة أيضا لا سيما في عرب الشام في زماننا، والمراد بالآل: الأهل (وخامسها) أن يعبر عن القبيلة بأولاد فلان ولا يوجد ذلك إلا في المتأخرين من أفخاذ العرب على قلة (وسادسها) يعبر عن القبيلة بـ: ولد فلان وهي منتشرة بكثرة في موريتانيا

(قلت) قد جرى عندنا في المنطقة الجلفاوية أن كلمة (أولاد) وكلمة (سيدي) لا تقال إلا للأشراف فقط حيث إذا قيل (أولاد فلان) أو (أولاد سيدي فلان) فهم أشراف من آل البيت أما إذا قيل (فلان) بدون أولاد وبدون اولاد سيدي فهم غير أشراف. ولتحرر؟

الخلاف في تهجئة الأسماء

اعلم أنّ الخلاف الذي جاء في ضبط هذه الأسماء إنما عرض في مخارج الحروف فإن هذه الأسماء إنما أخذها العرب من أهل التوراة ومخارج الحروف في لغتهم غير مخارجها في لغة لعرب فإذا وقع الحرف متواسطاً بين حرفين من لغة العرب فترده العرب تارة إلى هذا وتارة إلى هذا . وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلام العجم فمن هاهنا اختلف الضبط في هذه الأسماء وأنبه هنا كما نبهت في مواضع كثيرة إلى أن هناك في موضوع النسب أيضاً فرق بين اسم (الحسن) بفتح الحاء وبين اسم (الحسين) بالياء بعد السين . كما سأنبه عليه في فصل آل البيت . كذلك الفرق بين لحسن واحسين .

أجيال الأمم وانتسابهم

اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى كما قال الإمام ابن خلدون قد اعتمر هذا العالم بخلقهم وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه وبشهم في نواحيها تمام حكمته وخالف بين أممهم وأجيالهم إظهاراً لآياته فيتعارفون بالأنساب ويختلفون باللغات والألوان ويتميزون بالسير والمذاهب والأخلاق ويفترقون بالنحل والأديان والأقاليم والجهات . فمنهم العرب والفرس والروم وبنو إسرائيل والبربر ، ومنهم الصقلية والحبس والزنج ، ومنهم أهل الهند وأهل بابل وأهل الصين وأهل اليمن وأهل مصر وأهل المغرب . ومنهم المسلمون والنصارى واليهود والصابئة والمجوس ، ومنهم أهل الوبير وهم أصحاب الخيام والحلل وأهل المدر وهم أصحاب المداشر والقري والأطم ، ومنهم البدو الظواهر والحضر الأهلون ومنهم العرب أهل البيان والفصاحة . والعجم أهل الرطانة بالعبرانية والفارسية والإغريقية والصينية وقد خالف سبحانه بين أجناسهم وأحوالهم وأسننتهم وألوانهم ليتم أمره تعالى في اعتمار خصوصياتهم ونحلهم فتظهر آثار القدرة وعجائب الصنعة وآيات الوجدانية إنّ في ذلك لآيات للعالمين .

العصبية بالنسب أو ما في معناه

قال الإمام ابن خلدون رحمه الله تعالى : إن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه وذلك أن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل ومن صلتها النعرة على ذوي القربى

وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداة عليه ويود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فإذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريبا جدا بحيث حصل به الاتحاد والاتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجرد ما ووضوحها وإذا بعد النسب بعض الشيء فربما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه، فرارا من الغضاضة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نكرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريبا منها. ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم) بمعنى أن النسب إنما فائدته هذا الاتحاد الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المناصرة والنصرة وما فوق ذلك مستغنى عنه، إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والاتحام. فإذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النكرة كما قلناه. وإذا كان إنما يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به مجانا ومن أعمال الله المنهي عنه. ومن هذا الاعتبار معنى قولهم : النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى أن النسب إذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس، وانتفت النكرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حينئذ .

الصريح من النسب واين يوجد

الصريح من النسب إنما يوجد للقاطنين في القفر من العرب ومن في معناهم وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن، حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الماشية من إبل وغيرها وتاجها ورعايتها، والإبل خصوصا تدعوهم إلى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتاجها في رماله كما تقدم، والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم إفا وعادة وربيت فيه أجيالهم حتى تمكنت خلقا

وجبلية، فلا ينزع إليهم أحد من الأمم أن يساهمهم في حالهم، ولا يأنس بهم أحد من الأجيال. بل لو وجد واحد منهم السبيل إلى الفرار من حاله وأمكته ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لأجل ذلك من اختلاط أنسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محفوظة واعتبر ذلك - قديماً - في مضر من قريش وكنانة وثقيف وبني أسد وهذيل ومن جاورهم من خزاعة لما كانوا أهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع، وبعثوا من أرياف الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب، كيف كانت أنسابهم صريحة محفوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب. وأما العرب الذين كانوا بالتلول وفي معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لحم وجدام وغسان وطىء وقضاة وإياد فاختلفت أنسابهم وتداخلت شعوبهم. ففي كل واحد من بيوتهم من الخلفاء عند الناس ما تعرف. وإنما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطتهم. وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وإنما هذا للعرب فقط. قال سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه (تعلموا النسب ولا تكونوا كنبط السواد، إذا سئل أحدهم عن أصله قال من قرية كذا) هذا إلى ما لحق هؤلاء العرب أهل الأرياف من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصيبة فكثير الاختلاط وتداخلت الأنساب. وقد كان وقع في صدر الإسلام شيء من الانتماء إلى المواطن فيقال جند قنسرين، جند دمشق. جند العواصم، وانتقل ذلك إلى الأندلس. ولم يكن لأطراح العرب أمر النسب، وإنما كان لاختصاصهم بالمواطن بعد الفتح حتى عرفوا بها، وصارت لهم علامة زائدة على النسب يتميزون بها عند أمرائهم. ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الأنساب بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت ثم تلاشت القبائل ودثرت فدثرت العصبية بدورها؛ وبقي ذلك في البدو كما كان.

الأبوة الأولى وفروعها

إنَّ النساءين كلَّهم اتفقوا على أنَّ الأب الأوَّل للخليقة هو آدم عليه السلام كما وقع في التنزيل إلا ما يذكره ضعفاء الإخباريين من أنَّ الجنَّ والطَّمَّ أمَّتان كانتا فيما زعموا من قبل آدم وهو ضعيف متروك وليس لدينا من أخبار آدم وذريته إلا ما وقع في المصحف الكريم وهو معروفٌ

بين الأئمة واتفقوا على أن الأرض عَمُرَتْ بنسله أحقاباً وأجيالاً بعد أجيال إلى عصر نوح عليه السلام وأنه كان فيهم أنبياءٌ مثل شيث وإدريس وملوك في تلك الأجيال معدودون وطوائف مشهورون بالنحل مثل الكلدانيين وهم الموحدون ومثل السريانيين وهم المشركون وزعموا أن أمَّ الصابئة منهم وأنهم من ولد صابئ بن لَمَك ابن أحنوخ وكان نخلتهم في الكواكب والقيام لها كلها واستنزال روحانيتها وأن من حزبهم الكلدانيين أي الموحدون وقد ألف أبو إسحق الصابي الكاتب مقالة في أنسابهم ونخلتهم وذكر أخبارهم أيضاً دأهر مؤرخ السريانيين والبابا الصابي الحراني وذكروا استيلاءهم على العالم وجملاً من نواميسهم وقد اندرسوا وانقطع أثرهم. ويقال أن السريانيين من أهل تلك الأجيال، وكذلك الثمروذ والازدهاق وهو المسمى بالضحاك من ملوك الفرس، وليس ذلك بصحيح عند المحققين. واتفقوا على أن الطوفان الذي كان في زمن نوح وبدعوته ذهب بعمران الأرض أجمع بما كان من خراب المعمور ولم يبق إلا ما كان معه في السفينة ثم هلك الذين ركبوا معه في السفينة ولم يعقبوا ومن ثم صار أهل الأرض كلهم من نسله وعاد - أي نوح - أباً ثانياً للخليقة بعد آدم. وهو نوح بن لامك ويقال: أن الصابئة من ولد صابئ بن لامك وهو أخو نوح عليه السلام وقيل أن صابئ جده متوشلخ

11

اختلاط الأنساب كيف يقع

اعلم أنه من البين أن بعضاً من أهل الأنساب يسقط إلى أهل نسب آخر بقرابة إليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجنابة أصابها فيدعى بنسب هؤلاء ويعد منهم في ثمراته من النعرة والقود وحمل الديات وسائر الأحوال وإذا وجدت ثمرات النسب فكأنه وجد لأنه لا معنى لكونه من هؤلاء ومن هؤلاء إلا جريان أحكامهم وأحوالهم عليه وكأنه التحم بهم. ثم إنه قد يتناسى النسب الأول بطول الزمان ويذهب أهل العلم به فيخفى على الأكثر وما زالت الأنساب تسقط من شعب إلى شعب ويلتحم قوم بأخرين في الجاهلية والإسلام والعرب والعجم إلى اليوم. وانظر خلاف الناس قديماً في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك شيء من ذلك ومنه

¹¹ راجع تاريخ ابن خلدون ومروج الذهب والمزهر والمستطرف وغيرها من الكتب المذكورة في باب المصادر

شأن بجيلة في عرفجة بن هرثة لما ولاه عمر عليهم فسألوه الإعفاء منه وقالوا هو فينا لزيق أي دخيل ولصيق وطلبوا أن يولي عليهم جريراً فسأله عمر عن ذلك فقال عرفجة "صدقوا يا أمير المؤمنين، أنا رجل من الأزدي أصبت دماً في قومي ولحقت بهم" والشاهد منه هو كيف اختلط عرفجة ببجيلة ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة عليهم لولا علم بعضهم بوشائجه ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتنوسي بالجملة وعد منهم بكل وجه ومذهب فافهمه واعتبر سر الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله من اليهود¹²

حكاية الرحماني المباركي

على ذكر بجيلة وعرفجة في الباب السابق تحضرنى هنا حكاية تشابهها حدثني بها الزهدي الرحماني المباركي رحمه الله قال (إني زمن الصبا شاركت في مشادة وقعت في التل وصرعنا فيها وجرحنا بالأمواس عدة أشخاص ولما مجتت قوات أمن فرنسا عن المشاركين في تلك المشادة سجلوا اسمي وتمتني الأصلية غير الموثقة وهي (بلبال) وقد كنت هربت يومها إلى عين الإبل وجئت إلى سي بن عبد الله البواشرية الغفير وحدثته بالخبر فقال لي (يا المبيوع باصيت) ثم صورني وذهب بي إلى (الأصاص) وأصدر لي بطاقة تعريف بلقب (عمارى) نسبة لأخوالي لأمتنع من المتابعة قال ولما جاءت التعليلة إلى حاكم عين الإبل حشدت العسكر جميع السكان وصاروا يبحثون عني وكنت من جملة المحتشدين ولما جاء دوري وقد وقفت أمام القائد في الطابور أخرجت بطاقتي فلم يشعر بي وتركي أتجاوزته ومن ثم رجعت بدوره الدبش (وقال لاوجود للاسم الذي تبحثون عنه) قال ومن يومها سجل لقبى باسم أخوالي ولم أعيره إلى اليوم .

الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية

اعلم أن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضاً عصبية أخرى لانساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد أو أهل بيت واحد أو إخوة بني أب واحد لا مثل بني العم الأقربين أو الأبعدين فهؤلاء أقعد

¹² راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصائب في النسب العام . والنصرة تقع من أهل نسبهم المخصوص ومن أهل النسب العام إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمية . والرئاسة فيهم إنما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل . ولما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتم الرئاسة لأهلها . فإذا وجب ذلك تعين أن الرئاسة عليهم لا تزال في ذلك النصاب المخصوص بأهل الغلب عليهم إذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الأخرى النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم الرئاسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة من فرع منهم إلى فرع ولا تنتقل إلا إلى الأقوى من فروعهم، لما قلناه من سر الغلب لأن الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج في المتكون والمزاج في المتكون لا يصلح إذا تكافأت العناصر فلا بد من غلبة أحدها وإلا لم يتم التكوين . فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية . ومنه تعين استمرار الرئاسة في النصاب المخصوص بها كما قرناه¹³ .

الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم

الرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية ولا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة أن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم اقرروا بالإذعان والاتباع والساقط في نسبهم بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب إنما هو ملصق لزيق، وغاية التعصب له بالولاء والحلف وذلك لا يوجب له غلبا عليهم البتة وإذا فرضنا انه قد التحم بهم واختلط وتنوسي عهده الأول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرئاسة قبل هذا الالتحام أو لأحد من سلفه والرئاسة على القوم إنما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب بالعصبية فالأولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه ذلك الالتصاق من الرئاسة حينئذ؛ فكيف تنقلت عنه وهو على حال الإلصاق والرئاسة لا بد وأن تكون موروثه عن مستحقها لما قلناه من التغلب بالعصبية وقد يتشوف كثير من الرؤساء على القبائل والعصائب إلى أنساب يلهجون

¹³ راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بها أما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب من شجاعة أو كرم أو ذكر كيف اتفق فينزعون إلى ذلك النسب، ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه أنفسهم من القدح في رئاستهم والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد .
(قلت) والعصبية النسبية اليوم يكاد أن يغطيها في الحواضر الكبرى الإلتواء إلى الأحزاب أو الجمعيات فتأمله .

البيت والشرف بالاصالة والحقيقة

البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال . ومعنى البيت أن يعد الرجل في آباءه أشرفاً مذكورين تكون له بولادتهم إياه والانتساب إليهم تجلة في أهل جلدته لما قر في نفوسهم من تجلة سلفه وشرفهم بمجالهم والناس في نشأتهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) فمعنى الحسب راجع إلى الأنساب (قال ابن خلدون) وقد بينا أن ثمرة الأنساب وفائدتها إنما هي العصبية للنصرة والتناصر فحيث تكون العصبية مرهوبة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعدد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمرة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها ولا يكون للمنفردين من أهل الأمصار بيت إلا بالمجاز وإن توهموه فزخرف من الدعاوى (قال) وإذا اعتبرت الحسب في أهل الأمصار وجدت معناه أن الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومحالطة أهله مع الركون إلى العاقبة ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمرة النسب وتعدد الآباء؛ ولكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعدد الآباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق وإن ثبت أنه حقيقة فيهما بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه أولى وقد يكون للبيت شرف أول بالعصبية والخلال ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم، ويختلطون بالغمار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون به

أنفسهم . من أشرف البيوتات أهل العصائب وليسوا منها في شيء ، لذهاب العصبية جملة . وكثير من أهل الأمصار الناشئين في بيوت العرب أو العجم لأوّل عهدهم موسوسون بذلك وأكثر ما رسخ الوسواس في ذلك لبني إسرائيل فإنه كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنبت (أولاً) لما تعدّد في سلفهم من الأنبياء والرسل من لدن إبراهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم ثم بالعصبية (ثانياً) وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك أجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الأرض وانفردوا بالاستعباد للكفر الآفا من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتجدهم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب هذا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة (قال) وكثير من أهل الأمصار وغيرهم المنقطعين في أنسابهم عن العصبية يذهب إلى هذا الهذيان وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الأول والحسب هو أن يكون من قوم قديم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة إن لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتحمل غيرهم على القبول منه فكانه أطلق الحسب على تعديد الآباء فقط مع أن الخطابة إنما هي استمالة من تؤثر استمالاته وهم أهل الحل والعقد . وأما من لا قدرة له البتة فلا يلتفت إليه ولا يقدر على استمالة أحد ولا يستمال هو وأهل الأمصار من الحضرة بهذه المثابة إلا أن ابن رشد رباً في جبل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا أنسوا أحوالها فبقي في أمر البيت والحسب على الأمر المشهور من تعديد الآباء على الإطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرّها في الخليقة .

البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم
البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم (قال) وذلك أنا قدمنا أن الشرف بالأصالة والحقيقة إنما هو لأهل العصبية فإذا اصطنع أهل العصبية قوماً من غير نسبهم أو استرقوا العبدان والموالي والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم أولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبتهم، وحصل لهم من الانتظام

في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله عليه وسلم (مولى القوم منهم) وسواء كان مولى رق أو مولى اصطناع وحلف وليس نسب ولادته بنافع له في تلك العصبية إذ هي مبينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها، فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم فإذا تعددت له الآباء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على نسبه في ولايتهم واصطناعهم لا يتجاوز به إلى شرفهم بل يكون أدون منهم على كل حال وهذا شأن الموالي في الدول والخدمة كلهم فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها ألا ترى إلى موالي الأتراك في دولة بني العباس وإلى بني برمك من قبلهم كيف أدركوا البيت والشرف وبنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي من أعظم الناس بيتاً وشرفاً بالانتساب إلى ولاء الرشيد وقومه لا بالانتساب في الفرس وكذا موالي كل دولة وخدمها إنما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولايتها والأصالة في اصطناعها ويضمحل نسبه الأقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في أصالته ومجده وإنما المعبر نسبة ولائه واصطناعه إذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وإنما بنى مجده نسب الولاء في الدولة ولحمة الاصطناع فيها والتربية وقد يكون نسبه الأول في لحمة عصبية ودولته فإذا ذهبت وصار ولاؤه واصطناعه في أخرى لم تنفعه الأولى لذهاب عصبيتها وانتفع بالثانية لوجودها وهذا حال بني برمك إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في الفرس من سدنة بيوت النار عندهم ولما صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأول اعتبار وإنما كان شرفهم من حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم. وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجاحمة ولا حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه و(إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء

اعلم أن العالم العنصري كما قال الامام خلدون بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من أحواله فالمكونات من المعدن والنبات وجميع الحيوانات والإنسان وغيره كائنة فاسدة بالمعانية وكذلك ما يعرض لها من الأحوال وخصوصا الإنسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع وأمثالها والحسب من العوارض التي تعرض للآدميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس يوجد لأحد من أهل الخليقة شرف متصل في آباءه من لدن آدم إليه إلا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرف فيه . وأوائل كل شرف خارجية كما قيل وهي الخروج عن الرئاسة والشرف إلى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه أن كل شرف وحسب فعدمه سابق عليه، شأن كل محدث ثم إن نهايته أربعة آباء وذلك أن باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هم أسباب كونه وبقائه وابنه من بعده مباشر لأبيه قد سمع منه ذلك وأخذه عنه إلا أنه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعين له ثم إذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة، فقصر عن الثاني تقصير المقلد عن المجتهد ثم إذا جاء الرابع قصر عن طريقتهم جملة وأضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحتقرها وتوهم أن ذلك البنيان لم يكن بمعاناة ولا تكلف وإنما هو أمر وجب لهم منذ أول النشأة بمجرد اتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدوثها ولا سببها ويتوهم أنه النسب فقط فربما بنفسه عن أهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقا بما ربي فيه من استباعتهم وجهالاً بما أوجب ذلك الاستباعت من الخلال التي منها التواضع لهم، والأخذ بمجامع قلوبهم فيحقرهم بذلك فينغصون عليه ويحقرونه ويديلون منه سواه من أهل ذلك المنبت ومن فروعه في غير ذلك العقب للإذعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلاله فتنمو فروع هذا وتذوي فروع الأول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والأمراء وأهل العصبية أجمع ثم في بيوت أهل الأمصار إذا انحطت بيوت نشأت بيوت أخرى من ذلك النسب (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

14 راجع مقدمة ابن خلدون وكتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

بِعَزِين) واشترط الأربعة في الأحساب إنما هو في الغالب والإفقد يندثر البيت من دون الأربعة ويتلاشى وينهدم وقد يتصل أمرها إلى الخامس والسادس، إلا أنه في انحطاط وذهاب (قال) واعتبار الأربعة من قبل الأجيال الأربعة: بان ومباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن . وقد اعتبرت الأربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم (إنما الكريم بن الكريم بن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم) إشارة إلى أنه بلغ الغاية من المجد . وفي التوراة ما معناه (أنا الله ربك طائق غير مطالب بذنوب الآباء للبنين على التوالف وعلى الروابع) وهذا يدل على أن الأربعة الأعقاب غاية في الأنساب والحسب .

هل في العرب قبيلة تشرف على الأخرى

من كتاب الأغاني في أخبار عزيز الغواني أن كسرى قال للنعمان هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة . قال : نعم ؛ قال : بأي شيء ؛ قال : من كان له ثلاثة آباء متواليه رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته . فطلب كسرى ذلك فلم يجده إلا في آل حذيفة بن بدر الفزاري، وهم بيت قيس وآل ذي الجدين بيت شيبان وآل الأشعث بن قيس من كعدة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس ابن عاصم المنقري من بني تميم، فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم وأقعد لهم الحكام والعدول فقام حذيفة بن بدر ثم الأشعث بن قيس لقربته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن زرارة ثم قيس بن عاصم، وخطبوا ونشروا - كما سيأتي قريباً - فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضعه . (قال) وكانت هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم، ومعهم بيت بني الذبيان من بني الحارث بن كعب اليميني (قال) ابن خلدون وهذا كله يدل على أن الأربعة الآباء نهاية في الحسب (قلت) وقد تبعت شخصياً مسار عدة أسرى في إقليمنا السعداوي الجلفاوي قد اشتهرت أوائلها بالقرآن أو بالعلم أو بالمال أو بالجاه أو بالولاية فوجدتها في الغالب كما الإمام ابن خلدون حيث أن جيلها الرابع لم يعد يُعرف ولم يعد له دور في الحياة غير أنني وجدت أسراً أخرى قد تجدد لها عز برون شخص من أحفادها أحياء لها ذكراً .

ضعف الامتياز بالنسب حالياً

أنّ الامتياز بالنسب كما قال ابن خلدون هو أضعف المميزات لهذه الأجيال والأمم الحاضرة لحفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه ولهذا كان الاختلاف كثيراً ما يقع في نسب الجيل الواحد أو الأمة الواحدة، إذا اتصلت مع الأيام وتشعبت بطونها على الأحقاب كما وقع في نسب كثير من اليونانيين والفرس والبربر وقحطان من العرب فإذا اختلفت الأنساب واختلفت فيها المذاهب وتباينت الدعاوى استظهر كل ناسب على صحّة ما ادّعاه بشواهد الأحوال والمتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع إلى ذلك من خصائص القبائل وسمات الشعوب والفرق التي تكون فيهم منقطة، متعاقبة في بنهم.

أشراف العرب بين يدي كسرى

كما سبق أن أشرت قال كسرى للنعمان بن المنذر^{١٥} يوماً هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة قال نعم قال فبأي شيء قال من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع فالبيت من قبيلته فيه وينسب إليه قال فطلب ذلك فلم يصبه إلا في آل حذيفة بن بدر وآل حاجب بن زرارة وآل ذي الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كندة فجمع كسرى هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائريهم وأقعد لهم الحكام والعدول وقال ليتكلم كل منكم بماثر قومه وليصدق فكان حذيفة بن بدر الفزاري أول متكلم وكان السنن القوم فقال قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم والأعز الأعظم ومأثرة للصنيع الأكرم فقال من حوله ولم ذاك يا أخا فزارة فقال ألسنا الدعائم التي لا ترام والعز الذي لا يضام قيل صدقت ثم قام شاعرهم فقال :

فزارة بيت العز والعز فيهم	فزارة قيس حسب قيس نضالها
لها العزة القعساء والحسب الذي	بناه لقيس في القديم رجالها
فهيئات قد أعياء القرون التي مضت	مأثر قيس مجدها وفعالها
وهل أحد إن هز يوماً بكفه	إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
فإن يصلحوا يصلح لذلك جميعها	وإن يفسدوا يفسد من الناس حالها

¹⁵ راجع خزنة الادب وجمهرة الخطب والمستطرف

ثم قام الأشعث الكندي وإنما أذن له أن يقوم قبل ربيعة وتميم لقربته من النعمان بن المنذر فقال قد علمت العرب أنا تقاتل عديدها الأكثر وزحفها الأكبر وأنا لغياث الكربات ومعدن المكرمات قالوا ولم يا أخا كندة قال لأنا ورثنا ملك كندة فاستظللنا بأفيائه وتقلدنا منكبه الأعظم وتوسطنا مجبوحه الأكرم ثم قام شاعرهم فقال :

إذا قست أبيات الرجال بيتنا
وجدت لنا فضلا على من يفاخر
فمن قال كلاً أو أتانا بحظة
ينافرنا فيها فنحن نخاطر
تعاولوا فقوا كي يعلم الناس أننا
له الفضل فيما أورثه الأكاير

ثم قام بسطام الشيباني فقال قد علمت العرب أنا بناء بيتها الذي لا يزول ومغرس عزها الذي لا يحول قالوا ولم يا أخا شيبان قال لأنا أدركهم للشار وأضربهم للملك الجبار وأقومهم للحكم وأدهم للخصم ثم قام شاعرهم

فقال لعمرى بسطام أحق بفضلها
وأول بيت العز عز القبائل
فسائل أبيت اللعن عن عز قومها
إذا جد يوم الفخر كل مناقل
ألسنا أعز الناس قوما ونصرة
وأضربهم للكبش بين القبائل
وقائع غر كلها ربيعة
تذل لها عزا رقاب المحافل
إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها
إذا نزلت بالناس إحدى الزلازل
وإنا ملوك الناس في كل بلدة
وعاذ بها من شرها كل وائل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال قد علمت معد أنا فرع دعامتها وقادة زحفها قالوا ولم ذلك يا أخا بني تميم قال لأنا أكثر الناس عديدا وأنجبهم طرا وليدا وأنا أعطاهم للجزييل وأحملهم للتقيل ثم قام شاعرهم فقال

لقد علمت أبناء خندف أننا
لنا العز قدما في الخطوب الاوائل

وعز قديم ليس بالمتضائل
أغر نجيب ذي فعال ونائل
دعائم هذا الناس عند الجلائل

وأنا كرام أهل مجد وثروة
فكم فيهم من سيد وابن سيد
فسائل أبيت اللعن عنافإننا

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات دعائم وأثبتهم في
النائبات مقادم قالوا ولم ذاك يا أخا بني سعد قال لأنا أدركهم للثار وأمنعهم للجار وأنا لا ننكل
إذا حملنا ولا نرام إذا حللنا ثم قام شاعرهم فقال

وجل تميم والجميع الذي ترى
لنا الشرف الضخم المركب في الندى
إذا جز بالبيض الجماجم والطلا
وقيسا إذا مرت ألوف إلى العلا
وقاموا بيوم الفخر مسعاة من سعى

لقد علمت قيس وحندف أننا
بأننا عماد في الأمور وأننا
وأنا ليوث الناس في كل مازق
فمن ذا ليوم الفخر يعدل عاصما
فهيها قد أعيا الجميع فعالمهم

فقال كسرى حينئذ لما سمعهم ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه وأسنى حباءهم
وأعظم صلاتهم . وأكرم ما بهم¹⁶

المرء حيث يثبت لا حيث ينبت

هنا أقول ولو أنني أبحث في علم النسب فإني أغلب جانب الأخلاق والأدب على جانب
النسب فإنه يحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت . قال ابن الأدب
يا أمير المؤمنين . قال نعم النسب انتسبت إليه . ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث
ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبي

¹⁶ راجع في هذا الموضوع وما يليه خزانة الأدب والمستطرف

وقال بعض الحكماء من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضعيا وبعد صيته وإن كان خاملا
وساد وإن كان غربيا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا قال بعض الشعراء :
لكل شيء زينة في السورى وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بأدابه فينا وإن كان وضع الأدب
وقال بعض الأعاجم مفتخرا :

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى وما أنا عربي
إذا اتنى منتم إلى أحد فإنني منتم إلى أدبي

وقيل الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفضيلته وبكماله لا
بجماله وبأدابه لا بشيابه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته فتأدبت
.ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا ومن عرف الأدب اكتسب به المال والجاه . وخير الخلال
الأدب وشر المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له أدب ومن لا أدب له قال كالفرق
بين الحيوان الناطق والحيوان الذي ليس بناطق ودخل أبو العالية على ابن عباس رضي الله
عنهما فأقعدده معه على السرير وأقعد رجالا من قريش تحته فرأى سوء نظرهم إليه وحموضة
وجوههم فقال ما لكم تنظرون إلي نظر الشحيح إلى الغريم المفلس ؟؟ هكذا الأدب يشرف
الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الأسرة وقال جالينوس إن ابن
الوضيع إذا كان أدبيا كان نقص أبيه زائدا في منزلته وابن الشريف إذا كان غير أديب كان
شرف أبيه زائدا في سقوطه وقيل أحسن الأدب أن لا يفتخر المرء بأدبه وسمع معاوية رجلا
يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال إذا فاتك الأدب فالزم الصمت فهو من
أعظم الآداب وقال عبد الملك بن صالح :

في الناس قوم أضاعوا مجد أولهم ما في المكارم والتقوى لهم أرب
سوء التأدب أرداهم وأردلهم وقد يزين صحيح المنصب الأدب

وقيل أربعة تسوّد العبد¹⁷: الأدب والعلم والصدق والأمانة . وقال بعض الحكماء خمسة لا تتم إلا بخمسة لا يتم الحسب إلا بالأدب ولا يتم الجمال إلا بالحلاوة ولا يتم الغنى إلا بالجوهر ولا يتم البطش إلا بالجرأة ولا يتم الجهاد إلا بالتوفيق .

عدم العصبية

في هذه المقدمات تجدر بي الإشارة إلى التحذير من العصبية المقيتة التي يدعوا إليها كثير من المستهترين الذين لا يخافون إلا ولا ذمة ويريدون احتكار المحاسن وتفصيلها حسب أهوائهم في حين ينسبون النقائص لغيرهم وكتابي هذا بعيد كل البعد عن تلك المعاني الهدامة وما تضمنته من معاني القبلية والعشائرية والعنصرية وما إلى ذلك وهو فقط يتناول الأنساب وما جرى به العود من بعض مظاهر قد تعبر عن طيب عنصر مآ أنا بصدد ترجمته . وهنا تجب معرفة معنى العصبية حتى يعلم الأغبياء أنى على علم بما أنا قائله وما أنا قادم عليه في هذا التصنيف .

معنى العصبية

العَصْبِيُّ هو من يُعِينُ عَصْبَتَهُ عَلَى الظلم وَيَغْضِبُ لَهُمْ وَيُحَامِي عَنْهُمْ وَالْعَصْبَةُ هم الأَقْرَابُ من جهة الأب لأنهم يُعَصِّبُونَهُ وَيُعْتَصِبُ بِهِمْ أَي يُحِيطُونَ بِهِ وَيَشْتَدُّ بِهِمْ وَفِي الحديث (ليس منّا من دَعَا إِلَى عَصْبِيَّةٍ أَوْ قَاتَلَ عَصْبِيَّةً) والمراد بها هنا المحاماة والمدافعة على باطل . والعصبية الجاهلية (النسبية أو الحزبية أو المذهبية) تؤدي غالباً إلى سفك الدماء والتحزب والتشيع والفرقة واحتقار الآخرين وتنقصهم بما فيها من محاسن الألفة والتماسك والتعاون (أقول) وإبائي للعصبية هذه لا يدعوني إطلاقاً إلى تأييد الشعوبية التي تصغر شأن العرب ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم إذ العرب مهما جحد الجاحدون هم من عنصر طيب وكما قال صَيْدِحُ في قصيدة له :

إِنِ العَرُوبَةُ جَذَعٌ لَا تَزْعُزَعُهُ
عَوَارِضُ الدَّفْعِ فِي الأَغْصَانِ وَالجَذَبِ
وقال أمير الشعراء أحمد شوقي المصري:

¹⁷ راجع في هذا الموضوع وما يليه خزانة الأدب والمستطرف

مجدُّ الأصول عزيزٌ ما سَهَّرتَ على حَفِظَ الأصول، فإن ضيَعتم هانا
فلا تقولنَ يومَ الفـخرِ كانَ أبي حتى يـراكُ بنو الدنيا كما كانا
حكاية في النساء والنسب

جاء في المستطرف قوله . يروى أن الشافعي رضي الله عنه قال تزوج رجل امرأة جديدة على
امرأة قديمة فكانت الجارية الجديدة تمر على بيت القديمة فتقول :
وما يستوي الرجلان رجل صحيحة وأخرى رمى فيها الزمان فشلت
ثم تعود وتقول :

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى وثوب بأيدي البائعين جديد
فمرت الجارية القديمة على باب الجديدة يوما وقالت :

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل
وقال عمرو بن العلاء وكان أعلم الناس بالنساء :

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبه عن صفة النساء فقال بنات العم أحسن مؤاساة والغرائب أنجب وما
ضرب رؤوس الأقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان من أراد أن يتخذ جارية
للمتعة فليتها بربرية ومن أراد أن يتخذها للولد فليتها فارسية ومن أراد أن يتخذها
للخدمة فليتها رومية قال الشاعر:

لا تشتمن امرأ ممن يكون له أم من الروم أو سوداء عجماء
فإنما أمهات القوم أوعية مستودعات وللأنساب آباء

وقال الأصمعي أتاني رجل من قریش يستشيرني في امرأة تزوجها فقلت يا ابن أخي أقصيرة
النسب أم طويلته فلم يفهم علي فقلت يا ابن أخي أما القصيرة النسب فإني إذا ذكرت أبا ما
أكتفت به والطويلة النسب فهي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها فأياك أن تقع مع قوم قد

أصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضيع نسبك فيهم . وخرج رجل من أهل الكوفة في غزاة فكسب جارية وفرسا وكان مملكا على ابنة عمه فكتب إليها يعيرها ويقول :

ألا بلغوا أم البنين بأننا غينا واغننا الغطارفة النجد
بعيد مناط المنكي إذا جرى وبيضاء كالتمثال زينها العقد
فهذا لأيام العدو وهذه لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

فلما ورد عليها كتابه وقرأته وفهمت مافيه وفحوى منطوقه ومرمى مضمونه قالت : يا غلام هات الدواة وكتب جوابا . تقول فيه :

ألا فاقراءني مني السلام وقل له غينا وأغننا الغطارفة المررد
إذا شئت أغناني غلام مرجل ونازعته في ماء معتصر الورد
وإن شاء منهم ناشئ مد كفه إلى عكن ملساء أو كفل نهدي
فما كنتم تقضون حاجة أهلكم شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل إلينا بالسراح فإنه منا ولا ندعوك الله بالرد
فلا قفل الجند الذي أنت فيهم وزادك رب الناس بعدا على بعد

فلما ورد عليه كتابها لم يزد على أن ركب الفرس وأردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان أول شيء بدأها به بعد السلام أن قال لها بالله عليك هل كنت فاعلة ذلك فقالت له : الله في قلبي أعظم وأجل وأنت في عيني أذل وأحق من أن أعصي الله فيك . فكيف ذقت طعم الغيرة فوهب لها الجارية وانصرف إلى الغزاة .

صفات النساء الحمودة

كتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب أن أخطب لعبد الملك بن مروان امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة في قومها مؤاتية لبعلمها فكذب إليه قد أصبتها لولا عظم ثديها فكذب إليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثديها فتدفي الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان لرجل من غطفان صف لي أحسن النساء قال خذها يا أمير المؤمنين ملساء القدمين ردماء الكعبين ناعمة الساقين ضخماء الركبتين لفاء الفخذين ضخمة الذراعين رخصة الكفين ناهدة

الثديين حمراء الخدين كحلاء العينين زجاء الحاجبين لمياء الشفتين بلجاء الجبين شماء العينين
شبناء الثغر محلولة الشعر غيداء العنق مكسرة البطن فقال ويحك وأين توجد هذه قال
تجدها في خالص العرب وفي خالص الفرس وقال حكيم عليكم بمن تربت في النعيم ثم
أصابها فاقة فأثر فيها الغنى وأدبها الفقر وقال رجل لحاطب ابغ لي امرأة لا تؤنس جاراً ولا
توطن داراً يعني لا تدخل على الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفي مثل هذه قال الشاعر :

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف عيطاء غامضة الكعيبين معطار

خود من الحفريات البيض لم يرها بساحة الدار لا بعل ولا جار

(قيل) كانت امرأة عمران بن حطان من أجمل الناس وجها وكان هو من أقبح الناس وجها
فقال لها يوماً أنا وإياك في الجنة إن شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك فقال لأنني أعطيت
مثلك فشكرت وأعطيت مثلي فصبرت والصابر والشاكر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق
مكة أعرابية ما رأيت أحسن منها وجها فقعدت أنظر إليها وأتعجب من جمالها فجاء شيخ
قصير فأخذ بردائها وسار بها ومضى فلقيتها مرة أخرى فقلت لها من هذا الشيخ قالت
زوجي قلت كيف يرضى مثلك بمثله فأشدت:

أيا عجباً للخود يجري وشاحها تزف إلى شيخ بأقبح تمثال

دعاني إليه أنه ذو قرابة يعز علينا من بني العم والحال

وسمع بعضهم قائلًا يقول :

ومن لا يرد مدحي فإن مدائي نوافق عند الأكرمين نوامي

نوافق عند المشتري الحمد بالندی نفاق بنات الحرث بن هشام

فقال يا ابن أخي ما بلغ من نفاق بنات الحرث بن هشام قال كن من أجمل الناس وجوها وكان
أبوهن إذا زوجهن يسوقهن ومهورهن إلى بعولتهن فقال يا ابن أخي لو فعل هذا ابليس بناتته
لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن أبي الرقاع كيف علمك بالنساء قال أنا
والله أعلم الناس بهن وجعل يقول :

قضاعية الكعيبين كندية الحشا خزاعية الأطراف طائية الفم

لها حكم لقمان وصورة يوسف ومنطق داود وعفة مريم
وقالوا الوجه الحسن أحمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضخم بالطيب
وقالوا أن الوجه الرقيق البشرة الصافي الأديم إذا خجل يحمر وإذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج
الوجه يريدون تلونه من رفته قال علي بن زيد في وصفه :

حمره خلط صفرة في بياض مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال علي بن عبد ربه :

بيضاء يحمر خداه إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق
وقالوا إن الجارية الحسنة تلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشى صفراء فقال ذو
الرمة :

بيضاء صفراء قد تنازعا لوانان من فضة ومن ذهب
قالوا ليس المرأة الجميلة التي تأخذ ببصرك جملة على بعد فإذا دنت منك لم تكن كذلك بل
الجميلة التي كلما كررت ببصرك فيها زادتك حسنا وقالوا إن أردت أن ينبج ولدك فاغضبها
ثم قع عليها قال الشاعر :

ممن حملن به وهن عواقد حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزورة كرها وعقد نطقها لم يحلل

المرأة السوء

في حكمة داود عليه السلام أن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضي الله
تعالى عنه وقيل المرأة السوء غل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده وقيل لأعرابي
وكان ذا تجربة للنساء صف لنا شر النساء فقال شرهن النحيفة الجسم القليلة اللحم الحياض
الممرض المصفرة الميشومة العسرة المشومة السلطة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأنها لسان
حربة تضحك من غير عجب وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب أنف في
السماء وإست في الماء عرقوبها حديد منتفحة الوريد كلامها وعيد وصوتها شديد وتدفن

الحسنات وتفشي السيئات تعين الزمان على بعلمها ولا تعين بعلمها على الزمان ليس في قلبها عليه رافة ولا عليها منه مخافة إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت كثيرة الدعاء قليلة الإرعاء تأكل لماً وتوسع ذمًا ضيقة الباع مهتوكة الفناع صبيها مهزول وبيتها مزبول إذا حدثت تشير بالإصبع وتبكي في الجامع بادية من حجابها نباحه عند بابها تبكي وهي ظالمة وتشهد وهي غائبة تدلى لسانها بالزور ويسيل دمعها بالفجور ابتلاها الله بالويل والثبور وعظائم الأمور . ويقال إن المرأة إذا كانت مبغضة لزوجها فإن علامة ذلك أن تكون عند قربها منه مرتدة الطرف عنه كأنها تنظر إلى إنسان غيره من ورائه وإن كانت محبة له لا تقلع عن النظر إليه وقال داود عليه الصلاة والسلام المرأة السوء على بعلمها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمرأة الصالحة كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه برؤيتها والله أعلم .

الجلس الصالح

قال الراغب رحمه الله تعالى يحق على الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم فهي قد تجعل الشرير خيراً كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخير شريراً قال الحكماء: من صحب خيراً أصاب بركته فجلس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلباً ككلب أهل الكهف ولهذا أوصت الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالسة السفهاء . قال علي كرم الله وجهه : لا تصحب الفاجر فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله . وقالوا: إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري وليس إعداد الجليس جليسة بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه والنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقاً مناسبة لخلق المنظور إليه فإن من دامت رؤيته للمسرور سر أو للمحزون حزن وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوان والنبات فالحمل الصعب يصير ذلولاً بمقاربة الحمل الذلول والذلول قد يتقلب صعباً بمقارنة الصعب والريحانة الغضة تذبل بمجاورة الذابلة ولهذا يلتقط أهل الفلاحة الرمم عن الزرع لئلا تفسدها ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضعها لقبول صور الأشياء خيرها وشرها ؟ فقد قيل سمي الإنس لأنه يأنس بما يراه خيراً أو شراً .

(قلت) وبمجالسة الناس وخصوصا منهم الصبيان للفضائيات وما إلى ذلك تبدلت المفاهيم وضاعت الأخلاق والأديان.

الكتاب الثاني

في ذكر بحوث لها تعلق بحيث بعلم الأنساب

ويتضمن فصلين . الاول منهما في بحوث لها تعلق بعلم النسب . والفصل الثاني في بيان حكم التفرقة العنصرية .

الفصل الأول

في

بحوث لها تعلق بعلم الأنساب

بما أن هناك بحوث ذات صلة وتعلق بموضوع علم الأنساب فإني سأدرجها هنا في هذا الفصل ليكون قارئ هذا الكتاب على إلمام بها وعليه فأقول :

صلة الرحم

جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام (صلة الرحم منهاة للولد مثرة للمال) وقيل وجد حجر حين حفر إبراهيم الخليل عليه السلام أساس البيت عليه بالعبرانية : أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته أي قطعته . وقال رسول الله عليه السلام (أعجل الخير ثوابا صلة الرحم) وعن كعب الأحمار أنه قال والذي فلق البحر لموسى بن عمران إن في التوراة لمكتوبا (يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أزد في عمرك وأيسر لك في سيرك وأصرف عنك عسرك) وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي أنه قال (صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب جل وعلا وصلة الرحم تزيد في العمر) وقال عمر رضي الله عنه (تعلموا أنسابكم تعرفوا بها أصولكم فتصلوا بها أرحامكم) وقيل لو لم يكن من معرفة الأنساب إلا اعتزازها من صولة الأعداء وتنازع الأكفاء لكان تعلمها من أحزم الرأي وأفضل الثواب ألا ترى إلى قول قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا (ولولا رهطك لرجمناك) فأبقوا عليه لرهطه

وقال عمر رضي الله عنه (تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة وتعلموا النسب فرب رحم
 مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها) وسئل عيسى عليه السلام أي الناس أشرف فقبض قبضتين
 من تراب وقال أي هاتين أشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم من تراب إن أكرمكم
 عند الله أتقاكم. وكان أبو كبشة جداً لرسول الله من قبل أمه فلما خالف رسول الله دين
 قريش قالوا نزع عرق أبي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعري وقال خالد بن عبد الله
 القشيري سألت واصل بن عطاء عن نسبه فقال نسبي الإسلام الذي من ضيعه فقد ضيع
 نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد : وجه عبد وكلام حر . ومن كلام علي كرم الله
 وجهه (أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير فإنك بهم تصول وبهم تطول وهم العدة
 عند الشدة أكرم كريمهم وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك ويسر عن معسرهم) وكان يقال إذا
 كان لك قريب فلم تمش إليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الأقارب إعظام
 الأصغر للأكبر وحنو الأكبر على الأصغر وقال رسول الله (حق كبير الأخوة على صغيرهم
 كحق الوالد على ولده) وقال بعضهم

وإذا رزقت من النوافل ثروة فامتح عشيرتك الأداني فضلها
 واعلم بأنك لم تسود فيهم حتى تـرى دمث الخلاق سهلها
 الكفاءة

يختلف تعريف الكفاءة باختلاف موطن مجتها : في القصاص , أو المبارزة , أو النكاح .
 (1) ففي النكاح : عرفها الحنفية بأنها مساواة مخصوصة بين الرجل والمرأة . وعرفها المالكية
 بأنها المماثلة والمقاربة في التدين والحال , أي السلامة من العيوب الموجبة للخيار . وعرفها
 الشافعية بأنها أمر يوجب عدمه عارا . وعرفها الحنابلة بأنها المماثلة والمساواة في خمسة
 أشياء .

(2) أما في القصاص , فقد عرفها الشافعية بأنها مساواة القاتل القتل بأن لا يفضل به بإسلام أو
 أمان أو حرية أو أصلية أو سيادة .

(3) وفي المبارزة عرفها الحنابلة : بأن يعلم الشخص الذي يخرج لها من نفسه القوة والشجاعة وأنه لن يعجز عن مقاومة خصمه .

واختلف الفقهاء في الحكم التكليفي لاعتبار الكفاءة في النكاح : فذهب الحنفية والحنابلة إلى أنه يجب اعتبارها فيجب تزويج المرأة من الأكفاء ويحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفاءة وذهبوا إلى أن الكفاءة تعتبر في جانب الرجال للنساء ولا تعتبر في جانب النساء للرجال لأن النصوص وردت باعتبارها في جانب الرجال خاصة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لا مكافئ له وقد تزوج من أحياء العرب وتزوج صفية بنت حيي رضي الله تعالى عنها وقال (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها فيتزوجها فله أجران) الحديث ولأن المعنى الذي شرعت الكفاءة من أجله يوجب اختصاص اعتبارها بجانب الرجال لأن المرأة هي التي تستنكف لا الرجل فهي المستقرشة والزوج هو المستقرش فلا تلحقه الأنفة من قبلها إذ أن الشريفة تأبى أن تكون فراشا للدنيء والزوج المستقرش لا تغيظه دناءة الفراش وكذلك فإن الولد يشرف بشرف أبيه لا بأمه . ونقل عن أبي يوسف ومحمد أن الكفاءة في جانب النساء معتبرة . قال الكمال : مقتضى الأدلة وجوب إنكاح الأكفاء وهذا الوجوب يتعلق بالأولياء حقا لها , وبها حقا لهم لكن إنما تتحقق المعصية في حقهم إذا كانت صغيرة لأنها إذا كانت كبيرة لا ينفذ عليها تزويجهم إلا برضاها فهي تاركة لحقها كما إذا رضي الولي بترك حقه حيث ينفذ وقال الحنابلة يحرم على ولي المرأة تزويجها بغير كفاءة بغير رضاها لأنه إضرار بها وإدخال للعار عليها ويفسق الولي بتزويجها بغير كفاءة دون رضاها وذلك إن تعمده . واختلف الرأي عند المالكية فقال الشيخ خليل : للمرأة وللولي تركها أي الكفاءة . وقال الشيخ الدردير : لهما معا تركها وتزويجها من فاسق سكير يؤمن عليها منه وإلا رده الإمام وإن رضيت لحق الله تعالى حفظا للنفوس وكذا تزويجها من معيب لكن السلامة من العيوب حق للمرأة فقط وليس للولي فيه كلام . وقال الامام الدسوقي : حاصل ما في المسألة أن ظاهر ما نقله الامام الخطاب وغيره واستظهره الشيخ ابن رحال منع تزويجها من الفاسق ابتداء وإن كان يؤمن عليها منه وأنه ليس لها ولا للولي

الرضا به وهو ظاهر لأن مخالطة الفاسق ممنوعة وهجره واجب شرعا فكيف بمخالطة النكاح وقال الشافعية : يكره التزويج من غير كفاء عند الرضا إلا لمصلحة . وقال الامام العزبن عبد السلام يكره كراهة شديدة التزويج من فاسق إلا ريبة تنشأ من عدم تزويجها له كأن خيف زناه بها لو لم ينكحها أو يسلط فاجرا عليها .

(قلت) وكما سبق فقد اختلف الفقهاء في حكم الكفاءة من حيث اعتبارها في النكاح أو عدم اعتبارها وهل هي في حال اعتبارها شرط في صحة النكاح أم في لزومه : فذهب الشافعية والحنفية في ظاهر الرواية ، وهو المعتمد عند المالكية الذي شهره الفاكهاني ، والمذهب عند أكثر متأخري الحنابلة والأصح كما قال في المقنع والشرح ، إلى أن الكفاءة تعتبر للزوم النكاح لا لصحته غالبا فيصح النكاح مع فقدها لأنها حق للمرأة وللأولياء فإن رضوا بإسقاطها فلا اعتراض عليهم وهو ما روي عن عمر وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وعبيد بن عمير وحماة بن أبي سليمان وابن سيرين واستدلوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم زوج بناته ولا أحد يكافئه وبأنه (صلى الله عليه وسلم أمر فاطمة بنت قيس وهي قرشية أن تنكح أسامة بن زيد مولاه فنكحها بأمره) وزوج صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية وبأن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنى سالما وأنكحه ابنة أخيه الوليد بن عتبة وهو مولى لامرأة من الأنصار وبأن الكفاءة لا تخرج عن كونها حقا للمرأة والأولياء فلم يشترط وجودها . ووجه اعتبارها عندهم أن انتظام المصالح يكون عادة بين المتكافئين والنكاح شرع لانتظامها ولا تنتظم المصالح بين غير المتكافئين فالشريفة تأتي أن تكون مستفرشة للخسيس وتغير بذلك ولأن النكاح وضع لتأسيس القربات الصهرية ليصير البعيد قريبا عضدا وساعدا يسره ما يسرك وذلك لا يكون إلا بالموافقة والتقارب ولا مقارنة للنفوس عند مباحة الأنساب والاتصاف بالرق والحرية ونحو ذلك فعقده مع غير المكافئ قريب الشبه من عقد لا تترتب عليه مقاصده . وذهب الحنفية في رواية الحسن المختارة للفتوى عندهم واللخمي وابن بشير وابن فرحون وابن سلمون من المالكية وهو رواية عن أحمد إلى أن الكفاءة شرط في صحة النكاح . وقال أحمد إذا تزوج المولى العربية فرق

بينهما وقال في الرجل يشرب الشراب ما هو بكفء لها يفرق بينهما وقال : لو كان المتزوج حائكا فرقت بينهما لقول عمر رضي الله تعالى عنه : لأمنعن فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء ولقول سلمان رضي الله عنه (ثنآن فضلمونا بها يا معشر العرب , لا ننكح نساءكم ولا نؤمكم في الصلاة) ولأن الزوج مع فقد الكفاءة تصرف في حق من يحدث من الأولياء بغير إذنه فلم يصح كما لو زوجها بغير إذنها . وذهب الكرخي والجصاص وهو قول سفيان الثوري والحسن البصري إلى عدم اعتبار الكفاءة وقالوا : إنها ليست بشرط في النكاح أصلا واحتجوا : بما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا بني بياضة أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه قال : وكان حجاما) أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتزويج عند عدم الكفاءة ولو كانت معتبرة لما أمر . ويقوله صلى الله عليه وسلم (لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى) . وبأن الكفاءة لو كانت معتبرة في الشرع لكان أولى الأبواب بالاعتبار بها باب الدماء لأنه يحتاط فيه ما لا يحتاط في سائر الأبواب ومع هذا لم تعتبر حتى يقتل الشريف بالوضع فها هنا أولى والدليل عليه أنها لم تعتبر في جانب المرأة فكذا في جانب الزوج . وقال الشافعية إن الكفاءة وإن كانت لا تعتبر لصحة النكاح غالبا بل لكونها حقا للولي والمرأة إلا أنها قد تعتبر للصحة كما في التزويج بالإجبار انتهى

(قلت) وقال الشيخ الانصاري في كتابه أسنى المطالب قول المصنف (ولا عبرة بالانتساب إلى عظماء الدنيا والظلمة) أي المستولين على الرقاب وإن تفاخر الناس بهم (قال في الأصل وكلام النقلة لا يساعده عليه في عظماء الدنيا كما صرح به الرافعي قال في المهمات وكيف لا يعتبر الانتساب إليهم وأقل مراتب الإمرة أي ونحوها أن تكون كالحرفة وذو الحرفة الدينية لا يكافئ النفيسة . قال أحدهم :

فأنكحها، لا في كفاء ولا غنى
زياد، أضل الله سعي زياد

الشرف

الشَّرْفُ والمَجْدُ لا يكونان إلا بالآباء . يقال : رجل شريفٌ ورجل ماجدٌ إذا كان له آباءٌ متقدمون في الشرف . قالوا : والحسبُ والكرمُ يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرفٌ . وفي حديث الشعبي : قيل للأعمش : لم لم تستكثر من الشعبي ؟ قال : كان يحقرني كنت آتية مع إبراهيم فيرحبُ به ويقول لي : اقعدُ ثم أيها العبدُ ثم يقول : لا نرفعُ العبدَ فوق سنته ، ما دام فينا وبارضنا شرفُ أي شريف . يقال : هو شرفُ قومه وكرمهم أي شريفهم وكرمهم ، واستعمل أبو إسحق الشرفَ في القرآن فقال : أشرفُ آية في القرآن آية الكرسي . والمشروفُ : المفضول . وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال (ما ذئبان عاديان أصابا فرقة غنم بافسدَ فيها من حُبِّ المرء المال والشرفَ لدينه) يريد أنه يتشرفُ للمباراة والمفاخرة والمساماة .

أقول والأشراف في موضوعنا هذا هم آل البيت الذين سيأتي الكلام عليهم بالتفصيل . واعظم آل البيت السلالة المباركة بنوالبتول الطاهرة فاطمة الزهراء والامام المرتضى سيدنا علي رضي الله عنهما وأرضاهما . روي عن سيدنا علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة (إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك) وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم) وفي الصحيحين عن المسور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول (فاطمة بضعة مني يؤذيها ما آذاهما ويربيني ما رابها) وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة بسند جيد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بنى علي بفاطمة (لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا بماء فتوضاً منه ثم أفرغه عليهما وقال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما (أقول) وسميت فاطمة بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينها وحسباً . وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى . كما سميت مريم البتول لانقطاعها عن الرجال وشهوات النفس الغريزية . قال الامام محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله .

يا آل رسول الله حبكمو فرض من الله في القرآن انزله

يكفيكم من عظيم الفخرانكمو من لم يصل عليكم لا صلاة له

الحسب

الحسب¹⁸ في الأصل الشرف بالآباء مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا عدوا آباءهم وقومهم عدوهم ويحكم لمن زاد عدده على غيره . وقيل الحسب : هو الفعال الصالحة . قال ابن السكيت : والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لآبائه شرف , والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء , ولهذا قيل الحسب : هو المال فجعل المال بمنزلة شرف النفس أو الآباء . وقال الأزهري : الحسب الشرف الثابت للشخص . وفرق بعضهم بين الحسب والنسب فجعل النسب عدد الآباء والأمهات إلى حيث انتهى والحسب الأخلاق الحسنة مثل الشجاعة والجود وحسن الخلق والوفاء وغالب استعمال الفقهاء بالمعنى الأول وهو الآباء والأجداد أي شرف النسب . قال عبد الله بن مخارق

عليك بكل ذي حسب ودين
فإنهم هم أهل الوفاء
وإن خيّرْتَ بينهم فالصق
بأهل العقل منه والحياء

القومية العربية

في العصر الحديث¹⁹ ظهر اتجاه سياسي اطلق عليه القومية العربية وهي كما جاء في الموسوعة : حركة سياسية فكرية تدعو إلى تمجيد العرب واقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين . وظهرت هذه الحركة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين متمثلة في حركة سرية تُولف من أجلها الجمعيات والحلایا في عاصمة الخلافة العثمانية ثم في حركة علنية تتخذ مظاهر جمعيات أدبية تتخذ من دمشق وبيروت مقراً لها ثم في حركة سياسية واضحة المعالم شرحت في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس سنة (1912 م) (قالت) ومن أهم الجمعيات : الجمعية السورية التي أسسها نصارى منهم بطرس البستاني وناصر اليازجي سنة (1847م) في دمشق . والجمعية السورية في بيروت التي أسسها نصارى منهم سليم البستاني ومنيف خوري

¹⁸ راجع موسوعة المفاهيم المصرية والموسوعة الفقهية الكويتية
¹⁹ هذا البحث وما يليه يراجع في كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لحمد قطب وغيره من ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

سنة (1868م) والجمعية العربية السورية التي ظهرت في (1875 م) وجمعية رابطة الوطن العربي التي أسسها نجيب عازوري سنة (1904م) بباريس وألف كتاب « يقظة العرب» والجمعية القمطانية التي ظهرت سنة (1909م) وهي جمعية سرية من مؤسسيها خليل حمادة المصري والجمعية العربية الفتاة التي أسسها في باريس طلاب عرب سنة (1911 م) وحزب العهد وهو سري أنشأه ضباط عرب بالجيش العثماني سنة (1912 م) وظلت الدعوة إلى القومية العربية محصورة في نطاق الأقليات الدينية غير المسلمة وفي عدد محصور من أبناء المسلمين ولم تصبح تياراً شعبياً إلا حين تبناها الرئيس المصري جمال عبد الناصر (قالت) ويُعد ساطع الحصري (1968م) رائد القومية العربية وأشهر دعاةها ويأتي بعده ميشيل عفلق. (قالت) والأفكار فيها هي : (1) إعلاء رابطة العرق على حساب رابطة الدين (2) دعوى أن الأمة العربية أمة واحدة (3) الدعوة إلى الفكر العلماني (4) تبني شعار الدين لله والوطن للجميع (5) يقول عدد من دعاة هذه الفكرة نحن عرب قيل عيسى وموسى ومحمد (6) يقولون إن الوحدة العربية حقيقة أما الوحدة الإسلامية فهي حلم (قالت) وغاب عنهم أن الوحدة الإسلامية تحققت مرات عدة في التاريخ (قالت) ويوجد اليوم كثير من الشباب العربي الذين يحملون هذا الفكر وبناء عليه نشأت عدة أحزاب قومية في شتى الأقطار (قالت) ويلاحظ بأن الفكر القومي الآن هو في حالة تراجع وانحسار.

الشعبوية

هنا²⁰ لابد من ذكر بحث هام خاص بالشعبوية لئلا ينتقدي من لا عناية لهم ولا اهتمام بعناصر الشرف وعليه فأقول الشعبوية لغة كما قال الأستاذ احمد شلبي هي كلمة منسوبة للشعوب فهي بذلك لا تفرق بين شعب وآخر من حيث الرفعة أو الضعة وإنما تدعو للمساواة وهي بهذا المعنى متفقة مع الفكر الإسلامي الذي يرى أنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى فالمفاضلة تكون بين الأفراد حسب أعمالهم وليست بين

²⁰ هذا البحث وما يليه يراجع في كتب المعاصرين كعالم في الطرق لحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

الجماعات والشعوب وجرى الحال على ذلك في صدر الإسلام فبلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي كانوا من خيرة الصحابة وعندما غضب أبو ذر الغفاري على عبد له وقال له يا ابن السوداء صاح به الرسول صلى الله عليه وسلم (إنك أمرؤ فيك جاهلية ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بعمل صالح) وبدأ الإسلام يتسع على يد العرب ويضم أقواما لهم في التاريخ مكان مجيد وجاء العصر الأموي الذي كان يعتمد على سيوف العرب في فتوحاته وتوسعه وظهرت روح جديدة لا يقرها الإسلام وهى الفرق بين العرب والموالى وفى أيسر تعريف للموالى أنهم المسلمون من غير العرب وأحس العرب بتفوق جنسهم الذي كان منه الخلفاء والأمراء والكتاب والشعراء والفقهاء واقتخر العرب بجنسهم ولم يساواوا بين العرب والموالى وبخاصة من الفرس. ومن هنا بدأ للشعبوية معنى جديد في التاريخ يرمى إلى التعصب لغير العرب واعتبارهم بتاريخهم العظيم أسمى من العرب وقاد يهود فارس هذا الاتجاه وساعد على ذلك أن الدولة العباسية قامت بسيوف فارسية وأن مفكري الفرس اهتموا بالتفوق في مجالات الأدب والشعر والتفسير والفكر وذلك ضمن لهم التفوق في المجال السياسي والفكري فأصبح الخلفاء يعترفون بفضلهم وأصبح منهم العديد من الوزراء والأدباء والسفراء والمفسرين والمؤرخين وبدءوا بجازهم وماضيهم يعدون أنفسهم أسمى من العرب ، وهذا هو المعنى الذي آل إليه معنى الشعبوية فأصبح للشعبوية معنى مزدوج هو الخط من الجنس العربي والنيل من الدين الإسلامي ووسيلتها لذلك التعصب لرفع شأن غير العرب وبخاصة الفرس والتفاخر بأجادهم ورقى حضارتهم وما يتبع ذلك من تصغير شأن العرب والهجوم عليهم ووصفهم بأحق الأوصاف. ويصور الجاحظ حركة الشعبوية وأهدافها بقوله : إن عامة من ارتاب في الإسلام كانت الشعبوية أساس ارتيابهم فلا تزال الشعبوية تنتقل بأهلها من وضع إلى وضع حتى ينسلخوا من الإسلام لأنه نزل على نبي عربي وكان العرب حمله أوائله عندما نزل. ويلاحظ أن الفرس حاولوا أن يشركوا الأجناس غير العربية في حركتهم الشعبوية فاستعانوا بأجناس وحضارات مختلفة ضد العرب وتنفيذا لذلك راحوا يجدون حضارة الفراعنة وحضارة الفينيقيين والهند ، ولكن ذلك لم يخدع هذه الشعوب ، فإن هؤلاء رجوا

عقائديا وثقافيا وسياسيا بالإسلام فرفضوا أن ينضموا للفكر الشعبي وتمسكوا بالفكر الإسلامي الذي يسوى بين البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم والذي يدعو إلى التعاون بين الشعوب الإسلامية لخدمة الجميع. وبقي الفرس وحدهم في هذا المضمار، وقد وضعوا بعض الأحاديث التي نسبوها للرسول صلوات الله وسلامه عليه والتي تعلق من قدرهم. واشترك بعض الشعراء الفرس في هذا المجال فنظموا القصائد التي يهاجمون فيها العرب ومن ذلك ما قاله أحدهم :

همو راضة الدنيا وسادة أهلها إذا افتخروا لإرضاء الشاه والإبل

وقال آخر:

ولست تبارك إبان كسرى لتوضح أو لحومل فالدخول

ووجد اليهود الفرس فرصتهم في هذا المجال ليهاجموا الإسلام ورسول الإسلام فقالوا منا العديد من الأنبياء والمرسلين وليس هناك أنبياء من العرب سوى ثلاثة هم هود وصالح ومحمد، ونسوا أن كثرة الأنبياء فيهم كانت لكثرة زيفهم وضلالهم فأرسل الله لهم العديد من الأنبياء لإصلاح شأنهم ولكن بدون جدوى، وطعن اليهود والفرس في إسماعيل الجد الأعلى للرسول صلوات الله وسلامه عليه فقالوا إنه ابن جارية وهي (هاجر)، أما إسحاق جدهم فإنه ابن حرة وهي (سارة). وهكذا اختلق اليهود والفرس هذه النفرة للتفريق بين المسلمين، مع أن الإسلام لا ينظر إلى أصول الناس أو ثرائهم أو ألوانهم وإنما ينظر إلى تقواهم وأعمالهم قال تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) والآية تذكر الناس بوحدة المنشأ وتقرر أن تقسيم الناس إلى قبائل وضع طبيعي ناتج عن تعدد الأولاد والأحفاد ولكن يهدف للتعرف لا للتفرقة كما تؤكد الآية أن التفاضل لا يتخذ أساسه أصول الناس بألوانهم وأجناسهم بل ينظر إلى عمق الإيمان وما يقدمه الناس من العمل الصالح.

الماسونية

لما للماسونية²¹ من خطورة على العرق العربي ودين الإسلام أذكر هنا معالمها لتتوقى وعليه فقد جاء في الموسوعة العربية قولها إن الماسونية معناها في اللغة الفرنسية: البناءون الأحرار، وهي في الاصطلاح: منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد أكثر أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم يوثقهم عهد بحفظ الأسرار ويقومون بما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام مؤسسها هو (هيرودس أكرابا) توفي سنة 44 ميلادي، ملك الرومان بمساعدة مستشارية اليهوديين (سيرام أبيود) نائب الرئيس (موآب لامي) كاتم سر الأول، وقد قامت الماسونية منذ أيامها الأولى على المكر والتمويه والإرهاب حيث اختاروا رموزاً وأسماء وإشارات للإيهام والتخويف وسموا محفلهم (هيكل أورشليم) للإيهام بأنه هيكل سليمان عليه السلام، أما تاريخ ظهورها فقد اختلف فيه لتكتمها الشديد والراجح أنها ظهرت سنة (43 م) وسميت (القوة الخفية) وهدفها التكيل بالنصارى واغتيالهم وتشريدهم ومنع دينهم من الانتشار، ومنذ بضعة قرون تسمت بالماسونية لتتخذ من نقابة البناءين الأحرار لاقئة تعمل من خلالها ثم التصق بهم الاسم دون حقيقته، تلك هي المرحلة الأولى أما المرحلة الثانية للماسونية فتبدأ سنة (1770م) عن طريق (آدم وايزهاويت) المسيحي الألماني المتوفي سنة (1830 م) الذي ألد واستقطبته الماسونية بهدف السيطرة على العالم وانتهى المشروع سنة (1776 م) ووضع أول محفل في هذه الفترة (المحفل النوراني) نسبة إلى الشيطان الذي يقدسونه واستطاعوا خداع ألفين من كبار الساسة والمفكرين وأسسوا بهم المحفل الرئيسي المسمى بمحفل الشرق الأوسط، وفيه تم إخضاع هؤلاء الساسة لخدمة الماسونية وأعلنوا شعارات براقة تخفي حقيقتهم فخدعوا كثيراً من المسلمين، أما عقيدتهم فهم يكفرون بالله ورسله وكتبه وبكل الغيبات ويعتبرون ذلك خزعبلات وخرافات ويعملون على تقويض الأديان إلا اليهودية ويعملون على إسقاط الحكومات وتقسيم غير اليهود وبث النزاع

²¹ هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره من ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

والشفاق بينهم بكافة الوسائل وتسليح هذه الأطراف وتدير حوادث لتشابكها، وتهديم المبادئ الأخلاقية والفكرية والدينية ونشر الفوضى والانحلال والإرهاب والإلحاد والريزلة والماسونية وراء عدد من الولايات التي أصابت الأمم ووراء جل الثورات التي وقعت في العالم فكانوا وراء إلغاء الخلافة الإسلامية (العثمانية) وعزل السلطان عبد الحميد كما كانوا وراء الثورة الفرنسية والبلشفية والبريطانية وهم يعملون على السيطرة على أجهزة الدعاية والصحافة والنشر والإعلام وتوجيه الرأي العام كما يريدون ويجهدون للهيمنة على المنظمات الدولية. وأما الانتساب لها فهي تشترط على من يلتحق بها التخلي عن كل رابطة دينية أو وطنية أو عرقية أو أخلاقية ويجعل ولاءه خالصا للماسونية ويحيطون بالشخص الذي يقع في حبالهم بالشباك من كل جانب لإحكام السيطرة عليه وتسييره كما يريدون لتنفيذ مخططاتهم وإذا تامل الشخص أو عارض في شيء تدبر له فضيحة كبرى وقد يكون مصيره الموت وكل شخص استفادوا منه ولم تعد لهم به حاجة يعملون على التخلص منه بأية وسيلة وهم يسعون للسيطرة على الشخصيات البارزة في مختلف الاختصاصات لتكون أعمالهم متكاملة ويتم قبول العضو الجديد في جو مرعب حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين وما أن يؤدي يمين حفظ السر ويفتح عينيه حتى يفاجا بسيف مسلولة حول عنقه وبين يديه كتاب العهد القديم وحوله جو مظلم مخيف. وكل ذلك لبث المهابة في نفس العضو الجديد، ولهم درجات ثلاث (1) العمي الصغار: والمقصود بهم المبتدؤون من الماسونيين (21) الماسونية الملوكية وهذه لا ينالها إلا من تنكر كليا لدينه ووطنه وأمه وتجرد لليهودية ومنها يقع الترشيح للدرجة الثالثة والثلاثين كشرشل وبلفور (3) الماسونية الكونية وهي قمة الطبقات وكل أفرادها يهود وهم آحاد فوق الأباطرة والملوك والرؤساء لأنهم يتحكمون فيهم وكل زعماء الصهيونية من الماسونية الكونية ك (هرتزل) وهم الذين يخططون للعالم لصالح اليهود وللماسونية عصابات إرهابية لتنفيذ العمليات الإجرامية للتخلص من كل من يقف في طريقهم عن قصد أو عن غير قصد وأخيرا يقول الحاخام (لأكوينز): الماسونية اليهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وفي إيضاحاتها هي اليهودية من البداية إلى النهاية.

الاستشراق

الاستشراق هو تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي ، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته . ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة معبرا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما . ومن الصعب تحديد بداية للاستشراق إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس ، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين ، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين . الأول : حياة محمد . والثاني : حوار بين مسيحي ومسلم وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت باعثة ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية . وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام (1312م) وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ولم يظهر مفهوم الاستشراق في أوروبا إلا مع نهاية القرن الثامن عشر فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام (1779م) وفي فرنسا عام (1799م) كما ادرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م . ومن رجالات الاستشراق الكبار (1) (هربردي أورلياك) (938-1003م) من الرهبانية البندكتية قصد الأندلس وقرأ على أساتذتها ثم انتخب بعد عودته حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني سنوات (999-1003م) فكان بذلك أول بابا فرنسي . (2) (جيرار دي كريمونا 1114-1187م) إيطالي قصد طليطلة وترجم ما لا يقل عن 87 مصنفا في الفلسفة والطب والفلك وضرب الرمل . (3) (طرس المكرم 1094-1156م) الفرنسي من الرهبانية البندكتية ورئيس دير كلوني قام بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة موضوعية عن الإسلام وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية . (4) (الإنجليزي روبرت أوف كيتون يوحنا الإشبيلي

اليهودي المنتصر الذي ظهر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم فنقل إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البخلي وقد كان ذلك بمعاونة (إدler أوف باث روجر بيكون الإنجليزي الذي تلقى علومه في أكسفورد وباريس حيث نال الدكتوراه في اللاهوت وقد ترجم عن العربية كتاب مرآة الكيمياء. (5) (رايموند لول) (1235-1314م) الذي قضى تسع سنوات (1266-1275م) في تعلم العربية ودراسة القرآن وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية لتخريج مستشرقين قادرين على محاربة الإسلام ووافق البابا وفي مؤتمر فيينا سنة (1312م) تم إنشاء كراس للغة العربية في خمس جامعات أوربية هي: باريس و أكسفورد وويولونيا بإيطاليا وسلمنكا بأسبانيا بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما (قال) وقام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة ووظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية وقد اهتم عدد من المستشرقين اهتماما حقيقيا بالحضارة الإسلامية وحاول أن يتعامل معها بموضوعية وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتبه ورسوله صلى الله عليه وسلم لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافتهم وعقائدهم فصدر منهم ما لا يقبله المسلم وهذا يعني أن أي تصنيف للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء فقد يصدر ممن عرف عن الاعتدال قولاً أو رأياً مرفوضاً وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافاً جميلاً للإسلام ولهذا لا بد من التريث والتحقق

(قال) وهناك مستشرقون منصفون على العموم منهم (1) (هادريان ريلاند المتوفي سنة 1718م) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا له كتاب الديانة المحمدية في جزأين باللغة اللاتينية لكن الكنيسة في أوروبا وضعت كتابه في قائمة الكتب المحرم تداولها. (2) (يوهان ج رايسكه 1716-1774م) وهو مستشرق ألماني جدير بالذكر اتهم بالزندقة لموقفه الإيجابي من الإسلام عاش بأثنا ومات مسلولاً وإليه يرجع الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية بألمانيا. (3) (سلفستردى ساسي المتوفي سنة 1838م

(وقد اهتم بالأدب والنحو مبتعدا عن الخوض في الدراسات الإسلامية وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزا للدراسات العربية وكان ممن اتصل به رفاة الطهطاوي (4) (توماس أرنولد 1864-1930م) الإنجليزي وكانت له الدعوة إلى الإسلام الذي نقل إلى التركية والأردية والعربية . (5) (غوستاف لوبون) المستشرق والفيلسوف المادي الذي لا يؤمن بالأديان مطلقا وجاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربيين إلى إهماله وعدم تقديره . (6) (زيجريد هونكه) وقد اتسمت كتابتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب في مؤلفها الشهير شمس العرب تسطع على الغرب .

(قلت ومن المنصفين أيضا) (جاك بيرك) و (أنا ماري شمل) و (كارلايل) و (ورينيه جينو) و (الدور جرينيه) و (جوته الألماني) و (أ.ج. أربي) ومن كتب هذا الأخير الإسلام اليوم وقد صدر سنة 1943م وله التصوف صدر (1950م) وترجمة معاني القرآن الكريم

(قال) ومن المستشرقين المتعصبين (جولد زيهر 1850-1920م) المجري اليهودي ومن كتبه تاريخ مذاهب التفسير الإسلامي والعقيدة والشريعة، ولقد أصبح زعيم الإسلاميات في أوروبا بلا منازع . و (جون ماينارد الأمريكي المتعصب كان من محرري مجلة الدراسات الإسلامية . و (ص.م. زويمر المستشرق المبشر، مؤسس مجلة العالم الإسلامي الأمريكية له كتاب الإسلام تحدي للعقيدة وقد صدر سنة 1908م وله كتاب الإسلام وهو عبارة عن مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني سنة (1911م) في لكهنؤ بالهند . و (غ. فون. غرونباوم الألماني اليهودي درس في جامعات أمريكا له كتاب الأعياد المحمدية طبع سنة (1915م) ودراسات في تاريخ الثقافة الإسلامية صدر سنة (1954م) . و (أ.ج. فينسينك كان عدوا للإسلام، له كتاب عقيدة الإسلام طبع سنة (1932م) وهو ناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي في لغته الأولى . و (كينيث كراج) الأمريكي المتعصب، له كتاب دعوة المذنة طبع سنة (1956م) و (لوي

ماسينيون) الفرنسي المبشر المستشاراً في وزارة المستعمرات الفرنسية لشؤون شمال أفريقيا له كتاب الحلاج الصوفي شهيد الإسلام طبع سنة (1922م) و (د. ب. ماك دونالد) الأمريكي المتعصب المبشر ، له كتاب تطور علم الكلام والفقهاء والنظرية الدستورية وله الموقف الديني والحياة في الإسلام . و (مايلز جرين) سكرتير تحرير مجلة الشرق الأوسط . و (د. س. مرجليوث 1885 - 1940م) الإنجليزي المتعصب من مدرسته طه حسين وأحمد أمين وله كتاب التطورات المبكرة في الإسلام صدر سنة (1913م) وله محمد ومطلع الإسلام صدر سنة (1905م) وله الجامعة الإسلامية صدر سنة (1912م) . و (بارون كارادي فو) الفرنسي المتعصب كان من كبار محرري دائرة المعارف الإسلامية . و (هـ. أ. ر. جب 1895 - 1965م) الإنجليزي من كتبه المذهب المحمدي صدر سنة (1947م) والاتجاهات الحديثة في الإسلام صدر سنة (1947م) . و (ر. أ. نيكولسون الإنجليزي كان ينكر أن يكون الإسلام ديناً روحياً وينعته بالمادية وعدم السمو الإنساني ، وله كتاب متصوفوا الإسلام صدر سنة (1910م) وله التاريخ الأدبي للعرب صدر سنة (1930م) . و (هنري لامنس) اليسوعي (1872 - 1937) الفرنسي المتعصب له كتاب الإسلام وله كتاب الطائف كان من محرري دائرة المعارف الإسلامية . و (دوزيف شاخت الألماني المتعصب ضد الإسلام له كتاب أصول الفقه الإسلامي و (بلاشير) الذي كان يعمل في وزارة الخارجية الفرنسية كخبير في شؤون العرب والمسلمين . و (ألفرد جيمس الإنجليزي المتعصب ضد الإسلام من كتبه الإسلام والأفكار والمعتقدات .

(قال) وأهداف الاستشراق كثيرة منها (أولاً) (الهدف الديني) كان هذا الهدف وراء نشأة الاستشراق وقد صاحبه خلال مراحل الطويلة وهو يتمثل في (1) التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، والهدف الخبيث من وراء ذلك هو محاربة السنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام وحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته . (2) التشكيك في صحة القرآن

والظن فيه حتى ينصرف المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم وتأي بهم اللهجات القومية عن الوحي باعتباره المصدر الأساسي . (3) التقليل من قيمة الفقه الإسلامي واعتباره مستمدا من الفقه الروماني . (4) النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مساهمة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى . (5) إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر . (6) العمل على تنصير المسلمين (7) الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعة في سبيل تدعيم آرائهم وبناء نظرياتهم (8) حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية

(ثانيا) (الهدف التجاري) ولقد كانت المؤسسات والشركات الكبرى والملوك كذلك يدفعون المال الوفير للباحثين من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة تقارير عنها وقد كان ذلك جليا في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاسع والعشرين .

(ثالثا) (الهدف السياسي) وكان يهدف إلى (1) إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم . (2) العناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة . (3) توجيه موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها . (4) الالتحاق بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي

(رابعا) (الهدف العلمي الخالص) وقد اتجه فيه بعضهم إلى البحث والتحصيل لمعرفة الحقيقة خالصة وقد وصل بعض هؤلاء إلى الإسلام ودخل فيه ونذكر منهم (1) (توماس أرنولد) الذي أنصف المسلمين في كتابه الدعوة إلى الإسلام . (2) إيتين دينيه (قلت) وهذا الأخيرة قد أسلم وعاش في الجزائر وأسمى نفسه ناصر الدين ولما توفي بفرنسا أوصى بدفنه في (بوسعادة) من أرض المسيلة وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام . ومحمد رسول الله

وترجم هذا الأخير الشيخ عبد الحلیم محمود وقد قرأت هذا الكتاب على يد شيخنا عبد القادر الشطي في الجلفة في أوائل السبعينات .

(قالت الموسوعة) وأهم المؤلفات الإستشراقية هي (1) تاريخ الأدب العربي لـ كارل بروكلمان المتوفي سنة 1956م) (2) دائرة المعارف الإسلامية وقد ظهرت الطبعة الأولى منها بالإنجليزية والفرنسية والألمانية وقد صدرت في الفترة (1913-1938م) غير أن الطبعة الجديدة قد ظهرت بالإنجليزية والفرنسية فقط من عام (1945م وحتى عام 1977م) (قلت) وقد أطلعت على تعليقات الشيخ عبد العزيز العلايلي على ترجمتها العربية في مكتبة ابن رستم بالجلفة . (3) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف والذي يشمل الكتب الستة المشهورة بالإضافة إلى مسند الدارمي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وقد وضع في سبعة مجلدات نشرت ابتداء من عام (1936م) (قلت) وقد بلغ ما ألفه المستشرقون عن الشرق في قرن ونصف قرن (منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين) ستين ألف كتاب وراجع الباقي في المطولات .

العولمة

أثناء كتابتي هذا السّفر درجتُ على مسامعي كلمة العولمة = التي لها ضجة كبيرة في عالمنا المعاصر ومن ثم لا بد من نقل تعريف لها ليبتين القارئ مدى مغزاها (قال) الاستاذ محمد قطب في معرض حديثه عن ذلك : إن العولمة ليست وجهها واحدا كما قد تبدو لأول وهلة و إنما هي أخطبوطية تشمل الاقتصاد والسياسة والفكر والدين والأخلاق والثقافة والتقاليد والعادات . وحتى لو فرضنا جدلا وهو غير صحيح أن الهدف الأساسي هو السيطرة الاقتصادية ، فإن هذه لا تتم بغير معاوناتها الأخرى فالقوم (كل قوم وخاصة العرب) الذين لهم دين يعتزون به ، وأخلاق يعتزون بها ، وثقافة متميزة ومقومات ذاتية يحرصون عليها لا ينصاعون بسهولة للسيطرة الاقتصادية ولو حاصرتهم من كل جانب ، إنما اعتزازهم بقيمهم الخاصة سيجعلهم يقاومون وسيجعلهم ولو على المدى البعيد يسعون إلى التحرر من العبودية

22 هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كعالم في الطريق لمحمد قطب وغيره من ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

المراد فرضها عليهم وعندئذ يفشل التخطيط ، ويفشل الأخطبوط فلا بد إذن من أجل السيطرة الاقتصادية ذاتها من محور شخصية الأمم وتذويب مقوماتها النفسية والفكرية والعقدية ، ليسلس قيادها للمسيطر الأجنبي (قال) ومسئولية الأمة الإسلامية هنا كبيرة فقد أخرج الله هذه الأمة - أمة التوحيد لتحقيق أهدافا معينة : لتكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله : (كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وتكون رائدة ومرشدة وشاهدة على كل البشرية : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) . ولتحمل رسالة النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام إلى البشرية كافة على مدى الزمن كله من بعثته عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وتخرج الناس من الظلمات إلى النور على هدى الكتاب المنزل من عند الله : (الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) وكهل الله لهذه الأمة - حين تقوم برسالتها : الاستخلاف والتمكين والتأمين : (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) وتحقق ذلك كله في واقع الأرض عدة قرون ، كانت فيها الأمة الإسلامية خير أمة على وجه الأرض في كل اتجاه : عقديا ، وأخلاقيا ، وفكريا ، وعلميا ، وسياسيا ، وحربيا ، واقتصاديا ، وحضاريا . وفي كل مجال من مجالات الحياة ، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في ظلمات ما يطلقون عليه هم : قرونهم الوسطى المظلمة تحقق للأمة السيادة والمنعة والقوة وتحقق لها لأول مرة في التاريخ معنى " الأمة " التي تجمع شعوبا مختلفة ، وأجناسا مختلفة ، ولغات مختلفة يرتبطون كلهم برباط واحد هو " الإسلام ، وإن تباعدت المسافات بينهم ، وإن اختلفت علاقات الحكام بعضهم ببعض فرباط " الإسلام الذي يوحد قلوبهم ومشاعرهم أقوى في نفوسهم من كل ما يسبب الفرقة أو الخلاف . منه يتخذون عقيدتهم ومنه يستمدون أنماط حياتهم وأخلاقياتهم وسلوكياتهم وتوجهاتهم العامة ، وإن كان لكل

شعب خصوصياته ، ولكل فرد خصوصياته . وتحقق لها الرخاء الاقتصادي الناشئ من سعي المسلمين في فجاج الأرض ، ينشرون فيها النور ، ويكشفون مجاهيلها ، ويعمرونها ، تحقيقاً للتوجيه الرباني (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) و (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) وتحقق لها نشاط فكري وعقلي وعلمي غير مسبوق ، يزخر به إنتاج تلك القرون - قرون التمكين - في اتجاهات متباينة : في الفقه والأصول ، في التاريخ ، في الطب والفلك والرياضيات ، في الرحلات والكشوف الجغرافية ، وفي كل منحى من مناحي الحياة الموفرة الدفاعة ، التواقفة إلى المعرفة ، التواقفة إلى تحقيق الخلافة الراشدة في الأرض : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) وتحقق لها وجود حضاري واسع لا ينحصر في الإنتاج المادي والحضارة المادية ، من إنشاء مدن وعمارة مبان وتوفير طرق ، وفنون إدارة إنما يحقق المعنى الجوهرى للحضارة أي الارتقاء " بالإنسان " ليكون جديراً بالتكريم الرباني : الارتقاء به عقيدة ، وأخلاقاً ، وسلوكاً ، وفكراً ومعرفة ، ينبع منها النشاط المادي ، ولا تنحصر فيه .

كانت هذه الأمة أول أمة عرفت مجانية التعليم ، ومجانية العلاج ، وأوقفت على هذين الأمرين أوقافاً طائلة لا تعتمد على سخاء الدولة أو تقديرها ، أو عنايتها أو إهمالها ، بقدر ما تعتمد على دوافع الخير في النفوس ، ودوافع البذل والعطاء . وكانت أول أمة عرفت إنشاء بيوت لرعاية العجزة ، ودور لإيواء الحيوانات الضالة لرعايتها وإطعامها . وكانت أول أمة أو الأمة الوحيدة التي تفي بعهودها مع الآخرين وتلتزم بالمواثيق ، ولا تبرمها في وقت الحاجة لتمزقها في أول فرصة مواتية . وكانت أول أمة أو الأمة الوحيدة التي لا تضطهد المخالفين لها في العقيدة ، بل ترعاهم ، وتؤمنهم على عقائدهم وعباداتهم وكل نشاطاتهم الاقتصادية والحياتية ما داموا غير محاربين ولا مجاهرين بالعداء . باختصار كانت هي الأمة المتحضرة في الأرض .

العلمانية

هنا لابد من معرفة الفرق بين (العولمة والعلمانية²³) أما العولمة فقد سبق الكلام عليها وأما العلمانية فهي بمعنى فصل الدين عن الدولة والتشريع بغير ما أنزل الله ، وهي أمر عميق الجذور في التربة الأوروبية ، لم تعدله حتى فترة الدين الكنسي المحرف ، فقد كان من تحريفات ذلك الدين التي ارتكبتها الكنيسة ضمن ما ارتكبه من التحريفات فصل الدين عن الدولة ، أو فصل العقيدة عن الشريعة ، وتقديم الدين عقيدة بلا شريعة ، على أساس قول منسوب للسيد المسيح (أدّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أما العلمانية التي أبرزتها الجاهلية المعاصرة وأكدها فهي إقصاء كل أثر للتعاليم الدينية في التشريع ، وإقامة التشريع على مبعده من الدين إن لم يكن على عداء صريح مع الدين ويبدو ذلك واضحا في تحليل الربا وإباحة الفاحشة وعدم اعتبارها جريمة ما دامت برضى الطرفين ، بل التوسع في ذلك حديثا إلى حدّ إباحة الفاحشة الشاذة وزنا المحارم إلى غير ذلك من ألوان التحدي الصارخ لأوامر الله . ويبرز معنى الجاهلية " في هذه القضية من زاويتين اثنتين على الأقل (الأولى) هي التمرد على حق الله في التشريع المترتب على كونه هو الخالق سبحانه ، الذي خلق البشر ، وخلق لهم طعامهم وشرابهم وكساءهم والهواء الذي يتنفسونه ، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه وهم لا يملكون شيئا من ذلك كله بغير تمليك الله لهم إياه : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) أي أنه هو صاحب الأمر سبحانه بما أنه هو الخالق . والرزق ذاته هو من خلق الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِي تُؤْفَكُونَ) (الثانية) هي التمرد على حكمة الله الحكيم الخبير ، الذي خلق الإنسان ويعلم دخائله ، ويعلم ما يصلحه وما يصلح له ، ويحيط بالزمن كله ماضيه وحاضره ومستقبله ، ويعلم ما يمكن أن يؤدي إليه كل تشريع من التشريعات ، لا في الحاضر وحده ، ولكن في الزمن المقبل كله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بينما علم الإنسان قاصر وأشد علمه قصورا كما بين " الكسيس كاريل " في كتابه " الإنسان ذلك المجهول " هو علمه بنفسه

²³ هذا البحث وما يليه يراجع في الموسوعة العربية للحاسوب وفي كتب المعاصرين كمعالم في الطريق لحمد قطب وغيره ممن ذكرتهم في باب مصادر الكتاب

وكان من نتائج التشريع بغير ما أنزل الله في الجاهلية المعاصرة ، أن انقسم الناس كما يحدث في كل جاهليات التاريخ إلى سادة وعبيد : سادة يملكون ويشرعون ، وعبيد يقع على كاهلهم التشريع ، كما هو الحال في كل من المعسكرين المتنازعين : المعسكر الرأسمالي ، الذي يملك الرأسماليون ناصية الأمر فيه ويستعبدون الكادحين على الرغم من مسرحية الديمقراطية الجميلة . والمعسكر الشيوعي الذي يملك الحزب أو اللجنة المركزية العليا للحزب أو الأعضاء البارزون في اللجنة المركزية أو الزعيم الأوحده أو الاستخبارات ناصية الأمر فيه ويقع العبء فيه على الكادحين أو طبقة البروليتاريا التي زعمت الشيوعية أنها حطمت التظلم السائدة كلها من أجلهم . كما كان من نتائج خلط وخبط لا تنتهي آثاره عند حدّ وقامت في أوربا أول دولة علمانية لا تجعل الدين قاعدة لحياتها وكانت خطوة إلى الأمام في تنفيذ المخطط الشرير ما كانوا ليحلّموا بها باليسر الذي تمت به في حُمى الثورة والناس مندفعون في حماسة الانتقام لا يلوون على أحد ولا يقفون على شيء وأصبحت فرنسا من بعد نموذجاً يحتذى وكسبت اليهودية معركة من معاركها الحاسمة مع الدين .

الهوية

الهوية بضم الهاء اصطلاح معاصر وهي الحقيقة المطلقة في الأشياء والأحياء المشتملة على الحقائق والصفات الجوهرية وهو أت من كلمة (هو) يقال هوية النفس الإنسانية وبطاقة الهوية منسوبة إلى هو . ويقال : إثبات الهوية ، أثبت الهوية ، عين الهوية ، تعيين الهوية . بطاقة هوية . تذكرة هوية . الخ .

الفصل الثاني

في

بيان التفرقة العنصرية

التفرقة العنصرية

يسأل كثير عن معنى التفرقة العنصرية وما موقف الإسلام منها وقد أجاب الشيخ عطية صقر المصري رحمه الله عن ذلك بقوله : (إن) الإجابة على السؤال تناول عدة نقاط منها :

1 . مفهوم التفرقة العنصرية ويقصد بالتفرقة العنصرية فى العرف الحديث التمييز بين الأجناس فى القوانين والمعاملات ، على أساس الدم و(الخلق) المتعلقة بتكوين الجسم البشرى وما يتبع ذلك من الحياة الفكرية ومظاهر السلوك والاجتماع . لقد صَنَّف علماء العلوم الإنسانية الأجناسَ البشرية إلى جماعات تجمع بين كل منها خصائص ومميزات طبيعية متوارثة فى مجموعها مجال للاختلاف البسيط بين أفرادها ، ومن أبرز هذه الخصائص لون البشرة وشكل الجمجمة وملامح الوجه وطول القامة ، وقالوا : إن هذه الطبيعية يتبعها اختلاف فى المواهب العقلية والقوى النفسية وما إليها ورأى بعض هؤلاء أن تقسيم البشر إلى أجناس يرجع إلى الدم نفسه على خلاف فيما بينهم على مقدار نسبة ما يوجد من دم الآباء والأجداد فى الإنسان حتى ينسب إلى هذا الجنس ، وعلى أساس هذا التقسيم العنصري قرر الباحثون أن هناك امتياز للبعض على البعض الآخر ويحق للأجناس العالية أن تكون لها قوانين وأن تعامل معاملة خاصة ، بخلاف الأجناس الأخرى التي لا ينبغي أن تدخل معها فى هذه القوانين وتلك المعاملات . هذا هو مفهوم التفرقة العنصرية فى العرف الحديث ، والهدف منه ، وسيأتى بيان بطلان وزيف ما يهدفون إليه من أغراض .

2 . التفرقة فى النظم القديمة : إن فكرة التمييز بوجه عام بين بنى الإنسان فكرة قديمة ، ضرورة اختلاف الناس بعضهم عن بعض فى القوة الجسم العقلية والمظاهر المادية ، والتي كان من أثرها استعلاء بعضهم على بعض ، واستغلال القوى منهم للضعيف وسيطرة العالم على الجاهل ، والتي كان من أكبر مظاهرها الرق . (أ) ففى الهند مثلاً كانت كتبهم المقدسة تقرر التفاضل بين الناس بحسب عناصرهم التي خلقوا منها ففي زعمهم أنه " خلق فصيلة البرهمنين من فمه ، وهم أشرف المخلوقات ولهم أرقى المناصب الدينية ، وخلق فصيلة الكشتر من أذرعهم ، وهم الذين يتولون الوظائف الحربية وخلق فصيلة الفيشائين أو الفاشا من فخذه ، وهم الذين يقومون بالعمل ، وخلق فصيلة السود والمنبوذين من قدمه ، وهؤلاء لهم وظيفة واحدة هى خدمة الطبقات السابقة . (ب) وكان اليونان يعتقدون أنهم شعب مختار خلقوا من عناصر تختلف عن العناصر التي خلقت منها الشعوب الأخرى التي كانوا يطلقون

عليها اسم " البربر " وقد قرر أرسطو في كتابه " السياسة " أن الآلهة خلقت فصيلتين من الأناسي ، فصيلة زودتها بالعقل والإرادة وهى اليونان وقد فطرتها على هذا التكوين الكامل لتكون خليفتها في الأرض وسيدة على سائر الخلق ، وفصيلة لم تزودها إلا بقوة الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا به وهم البرابرة أي ما عدا اليونان من بنى آدم وقد فطروا على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاة . (قال) وكانوا يقرون الرق الذي يقول فيه أرسطو: إن الرقيق آلة ذو روح ، أو متاع تقوم به الحياة ، فهم لا يدخلونه في عداد المخلوقات الإنسانية (ج) وكان الرومان يعتقدون كما يعتقد اليونان أنهم سادة العالم وان غيرهم برابره خدم لهم وكانت قوانينهم تقرر الرق وتعامل الرقيق على أنه متاع مدعين أن استعباده رحمة به من القتل الذي تعرض له الحيوانات وإلى جانب الاسترقاق بالحروب كانوا يسترقون الفقير إذا عجز عن أداء الدين ، ولم تكن للرقيق حقوق قانونية ولا مدنية ولا يستطيع أن يقاضى سيده أو معاملته بل كان لسيدة الحق في قتله دون مجازاة ولم يخفف من حدة هذه المعاملة الدين المسيحي . (د) العرب فى الجاهلية كانوا يعيشون على التفاخر بالأحساب والأنساب ويعتقدون أنهم أفضل من غيرهم يطلقون عليهم اسم العجم ولعل ذلك كان أساسه اعتزاز العربي بلغته الفصيحة التي لا يوجد لها مثل فى العالم وكانوا بناء على ذلك يكرهون أن يتلوث دمه العربي النقي بدم غيرهم عن طريق الزواج ويأنفون أن يزوجوا بنات قبائلهم كـ (باهلة وسلول) إلى أعجمي حتى لو كان كسرى نفسه ، وقد خطب كسرى أبرويز بنت النعمان بن المنذر فأبى النعمان مصاهرته مع أنه كان أحد ولاته وكانت حرب طاحنة بين الفرس والعرب تكثرت فيها قبائلهم من حرقة بنت النعمان أن يأخذها كسرى وانتهت المعركة بانتصار العرب في موقعة (ذي قار) وكان العرب يستخدمون الرقيق في الأعمال المنزلية وفي التجارة بل كان يمارس معهم الحرب أحيانا وإذا أعجبوا به أعتقوه وجعلوه مولى لهم .

التفرقة عند اليهود والمسيحيين

(أولاً) لقد ادعى اليهود أنهم شعب الله المختار وأن الإله الذي يعبدونه لا ينبغي أن يكون معبوداً غيرهم ممن كانوا يطلقون عليهم أميين قال تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ فكان رد الله عليهم أنه لا يفضل أحد على أحد إلا بالعمل فقال تعالى ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ وكانوا يعتقدون أن غيرهم من الأميين ليست لهم حقوق كحقوقهم ، كما حكى بقوله ﴿ومنهم من إن تأمنه دينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ وكانوا يبجحون استرقاق من عداهم عند العجز عن الوفاء بالدين وما يزال شعور التعالي والتعصب العنصري موجوداً لديهم حتى الآن وكانت قمته هي الصهيونية بظواهرها وأساليبها المعروفة التي تتنافى مع الكرامة الإنسانية .

(ثانياً) المسيحية أقرت الرق كما أقرته اليهودية وقد جاء في المعجم الكبير للقرن التاسع عشر ((لاروس) الإنسان الأسود من بقاء الرق واستمراره بين المسيحيين إلى اليوم فإن نواب الدين الرسميين يقرون صحته ويسلمو فيه وجاء في (قاموس الكتاب المقدس) للدكتور جورج يوسف قوله وظل الرق معترفاً به بين المسيحيين وكثر كثرة فاحشة بعد اكتشاف أمريكا وجلب الرقيق من أفريقيا للعمل بالاتجار على أشده بين الدول الاستعمارية ، يمارسه ملوكها وكبار رجالها ، مع قسوة بالغة العنف برورها بالمقدسة ، وصدرت قوانين تنص على احتقار الجنس الأسود وإهدار كرامته ، وكان مفكر وهم ينادون بذلك كما جاء في (روح القوالين) حيث قال مؤلفه (مونتيسكيو) الفرنسي في الفصل الخامس منه : إن شعوب أوروبا بعد ما أبادوا شعوب أمريكا الأصليين وهم الهنود الحمر لم تبدأ من استعمار شعوب أفريقيا ، لكي تستخدمها في استغلال مصالحها فإن هذه الشعوب سود البشرة من أقدامهم إلى رؤوسهم ولا يمكن أن يتصور أحد أن الله وهو ذو الحكمة البالغة خلق روحاً وعلى الأخص روحاً طيبة في أجسام حالكة السواد وعلى الرغم من إبطاله قانوناً فإن الدول المسيحية ما زالت تمارسه بلون آخر هو الاستعمار والتفرقة العنصرية على ما سيأتي بيانه .

العلم و التفرقة العنصرية

إن تقسيم البشر إلى أجناس على أساس الدم أو التكوين الطبيعي للجسم قد قرر العلماء المنصفون أخيرا أنه تقسيم باطل فإن مظاهر التقدم والرقى الموجودة عند بعض الجماعات لا يرجع سببها إلى ذلك وإنما يرجع إلى عوامل من البيئة الطبيعية والظروف السياسية والأوضاع الاقتصادية والأجواء الثقافية وقرروا أنه لو وضع شخصان من جنسين مختلفين في بيئة حضارية وثقافية واجتماعية واحدة ما كان هناك فرق يذكر بينهما في الفكر والسلوك ، وكم تقدم أفراد من أناس ملونة على أفراد من البيض في الجامعات وفي النشاط الاجتماعي العام ، وذلك عندما تهيأت لهم الظروف. ومن هنا لا تكون وراثه الخصائص البيولوجية مانعة من التقدم والحضارة عندما تتوافر الظروف وإن كان هناك تحلف حضاري عند سلالة من السلالات فمرده إلى العوامل الطبيعية والاقتصادية والثقافية والسياسية وقد بحث العلماء بنوع خاص في عنصرية اليهود فأكدوا أن الموجودين منهم الآن ، وهم حوالي خمسة عشر مليون كلهم ليسوا من عنصر واحد بحكم اختلاطهم بالأجناس الأخرى طوعا أو كرها ، وقد تحدث الباحثة " بيتار " عن هذا وقال إن الإسرائيليين يكونون جماعات دينية واجتماعية قوية النفوذ وثيقة التضامن غير أنها متباينة العناصر . إن الإسرائيليين الخالص الذين هم من أصل آشوري المميز برأسه المستطيل وعددهم محدود جدا ، كما قرر ذلك أيضا (هاتزجو) في كتابه " أصول الأجناس فى التاريخ الأوروبى " وأكده أيضا (كوماس) أستاذ التاريخ الطبيعي للأجناس البشرية الوطنية بمكسيكو "

الاهتمام بالأبحاث العنصرية

إن الاهتمام بالبحث في الأجناس وخصائصها ومميزاتها لم يأخذ شكلا واضحا إلا في العصور المتأخرة حين غلبت الأمم القوية نزعة الاستعمار والاستغلال للأمم الضعيفة المتخلفة أرادت به الدعاية لجنس معين ولف طريقة التحكم في الأجناس الأخرى وكثيرا ما لجأت هذه الأفكار إلى الدين تستمد منه تأييدا لها كقول صهيون (نحن شعب الله المختار) ولقد ظهرت هذه النعمة بالذات في أوروبا في العصر الحديث فبعد أن كانت دولها لا تفرق بين مسيحي

وغير مسيحي ، وبعد أن كان يفاخر بعضها البعض بالآخر بالأخلاق والآثار أصبحت تتحدث عن الأجناس وخصائصها بين جنس وآخر تبعا لهذه الخصائص ، يقول المؤرخ (توينبى) ويرجع ظهور هذه النعمة في أوروبا إلى أسباب منها :

(أ) النزعة الاستعمارية التي تبرر نقاء الجنس الأبيض الأوروبي وزعامته لبقية الأجناس ، ووصايته عليها ، كما مرت موجة الاستعمار الأوربي للشعوب الأخرى .

(ب) النزعة القومية المعتدة بجنسها والداعية إلى وحدة شعوبها التي تنتمي إلى جنس واحد . وفي ظل هذه النزعة أيضا سمعنا تمسك الشعب الألماني بفكرة نقاء أصله وسلالته الآرية وبخاصة بعد قيام الاتحاد الألماني في أعقاب الحرب السبعينية بين بروسيا وفرنسا ، وجاءت نداءات منها : ألمانيا فوق الجميع ، وقول غليون الثاني : إنه منتدب من الله لنصرة الألمان على سائر شعوب أوروبا ، وكذلك رأينا في الشرق الجنس الأصفر الياباني يعتز بنفسه أيضا وينادى : آسيا للآسيويين ، ورأينا الإنجليز أيضا ينادون بفكرة سيادة الإنجلوسكسون وتعاليمهم على سكان أوروبا .

(ج) الانقلاب الصناعي والحاجة إلى الأيدي العاملة في المصانع و سوق الآلاف من العمال لخدمة رأسمالية الأجناس الأخرى والأمم المختلفة ، وإعطائهم أجورا قليلة دون اعتراف لهم بحقوق تحفظ كرامتهم .

(د) اكتشاف أمريكا والحاجة إلى استغلال خيراتها ، الأمر الذي خلق تجارة الرقيق وجلبهم من أفريقيا للعمل بمصانعها .

آثار النزعة العنصرية

لقد سخر المستعمرون والمستغلون علماءهم لتبرير نقاء الجنس الأبيض وإثبات خصائص للألوان و الأجناس وهي : البيض والسود والصفير والحمر وأعلاها جميعا الجنس الأبيض وقد علمت أن العلماء المنصفين أثبتوا الأجناس التي لم يعد لها وجود متميز الآن ، فقد تداخلت وتلاقت بعوامل مختلفة وانتقلت خصائص بعضها إلى البعض ولم يبق من الأجناس الصافية إلا قلة ضئيلة من الهنود الحمر وفي وسط أفريقيا وحوض الأمازون وبعض جزر

أرض النار في جنوبي قارتي العالم الجديد لقد قال المستعمرون : إن السود والهنود الحمر ليسوا من نسل آدم ، فروحهم مشتقة من أصل أقل من الإنسان وفي معمعة التطور الصناعي ومعاملة الطبقات العاملة نشأت نظرية داروين في تطور النوع وبقاء الأصلح وسادت نظرية مندل في الوراثة وظهرت مؤلفات كثيرة تبحث عن فكرة عدم المساواة بين الأجناس البشرية وعن سيادة الجنس الآري ، وتكونت مدرسة لها نظرياتها تزعمها الكونت جوبينو الفرنسي وكذلك "فاجنر" الموسيقي الألماني ومثله (ستيوارت شامبرلين) الإنجليزي وأيضا (لوتروب ستودارد) الأمريكي ، وهؤلاء قالوا : إن الجنس الأبيض هو وحده منشى الحضارة وهو الجنس الآري المنحدر من الشمال كما ظهرت نعمات : الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا مع هذا التزييف للحقائق العلمية والتحيز الظاهر في الأحكام على الأجناس البشرية الذي كان أثرا من آثارها وكانت هناك آثار واضحة تطبيقية لهذه النزعة ، من أهمها : (أ) استعمار البيض للونين وكسبهم مزايا سياسية واقتصادية انتعشت بها أوروبا وفكت بها أزمته ، وكثرت تبعا لذلك رءوس الأموال الأجنبية في البلاد المستعمرة ، واستنزفت ثرواتها ، كما كان من لوازم الاستعمار تخصيص محاكم ومصحات ونواد وغير ذلك للسادة المستعمرين لا يتمتع بها الملونون . (ب) احتقار البيض لغيرهم ، واستخدامهم المزري لهم ، كما كان يحدث في الهند ، فقد كان الإنجليزي يركب على ظهر الهندي ليستطيع أن يمتطى جواده ، وفي الصين كان يجبر على جر العربة بالسائحين كالدابة سواء بسواء ، وقد كتبت لافتات على بعض الحدائق العامة في شنغهاي مدينة الأجنبية عبارة (محظور على الوطنيين والكلاب دخول هذا المكان) (ج) العزل الاجتماعي والسياسي لأهل البلاد ، وعدم تمكينهم من ممارسة نشاطهم في هذه المجالات ، كما هو الحال في جنوبي أفريقيا وروديسيا (د) إبقاء الوطنيين على التأخر والجهل والانحطاط ، وذلك ليتمكن للأجنبي التسلط عليهم ، فإن من المقرر : تقدم الأهالى يخلق فرصة للمطالبة بالحرية والاستقلال ولا شك أن ذلك كله يهدد الأمن الداخلي للبلاد التي فيها العنصرية ، ويزعزع أركان السلام العالمي ويثير الفتن والحروب بين الدول .

أمثلة من مظاهر العنصرية الحديثة

على الرغم من إصدار القرارات ضد التفرقة العنصرية فى المؤتمرات الدولية المتعاقبة منذ مطلع القرن التاسع : اتفاق عصبة الأمم سنة 1926 م ، الذى وقعته ثمان وثلاثون دولة ، وعلى الرغم من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة فى العاشر من ديسمبر سنة 1948 م فإن التفرقة العنصرية ما زالت تمارس فى بعض الدول الحديثة مظاهرها ما يوجد فى أمريكا و جنوبى أفريقيا .

(أ) ففي أمريكا الآن (زمن المؤلف) حوالى عشرين مليوناً من الملونين ، يقطن أكثرهم فى الولايات الجنوبية ، وقد قامت حروب الشمال والجنوب من سنة 1860 إلى سنة 1865 م بزعامة (لنكولن) صاحب فكرة تحرير العبيد ، وقد قتل بيد عنصر اسمه (بوث) فى 14 من أبريل سنة 1865 م . كان الجنوب يصر على الإبقاء على التفرقة العنصرية لضمان استخدام مزارعه ، وكان الشمال يصر على تحريره ليتمكن من الهجرة إلى الشمال ويعمل فى مصانعه ، ومن هنا يعرف أن سبب هذه الحرب كان اقتصادياً استغلالياً وليس ثورة على الكرامة الإنسانية . وإذا كانت الحرب قد انتهت بتقرير المساواة فإن التفرقة ما زالت تمارس عملياً ومنصوصاً عليها فى قوانين دستور ولاية (ميسيسبى) فى الفصل الثامن الخاص بالتربية والتعليم (مادة 207) التى تقول : يراعى فى هذا الحقل أن يفصل بين أطفال الزنوج ، فتكون لكل فريق مدارس الخاصة . وفى الفصل الرابع عشر (أحكام عامة) منها مادة 263 التى تقول: إن زواج شخص أبيض من شخص زنجى يعد غير شرعى وباطلاً ، بل جاء فى قانون هذه الولاية : أن الذى يطالب بالمساواة الاجتماعية والتزاوج بين البيض والسود ، بالطبع أو النشر أو أية وسيلة ، يعتبر عمله جرماً يعاقب عليه القانون . وهذه التشريعات تطبق فى عدة ولايات أمريكية ، كما جاء فى تقرير قدم إلى الأمم المتحدة سنة 1947 م تحت عنوان (إلى العالم) على أن الكنيسة نفسها شاركت فى إقرار هذا الظلم ، فإن للزنوج كنائس خاصة ، ولا يصح لهم أن يعبدوا ربهم فى كنائس البيض مع أن الذى خلقهم جميعاً واحد وهو الله سبحانه . وقد جاء فى كتاب (مصرع الديمقراطية فى العالم الجديد) الذى نشرته دار العلم للملايين فى

بيروت كثير مما تدل على تمكن النزعة العنصرية من نفوس الأمريكيين وقد تأسست في الجنوب جمعية (كلوكوكس كلان) لإرهاب الملونين ، وانتشرت في جميع أنحاء الولايات المتحدة قائمة على أنقاض جمعية لإرهاب الكاثوليك ومنع هجرتهم. وما زالت حوادث التفرقة في أمريكا دليلا على أن هذا العالم الذي يدعى حماية الحريات يعيش على النفاق والخداع بعيدا عن مقررات الأمم المتحدة وعن قواعد الأخلاق والإنسانية.

(ب) وفي جنوبي أفريقيا تفرقة عنصرية صارخة ، فقد احتل الهولنديون المسمون (البوير) أي الفلاحين ، هنا وأسسوا مدينة رأس الرجاء الصالح سنة 1752 م ، ثم احتلها الإنجليز سنة 1806 م ، وطاردت البوير إلى ناتال والتزنسفال ، وكان البوير قد جلبوا عمالا من الملايو والهند للزراعة ، ولا يعترفون لهم بحقوق كحقوقهم على هذه البلاد . وقد تمكن رجالهم لاستعمارها حتى تكون اتحاد جنوبي أفريقيا سنة 1910 م بعد حروب طويلة . وكان من أهم الرجال (سيسل رودس) الذي حاول خلق حياة أفضل للبيض على حساب الأفريقيين . فكانت التفرقة العنصرية التي لم تحاول شيئا للحد منها . لقد كان في جنوبي أفريقيا حسب إحصاء سنة 1952 نحو : 14 مليونا ، منهم 10 أفريقيون ، 3 أوروبيون ، ومليون من الملونين ، ونصف مليون من الآسيويين . ومع ذلك يتحكم الأوروبيون في بقية السكان ، مطبقين للتفرقة العنصرية بأشد مظاهرها ، تلك المظاهر التي تبدو في : تقييد حرية التعاقد على العمل للملونين ، وعدم زيارتهم للمدن إلا لمدة اثنتين وسبعين ساعة ووجوب الحصول على إذن فيما زاد على ذلك ، وتحديد عدد المقيمين منهم في المدن ، ومنع دخول كنائس البيض ، وعدم علاجهم في المصحات إلا عند الضرورة القصوى ، ومنع عقد اجتماع ، وتحريم امتلاكهم لعقارات البيض ، ومنع التزاوج بين الأوروبيين وبينهم ، وتحديد عدد تلاميذ المدارس من الحقوق السياسية . وقد أثرت مشكلة هذه التفرقة في هيئة الأمم سنة 1947 م غير أن إنجلترا وأمريكا ضغطتا على الأعضاء فلم يفز القرار بالأغلبية المطلوبة ، وقامت عدة ثورات تطالب بمنع هذه التفرقة ولكنها لم تجد أذنا مصغية . وفي أول أبريل سنة 1960 اصدر مجلس الأمن قرارا بدعوة جنوبي أفريقيا لنبذ سياسة التفرقة العنصرية كما

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 11 من أكتوبر سنة 1961 قرارا بلومها ومع ذلك لم تستجب الحكومة لهذا كله وقد دعا إلى إصدار هذه القرارات توالى حوادث العنف وكان من أهمها حادث (شارب فيل) في 21 من مارس 1960 عندما احتج الأفريقيون على نظام تصريجات المرور فأطلق البوليس النار عليهم وقتل منهم عددا كبيرا .

الإسلام والتفرقة العنصرية

(قال) لقد تحدثت لك طويلا عن هذه المشكلة بمفهومها ومظاهرها آثارها وتاريخها، لتكون على بينة من الأمر حين تحكم نصوص دينك ، وتعرف بوضوح أن الإسلام دين حق جاء بأرقى التشريعات لأرقى الأمم ولأرقى العصور ، ومن المعروف أن صدق النتائج مرهون بصدق المقدمات ، وأن الحكم الصحيح يلزمه التصور الواضح للمحكوم عليه ، ولعلمي بأن الطالب المجتهد يملك رصيذا ضخما من النصوص الدينية بخصوص هذه المشكلة أحببت أن أعطيه بعض الرصيد من المعرفة العامة فلخصت له كثيرا من الأبحاث والكتب حول هذه القضية ، ولعل ما قدمته يكون فيه غناء له يوفر عليه جهدا كبيرا (قال) ولهذا سيكون حديثي عن موقف الإسلام من هذه القضية يميل إلى الاختصار والتركيز معتمدا على أن مراجع الب كثيرة ، والاطلاع عليها ميسر لكثير من المهتمين بهذا الموضوع ، وحديثي سيكون في نقطتين هامتين ، إحداهما قام عليها موقف الإسلام من رفضه للتفرقة العنصرية وثانيتهما إيراد بعض المظاهر التطبيقية لهذه النظرة الإسلامية إلى البشر على اختلاف مستوياتهم .

فلسفة الإسلام في رفضه للتفرقة العنصرية

(أولا) قرر الإسلام أن الناس جميعا مخلوقون من أصل واحد هو التراب ، قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ وقال ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ وجعل حياتنا كلها ونشاطنا في جميع المجالات مرتبطة بالأصل الذي خلقنا منه وهو الأرض ووثق صلتنا بكل ما يعيش عليها من حيوان ونبات فهي أمنا جميعا ونحن لها أبناء لم يخلق واحد منا من غير تربتها، ولم يعيش واحد منا على غير خيرها ، ولم يدفن واحد منا في غير بطنها . (ثانيا) قرر الإسلام أيضا أننا مولودون من أب

واحد هو آدم ، فنسبنا جميعا واحد ، ونحن اخوة في هذه الأسرة الإنسانية الواسعة ، وإذا كان لبعض أفرادها نوع امتياز بلون أو شكل أو نشاط فذلك لا يغض من قيمته في أنه يشكل ركنا أساسيا في تالف هذه المجموعة وتضامنها في عمارة الكون وتحقيق الخلافة في الأرض ، كما يعبر بعض الكاتبين عن ذلك بقوله : الإنسانية كلها حديقة كبيرة تختلف ألوان أزهارها وما يفوح منها من عطر دون أن يكون للون أو رائحة انفصال عن الآخر في إبراز بهجة هذه الحديقة ، قال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم " لِيَدْعَنَّ رَجَالَ فِخْرِهِمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فِخْمٌ مِنْ فِخْمٍ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجَعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا التَّنَّ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ) أخرجہ أحمد في مسنده (ثالثا) قرر الإسلام أن الناس جميعا مخلوقون لخالق واحد هو الله سبحانه ، فمبدؤهم منه خلقا ، ونهايتهم إليه بعثا وحسابا قال سبحانه ﴿ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ وقال ﴿ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ﴾ فهو وحده المحيي والرازق والمميت والمعيد للنشور ، وكلنا مدينون له بهذا كله وليس له شريك فيه ، سواء أقر بذلك المؤمنون أم جحد الملحدون ، ومن هنا لا يكون لأحد منا فضل على الآخر في هذه النواحي الجامعة لمسيرة الحياة من مبدئها إلى منتهاها وما يجري بينهما . (رابعا) جعل الإسلام الناس موزعين إلى مجموعات نسبية على الرغم من اتفاقهم في هذه الأصول ، وذلك لتمييز بعضهم عن بعض ، ولتعرف الحقوق وتحدد الواجبات ، ويسهل تنظيم أمر الجماعة ، فهذا الإجراء تنظيمي بحت لا يمس جوهر المساواة الحقيقية في الأصول المذكورة ، وهذا التوزيع نعمة من نعم النظام ، والنظام تستريح له النفس ويطمئن إليه القلب قال تعالى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ كما أن تقسيم الشعوب إلى السنة والأوان دليل وتمام إرادته واختياره في خلقه قال سبحانه ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم

وَأَلْوَانِكُمْ ﴿ (خامسا) جعل الإسلام هناك تفاوتاً في المعاملة بين البشر لا على الجنس أو اللون أو اللسان ، بل على أساس الكمالات النفسية والأخلاق الطيبة والعمل الصالح القائم على الإيمان بالله ، فالطبيعة البشرية واحدة ، وإن كان هناك اختلاف فهو لأمر عارضة كآثار البيئة ، وعدم إتاحة الفرصة للبعض أن يكمل نفسه . وحارب الإسلام أن يكون هناك تفاوت في المعاملة على غير هذا الأساس كما تدل عليه آية الحجرات السابقة وحديث (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم ، وحديث (ليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داود وحديث (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " رواه البخاري ومسلم . والنصوص في ذلك كثيرة تطبيقية عملية للقضاء على التفرقة العنصرية .

ومن التطبيقات العملية لجعل التفضيل بين الناس على أساس المزايا الدينية والخلقية بعيداً عن اعتبار الجنس : التوجه إليهم بالخطاب للقيام بالتكاليف الدينية . ووقوفهم متساويين في الصلاة أمام الله دون تمييز طبقي . وأداؤهم لشعائر الحج مجردين عن كل مظهر من مظاهر التفرقة التي كان الناس على أساسها يفرقون بين قبيلة وقبيلة ومن ذلك وقوفهم جميعاً بعرفة بعد أن كان بعضهم في الجاهلية يقف في المشعر الحرام قال سبحانه ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ . ومنها أن أعظم المناصب الدينية في المسجد النبوي كانت بين محمد القرشي وبلال الحبشي ، فالنبي للإمامة وبلال للأذان . ومنها قول النبي صلى الله عليه وسلم عن سلمان " سلمان منا أهل البيت " مع أنه فارسي ، لكن شرفه عمله وذلك لما رأى المسلمون قوته في حفر الخندق وقال المهاجرون : سلمان منا ، وقال الأنصار : سلمان منا . ولما ضرب مسلم مشركاً يوم أحد وقال : خذها وأنا الغلام الفارسي نهاه النبي عن هذا القول وأرشده إلى قول مستمد من وحي الدين فقال له (هلا قلت : وأنا الغلام الأنصاري) رواه مسلم ومنها توليته زيد بن حارثة قيادة الجيش وكذلك تولية ابنه أسامة أيضاً وفي جندهما كان خيار المسلمين من العرب ، وزيد كان رقيقاً ثم أعتقه النبي وزوجه من زينب القرشية التي صارت بعد ذلك من أمهات المؤمنين . ومنها قوله عليه السلام (اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد

حبشي كأن رأسه زبيبة) رواه البخارى ، وتطبيقا لذلك قال عمر: والله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها شورى ، أي لأسندت الخلافة إليه ، وسالم هذا كان مولى لأبى حذيفة ، وأمر سيدنا عمر أن يتولى الصلاة بالناس صهيب الرومي ، وكان صهيب عبدا أسر في بلاد الروم ثم بيع في بلاد العرب . وتزوج بلال من أخت عبد الرحمن بن عوف وهى قرشية، وأعتق الحسين بن على جارية ثم تزوجها وعندما علم معاوية بذلك عاب عليه فرد عليه الحسين بقوله : قد رفع الله بالإسلام الخسيصة ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مآثم وإنما اللوم لوم الجاهلية . وقد كان أكثر العلماء الأفذاذ الذين خدموا الإنسانية من غير العرب ومن العناصر المختلفة التي تربت في بوتقة الإسلام وأخرج منها نماذج موحدة للمسلم الكامل الذي يردد هذا الشعار :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا اقتخروا بقيس أو تميم

وروى مسلم أن عمر رضى الله عنه لما تلقاه نائب مكة أثناء الطريق في حج أو عمرة قال له : من استحلقت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى ، قال ومن ابن أبزى هذا . قال رجل من الموالى ، قال عمر: أما إني سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين) وذكر الزهري أن هشام بن عبد الملك قال له : من يسود مكة ؟ قلت : عطاء ، قال فأهل اليمن ؟ قلت : طاوس ، قال : فأهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : فأهل خراسان . قلت الضحاك بن مزاحم ، قال : فأهل البصرة . قلت . الحسن بن أبى الحسن . قال : فأهل الكوفة . قلت : إبراهيم النخعى . وذكر أنه كان يقوله له عند كل واحد : أمن العرب أم من الموالى ؟ فيقول : من الموالى فلما انتهى قال : يا زهري ، والله لتسودن الموالى على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب من تحتها . فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط .

(قال) وأخبار المساواة في الحقوق والواجبات والمعاملة وأمام القضاء كثيرة مشهورة من أبرزها حادث المخزومية التي أراد أسامة أن يتشفع في إسقاط حد السرقة عنها فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال (إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ

تَرْكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ وَأَيُّمُ اللّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا) رواه البخارى ومسلم . ومن الأحاديث الواردة في الأخوة الإسلامية الجامعة (المسلم أخو المسلم) رواه مسلم وحديث (المسلمون إخوة تتكافأ دماءهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . حتى إن اختلاف الدين لم يكن مانعا من تحقيق المساواة ونبذ التفرقة فهناك رابطة إنسانية عامة تعلو على كل رابطة أخرى قال سبحانه ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ .

(قال) وقد تولى هؤلاء مناصب عدة في الدولة الإسلامية وأفاد المسلمون من علمهم وخبرتهم على ما كتب التاريخ ، وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قام لجنازة ولما قيل له إنها جنازة يهودي قال

(إذا رأيتم الجنازة فقوموا) رواه البخاري ومسلم ، ولأجل أن يحمل الناس على نبذ العصبية المقيتة وعلى التزام العدل في المعاملة حتى العقيدة قرر أن الأنبياء إخوة من علات . ومنع تفضيله على أحد من الأنبياء ، على الرغم من أنه سيد ولد آدم .

نظرة الإسلام إلى الرق

يظهر موقف الإسلام جليا في محاربه للتفرقة العنصرية في تشريعه الحكيم لإبطال الرق وذلك يتمثل في ثلاث إجراءات رئيسية وهى : (أولا) تضييق باب الرق الذي كان متسعا جدا قبل الإسلام ، من حرب وخطف وشراء وغير ذلك ، وحصره في مورد واحد هو الأسر في الحروب المشروعة إذا رأى الإمام أن يضرب الرق على الأسرى ، والأسر مبدأ معمول به قديما وحديثا ، وله أثر في تبادل الأسرى ولم يكن الشراء طريقا لامتلاك الرقيق إلا في عهد معاوية كما قال المحققون . (ثانيا) فتح الأبواب الواسعة لتحرير الرقيق وإيجاد منافذ كثيرة للانطلاق من الرق إلى الحرية فحث النصوص على العتق في كثير من الأحاديث ، وجعلته كفارة لكثير من الأخطاء كالقتل الخطأ والإفطار في رمضان والحنث في اليمين وفي الظهار وشجع على مكاتبه الرقيق وتيسير دفع ما يلزمه وأباح التسري بالإماء دون تحديد بعدد وليس هذا

إطلاقاً للمتعة الجنسية بل للحصول على حربة الإمام إذا حملن من السادة وولدن فإنهن يعتن بعد موتهم وكذلك ليسرى الدم العربي إلى غيره من الأجناس الأخرى التي كان منها الأسرى (ثالثاً) الأمر بالإحسان إلى الرقيق حتى تحين الفرصة لعنقه والوصايا في ذلك كثيرة يكفى منها مراعاة شعوره فلا يقال له عبدي أو أمتي بل يقال فتاي وفتاتي ، أو غلامي كما جاء في صحيح مسلم وإكرامه في مطعمه وملبسه كما فى الحديث (هم إخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) ولما سمع النبي أبا ذر يعير رجلاً بأمه السوداء فقال له (إنك امرؤ فيك جاهلية) وعن أبي مسعود الأنصاري قال كنت اضرب غلاماً لي فسمعت من خلفي صوتاً (اعلم أبا مسعود . اعلم أبا مسعود اعلم أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فإذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله قال أما لو لم تفعل للفتك النار) رواه البيهقي .

هذا وإذا كان الإسلام يضرب أروع الأمثلة في احترامه لأدمية الإنسان عن طريق الإحسان إلى الرقيق فإنه من غير شك يراعى هذا التكريم مع من لا يملك الإنسان رقبته بل يملك رعايته وتوجيهه لا غير وذلك كحال الرعايا في البلاد الإسلامية من الأديان المختلفة ، لقد قال عمر بن الخطاب في توجيه عماله أي حكام البلاد المفتوحة توجيهات طيبة منه : إنني لم أرسل إليكم عمالاً ليضربوا أحداً منكم أو ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلتهم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إلى فوالذي نفسى بيده لأقصنه منه ، وقد اقتص للقبطي من ابن عمرو بن العاص على ملاً من الناس وقال كلمته الخالدة متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا وكل ذلك من وحي وصية الإسلام بأهل الذمة ففي الحديث (من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) رواه أبو داود وقال أيضاً (إن الله لم يجعل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى فرض عليهم) .

رد بعض الشبهات حول التفرقة

(قال) قد يقول قائل : إذا كان الإسلام يبنذ التفرقة العنصرية فلماذا توجد تفرقة في معاملة بعض الناس كجعل نصيب الذكر مثل نصيب الأنثيين في الميراث وجعل شهادته بشهادة امرأتين . والجواب أن هذه التفرقة في المعاملة ليست على أساس عنصري مما يتعامل على أساسه المستعمرون اليوم وإنما هي لاعتبارات قائمة على المواهب والاستعدادات . والحياة البشرية لأبد أن يكون فيها تفاوت في ذلك لتترتب عليها آثار مناسبة لها وهذا هو مقتضى العدل قال تعالى ﴿ أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾ وقال ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وقال ﴿ ولكل درجات مما عملوا ﴾ وقال ﴿ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ وبخصوص المثال السابق في الميراث والشهادة بالنسبة للرجل والمرأة قال العلماء : إن الرجل هو الذي يتولى الإنفاق عليها من نصيبه وهو لا يمس نصيبها مطلقا في هذا الشأن فهو محفوظ لها تصرف به في أمورها الخاصة كيف تشاء على أن إثبات حقها في الميراث بوجه عام هو دليل مساواتها له في مطلق الحق . أما التفاوت فيه فهو أمر يقتضيه نظام الحياة . وكون شهادتها على النصف من شهادة الرجل بين حكمته قول الله تعالى ﴿ فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ﴾ ومراعاة طبيعتها البشرية أمر لا يعاب عليه ؛ كما لا يعاب به أحد . على أن شهادتها في بعض الأحيان هي المعتمدة دون الرجل كمسائل الرضاع والبكارة والعيوب الداخلية للمرأة .

(قال) وقد يقال أيضا ، إذا كان الإسلام لا يقر التفرقة العنصرية فلماذا رأينا بعض الولاة يخالفون ذلك كما حدث في الدولة الأموية التي قلدت الوظائف الهامة للعرب دون العجم ، والجواب أن عمل هؤلاء لا يعد تشريعا يناقض التشريع المعترف في مصادره المعروفة ، وقد تكون هناك ظروف جعلت هؤلاء الولاة يتخذون هذا الإجراء وذلك كعدم اطمئنان العرب إذ ذاك إلى العجم الداخلين في الإسلام حديثا والذين لم يزل الكثير منهم متأثرا بموارثه الدينية

والسلوكية ، الأمر الذي جعل بعض الأفراد ينادى بما سمي باسم الشعوبية وجاءت على أثر هذه الصيحات الدولة العباسية بجهود الفارسيين المتشيعين للبيت الهاشمي والناقمين على البيت الأموي . ومهما يكن من شئ فإن هذه التصرفات السياسية موكولة إلى رأى القائمين بالأمر، وهى على كل حال لا تعرض النصوص الأصلية في مقاومة التفرقة العنصرية (قال) ومن أراد التوسعة فيرجع إلى كتابنا " دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة " ²⁴

حكم التعرض لمثالب الماضين

كما سبق أن ذكرت في المقدمة أن إغفال ذكر ما وقع بين القوم من مزايدات ومشادات ومصارعات ينبغي تركه وتجنبه وحفظ اللسان منه لأنه لا يجدي غير النفرة والنعرة وإحياء الدفائن والضغائن التي ذهبت مع الذاهبين وهذا الاستدراك يجزني هنا - حتما - إلى حكم ذكر مثالب من لقي الله . وبما أن الأمر هام وخطير ، فإني أدرج هنا فتوى من فتاوى الشيخ عطية صقر المصري رحمه الله يقول فيها : من المشاهد عندما يموت إنسان له شأن في الدنيا أن الناس يتحدثون عنه إما بالخير وإما بالشر والحديث بالخير إشادة بذكره وتكريم له وتعزية لأهله وأن الناس راضون عنه ، والحديث بالشر تشويه لذكره وإهانة له ، وزيادة ألم على أهله ، وقد يقصد به التشفي الذي يورث الأحقاد التي ربما تؤدي إلى نزاع يحتدم ويشتد وتكون له آثاره السيئة ، والحديث عن الميت بالثناء أو الذم لا أثر له عند الله فهو سبحانه العليم بما يستحقه الميت من تكريم أو إهانة ، وقد يكون حديث الناس عنه دليلا ولو ظنياً على منزلته عند ربه ، لكن ذلك لا يكون إلا من أناس على طراز معين من الصلاح والتقوى وقول الحق لوجه الحق ، كالصحابه الذين جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادتهم للميت دليلا على منزلته عند الله ، فقد جاء في الصحيحين أن جنازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأثنوا فيها خيرا ، فقال " وجبت " ثم مرت جنازة أخرى فقالوا عنها شرا فقال " وجبت " ولما سألوه عن معنى ما قال ، قال صلى الله عليه وسلم " من أنتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن قلتم عنه شرا وجبت له النار، أنتم شهداء الله في

²⁴ فتوى الشيخ عطية صقر كما في الفتاوى المصرية

الأرض " . ومع ذلك نهى النبي صلى الله عليه و سلم أن يذكر الأموات بالسوء إذا كان ذلك للتشفي من أهله . فذلك يغيظهم ويؤذيهم ، والإسلام ينهى عن الإيذاء لغير ذنب جناه الإنسان ، ففي حديث البخاري " لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا " وقال عليه الصلاة والسلام في قتل بدر من المشركين " لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء " وعندما سب رجل أبا للعباس كان في الجاهلية كادت تقوم فتنة قال فيها الرسول عليه الصلا والسلام " لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا " رواه أحمد والترمذي والطبراني . قال العلماء : يحرم سب الميت المسلم الذي ليس معلنا بفسقه ، أما الكافر والمعلن بفسقه من المسلمين ففيه خلاف للسلف ، وجاءت فيه نصوص متقابلة . يقول النووي في كتابه " الأذكار ص 168 " : وحاصله أنه ثبت في النهي عن سب الأموات ما ذكرناه من الأحاديث ، وجاء في الترخيص في سب الأشرار أشياء كثيرة منها ما قصه الله علينا في كتابه العزيز ، وأمرنا بتلاوته وإشاعة قراءته ، ومنها أحاديث كثيرة في الصحيح ، كالحديث الذي ذكر فيه صلى الله عليه وسلم " عمرو بن لحي " وقصة أبي رغال الذي كان يسرق الحجاج بمحجنه وهي عصا معقوفة الرأس . ثم قال : وأصح الأقوال وأظهرها في الجمع بين النصوص أن أموات الكفار يجوز ذكر مساويهم ، وأما أموات المسلمين المعلنين بفسق أو بدعة أو نحوهما فيجوز ذكرهم بذلك إذا كان فيه مصلحة كحاجة إليه للتحذير من حالهم ، والتنفير من قبول ما قالوه ، والتحذير من الاقتداء بهم فيما فعلوه ، وإن لم تكن حاجة لم يحجز ، وعلى هذا التفصيل تنزل هذه النصوص ، وقد أجمع العلماء على جرح الجروح من الرواة . ودراسة التاريخ إن كانت لغرض الاعتبار والاقتداء بالصالحين والتحذير من سلوك غير الصالحين ، دون قصد للتشهير والتعير الذي يظهر أثره على الأحياء ويؤدي إلى الفتنة فلا مانع منها أيضا فالله سبحانه قص علينا في القرآن أخبار المكذبين كما قص أخبار المرسلين والصالحين وقال في حكمة ذلك ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ﴾ وقال ﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ ومهما يكن من شيء فمن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وطوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس ، والأولى أن

نقبل على الخير حتى يكون لنا ذكر حسن على السنة الناس بعد أن نفارقهم فيتذكروننا بدعوة
صالحة ينفع الله بها الصالحين.

الكتاب الثالث

في بيان بحوث التاريخ ولواحقه ومراحله
ويتضمن الفصول التالية . الفصل الأول في التاريخ وفنه ونقده وتمحيصه . الفصل الثاني
في بيان لمحة تاريخية إسلامية .

بما أن علم الأنساب يعتمد أكثر ما يعتمد على مادة التأريخ ولواحقه فإني أعرج هنا على
نبذة من التأريخ لنلم بالموضوع من جوانبه المتعددة وعليه فأقول :

الفصل لأول

في

التاريخ وفنه ونقده وتمحيصه

التأريخ بالهمز كلمة معناها تعريف الوقت ومثلها كلمة التورخ بالواو. وكلاهما من أرخ الكتاب
ليوم كذا بمعنى وقته والواو فيه لغة وزعم يعقوب أن الواو بدل من الهمزة. والتاريخ كما قيل
هو معاد معنوي يعيد الأعصار وقد سفلت ، وينشر أهلها وقد ذهب آثارهم وعفت. وبه
يستفيد عقول التجارب من كان غرا. ويلقى من قبله من الأمم وهلم جرا ، فهم لديه أحياء ،
وقد تضمنتهم بطون القبور. وعنه غيب وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور. ويقال : أن
التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض إذ هو قديم وأن المسلمين أخذوه عن أهل
الكتاب . وتاريخ المسلمين الهجري أرخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأقر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ومن يومها صار تاريخنا. وللعلم أن التاريخ
بالقمر كان أيضا معروفا منذ قبل وما ورد في القرآن من أسماء الشهور القمرية وربط العبادات
بها دليل على ذلك وقد ذكر ذلك بالتفصيل سيدنا رسول الله في خطبة حجته حيث قال
عليه السلام (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر

شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ: ثَلَاثُ مَوَالِيَاتٍ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ. وَرَجَبٌ مُضَرٌّ الَّذِي
بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ (فليأمل هذا .

فن التاريخ

فَنَ التَّارِيخِ كَمَا قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ خَلْدُونَ هُوَ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي تَتَدَاوَلُهَا الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ ، وَتَشْذُ
إِلَيْهِ الرِّكَائِبُ وَالرَّحَالُ . وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَةِ السُّوقَةِ وَالْأَغْفَالِ ، وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ وَالْأَقْيَالُ ،
وَيَتَسَاوَى فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ ، إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى إِخْبَارٍ عَنِ الْأَيَّامِ وَالِدُولِ ،
وَالسُّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى ، تَنَمُّو فِيهَا الْأَقْوَالُ ، وَتَضْرِبُ فِيهَا الْأَمْثَالَ ، وَتَطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا
غَضِبَتْ الْإِحْتِفَالَ ، وَتُؤَدِّي إِلَيْنَا شَأْنَ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ ، وَاتَّسَعَتْ لِلدُّوَلِ فِيهَا النُّطَاقُ
وَالْمَجَالُ ، وَعَمَرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى بِهِمُ الْارْتِحَالَ ، وَحَانَ مِنْهُمْ الزُّوَالُ ، وَفِي بَاطِنِهِ نَظْرٌ وَتَحْقِيقٌ ،
وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ وَمِبَادِيهَا دَقِيقٌ ، وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوَقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ . فَهُوَ لِذَلِكَ أُصِيلَ فِي
الْحِكْمَةِ عَرِيقٌ . وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعِدَ فِي عِلْمِهَا وَسَطْرُوهَا .

نقد التاريخ وموارده

مَعْلُومَاتِ التَّارِيخِ وَضَعَهَا الْمُؤَرِّخُونَ فِي صَفْحَاتِ الدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا . وَلَكِنْ كَمَا قَالَ ابْنُ خَلْدُونَ
قَدْ خَلَطَهَا الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسٍ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهِ أَوْ ابْتَدَعُوهَا ، وَزَخَّارَفَ مِنَ الرُّوَايَاتِ
الْمُضَعَّفَةَ لِقَوِّهَا وَوَضَعُوهَا ، وَاقْتَفَى تِلْكَ الْآثَارَ الْكَثِيرَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاتَّبَعُوهَا . وَأَدُوهَا إِلَيْنَا كَمَا
سَمِعُوهَا ، وَلَمْ يَلَاخِظُوا أَسْبَابَ الْوَقَائِعِ وَالْأَحْوَالِ وَلَمْ يَرَاعُوهَا ، وَلَا رَفَضُوا تَرَهَاتِ الْأَحَادِيثِ وَلَا
دَفَعُوهَا ، فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلٌ ، وَطَرَفُ التَّنْقِيحِ فِي الْغَالِبِ كَلِيلٌ ، وَالغَلَطُ وَالْوَهْمُ نَسِيبٌ لِلْإِخْبَارِ
وَخَلِيلٌ ، وَالتَّقْلِيدُ عَرِيقٌ فِي الْأَدْمِيينِ وَسَلِيلٌ ، وَالتَّطَفُّلُ عَلَى الْفَنُونِ عَرِيضٌ وَطَوِيلٌ ، وَمَرَعَى الْجَهْلِ
بَيْنَ الْأَنَامِ وَخِيمٌ وَبِيلٌ . وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ . وَالْبَاطِلُ يَقْذِفُ بِشَهَابِ النَّظْرِ شَيْطَانَهُ ، وَالنَّاقِلُ
إِنَّمَا هُوَ يَمْلِي وَيَنْقُلُ ، وَالبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ إِذَا تَمَقَّلَ . وَالْعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفْحَاتِ الصُّوَابِ
وَيَصْقَلُ .

التأريخ في الأخبار والتحقيق

قد دون الناس في الأخبار وأكثروا، وجمعوا تواريخ أمم والدول في العالم وسطروا. والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة واستقرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخرة هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي والواقدي والأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير، المتميزين عن الجماهير وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات. ومشهور بين الحفظة الثقات، إلا أن الكافة اختصتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم. فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار. ثم أن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك، لعموم الدولتين صدر الإسلام في الآفاق والممالك، وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمآرك. ومن هؤلاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والأمم. والأمر العمم، كالمسعودي ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فقيد شوارد عصره واستوعب أخبار أفضه وقطره، واقتصر على أحاديث دولته ومصره كما فعل أبو حيان مؤرخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرفيق مؤرخ إفريقية والدول التي كانت بالقيروان. ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد وبليد الطبع والعقل أو متبلد ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال. ويذهل عما أحالته الأيام من أحوال واستبدلت به من عوائد الأمم والأجيال فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول صوراً قد تجردت عن موادها وصفاحا انتضيت من أعمادها، ومعارف تستنكر للجهل بطارفيها وتلاذها. وإنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها يكررون في موضوعاتهم الأخبار المتداولة بأعيانها، اتباعاً لمن عني من المتقدمين بشأنها، ويغفلون أمر الأجيال الناشئة في ديوانها، بما أعوز عليهم من ترجمانها، فتستعجم صحفهم عن بيانها ثم إذا تعرضوا لذكر الدولة نسقوا أخبارها نسقاً محافظين على نقلها وهما أو صدقاً لا يتعرضون لبدائيتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من

رايتها واطهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها فيبقى الناظر متطلعا بعد إلى افتقاد أحوال مبادئ الدول ومراتبها، مفتشا عن أسباب تزاممها أو تعاقبها، باحثا عن المنع في تباينها أو تناسبها .

الإكتفاء بما قيل في الأسماء

ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار، وذهبوا إلى الإكتفاء بأسماء الملوك والاختصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار موضوعة عليها أعداد أيامهم مجروف الغبار، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل ومن اقتفي هذا الأثر من الحمل . وليس يعتبر لهؤلاء مقال، ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال، لما أذهبوا من الفوائد، وأخلوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد²⁵ .

قيمة علم التاريخ وماأخذه وأهمية تحييصه

التاريخ وإن كان . كما قال ابن خلدون²⁶ : فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية . فإنه يحتاج إلى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لأن الأخبار إذا أعتد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فرما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق . وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سميئا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهاها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في ببداء الوهم والغلط . ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد .

²⁵ راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون
²⁶ راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

عينات من المبالغات

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل بأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون. ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش. لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عما فوقها. تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة. ثم أن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وبعدها إذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفيين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم اعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك ما كان من غلب مجتصر لهم والتهامه بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس. يقال إنه كان مرزبان المغرب من تخومها. وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير. ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريبا منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرون ألفا، كلهم متبوع على ما نقله "سيف" قال: وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف. وعن عائشة والزهري: أن جموع رستم التي زحف بها لسعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفا كلهم متبوع. وأيضا فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم فإن العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قلتها وكثرتها حسبما (قال) والقوم لم تتسع ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف. وأيضا فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون فإنه (موسى) بن (عمران) بن (يصهر) بن (قاهث) بن (لاوي) بن يعقوب وهو إسرائيل الله كذا نسبه في التوراة والمدة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف

سبعين نفسا وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه سنة مائتين وعشرين تداولهم ملوك القبط من الفراعنة وبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن (سليمان) ومن بعده فبعيد أيضا إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أبا فإنه (سليمان بن داود بن إيشا بن عوفيد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمينوذ بن رم بن حصرون بن بارس بن يهوذا بن يعقوب) ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد إلى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم إلى المئين والآلاف فرما يكون وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد. وأعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا والذي ثبت في الإسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقرباته كانت ألفا وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم وفي أيام سليمان عليه السلام ومملكه كان عنفوان دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من أهل العصر (عصر ابن خلدون) إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريبا منه وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصراري أو اخذوا في إحصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين وتوغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الإعراب فإذا استكشفت أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لن تجد معشار ما يعدونه وما ذاع إلا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش، فترسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزءا ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وحسبك بها صفقة خاسرة (قال) ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب وأن إفريقش بن قيس بن صيفي من أعظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى

عليه السلام او قبله بقليل غزا أفريقية واثنخ في البربر، وانه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال: ما هذه البربرة فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وانه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنهم صنهاجة وكثامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهقي إلى أن صنهاجة وكثامة من حمير وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح وذكر المسعودي أيضا أن ذا الإذعار من ملوكهم قبل إفريقيش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده، وأنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلكا لكثرة الرمل، فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو اسعد أبو كرب وكان على عهد (يستايف) من ملوك الفرس الكيانية إنه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم وأثنخ ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وإنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر وإلى بلاد الروم، فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفازة إلى الصين، فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها، فآثنا في بلاد الصين ورجعا جميعا بالغنائم، وتركوا بلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد، وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع. وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة، عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعية. وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسیهم بصنعاء اليمن. وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها: فبحر الهند من الجنوب، وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق، وبحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب، كما تراه في مصور الجغرافيا. فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقا من غير السويس. والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما. ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله، هذا ممتنع في العادة. وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكعنان بالشام والقبط بمصر، ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو إسرائيل الشام، ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحدا من هؤلاء الأمم ولا ملكوا شيئا من تلك الأعمال. وأيضا فالشققة من البحر إلى

المغرب بعيدة والأزودة والعلوفة للعساكر كثيرة فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى إتهاب الزرع والنعم واتهاب البلاد فيما يمرون عليه، ولا يكفي ذلك للأزودة وللعلوفة عادة، وإن نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تفي لهم الرواحل بنقله، فلا بد وأن يمروا في طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها . وإن قلنا أن تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة، فذلك أبعد وأشد امتناعاً، فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة (قال) وأما وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص طرقة من الركاب والقري في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكروه من الغرابة تتوافر الدواعي على نقله وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كانت طريقه أوسع من مسالك السويس، إلا أن الشقة هنا أبعد، وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك . ولم ينقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم، وإنما كانوا يجاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال، وقد وقع ذلك بين يدي الإذعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية، وبين تبع الأصغر أبي كرب ويستاسف منهم أيضاً، ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم، بمجاوزة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت، وهو ممتنع عادة من أجل الأمم المعترضة منهم، والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر بالأخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن إسحق في خبر يثرب والأوس والخزرج أن تبعاً الآخر سار إلى المشرق محمول على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر فلا تتقن بما يلقي إليك من ذلك، وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه²⁷ (قلت) ومن هذا القبيل قول من قال في منطقتنا الجلفاوية أن أولاد فلان أو علان يبلغ عددهم خمسة ملايين وهذا غلط ما وراءه غلط إذ

²⁷ راجع كتاب العبر المعروف بتاريخ ابن خلدون

كيف يتصور من جد بيننا وبينه أربعة عشر جدا أن يبلغ عدد نسله هذا العدد أو نصفه
إذن لابد من راجعة ماذكر .

الفصل الثاني

في

لمحة تاريخية إسلامية

بما أننا سنذكر آتيا الأنساب المحلية وبما أن موضوع الأنساب شديد الإرتباط بالتاريخ العربي والإسلامي عموما فإنه يلزمنا الإلمام بنبذة تاريخية تبين مراحل الحياة العربية والإسلامية وكيف تعاقبت عليها مراحل التاريخ وبذلك تكون لدى القارئ صورة مقربة لما هو قادم عليه من بحوث وتصورات وعليه فأقول :

الجاهلية

الجاهلية لغة مأخوذة من الفعل (جهل) والجهل معناه خلاف العلم. قال الراغب: الجهل على ثلاثة أضرب: الأول: خلو النفس من العلم ، الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه ، الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل . وقد وردت مشتقات الكلمة فى القرآن الكريم بمعنى: 1- الخلو من المعرفة كقوله تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ﴾ 2 - الطيش والسفه كقوله تعالى: ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴾ 3- بمعناها معا كقوله تعالى ﴿ ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ . وأما الجاهلية اصطلاحا كما عند المؤرخين فهي أن لفظ الجاهلية قد يكون اسما للحال ومعناها الصفات المرذولة التي كانت عليها الأمة قبل الإسلام من الجهل بالله وبرسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبى ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية) أى حال أو طريقة أو عادة جاهلية أو نحو ذلك وقد يكون اسما لذى الحال أى الزمان ، ومعناها المدة التي كانت قبل نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقيل: زمن الكفر مطلقا، وقيل: ما قبل الفتح ، وقيل ما كان بين مولد النبي والمبعث

وبهذا قال ابن حجر ومنه قوله تعالى ﴿ يظنون بالله غيرالحق ظن الجاهلية ﴾ وذلك لما كان عليه العرب من فاحش الجهالات فى العقيدة والعبادة والتشريع والمعاملات والأخلاق التى انتقلت إليهم وشاعت بينهم وتأصلت فى نفوسهم حتى صارت دينا حل محل الحنيفية السمحة وعلى هذا يقال طائفة جاهلية وشاعر جاهلى نسبة إلى الجهل لأن من لم يعلم الحق فهو جاهل فإن اعتقد خلاف التوحيد أو قال بخلاف الحق عالما به أو غيرعالم فهو جاهل كقوله تعالى ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل) أى لا يعمل بعمل الجاهلية من السفه والغضب والأنفة والحمية والمفاخرة، ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته:

ألا لا يجهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليه فوق سفهه أى نجازه به جزاء يزيد عليه. وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإنما علم أنه مخالف للحق كما قال تعالى: ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريباً ﴾ لأن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر عنه ما يخالفه من قول أو فعل فإن صدر ما يخالفه كان جهلا وعلى ذلك كان الناس قبل البعثة النبوية فى جاهلية وكل ما يخالف ما جاء به المرسلون من أفعال اليهود والنصارى وغيرهم كان جاهلية عامة (قال) أما بعد البعثة فقد مضى زمانها بمجىء الإسلام وإن بقيت أحوالها وعاداتها بين الإطلاق والتقييد فالمطلقة قد تكون فى بلد دون بلد كما هى فى غير ديار الإسلام وقد تكون فى بعض الأشخاص دون بعض كالرجل قبل أن يسلم وإن كان فى دار الإسلام. والمقيدة قد تكون فى بعض ديار المسلمين وفى كثير من الأشخاص المسلمين ؛ لقول صلى الله عليه وسلم (أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر بالأحساب. والطعن فى الأنساب. والاستسقاء بالنجوم. والنياحة) فهذه كلها جاهلية وهى من المعاصى التى لا يكفر صاحبها وإنما يجب توقيها .

الفترة الجاهلية

قد اختلف المؤرخون في تحديد الفترة الزمنية للجاهلية على أقوال منها أنها بين آدم ونوح ، أو بين نوح وإدريس . أو بين موسى وعيسى ، أو بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من قال هي الفترة بين كل نبين ، والراجح أن الفترة الزمنية للجاهلية تبدأ من عصور ما قبل التاريخ وتنتهي بالبعثة النبوية في القرن السابع الميلادي وعلى هذا لا يصح مطلقاً أن يوصف المجتمع المسلم بأنه جاهلي بخلاف الأفراد فإنه يمكن إطلاق لفظ الجاهلية على الشخص إن وقع في فعل جاهلي كما سبق ذكره قريباً .

عصر النبي

المراد بعصر النبي العهد الذي وجد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبدأ من زمن مولده سنة (571 م) وينتهي بانتقاله إلى جوار ربه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة كما سيأتي بيانه في موضعه .

الخلافة

الخلافة لغة . كما قال الدكتور عبد الله محمد جمال الدين هي من خلف فلان فلانا إذا كان خليفته وجاء من بعده وهي مصدر تخلف فلان فلانا إذا تأخر عنه . والخلافة النيابة عن الغير واصطلاحاً الخلافة في الإسلام منصب سياسي يجمع صاحبه بين السلطينة الزمنية والروحية ولكن وظيفته الدينية لا تتعدى المحافظة على شرع الله ومن حقه قيادة الدولة الإسلامية ورسم سياستها وتنفيذها على المستويين: الداخلي والخارجي ، وواجبه تبليغ الدعوة الإسلامية ونشرها والتصدي بالقتال إذا لزم الأمر ضد من يقف عقبة في سبيل أدائه لمهمته وله أن يعاقب الخارجين على أوامر الشرع ويؤم الناس في الصلوات ويساعدهم على أداء الفرائض السياسية وقد وردت هذه المادة في آيات عديدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ أي قوما يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن . وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ﴾ أي استخلفناك على الملك في الأرض لأن داود عليه السلام كان ملكاً

نبيا. وقد نشأ منصب الخلافة باعتباره ضرورة فرضتها الظروف السياسية عقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وكان نتيجة للمناقشات الحرة التي جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم فى سقيفة بنى ساعدة لقد كان اجتماع السقيفة هذا أشبه بجمعية تأسيسية أو وطنية مناط بها البحث فى مصير أمة بعد وفاة موجهها وقائدها وقد دارت المناقشات فيه بحرية كاملة وانبثق عنه أنذ قيام نظام الخلافة هذا النظام الذى استمر بشكل أو بآخر فى العالم الإسلامى حتى القرن العشرين ولم يغيب عن مجتمعنا إلا بعد أن قام كمال أتاتورك بإلغائه سنة (1323هـ 1924م) عقب انهيار الخلافة العثمانية وكان اختيار لقب خليفة وإطلاقه على أول رئيس للدولة الإسلامية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الهدف منه التمييز بين هذا النظام الذى أقامه المسلمون وبين أنظمة الحكم التى كانت سائدة فى العالم آنذ لقد كانت هذه الأنظمة تقوم على القهر والجبروت وتستعبد الشعوب وتستغلها وتحرمها من أبسط حقوقها، بينما جاء النظام الإسلامى ليكون جديدا فى جوهره وغاياته فهو يرفض القهر والظلم، ويقوم على قواعد الحرية والمساواة والعدل والاعتداد برأى الأمة ولهذا كان هذا اللقب تأكيدا لحقيقة مهمة هى أن حكم الرسول صلى الله عليه وسلم مستمر وباق فى أمته وأن أبى بكر إنما يخلف سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فى التنفيذ والتطبيق ورعاية مصلحة الأمة وليس فى الإضافة إلى الدين أو الانتقاص منه. نرى كل هذه الحقائق واضحة فى ذهن كل من عرض لموضوع الخلافة الذين قدموا لها تعريفات توضح جوهر النظام الإسلامى وغاياته، ولعل من أبرزها تعريف ابن خلدون الذى عبر عن ماهيتها بقوله الخلافة هى حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخرى والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به". لقد كان اختيار المسلمين لخليفهم الأول رضى الله عنه، بناء على قاعدة الشورى، وتحددت مهمته فى قيادة المسلمين، ورعاية مصالح الناس وتنفيذ شرع الله عز وجل، واشترط العلماء فىمن يلي هذا المنصب شروطا منها: الكفاية والعدل وصحة البدن والعقل الخ. واستمر اختيار الخلفاء وفقا لهذه

الشروط طوال عصر الراشدين ، ثم حدث تحول ابتداء من العصر الأموي، فتركت الشورى، واعتمد نظام الغلبة والتوارث ، وبعد أن كانت الخلافة اختيارا أصبحت قهرا وإجبارا ، تقرب أو تبعد عن قيم الإسلام ومبادئه ، وتتفق معه فى قليل أو كثير إلى أن تم إلغاؤها تماما فى أول القرن العشرين الميلادي كما أسلفناه.

الخلفاء الراشدون

بعد عصر النبوة وبعد انتقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جوار ربه راضيا مرضيا أثرت مسألة من يخلف الرسول صلى الله عليه وسلم في تدبير أمور المسلمين وحراسة الدين بعد وفاته مباشرة . كما قال الدكتور جعفر عبد السلام حيث اجتمع الأنصار ليختاروا الخليفة ولحق بهم كبار المهاجرين مثل أبى بكر وعمر وأنها هذا الاجتماع الهام إلى جعل الخلافة فى قريش باعتبار سبقهم إلى الإسلام وقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد مشاورات عديدة بلغت حد الاختلاف استقر الرأى على مبايعة أبى بكر بالخلافة، وكان هذا الصحابى أول من ولى أمور المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وسلملا ونلاحظ أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعين خليفة له بشكل مباشر، ولكنه ترك الأمر شورى يتولاه المسلمون. وبمبايعة أبى بكر بالخلافة بدأت مرحلة ما يعرف بعصر الخلفاء الراشدين ، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، وهى مرحلة تختلف عن المراحل التالية فى تاريخ الإسلام فقد حكم الدولة الإسلامية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبتوا أركان الدولة، حيث واجه أبو بكر حركة الارتداد عن الإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسم وبدأت الفتوح الإسلامية الأكبر إمبراطوريتين فى عصره وهما: إمبراطورية الروم وإمبراطورية الفرس وفتح عمر بن الخطاب لتأسيس الدولة الإسلامية فأنشأ الدواوين وتكلمة الفتح الإسلامى لأراضى الفرس والروم وأرسى مبادئ واضحة لإقامة العدل بين الناس ومحاسبة الولاة. أما عثمان ففضله عظيم فى مجال جمع القرآن وتوحيد المصاحف وتكلمة الفتح ودخل بالمسلمين مجال البحر، فتم إنشاء أسطول بحرى فى عصره انتصر على الأعداء فى موقعة ذات الصواري. وبدأت الفتنة الكبرى فى عهد عثمان ، تلك الفتنة التى انتهت بقتله ، ولم تهدأ

آثارها في دول الإسلام بعد ذلك فقد اشتدت الفتنة، وأدت إلى انقسام المسلمين بين مؤيد لعلى وبين معارض له بدعوى عدم قيام على بالنار لمقتل عثمان وبدأت تتكون الفرق المعروفة في التاريخ الإسلامي والتي فرقت جمع المسلمين : فرق الشيعة والخوارج وغيرهم. وقد واجه على بن أبى طالب هذه الفتن بقوة وصلابة وخاصة فى واقعتين هما واقعة الجمل وواقعة صفين ، ووضع فيهما قواعد لمعاملة أهل البغى تعتبر دستوراً لمعاملة المنشقين على الإمام فى كل عصر ويستفيد منها القانون الدولى الإنسانى الآن فى مجال حقوق المحاربين فى النزاعات الدولية غير المسلحة. ومع ذلك فقد سير أمور الدولة ووضع قواعد لتحقيق العدالة والمساواة بين المسلمين كما تم تثبيت الفتوح الإسلامية فى عهده وقد استمر حكم الخلفاء الراشدين ثلاثين عاماً من عام 11هـ إلى عام 40هـ ، وتميز بتداول السلطة بين المسلمين بسهولة، والحكم بالشورى، وإرساء دعائم الدولة الإسلامية.

(ملاحظة) ما يُذكر فى سياق ترجمة سيدنا علي وما يقال من وقوع حوادث ووقائع يندى لها الجبين كموقعة الجمل وصفين وحاروراء وما إلى ذلك فإنى أستبعده جملة وتفصيلاً ولا أومن به وفى اعتقادي أنه تشويه للرعيلى الأول من طرف الناقلين والحاسدين ولو أن ذلك قد ورد فى مصنفات علماء أجلاء فإنه لا يجب تصديقه ولا تصديق رواته إلا إذا صدقنا ترهات ما ورد فى تلك المصنفات من قصص خرافية كقصص الغرائب و بدأ خليقة الأرض وكونها على قرن ثور وخرافة جسد سليمان وخرافة امرأة داوود وغيرها مما شحنت به مصنفات علماء ومفسرين ومؤرخين. والطامة الكبرى ما قيل من طعن فى صحابة رسول الله رضوان الله عليهم أجمعين وهل يُعقل أن يقع من سيدنا علي وسيدنا معاوية وسيدنا ابن العاص وسيدنا ابى موسى وسيدنا ابن الزبير وسيدتنا الصديقة ما قيل من محاورات مفركة كما يقول أهل العصر كلاكلا وألف كلاكلا وحاشا أن يقع ممن قال الله فيهم (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) ما قيل ولا نصيفه (وعند الله الخبر) كما يقول المثل الشعبي النابلي عندنا .

قيام الدولة الأموية

قامت الخلافة الأموية رسمياً في شهر ربيع الأول من سنة (41هـ) بعد أن تنازل (الحسن بن علي ابن أبي طالب) رضى الله عنه عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه وبايعه هو وأخوه (الحسين) وتبعهما الناس في (الكوفة) وأصبح بذلك (معاوية) خليفة للمسلمين وحده ولقب بأمير المؤمنين وكان قبل ذلك يلقب بالأمير فقط واستبشر المسلمون خيراً بهذا التطور وحمدوا الله تعالى على انتهاء الفتن والحروب وسموا ذلك العام عام الجماعة حيث عادت إلى الأمة الإسلامية وحدتها واجتمع شملها على خليفة واحد بعد الفرقة والنزاع ولقى ما فعله (الحسن بن علي) كل تقدير وإجلال من جمهور المسلمين وأثنى عليه كثير من العلماء ورأوا فيما أقدم عليه تحقيقاً لنبوءة جده (سيدنا محمد) حين قال (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) .

طور نظام الخلافة في العصر الأموي

عرفنا فيما سبق كيف قامت الخلافة الإسلامية عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان يتم اختيار الخليفة في دولة الراشدين بالبيعة المباشرة من المسلمين لخليفتهم بعد أن يرشحه عدد من الصحابة أما أسلوب اختيار الخليفة الأموي فلم يكن أحد يظن أن بيعة المسلمين لمعاوية بن أبي سفيان ستكون إيذاناً بتأسيس دولة أموية وراثية وكان المسلمون قد استبشروا خيراً بهذه البيعة بعد فترة من الفتن والحروب حتى إن بعض الصحابة الذين كانوا قد توقفوا في بيعة (علي) رضى الله عنه بايعوا (معاوية) دعماً لوحدة الأمة ولم شملها مثل (سعد بن أبي وقاص) و(عبدالله بن عمر) وربما توقع الناس أن (معاوية) سيحذو حذو من سبقه من الخلفاء الراشدين ويترك الأمر شورى للمسلمين يختارون للخلافة من بعده من يرويه أهلاً لتولى تبعات هذا المنصب الجليل أو سيجتهد في اختيار شخص يراه أصلح الناس لتولى منصب الخلافة ويكون بعيداً عن قرابته كما فعل الخلفاء قبله لكن معاوية فاجأ الأمة الإسلامية بترشيح ابنه يزيد للخلافة من بعده وبدأ في أخذ البيعة له في حياته بدعم من أهل الشام ولما نجح في ذلك لم يكن صعباً

عليه أن ينتزع البيعة لابنه من بقية الأقطار الإسلامية بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى. ولم يعارض معاوية في خطواته هذه سوى أهل (الحجاز) الذين رأوا في عمله خروجاً على ما ألفه المسلمون في اختيار خليفتهم ببيعة حرة قائمة على الشورى وتركزت المعارضة في ثلاثة من أبناء كبار الصحابة هم (الحسين بن علي بن أبي طالب) و(عبدالله بن الزبير) و(عبدالله ابن عمر) وقد تطورت معارضة الأولين إلى خروج (الحسين) على (يزيد) بعدموت (معاوية) واستشهاده في موقعة (كربلاء) المشهورة سنة (61هـ)، وإلى دعوة (عبدالله بن الزبير) بالخلافة لنفسه بعد موت (يزيد بن معاوية) سنة (64هـ) ثم دخوله في صراع مع الأمويين انتهى بمقتله سنة (73هـ) بعد أن دامت خلافته تسع سنوات، أمّا (عبدالله بن عمر) فقد بايع (يزيد) حفاظاً على وحدة المسلمين بعد أن رأى أن استمراره في معارضته لن يكون في مصلحة الأمة الإسلامية وقد دافع عن عمل (معاوية) كثير من المؤرخين ورأوا في صنيعه عملاً ضرورياً للحفاظ على وحدة الأمة واجتناب العودة إلى الحروب الأهلية ويقف على رأس هذا الفريق المؤرخ الكبير (عبدالرحمن ابن خلدون) مؤيداً إقدام (معاوية) على هذه الخطوة بقوله (والذي دعاه معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصاة قريش أي أكثرهم قوة وأهل الحل أجمع وأهل الغلب منهم، فأثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع ولا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عليه دليل على انتفاء الريب فيه، فليسوا ممن يأخذهم في الحق هواده، وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة ويدعم ابن خلدون رأيه هذا بأن ولاية العهد من الخليفة القائم إلى شخص يتولى الخلافة بعده أمر جائز لا حرج فيه فيقول قد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذ وقع من أبي بكر رضى الله عنه لعمر بن الخطاب

بمحضرة من الصحابة وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضى الله عنه وعنهم وما قاله (ابن خلدون) يمكن الرد عليه بأن (أبا بكر) عهد إلى (عمر) لأنه رآه أصلح الصحابة لتولى الخلافة بعده وتحمل تبعاتها وقد كان كذلك بالفعل ولم تكن تربطه به صلة قرابة قريبة وقد أوضح ذلك بقوله أترضون بمن أستخلف عليكم فإنى والله ما آتوت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة) كما أن (عمر) لم يصبح خليفة بترشيح (أبى بكر الصديق) واختياره له فحسب بل برضى المسلمين وبيعتهم له ولو أن (معاوية) عهد إلى أحد غير ابنه واجتهد فى اختيار من هم أصلح للخلافة بعده ما اعترض عليه أحد ولحقَّ الغرض الذى قصده ابن خلدون من ولاية العهد، وهو سد أبواب الخلاف بين المسلمين، ومن ثم فإن الاعتراضات على تصرف (معاوية) جاءت من اختياره ابنه لولاية العهد دون سواه لا من فكرة ولاية العهد نفسها وأياً ما كان الأمر فإن الخلافة حُصرت فى الأسرة الأموية يتوارثها الأبناء والإخوة ولم يكف الخليفة منهم بتولية العهد لواحد فقط بل درجوا على تولية أكثر من ولى للعهد وكان (مروان بن الحكم) مؤسس الفرع المروانى أول من بدأ هذا التقليد فقد عهد إلى ابنه (عبد الملك) ثم (عبد العزيز) بولاية العهد، وقد تابعه فى هذا كل من جاء بعده حتى آخر دولتهم وقد جرَّ هذا الأمر عليهم المتاعب وأوقد نار الفتنة والصراع بين أبناء الأسرة الأموية مما كان له أكبر الأثر فى تدهور الدولة والإسراع بسقوطها فى نهاية الأمر. وعلى الرغم من استقرار الخلافة بنظام التوريث فإن الأمويين حافظوا على نظام البيعة من حيث الشكل فكان الخليفة القائم يعهد من بعده بولاية الأمر إلى ابنه أو أخيه، ثم تؤخذ البيعة من الناس لمن صدر له كتاب العهد فى حياة الخليفة القائم ثم تجدد له بعد وفاته ومغزى هذا أنهم كانوا على يقين أن مجرد العهد ليس ملزماً شرعاً للناس بل لأبد من البيعة العامة.

وبالنسبة للفتوحات الإسلامية فى العصر الأموى فقد شهد العصر الأموى أوسع حركات الفتح الإسلامى وأكثرها نشاطاً فى التاريخ الإسلامى كله بعد فتوحات الخلفاء الراشدين التى شملت (العراق) و(بلاد فارس) كلها، و(مصر) والشام ثم توقفت الفتوحات الإسلامية، أو

كادت تتوقف بسبب الفتن والحروب الأهلية التي حدثت بين المسلمين وقد استأنف المسلمون فتوحاتهم بعد اجتماع شملهم على (معاوية بن أبي سفيان) وتوحدتهم تحت رايته فى عام الجماعة سنة (41هـ) وحقق الأمويون أعظم إنجازاتهم على الإطلاق فى ذلك الميدان العظيم وامتدت فتوحاتهم إلى مناطق عديدة فى قارات العالم القديم (آسيا - إفريقيا - أوروبا) ففتحوا فى عهد (الوليد بن عبد الملك) بلاد (ماوراء النهر) (آسيا الوسطى) وإقليم (السند) فى (شبه القارة الهندية) واستكملوا فتح الشمال الإفريقى كله من حدود (مصر) الغربية إلى (المحيط الأطلسى)، ثم عبروا (مضيق جبل طارق) إلى القارة الأوروبية، ليفتحوا (الأندلس) و(جنوبى فرنسا)، كما استولوا على معظم الجزر فى (شرقى البحر المتوسط) وشرقيه وجنوبيه ثم واصلوا ضغطهم على مدينة (القسطنطينية) عاصمة الدولة البيزنطية وحاصروها أكثر من مرة. وشغلت الدولة الأموية فى التاريخ الإسلامى إحدى وتسعين سنة (41 هـ / 132هـ)، وامتدت حدودها من حدود (الصين) شرقاً إلى (الأندلس) غرباً ومن بحر (قزوين) شمالاً إلى (المحيط الهندى) جنوباً وعمل خلفاؤها فى جد ومثابرة وحسن سياسة على نشر الإسلام فى تلك الرقعة الكبيرة ونمت الحضارة الإسلامية ونهضت فى عهدهم وهذه الأعمال تشهد للأمويين بدورهم البارز فى التاريخ الإسلامى وتخفف كثيراً من النقد الذى وجه إليهم ومما يزيد المرء إعجاباً وتقديراً لإنجازهم أنهم قاموا بتلك الأعمال الجليلة وهم يصارعون أعداء أشداء من تيارات وأحزاب سياسية ودينية، لم يتركوا فرصة للثورة عليهم إلا انتهزوها من تلك الأحزاب من تذرّع بالدين يحارب به، ويتهم (بنى أمية) بالخروج على الدين وقواعده وأنهم مغتصبون للسلطة كالخوارج والشيعية وهناك شخصيات أعلنت التمرد والثورة على (بنى أمية) لأهداف شخصية، ولتحقيق طموحات ذاتية، والوصول إلى الحكم بأى ثمن، مثل (المختار بن أبى عبيد الثقفى) و(عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث) و(يزيد بن المهلب) راجع التفاصيل فى المطولات.

الخلافة العباسية

ينتسب خلفاء بنى العباس إلى جددهم العباس بن عبدالمطلب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي عاش فى مكة وأسلم بها وكانت له مكاتته عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد أنجب العباس عددًا من الأبناء، أشهرهم : عبدالله بن عباس الذى أطلق عليه ترجمان القرآن وحبّر الأمة لسعة علمه وحدة ذكائه. وترك عبدالله هذا كثيرًا من الأبناء منهم على بن عبدالله الذى يُقال له السجّاد لكثرة عبادته وأنجب السجّاد أولادًا كثيرين ، أشهرهم محمد بن على الذى نظم الدعوة العباسية وخرج بها إلى حيز الوجود وأحاط تحركاته بجو من السرية والكتمان حتى أطلق على المرحلة التى مرت بها الدعوة العباسية فى عهده المرحلة السرية وتمتد من سنة (100هـ / 718م) إلى سنة (129هـ / 746م)

وتحركت الدعوة فيها من ثلاثة أماكن هى: 1- الحميمة : وهى قرية صغيرة منعزلة فى جنوب الشام اتخذتها الأسرة العباسية مقرا لها . 2 - الكوفة وتعد المركز الرئيسى لنشاط الدعاة العباسيين وتوسط بلاد الشام والعراق وخراسان . 3 - خراسان : حيث نجح الدعاة العباسيون فى اجتذاب الآلاف إليهم وبدأت الدعوة بجماعة تسمى النقباء قاموا بتكوين مجلس شورى برئاسة سليمان بن كثير الخزاعى وكان مركز الدعوة فى الكوفة يتلقى التعليمات من مقر البيت العباسى فى الحميمة ويرسلها إلى أنصار الدعوة فى كل مكان، وخاصة خراسان وعقب وفاة الإمام محمد بن على سنة (125هـ 742م) تولى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام شئون الدعوة وقد نشطت فى عهده، واتخذت اللون الأسود شعارًا لها وقد تهيأ للدعوة العباسية أسباب النجاح منذ أن أسندت مهمة الإشراف على الدعوة فى خراسان إلى أبى مسلم الخراسانى الذى جمع حوله الأنصار والأعوان وخاض بهم ساحات القتال محققًا العديد من الانتصارات وقام بدور مهم فى قيام الدولة العباسية وقد واجه العباسيون بزعامة أبى مسلم قوى مختلفة فى خراسان فور إعلان ثورتهم ليلة الخميس (25 من رمضان سنة 129هـ / 9 من يونيو سنة 747م)

وتمثلت هذه القوى فى نصر بن سيار الالى الاموى، وقبائل اليمن وربعة والخارج لكن ابا مسلم استطاع بذكائه ودهائه ان يوقع بينها مستغلا العنصر القبلى وإثارة العصبية بين أفرادها وبعد معارك كثيرة استطاعت قوات أبى مسلم الخراسانى أن تدخل مدينة مرو عاصمة إقليم خراسان ثم استولت على همدان ونهاوند وحلوان وخاقين وغيرها حتى دخلت العراق وكان وراء ذلك النجاح الكبير الذى أحرزه العباسيون فى نشاطهم الدعائى والعسكرى أسباب كثيرة منها: 1 - الدعوة الدائبة والمنظمة التى استمرت ما يقرب من ثلاثين سنة على أيدى دعاة مدرين. 2 - كثرة الجيوش العباسية واندفاعها لاكتساح القوات الأموية. 3 - القيادة الحكيمة التى استطاعت تنظيم أنصار الدعوة العباسية وتسليحهم وتوجيههم إلى ميادين القتال المختلفة. 4 - تمزق صفوف الجيوش الأموية بسبب العصبية القبلية. 5 - نجاح العباسيين فى جذب مجموعة من القادة الأكفاء الذين أداروا المعركة باقتدار ضد الأميين، ومنهم أبو مسلم الخراسانى وأوسلمة الخلال كبير الدعاة العباسيين بالكوفة، وابن شبيب الطائى الذى قاد الجيوش العباسية المتجهة إلى العراق وانتقلت الأسرة العباسية من الحميمة سرا إلى الكوفة بعد إلقاء القبض على إبراهيم الإمام وقتله فى أحد سجون دمشق وكان قد أوصى بتولية أخيه عبدالله شؤون الدعوة. وفى الكوفة أقامت الأسرة العباسية عند أبى سلمة الخلال كبير الدعاة أربعين يوماً حتى تهيأت الظروف لمبايعة أول خليفة عباسى وهو عبد الله بن محمد

(قال) وللدولة العباسية عهدان هما العصر العباسى الأول ويمتد قرناً من الزمان من سنة (132هـ / 749م) إلى سنة (232هـ / 847م) ويعد العصر الذهبى للخلافة العباسية حيث تمتع الخلفاء بسلطتهم الدينية والدينية وخلفاء هذا العصر تسعة، وهم: 1 - أبو العباس عبدالله (132 - 136هـ / 749 - 753م). 2 - المنصور (136 - 158هـ / 753 - 775م). 3 - المهدي (158 - 169هـ / 775 - 785م). 4 - الهادى (169 - 170هـ / 785 - 786م). 5 - الرشيد (170 - 193هـ / 786 - 809م). 6 - الأمين (193 - 198هـ / 809 - 813م). 7 - المأمون (198 -

218هـ / 813 - 833م). 8. المعتصم (218 - 227هـ / 833 - 842م). 9. -
الواثق: (227 - 232هـ / 842 - 847م). هذا عن خلفاء العصر الأول. أما العصر
الثاني فالخليفة الأول فيه هو: أبو العباس (132-136هـ / 749-753م)
عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم ولد سنة (100هـ
/ 718م) تقريباً ببيع أبو العباس في الكوفة في شهر ربيع الأول سنة (132هـ/749م)
واستمر في الحكم أربع سنوات استطاع خلالها توطيد أركان الخلافة العباسية والقضاء
على كل مقاومة ظهرت في عهده .

موقف العباسيين من الأمويين

وبخصوص موقف العباسيين من الأمويين هو أنه مما لاشك فيه أن هناك بعض التجاوزات
التي حدثت في إقليم الشام على يد الوالي العباسي عبدالله بن علي عم الخليفة أبي
العباس حيث تعقب الأمويين في كل مكان وقتل كثيراً منهم مما دفع بعضهم إلى الفرار إلى
مناطق بعيدة كما فعل عبدالرحمن بن معاوية صقر قريش الذي فر إلى المغرب
ومنها إلى الأندلس حيث أسس دولة أموية هناك سنة (138هـ / 755م) كما حاول
بعضهم الآخر التخفي وطلب العفو ومن ناحية أخرى لم يقف أنصار الأمويين وأعوانهم مكتوفي
الأيدي أمام انتصارات العباسيين وما ارتكبه بعض ولائهم من مذابح تجاه البيت الأموي،
فقاموا بعدة ثورات في أماكن متفرقة إحداهما باللقاء و حوران سنة (132هـ /
749م) وأخرى في قنسرين وثالثة في دمشق لكن قوات العباسيين استطاعت الانتصار
عليها والسيطرة على الموقف

موقف الخلافة من بعض زعماء الدعوة العباسية

واجهت الدولة العباسية قبيل إعلانها وفي بداية قيامها انحراف بعض المسؤولين فيها ولم
تكن الظروف السياسية التي صاحبت قيام الدولة العباسية تسمح بالتخلص من
هؤلاء، فلما بويج أبو العباس بالخلافة وبدأت الدولة تأخذ طريقها إلى الاستقرار، قامت
بمعاينة هؤلاء، وكان أول من عوقب أبا سلمة الخلال بسبب عدم تحمسه كثيراً لانتقال

أفراد البيت العباسي من الحميمة إلى الكوفة ولم يأذن لهم بدخول الكوفة إلا بعد فترة، وحاول نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي إلا أنه فشل في ذلك كما حاول قتل أبي العباس وفشل في ذلك أيضاً، فلما استقرت أمور الدولة استقر رأى أفراد البيت العباسي على أخذ رأى أبي مسلم الخراساني الذي وافق على التخلص منه، فتم اغتياله وأعلنت القيادة العباسية أن جماعة من أعداء الدولة هم الذين نفذوا هذه المؤامرة. كما قام أبو مسلم الخراساني والى إقليم خراسان بالتخلص من أحد كبار الدعاة وهو سليمان بن كثير الذي كان يُعرف بنقيب النقباء عقب اتهامه بالاتصال بأحد أبناء البيت العلوي وتحريضه على الثورة ضد البيت العباسي. وقد واجهت الخلافة العباسية في عهد أبي جعفر عدة ثورات فارسية كانت تعبيراً عن معارضة بعض العناصر الفارسية للخلافة الإسلامية ومن هذه الثورات :

حركة سباز سنة (137هـ / 754م)

حيث قاد سباز وهو أحد أتباع أبي مسلم حركة ثورية للتأرلقتل أبي مسلم الخراساني ومحاربة الإسلام وأحس الخليفة المنصور بخطر هذه الحركة فأرسل جيشاً كبيراً استطاع القضاء على قوات سباز وقتله وهو في طريقه لاجئاً إلى حاكم طبرستان .

حركة الرواندية (141هـ / 758م)

وهم قوم من أهل خراسان سُموا بذلك نسبة إلى قرية رواند القريبة من أصفهان وكانوا من أتباع أبي مسلم الخراساني إلا أنهم زعموا أن ربهم الذي يرزقهم ويطعمهم ويسقيهم هو المنصور وأعلنوا إيمانهم بفكرة تناسخ الأرواح واستطاعوا دخول مدينة الهاشمية عاصمة الخلافة العباسية آنذاك، وهاجموا قصر الخلافة فتصدى لهم بعض الجنود البواسل، وعلى رأسهم معن بن زائدة الشيباني واستطاعوا القضاء على هذه الحركة.

حركة أستاذ سيسى سنة (150هـ / 767م)

أستاذ سيسى رجل فارسى ادعى النبوة وقاد حركة تهدف إلى تخلص بلاد فارس من قبضة العباسيين، واستطاع بجيوشه الضخمة بسط نفوذه على مناطق سجستان و هراة و كور خراسان وغيرها فحشدت له الخلافة العباسية قوات ضخمة بقيادة خازم بن خزيمه التميمى استطاعت القضاء على هذه الحركة وانتهى الأمر بالقبض على أستاذ سيسى وإعدامه

حركات الخوارج

نظر الخوارج إلى العباسيين على أنهم مغتصبون للخلافة التى ينبغى أن يتقلدها أجدر المسلمين بها بالانتخاب بغض النظر عن نسبه ومن ثم شهد العصر العباسى الأول عدداً من حركات الخوارج بغرض القضاء على الخلافة العباسية، ومنها: 1 - ثورة ملبد بن حرملة الشيبانى سنة (137هـ/754م) بأرض الجزيرة ب (ديار بكر) وشكلت خطراً كبيراً على العباسيين إلا أن قائدهم خازم بن خزيمه استطاع القضاء عليها. 2 - ثورة حسان بن مجالد الهمدانى بالموصل سنة (148هـ/765م) وانتهت بالفشل لتفرق أنصاره عنه

شأن البرامكة

بالنسبة للبرامكة فقد تمتعوا فى بداية عهد الرشيد بالسلطة والجاه والنفوذ وتقلدوا مناصب الدولة المهمة حتى إذا جاء شهر صفر سنة 187هـ/يناير سنة 803م أمر الرشيد بسجنهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم فيما عرف فى التاريخ بنكبة البرامكة وقد تضافرت عدة عوامل كانت سبباً فيما فعله الرشيد بالبرامكة منها: 1 - اتهامهم بالزندقة والخروج عن الإسلام باعتبارهم من أصل مجوسى. 2 - محاولتهم إبعاد العرب عن المناصب المهمة وتقديمهم الفرس لشغلها. 3 - استبدادهم بالأمر وإظهارهم ما لا تحمله نفوس الملوك. 4 - قيام الحاسدين والحاقدين بتضخيم أخطاء البرامكة. 5 - أن الرشيد كلف جعفر بن يحيى البرمكى بقتل رجل من آل أبى طالب فلم يفعل.

عهد القلق العباسي

عهد القلق من سنة (218هـ/833م) إلى سنة (232هـ/847م) ويشمل المعتصم بالله والواثق بالله .

ما يتميز به العصر العباسي الأول

يتميز العصر العباسي الأول بالسمات الآتية :

(أولاً) كثرة الصراعات ومن ذلك : 1 - الصراع بين العرب ومنهم أسرة الخلافة والفرس ومنهم الوزراء والإداريون وغيرهم مثلما حدث بين الرشيد والبرامكة والمأمون و بنى سهل . 2 - الصراع بين فروع البيت الهاشمي العباسيين والعلويين مثلما حدث بين الخليفة المنصور و محمد النفس الزكية (كما سأذكره في نسب الأدارسة فراجعه هناك) . 3 - الصراع بين الخلافة العباسية والحركات المعادية لها من العرب وغيرهم وقد تمثل ذلك في حركات الخوارج . 4 - الصراع بين الإسلام الدين الرسمي للدولة وبين العقائد الأخرى التي ظهرت في بلاد فارس كالخرمية وغيرها من العقائد الفاسدة (ثانياً) اتساع العلاقات الخارجية فقد بسطت الخلافة العباسية سلطانها على بلاد كثيرة شرقاً وغرباً، وتعددت علاقاتها مع الدول الأخرى وفي مقدمتها : أ - الدولة البيزنطية وكانت العدو التقليدي للدولة الإسلامية منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اشتد هذا العداء بعد استيلاء المسلمين على بعض المناطق التي كانت خاضعة للدولة البيزنطية كالشام ومصر والمغرب .

ما حدث خلال العصر العباسي الأول

خلال العصر العباسي الأول حدث الاحتكاك المباشر بين القوات الإسلامية والبيزنطية على الحدود الشمالية في منطقة الشام فقد استغلت الدولة البيزنطية انشغال الخليفة العباسي الأول أبي العباس عبدالله بن محمد بتثبيت أركان الدولة سنة (132هـ/749م) وقامت بمهاجمة الحصون والثغور الإسلامية فأمر الخليفة أبو العباس واليه على الشام بالإعداد لمواجهة البيزنطيين ولكن الموت عاجله، وجاء المنصور فأمر بتحصين

الثغور وإعادة بناء ما هدمه البيزنطيون وجعل لها حكمًا إداريًا مستقلًا وحشد فيها آلاف المقاتلين والمرابطين في سبيل الله .

قسام الثغور في العصر العباسي الأول

كانت هذه الثغور تنقسم إلى قسمين: 1 - الثغور الجزرية للدفاع عن الجزيرة الفراتية وشمال العراق وأهم حصونها ملطية والمصيصة ومرعش . 2 - الثغور الشامية وتقع غرب الثغور الجزرية، وهى للدفاع عن الشام وأهم حصونها طرسوس وأدنة . وفى سنة (162هـ/779م) أرسل المهدي جيشًا ضخمًا بقيادة الحسن بن قحطبة فتوغل في بلاد الروم ونشر الرعب بين صفوفهم وفى سنة (163هـ/780م) خرج المهدي بنفسه على رأس الجيش متجهًا إلى الحدود البيزنطية ووصل إلى الموصل ثم حلب حيث ترك ابنه هارون الرشيد ليتابع جهاده ضد البيزنطيين، وفى عهد «الرشيد» (170 - 193هـ/786 - 809م) أمر بجعل منطقة الثغور منطقة مستقلة باسم الثغور والعواصم وأقام خطين للدفاع عن حدود الدولة مع البيزنطيين الخط الأول هو الثغور والخط الثانى إلى الجنوب من الخط الأول ويُسمى العواصم كما قام الرشيد ببناء حصون جديدة، مثل عين زرية وزبطرة وغيرهما وقد حاول تقفور إمبراطور الدولة البيزنطية الامتناع عن دفع الجزية للخلافة العباسية فأرسل إليه الرشيد يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى تقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام وخرج الرشيد بنفسه على رأس جيش ضخم ألحق الهزيمة بالقوات البيزنطية وأرغم الإمبراطور تقفور على الخضوع ودفع الجزية مرة أخرى ونظرًا لكثرة المعارك بين العباسيين والبيزنطيين فقد وقع كثير من جنود الطرفين أسرى وقد حرصت الخلافة العباسية على فداء أسرى المسلمين فى عهد الرشيد سنة (181هـ/797م) وقد سار المأمون (198 - 218هـ/813 - 833م) على سياسة والده نفسها فى استمرار النشاط العسكرى ضد البيزنطيين وكان النصر حليف المسلمين وتعددت معركة عمورية سنة (223هـ/838م) أبرز المعارك بين المسلمين والبيزنطيين فى

عهد المعتصم بالله وكان سببها اعتداء الإمبراطور البيزنطي تيوفيل بن ميخائيل» على بعض الثغور والحصون على حدود الدولة الإسلامية وحين بلغ المعتصم ما وقع للمسلمين في هذه المدن، وصيحة امرأة مسلمة وقعت في أسرار الروم : وامعتصماه فأجابها وهو جالس على سريره : لبيك لبيك وجهز جيشاً ضخماً أرسله على وجه السرعة لإنقاذ المسلمين ثم خرج بنفسه على رأس جيش كبير وفتح مدينة عمورية وهي من أعظم المدن البيزنطية واستولى على ما بها من مغنم وأموال كثيرة جدا .

الدولة الأموية بالأندلس

استطاع عبدالرحمن بن معاوية بعد فراره من العباسيين إلى الأندلس أن يؤسس الدولة الأموية بالأندلس وعاصمتها قرطبة سنة (138هـ / 755م). وقد حاولت الخلافة العباسية بسط نفوذها على بلاد الأندلس والقضاء على الدولة الأموية بها، فدبر أبو جعفر المنصور ثورة العلاء ابن مغيث الجذامي في مدينة باجة الأندلسية سنة (146هـ / 763م)، وقام المهدي بمساندة الثورات الداخلية التي كانت تقوم لحساب الدولة العباسية ولكن كل هذه المحاولات والثورات باءت بالفشل بسبب يقظة الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل وحزمه وقد لقبه أبو جعفر المنصور بصقر قریش بل إن عبدالرحمن الداخل أشاع عزمه على غزو الشام واتزاعه من الدولة العباسية وكتب إلى أنصاره في الشام بذلك وعهد إلى ابنه سليمان بولاية الأندلس وذلك بغرض إزعاج الدولة العباسية وإرغامها على وقف محاولاتها المستمرة لاسترداد بلاد الأندلس

الدولة الكارولونجية

وكانت إحدى القوى الناشئة في غربي البحر المتوسط (جنوبي فرنسا حالياً) وقام بينها وبين الدولة العباسية علاقات سياسية، وجرى تبادل السفراء بين الدولتين في عهد هارون الرشيد وقد سعى زعيم الدولة الكارولونجية شارلمان إلى كسب وده لتعزيز موقفه الداخلي والخارجي وتبادل معه الهدايا الثمينة.

العصر العباسي الثاني

العصر العباسي الثاني (232-656هـ / 847-1258 م) ويمتد العصر العباسي الثاني أكثر من أربعة قرون وقد قسم المؤرخون هذه الفترة إلى أربعة عصور رئيسية هي: 1- عصر نفوذ الأتراك. 2- عصر البويهيين. 3- عصر السلاجقة . 4- عصر ما بعد السلاجقة.

عصر نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية

(232 - 334 هـ = 847 - 945م)

كان المأمون أول من استخدم الأتراك وقربهم، ولكنهم كانوا محدودى العدد والنفوذ فى عهده فلما تولى الخليفة المعتصم الحكم جعلهم عنصراً أساسياً فى جيشه وبلغ عددهم بضعة عشر ألفاً وكانوا تحت سيطرة الخليفة وبدأ نفوذ الأتراك يتزايد فى عهد الواثق ثم ازداد حدة واتساعاً فى عهد الخليفة المتوكل ويمتد عصر نفوذ الأتراك إلى ما يزيد قليلاً على قرن من الزمان تعاقب خلاله على كرسى الخلافة ثلاثة عشر خليفة وهم: 1- المتوكل على الله «جعفر بن المعتصم» (232 - 247 هـ / 847 - 861 م). 2- المنتصر بالله محمد بن المتوكل (247 - 248 هـ / 861 - 862 م) 3- المستعين بالله أحمد بن المعتصم (248 - 252 هـ / 862 - 866 م). 4- المعز بالله محمد أبو عبد الله ابن المتوكل (252 - 255 هـ / 866 - 869 م). 5- المهدي بالله محمد بن الواثق بن المعتصم (255 - 256 هـ / 869 - 870 م). 6- المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم (256 - 279 هـ / 870 - 892 م). 7- المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل (279 - 289 هـ / 892 - 902 م). 8- المكتفى بالله أبو محمد على بن المعتضد (289 - 295 هـ / 902 - 908 م). 9- المقدر بالله أبو الفضل جعفر بن محمد (295 - 320 هـ / 908 - 932 م). 10- القاهر بالله أبو منصور محمد بن المعتضد (320 - 322 هـ / 932 - 934 م). 11- الراضى بالله أبو العباس محمد ابن المقدر بن المعتضد (322 - 329 هـ / 934 - 941 م). 12- المتقى لله أبو إسحاق إبراهيم بن

المقدر (329 - 333هـ / 941 - 945م). 13- المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله بن المكفي (333 - 334هـ / 945 - 946م).

عهد الملوك

المتوكل على الله قد تولى الخلافة في ذى الحجة سنة (232هـ 847م)، وكان عهده بداية حقبة الضعف والتدهور وتفكك بنيان الخلافة العباسية ورغم أن المتوكل كان قوى الشخصية وافر الهيبة فإنه لم يستطع أن يضع حدا لاستفحال النفوذ التركي في عهده الذي كان له دور في توليته الخلافة بعد أن كادت البيعة تتم لمحمد بن الواثق وكان غلامًا وقد نجح المتوكل في البداية في التخلص من أخطر العناصر التركية في عهده وهو إيتاخ الذي استفحل خطره حتى إنه همَّ يومًا بقتل الخليفة المتوكل حين تبسَّط معه في المزاح لكن الخليفة نجح في التخلص منه سنة (235هـ 849م) كما عزم على التخلص من قادة الأتراك ووجوههم، مثل وصيف و بُغا إلا أنهم استغلوا ما بينه وبين ابنه وولى عهده محمد المنتصر من خلاف وجفوة ودبروا مؤامرة انتهت بقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان في الخامس من شوال سنة (247هـ 861م)، وبايعوا ابنه المنتصر خليفة وقد استطاع المتوكل في عهده أن يظفر بمكانة عظيمة في قلوب جماهير المسلمين حين منع النقاش في القضايا الجدلية التي أثارها المعتزلة مثل قضية خلق القرآن كما رد للإمام أحمد بن حنبل إقراره القول بخلق القرآن كما أمر المتوكل الفقهاء والمحدثين أن يجلسوا للناس ويحدثوهم بالأحاديث التي فيها رد على المعتزلة فأثنى الناس عليه حتى قالوا: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبدالعزيز رد مظالم بنى أمية و المتوكل محابدة وأظهر السنة

حركة القرامطة

ترجع بداية هذه الحركة إلى عام (278هـ - 891م) قبل تولي المعتضد الخلافة بعام حين قدم إلى الكوفة رجل اسمه حمدان ولقبه قرمط تظاهر بالعبادة والتشف

والدعوة إلى إمام من آل البيت فلقبت دعوته صدى كبيراً عند أنصار آل البيت وحين خمدت سيطرته الروحية عليهم أخذ يث فيهم أفكاراً غريبة عن الإسلام منها: الشهادة بأن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله وأن القبلة إلى بيت المقدس وأن النبيذ حرام والخمر حلال، وغير ذلك من الأفكار الشاذة وقد اشتد خطر هذه الحركة بعد ظهور زعيمها أبي سعيد الجنابي في البحرين سنة (286هـ/899م)؛ حيث استطاع بسط سلطانه على البحرين و هجر وكسب أنصار كثيرين له في المناطق التي ينتشر فيها التشيع. وقد تحولت البحرين إلى مركز رئيسي للقرامطة خرجت منه حملاتهم الحربية في اتجاه العراق والحجاز والشام لنشر أفكارهم الهدامة التي تهدف إلى هدم كيان المجتمع الإسلامي وبسط نفوذهم بواسطة خداع العامة بمبادئ وشعارات براقية، كالعدالة والمساواة والبساطة ومساعدة الآخرين ولم تدرك الخلافة العباسية مدى الخطورة التي تنطوي عليها هذه الحركة ووجهت جهودها الحربية إلى حركات أخرى تبدو أكثر منها خطورة مثل الحركة الصفارية والطولونية وغيرها ومن هنا لم تظفر هذه الحركة من الخليفة المعتضد الذي عاصر بدايتها الأولى بما تستحقه من اهتمام.

انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد

ظلت مدينة سامراء أو سر من رأى عاصمة الخلافة العباسية منذ حوالي سنة (221هـ/836م) في خلافة المعتصم بالله إلى أوائل خلافة المعتضد الذي بنى القصر الحسنى ببغداد وقرر انتقال عاصمة الخلافة إليها سنة (280هـ/893م) وقد ازداد خطر القرامطة اتساعاً وعنفاً في عهد المقتدر ووصل مداه سنة (317هـ/929م) حينما دخلوا مكة بقيادة أبي طاهر القرمطي وقتلوا الحجاج في المسجد الحرام واستولوا على الحجر الأسود وأخذوه إلى مركزهم الرئيسي هجر حتى تم رده إلى مكانه في عهد المطيع سنة (339هـ/950م).

الدول القائمة في عهد العباسيين

وفيما يلي نبذة مختصرة عن أهم الدول القائمة في عهد العباسيين :

الدولة الصفارية

(254 - 289 هـ 868 - 902 م)

أسسها يعقوب بن الليث الصفار في بلاد فارس وخراسان على أنقاض الدولة الطاهرية في عهد المعتز بالله (252 - 255 هـ) بعد أن أظهر كفاءة ملحوظة في محاربة الخارجين على الخلافة والتخلص من الطاهرين بإذن من الخليفة العباسي المعتز بالله واستطاع يعقوب بن الليث أن يضم إلى الدولة الصفارية كثيراً من الأماكن التي استطاع السيطرة عليها في بلاد فارس وخراسان وأعلن ولاء دولته في البداية للخلافة العباسية وعندما تولى المعتد على الله الخلافة، أصر أخوه الموفق على أن يكون ولاء الدولة الصفارية للخلافة ولاءً تاماً لا صورياً، إلا أن يعقوب بن الليث رفض ذلك وتدهورت العلاقة بين الطرفين وهدد يعقوب بدخول عاصمة الخلافة وبسط سلطانه عليها مما أدى إلى حدوث صدام مسلح بين الدولة الصفارية والخلافة في منطقة واسط بالعراق، وكان لظهور الخليفة العباسي المعتد على رأس جيش الخلافة أثر كبير في هزيمة يعقوب بن الليث ورغم هزيمته فقد استمر في تحدى الخلافة ورفض التفاهم معها حتى توفى في جندنيسابور سنة (265 هـ 879 م) ثم تولى رئاسة الدولة الصفارية بعد وفاة يعقوب بن الليث أخوه عمرو بن الليث الذي كان حريصاً على كسب ود الخلافة حتى يؤكد سلطانه الروحي في بلاده فاعترف به الخليفة المعتد والياً على خراسان والسند و سجستان وكرمان وفارس وأصبهان وعندما تولى المعتضد الخلافة بعد وفاة عمه المعتد أقر عمراً على ما في يده. وقد نشط عمرو في توسيع حدود دولته وتطلع إلى غزو بلاد ما وراء النهر حيث الدولة السامانية وعبر نهر جيحون ولكن السامانيين تصدوا له بقيادة زعيمهم إسماعيل بن أحمد الساماني وهزموه وأخذوه أسيراً إلى الخليفة المعتضد الذي سجنه حتى مات في سجنه سنة (287 هـ / 900 م)، وقد تولى زعامة الصفاريين بعدهزيمة عمرو وأسرته حفيده طاهر بن محمد ابن عمرو ولكن أحوال

الصفارين تدهورت بشدة خلال هذه الفترة نتيجة الهجمات المتلاحقة التي شنها عليهم السامانيون وسقطت دولتهم سنة (289هـ / 902م) .

الدولة السامانية

(261 - 389هـ / 875 - 999م)

ظهر السامانيون على المسرح السياسي لدولة الخلافة العباسية في عصر الخليفة المأمون (198 - 218 هـ 813 - 833م) وسموا بذلك نسبة إلى قرية سامان القريبة من سمرقند حيث كانوا يوارثون إمارتها، ويسمى أميرهم سامان خداه أى كبير قرية سامان وصاحبها وقد اعتنق أحد السامانيين الإسلام أثناء خلافة الأمويين وسمى ابنه أسداً كاسم حاكم خراسان فى عهد هشام بن عبد الملك واسمه أسد بن عبد الله القسرى وطال العمر بأسد السامانى حتى أدرك المأمون فذهب إليه فى مرو قبل انتقاله إلى بغداد (فى الفترة من سنة 193 هـ 809م إلى سنة 202 هـ / 817م) ومعه أبناؤه الأربعة نوح وأحمد وإلياس ويحيى فاحتفى بهم المأمون وألحقهم بخدمته وبعد انتقال المأمون إلى بغداد أمر بإسناد عمل إلى كل واحد من أبناء أسد السامانى فتم إسناد حكم سمرقند إلى نوح وحكم فرغانة إلى أحمد وحكم الشاش إلى يحيى وحكم هراة إلى إلياس فكان هذا مقدمة لتمكن نفوذ السامانيين فى هذه المناطق المعروفة باسم بلاد ما وراء النهر (نهر جيحون) وقد برز أحمد بن أسد حاكم فرغانة على إخوته وكان له سبعة أبناء هم نصر ويحيى ويعقوب وإسماعيل وإسحاق وأسد وحميد وعند وفاته سنة (250 هـ / 864م) حل محله ابنه الأكبر نصر ودان له باقى إخوته بالطاعة والولاء وفى سنة (261 هـ 875م) حدث التحول الحاسم فى تاريخ السامانيين حينما أسند الخليفة المعتمد على الله ولاية جميع بلاد ما وراء النهر إلى نصر بن أحمد بن أسد السامانى فأقام نصر فى سمرقند وعين أخاه إسماعيل نائباً عنه ببخارى وعهد إلى كل أخ من إخوته الباقين بحكم إحدى الولايات مما يمكن معه اعتبار عام (261 هـ / 875م) بداية تكوّن الدولة السامانية وعقب وفاة نصر بن أحمد فى سمرقند عام

(279هـ / 892م) ضم أخوه إسماعيل سمرقند إلى ملكه وأصبح هو الحاكم الأعلى لكل بلاد ما وراء النهر لذلك يرى بعض المؤرخين أن إسماعيل بن أحمد بن أسد الساماني هو المؤسس الحقيقي للدولة السامانية حيث خضع له سائر الأمراء السامانيين ووسع حدود الدولة، فضم لها خراسان ومعظم البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ الدولة الصفارية وبلغت الدولة السامانية قمة مجدها في عهده (من 279 295هـ / 892-908م) ثم في عهد حفيده نصر بن أحمد بن إسماعيل 301-331هـ / 913-943م) وبدأت الدولة السامانية تتدهور منذ عهد نوح بن نصر (331-343هـ / 943-954م) حتى سقطت في يد الغزنويين سنة (389هـ / 999م)

دولة بني حمدان في الموصل وحلب

(293-392هـ / 906-1002م)

ينتمي الحمدانيون إلى حمدان بن حمدون بن الحارث من قبيلة تغلب وقد ظهر نفوذ حمدان في شمال العراق سنة (254هـ) أثناء خلافة المعتز بالله وتعاون مع خوارج الجزيرة في شمال العراق واستطاع أن يسيطر على بعض المواقع الحصينة هناك، وأهمها قلعة ماردين ولكن الخليفة المعتضد بالله استطاع استردادها وقبض على حمدان وسجنه وتعهد حسين بن حمدان بالطاعة والولاء للخليفة المعتضد وساعده في حربه ضد الخوارج حتى هزمهم فقربه الخليفة وعفا عن والده حمدان بن حمدون وفي خلافة المكتفي بالله (289-295هـ / 902-908م) تعاظمت مكانة حسين بن حمدان وقام بدور بارز في الحرب ضد القرامطة وفي الحملة التي جهزها العباسيون لاسترداد مصر من يد الطولونيين في سنة (292هـ 905م) وقد شارك حسين ابن حمدان في المؤامرة الفاشلة التي دبرها أنصار ابن المعتز لخلع المقتدر وهرب حتى عفا عنه المقتدر وأسند إليه ولاية بعض البلاد وأهمها ديار ربيعة بالجزيرة سنة (298هـ 911م) إلا أنه حدث بينه وبين علي بن عيسى وزير المقتدر نزاع انتهى بالقبض عليه وقلته في سجنه سنة (306هـ / 918م) ورغم أن حسين بن حمدان كان من أعظم الأمراء

بأساً وشجاعة وكان أول من ظهر أمره من ملوك بنى حمدان فإن أخاه أبوالهيجاء عبدالله بن حمدان كان أعمق تأثيراً وأوسع نفوذاً فى تاريخ الأسرة الحمدانية وقد ولاة الخليفة المكلفى إمارة الموصل وتوابعها سنة (293هـ / 906م) ويعد أبوالهيجاء عبدالله بن حمدان المؤسس الحقيقى لمملكة الحمدانيين فى الموصل التى ظل حاكماً لها إلى أن قتل سنة (317هـ / 929م) عقب اشتراكه فى المؤامرة الفاشلة لخلع الخليفة المقدر وقد خلفه ابنه حسن الملقب بناصر الدولة واستطاع أن يمد سلطانه على أقاليم الجزيرة الثلاثة ديار ربيعة وديار مضر وديار بكر بإذن من الخليفة الراضى حتى أعدته الشيخوخة فخلفه على الحكم ابنه فضل الله أبو تغلب الغضنفر سنة (353هـ / 964م) وقد دخل ناصر الدولة وابنه أبو تغلب الغضنفر فى صراع طويل مع البويهيين أصحاب السلطة فى العراق منذ سنة (334هـ / 945م) وانتهى هذا الصراع بهزيمة أبى تغلب الغضنفر أمام عضد الدولة البويهى سنة (368هـ / 979م) وانتهت بذلك مملكة الحمدانيين فى الموصل والجزيرة .

الحمدانية فى حلب

أما الدولة الحمدانية فى حلب فقد أسسها على بن أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان الملقب بسيف الدولة حيث استطاع بمعاونة أخيه الأكبر ناصر الدولة انتزاع حلب من الإخشيديين سنة (333هـ / 944م) ثم استطاع بعد ذلك أن يسطر سلطانه على حمص وقنسرين والعوادم وبعض بلاد الجزيرة سنة (336هـ / 947م) وقد قام سيف الدولة الحمدانى بمهمة جليلة أثناء حكمه الذى استمر حتى سنة (356هـ / 967م) وهى حماية حدود دولة الخلافة من غارات الروم (البيزنطيين) المتواصلة بعد أن ضعفت الخلافة المركزية عن القيام بهذه المهمة المقدسة. وكان سيف الدولة الحمدانى أديباً شاعراً فجمع حوله العلماء والأدباء مثل أبى نصر الفارابى وابن خالويه وأبى الطيب المتنبى و أبى فراس الحمدانى وابن نباتة والسرى الرّفاء وغيرهم. وتوفى سيف الدولة سنة (356هـ / 967م) وخلفه فى الحكم ابنه أبو المعالى شريف المعروف بسعد الدولة

ضعفت فى عهد سلطنة الحمدانيين فى الشام لكثرة الضغوط التى تعرض لها من البيزنطيين والبويهيين فى العراق والفاطميين فى مصر بغرض الاستيلاء على الشام وتوفى سعد الدولة سنة (381هـ - 991م) وتولى بعده ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة الذى تعرض لضغوط الفاطميين المتزايدة لضم الشام إلى مصر فتحالف مع البيزنطيين لصد هجمات الفاطميين عليه ثم انتهت إمارته بمقتله سنة (392هـ - 1002م) على يد وزيره لؤلؤ الحاجب وانتهت بذلك الدولة الحمدانية فى الشام الذى أصبح خاضعاً لسلطان الفاطميين وقد كان الحمدانيون يميلون إلى التشيع وكانت علاقتهم بالخلافة العباسية تتأرجح بين الرضا والسخط والتوجس.

دولة بنى بويه قبل انتقالها إلى بغداد

ينتسب البويهيون إلى أبى شجاع بويه الذى نشأ فى بلاد الديلم التى تقع جنوبى غربى بحر قزوين أو بحر الخزر بين منطقتى طبرستان والجمال وكانت هذه البلاد معقلاً لنفوذ العلويين فانتشر فيها التشيع ورغم أن أبى شجاع بويه كان فقيراً فإنه كان يتحلى بروح المغامرة والشجاعة كما تشرب الروح الشيعية التى كانت سائدة فى بلاد الديلم وقد انضم أبو شجاع إلى العلويين فى صراعهم مع السامانيين، ومع ذلك فلم يكن هو المؤسس الحقيقى لأسرة بنى بويه وإنما كان أبناؤه الثلاثة على وحسن وأحمد هم الذين قاموا بذلك فقد التحق أبناؤه بخدمة ماكان بن كاكى أحد القواد البارزين المناصرين للداعية الشيعى الحسن بن على الملقب بالأطروش وأبرزوا تميزاً فى خدمته فارتقوا من مرتبة الجنود إلى رتبة القادة، ثم حدث صراع بين ماكان و مرداويج بن زيار أحد القادة الفرس فى منطقة الديلم وأحس أبناء بويه أن كفة مرداويج هى الراجحة فى هذا الصراع، فانضموا إليه فيما بين عامى (316 و 317هـ - 928 و 929م) وكان ذلك بداية تمكن نفوذهم فى فارس والمناطق المحيطة بها وقد ظهر بنو بويه أو البويهيون على مسرح الأحداث فى أواخر عصر نفوذ الأتراك، فبدءوا منذ عام (321هـ - 933م) يؤسسون لأنفسهم مناطق نفوذ تخضع لسيطرتهم التامة فاستولوا على فارس وشيراز وأصبهان والرى

وهمذان و الكرج و كرمان و أغراهم ذلك على التطلع إلى مد نفوذهم إلى العراق موطن الخلافة العباسية وقد ساعدتهم على ذلك تضاؤل النفوذ التركي واشتداد الصراع على منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الخليفة الراضى بالله سنة (324هـ / 936م) مما أدى إلى تمزق الكلمة وضعف الجبهة التي يمكن أن تحمي دار الخلافة فلم يجد أحمد بن بويه أى صعوبة فى دخول بغداد والسيطرة عليها بدون قتال فى (الحادى عشر من جمادى الأولى سنة 334هـ / يناير سنة 946م) وعندما دخل أحمد بن بويه بغداد فى جمادى الأولى سنة (334هـ / ديسمبر سنة 945م) كان المستكفى بالله هو الخليفة العباسى ولم يكن أمامه إلا أن يظهر الترحيب به بل إنه زاد على ذلك فخلع عليه الخلع ولقبه معز الدولة كما لقب أخاه عليا عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بأن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدرهم وكان على بن بويه حاكماً لإقليم فارس والحسن بن بويه حاكماً لعدة أقاليم أهمها البرى و الجبل و أصفهان فى حين دخل أخوهم الأصغر أحمد بغداد وقد تدهورت أحوال الخلافة العباسية واندثرت معالمها من الناحية الواقعية حينما سيطر البويهيون على بغداد فقد جردوا الخليفة من كل سلطاته وعدوه مجرد موظف مهمته إضفاء صفة الشرعية على سلطانهم لدى جماهير المسلمين فحددوا له راتبه، وسلبوه حقه فى تعيين الوزراء، وسمحوا له بأن يتخذ كاتباً (سكرتيراً) فقط يشرف على أمواله ورغم أن البويهيين كانوا شيعة فإنهم لم يستقطوا الخلافة العباسية السنّية فى بغداد ليحلوا محلها خلافة علوية شيعية تتفق مع مذهبهم، وسبب ذلك علمهم أن وجود خليفة من العلويين يهدد ملكهم وسلطانهم، وليس الأمر كذلك مع الخليفة السنّى الذى يستطيعون هم أن يفعلوا به ما يشاءون وقد برهن سلوك البويهيين مع الخليفة المستكفى على صدق ذلك فقبل مرور شهر على دخولهم بغداد دخل معز الدولة أحمد بن بويه على الخليفة المستكفى فوقف الناس حسب مراتبهم فتقدم اثنان من الديلم وهم قوم معز الدولة فمدّ الخليفة يده إليهما ظنانهما أنهما يريدان تقبيلها فجذباها وطرحاه أرضاً وجرّاه بعمامته، ثم هجم الديلم على دار الخلافة ونهبوها وسار معز

الدولة إلى منزله وساقوا الخليفة المستكفي ماشياً إليه ثم انتهت هذه المأساة بجمع المستكفي وسمل عينيه وإذا استبعدنا خلافة المستكفي فإننا نجد أن الخلفاء الذين شهدوا عصر نفوذ البويهيين كانوا أربعة وهم: 1- المطيع لله أبو القاسم الفضل بن المقتدر بن المعتضد [334 - 363 هـ / 945 - 974 م]. 2- الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع [363 - 381 هـ / 974 - 991 م]. 3- القادر بالله أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر [381 - 422 هـ / 991 - 1031 م]. 4- القائم بأمر الله أبو جعفر عبدالله بن القادر [422 - 467 هـ / 1031 - 1075 م]

(قال) وقد أدى الصراع المستمر بين أبناء البيت البويهى إلى تطلع قوى أخرى من خارج البيت البويهى للاستيلاء على مقاليد الحكم فى دولة الخلافة العباسية كما شغل هذا الصراع البويهيين عن توجيه أذاهم إلى الخليفة العباسى القادر بالله الذى ظل واحداً وأربعين عاماً على كرسى الخلافة حتى توفى سنة (422 هـ / 1031 م) (قال) وعقب وفاة أبى كاليجار منهم فى (جمادى الأولى سنة 440 هـ / أكتوبر سنة 1048 م) خلفه على إمارة العراق ابنه أبو نصر خسرو فيروز الملقب بالملك الرحيم وكانت فترة إمارته تمثل قمة التردى فى أوضاع الدولة البويهية حيث دخل فى صراع مع إخوته حول السلطة واستعان بعضهم بالسلاجقة ضد أخيهام الملك الرحيم وأصبح البويهيون تحت سيطرة السلاجقة وتحدد مصير دولتهم على أيدي هذه القوة الناشئة.

عصر نفوذ السلاجقة

[447-590 هـ / 1055-1194 م]

السلاجقة أسرة تركية كبيرة كانت تقيم فى بلاد ما وراء النهر وتنسب إلى زعيمها سلجوق بن قتيق الذى اشتهر بكفائه الحربية، وكثرة أتباعه. وقد أسلم سلجوق وأتباعه وخلف من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى وكان أبرزهم ميكائيل الذى أنجب (طغرل بك محمد وجغرى بك داود) اللذين قام عليهما مجد السلاجقة. هاجر السلاجقة بزعامة طغرل بك وأخيه جغرى فى الربع الأول من القرن الخامس

الهجرى إلى خراسان الخاضعة لنفوذ الغزنويين وبعد سلسلة من الصراخ بين الغزنويين و السلاجقة استطاع السلاجقة السيطرة على خراسان بعد هزيمة الغزنويين بقيادة السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين سنة (431هـ / 1040م) أمام طغرل بك وأخيه جغرى وقد ساعد السلاجقة على توطيد سلطانهم اتماؤهم إلى المذهب السنى وإعلانهم الولاء والتبعية للخليفة العباسى القائم بأمر الله الذى عين طغرل بك نائباً عنه فى خراسان وبلاد ما وراءالنهر وفى كل ما يتم فتحه من البلاد وقد استطاع السلاجقة توسيع حدود مملكتهم بسرعة هائلة، فاستولى زعيمهم طغرل بك على جرجان وطبرستان سنة (433هـ) وعلى خوارزم والرى وهمدان سنة (434هـ = 1043م) وعلى أصبهان سنة (443هـ / 1051م) وعلى أذربيجان سنة (446هـ / 1054م)، وبدأ يتطلع للسيطرة على بغداد وقدهيات له الأوضاع السائدة فى العراق تحقيق هذا الهدف دخول طغرل بك بغداد سنة (447هـ / 1055م) وسقوط دولة البويهيين كان القائد التركى المشهور أبو الحارث أرسلان المظفر بن عبدالله المعروف بالبساسيرى من أكابر العسكريين الأتراك فى بغداد فى أواخر العهد البويهى وكان يقوم بدور الحاكم العسكرى لمدينة بغداد ، ويعد صاحب النفوذ الأكبر فى دار الخلافة وقد كانت هناك خصومة شديدة بينه وبين أبى القاسم بن المسلمة على بن الحسن بن أحمد وزير الخليفة القائم بأمر الله فاتهمه الوزير بالخيانة واتصالة بالفاطميين فى مصر لميوله الشيعية ولما تبين ذلك للخليفة القائم بأمر الله خشى أثر موقف البساسيرى على مستقبل الخلافة العباسية فاتصل بالسلطان السلجوقى طغرل بك وطلب منه القدوم إلى بغداد للاستيلاء على السلطة فيها ووضع حد لمحاولات البساسيرى الخطيرة ولعجز البويهيين عن إدارة شؤون الدولة فاستجاب السلطان السلجوقى وتقدم بجنوده نحو بغداد وأمر الخليفة بأن يُخطب له على منابرها قبل دخولها فى (25 من رمضان سنة 447هـ / نوفمبر سنة 1055م) بثلاثة أيام وتم القبض على الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين أصبح طغرل بك ركن الدين أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول سلاطين

السلاجقة في بغداد ابتداءً من (رمضان 447هـ /نوفمبر 1055م) وقد استقبله الخليفة القائم بأمر الله بكل مظاهر الحفاوة والترحاب ولقبه ملك المشرق والمغرب ورأى السلاجقة في الخلافة السُّنية رمزاً دينياً يعبر عن وحدة الأمة الإسلامية وعزتها ونظروا إلى الخليفة على أنه تجسيد حي لهذا الرمز، فأحاطوه بهالة من التقدير والإكبار ونعمت الخلافة العباسية في ظل نفوذ السلاجقة بأمرين الأول: سيادة المذهب السني في أرض الخلافة. والآخر: إحاطة الخلافة بما هي أهل له من إكرام وإجلال فأصبح من حق الخليفة اتخاذ وزير له ورغم أن وزير السلطان السلجوقي كان بصفة عامة أوسع نفوذاً وأقوى تأثيراً من وزير الخليفة، فإن ذلك لا يقلل من حقيقة التكريم الذي أسبغه السلاجقة على منصب الخلافة؛ حيث كانت السلطة الفعلية في يد السلاجقة وكانت سلطة الخليفة روحية أكثر منها سياسية وعندما دخل طغرل بك بغداد اضطر البساسيري إلى تركها وبدأ يجمع حوله عدداً من الأنصار الساخطين على الأوضاع في دار الخلافة واستطاع الاستيلاء على الموصل سنة (448هـ /1056م)، وخطب فيها للخليفة المستنصر الفاطمي ثم مد نفوذه إلى الكوفة وواسط وأغرى إبراهيم يتال وهو أخو طغرل لأمه بالانشقاق على أخيه ليضمن انشغاله عنه بفتنة أخيه. وقد أمد المستنصر الفاطمي البساسيري بما يدعم موقفه ويمكنه من مد نفوذه فاستطاع في (الثامن من ذي القعدة سنة 450هـ / السابع والعشرين من ديسمبر 1058م) أن يدخل بغداد بجيوشه، ويخطب فيها للخليفة الفاطمي وخضعت بغداد للخلافة الفاطمية بمصر واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله ووزيره ابن المسلمة أن يضعوا نفسيهما تحت حماية أحد أعوان البساسيري واسمه قريش بن بدران فطلب البساسيري من قريش تسليمه ابن المسلمة فقتله شر قتلة في (أواخر ذي الحجة سنة 450هـ / يناير 1059م) وقام قريش بتسليم الخليفة العباسي إلى ابن عم له بنواحي الأنبار فأواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة وحاول البساسيري مد سلطانه على مدن العراق ما أمكنه ذلك، فاستولى على البصرة وأوشك الأمر أن يستتب للفاطميين بالعراق لولا أن المستنصر شك في نيات

البساسيري وحقيقة مخططاته، فممنع عنه عونته وتأييده مما كان له أثره السيئ على موقفه فى مواجهة طغرل بك الذى نجح فى القضاء على ثورة أخيه إبراهيم يئال وقبض عليه وقتله فى (التاسع من جمادى الآخرة سنة 451هـ / يوليو سنة 1059م) وعندما اقتربت جيوش السلطان السلجوقى طغرل بك من بغداد هرب البساسيرى فى اتجاه الكوفة فى (6 من ذى القعدة سنة (451هـ / 14 من ديسمبر 1059م)، وسيطر طغرل بك على بغداد بسهولة بعد عام كامل من سيطرة البساسيرى عليها، وأعاد الخليفة القائم بأمر الله مكرماً إلى دار الخلافة فى (25 من ذى القعدة سنة 451هـ / 14 من ديسمبر سنة 1059م) ونجح فرسان طغرل بك فى قتل البساسيرى فى (8 من ذى الحجة سنة 451هـ / 15 من يناير سنة 1060م) وبذلك بدأ السلطان السلجوقى طغرل بك يعمل على توطيد ملك السلاجقة بالعراق وراجع تاريخ السلاجقة فى المطولات.

العثمانيون

العثمانيون كما قال الدكتور محمد حرب نسبة إلى عثمان مؤسس دولتهم التى حكمها 36 سلطانا واستمرت 624 سنة ونيفا ينتسبون إلى قايد من قبائل الغز، ثم شاعت صفة عثمانى على كل مواطن ينتمى إلى دولتهم العثمانية بصرف النظر عن دينه وثقافته وعرقه كونوا إمارة ثغر تابعة لدولة سلاجقة الروم فى الأناضول على حدودها مع الدولة البيزنطية ثم استقل أميرها عثمان عام 699هـ/1299م وأسس إمارته على العلم والفتوحات وفى عهده برز الشاعر عاشق باشا أول شعراء العثمانيين ثم توسع عثمان بالغزو والجهاد على حساب البيزنطيين ولما مات خلفه ابنه أورخان الذى اتخذ من مدينة بورصة عاصمة سياسية وثقافية واتباع أورخان سياسة أبيه فى نشر العلم وفى الفتح ووصل إلى مضيق الدردنيل. ومن أبرز شعراء عصره سليمان جلى صاحب قصيدة المولد وتولى مراد بن أورخان الإمارة العثمانية التى تمتد بين الأناضول والبلقان وفى عهده تأسست فرقة الإنكشارية أول جيش نظامى فى العالم، وفتحت أدرنة من أكبر المدن البيزنطية 764هـ/1362م وظلت عاصمة للعثمانيين حتى عام 857هـ/1453م وأنجب عصره الشاعر نسيمى الذى نشأ فى العراق

العثماني ونظم بالتركية في لهجتها الأذرية واتصر مراد على تحالف القوى الأوروبية ضده في معركة قوصوه (كوسوفا) إلا أنه استشهد عقبها (قال) وفي عهد ابنه بايزيد الصاعقة انتهى عهد الإمارة لتتحول رسمياً إلى سلطنة الخليفة العباسي في القاهرة بتنصيبه بايزيد سلطاناً على الروم إلا أن هزيمته أمام تيمور لنگ في موقعة أنقرة 805هـ / 1402م تسببت في تفرق الدولة مدة إحدى عشر عاماً بعدها لم ابنه السلطان محمد الأول شمل الدولة من جديد وهو الذي اعتنى بالتوحيد السياسي وبالمعرفة وظهر في عهده الشاعر المجدد (شيخى) صاحب خرنامة أما ثم جاء السلطان مراد الثاني وبعده محمد الثاني الذي لقب بالفتح لفتح القسطنطينية (استانبول) عام 857هـ/1453م واتخاذها عاصمة وبه انتهى رسمياً وجود الدولة البيزنطية وبدأ عهد الدولة الحديثة في أوربا وبه أيضاً بدأ التاريخ الحديث واشتهر الفاتح كقائد عسكري وشاعر وأديب وراع للفنون والأدب فبالإضافة إليه نفسه كشاعر صاحب ديوان نجد في عهده العالم آق شمس الدين الذي عرف الميكروب وكتب عن السرطان والشاعر أحمد باشا وكذلك سنان باشا رائد النثر التركي العثماني والشاعرتين مهري خاتون وزينب خاتون . وإذا كان الأمير عثمان المؤسس مات عن إمارة تبلغ 800 كم2 فقد توفى الفاتح عن دولة 2.000.000 كم2 أي مدى 154 سنة فقط بين الاثنين وإذا كانت الفتوحات العثمانية قد توقفت في عهد بايزيد الثاني ابن الفاتح إلا أن سليم الأول الذي كان شاعراً في لغته العثمانية وله ديوان بالفارسية وظهر في عهده العالم اللغوي الفقيه المؤرخ ابن كمال (قال) وأعاد سليم حركة الفتوحات مرة أخرى بضمه مصر والبلاد العربية إلى الدولة وبسليم تحولت الدولة من سلطنة إلى سلطنة وخلافة استمرت حتى عام 1342هـ / 1923م تخللتها الذروة التي وصلت فيها الدولة على عهد سليمان القانوني عصرها الذهبي من حيث توسع الدولة وسيطرتها على أوربا ومن حيث الثقافة والفنون والأدب فالقانوني نفسه كان أول شعراء عصره الذي أنجب فضولي أمير الشعر التركي القديم ، ولامعى الشاعر، وخيرالدين باريماروس القائد البحري، وبيرى رئيس العالم صاحب كتاب البحرية والمعمار سنان باني جامع السلليمانية في أدرنة قمة الفن الإسلامي المعمارى والذي استخدم قبة

الجامع التي لا تستند على أعمدة وإنما على أنصاف قباب ثم أرباع قباب ثم الجدار وفي ذلك توسعه لمساحة الجامع وفي عهد سليمان قضى على نشاط فرسان القديس يوحنا بعد الفتح العثماني لجزيرة رودوس أما هو نفسه فقد قاد 13 حملة عسكرية بدأت بفتح بلغراد وانتهت بحصار قلعة سيكتوار عام 974هـ / 1566م والذي مات عن 73 سنة وهو على فرسه يحاصرها تاركا لابنه سليم الثاني دولة بلغت مساحتها 13.000.000 كم2 وبعد قرن كامل من الوصول إلى الذروة حكم خلاله عدة سلاطين أبرزهم سليم الثاني، ومراد الثالث الذي ظهر في عهده المورخ خوجه سعد الدين صاحب كتاب تاج التواريخ وأول المؤرخين الرسميين (قال) وفي عهده فتح العثمانيون روسيا ووصلوا إلى مشارف موسكو لكنهم فشلوا في حصار مدينة فيينا وعندها سقطت عنهم صفة "المنتصرون دائما" وبدأت فترة التوقف التي بدأ فيها العثمانيون فقد أراضيههم لصالح الأوربيين مثل المجر و ترانسلفانيا بموجب معاهدة كارلوفجه في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، أما في معاهدة كوجوك قاينارجه بعد ذلك فقد بات واضحا هزيمة العثمانيين أمام روسيا فبدأت فترة الانهيار مما جعل الدولة تبدأ مرحلة التجديد لاستعادة القوة، وهي التي بدأت بعبد الحميد الأول وبرزت في عهد سليم الثالث صاحب "النظام الجديد" نظرا لإحلاله النظم الأوربية الحديثة محل العثمانية القديمة في الجيش والإدارة ومظاهر الحياة، مما أثار عليه جنود الإنكشارية فعزلوه وقتلوه (قال) ونشطت الحركة الثقافية في عهده وترجم عاصم قاموس برهان قاطع من الفارسية . ومن علماء عصره خوجه إسحق عالم الهندسة، ومصطفى بهجت عالم الطب وجاء بعد محمود الثاني الذي هيا الدولة لتجديد أوسع على النمط الأوربي مثلما فعل واليه على مصر محمد علي باشا، مما سهل على ابنه عبد الحميد إعلان "التنظيمات" رسميا وذلك يعنى إعادة تنظيم شؤون الدولة العثمانية على أسس أوربية وجعل الفرنسية لغة الثقافة وتولى بعده مراد الخامس ثم عبد الحميد الثاني الذي تولى والدولة في غاية ضعفها، مما أطمع فيها دول أوربا وبضغط من النخبة الحاكمة كرجال دولة والمثقفه على أسس غربية أعلن قيام النظام النيابي، "مجلس المبعوثان"، إلا أن هذه النخبة دفعت الدولة إلى الحرب العثمانية الروسية رغما عن إرادة

السلطان وبنكبة هذه الحرب ألغى السلطان العمل بالنظام النيابي واهتم بالشؤون الثقافية والدينية والعلمية طوال عهده 33 عاما وقدصلت في عهده الثقافة والفنون والنظم التعليمية إلى درجة عالية وظهر في عهده أساطين الأدب والفكر والفن منهم: نامق كمال ، أول دعاة الجامعة الإسلامية، وضيا باشا ، وعبدالحق حامد .وتوفيق فكرت لكن الجيش بقيادة حزب الاتحاد والترقي أجبر السلطان عبدالحميد على ترك العرش عام 1327هـ / 1909م ليحل محله السلطان محمد رشاد بتوجيه الاتحاديين الذين أدخلوا الدولة في حرب البلقان وإيطاليا ثم بمغامرة عسكرية منهم دون علم السلطان والصدر الأعظم أشركوا الدولة في الحرب العالمية الأولى التي خرجت منها منهارا وقامت على أنقاضها دولة تركيا في 29 أكتوبر 1342هـ / 1923م . بقيادة مصطفى أتاتورك والقصة معروفة ومذكورة في المطولات . وسأنبه إلى تاريخ المنطقة الإسلامية في ما يأتي من فصول .

الكتاب الرابع

في بيان الجغرافية المبسطة

ويتضمن ذكر عينات من الجغرافية البسيطة التي تعني موضوع هذا الكتاب

الفصل الاول

في

نبذة من الجغرافية المبسطة

الجغرافيا

الجغرافية أيضا لها علاقة بموضوع كتابنا هذا وهي علم يدرس توزيع كل ما هو حي على الأرض ويبين موقعه كما يدرس ملامح الأرض التي نعيش عليها فالجغرافيون يدرسون أين يعيش البشر والحيوانات وأين تنبت النباتات ويدرسون علاقة هذه الكائنات الحية (البشر والحيوان والنبات) بالأنهار والصحاري وغيرها من الظواهر الطبيعية على أرضنا هذه ويدرسون الجغرافيون أيضا موقع الظواهر الطبيعية على الأرض وكيف تحدد مواقعها وسبب

أهمية هذه المواقع وكلمة جغرافيا من اليونانية القديمة وتعنى وصف الأرض. ويسعى الجغرافيون إلى معرفة القوى التى تشكل سطح الأرض وتغيره ولذا فهم يدرسون المناخ والتغيرات الحادثة التى تسببها قوى الطبيعة كالرياح والمياه ويهتم الجغرافيون أيضا ببحث تغيير البشر للأرض ، وقد يخللون مثلا كيف يؤدي التوسع فى إحدى المدن إلى التأثير فى النهر المجاور لها وبالإضافة لهذا فإن الجغرافيين يبحثون طرائق تغيير سطح الأرض على مر العصور وقد يدرسون مظاهر نمو مدينة من المدن وكيف تطورت أو كيف كان عليه حال هذا الوادى النهري منذ مئات السنين ويستخدم الجغرافيون المعلومات التى جمعها العلماء فى مجالات علمية أخرى كثيرة فهم يستخدمون معلومات قدمتها لهم علوم مثل: الجيولوجيا ، والبيولوجيا (الأحياء) والأثروبولوجيا (علم الإنسان)، والاقتصاد، والفيزياء، والاجتماع. وهم يضيفون هذا كله إلى البيانات التى حصلوا عليها من خلال مجتهدهم للإجابة عن الأسئلة المتعلقة بـ سطح الأرض ، وغالبا ما يسجل الجغرافيون نتائج أبحاثهم على خرائط ، فالخريطة هى أكثر أدوات الجغرافى أهمية. ويعتمد الجغرافيون أيضا على وسائل أخرى كالرحلات والتصوير الفوتوغرافى والدراسات المسحية والمقابلات ، واستخدام الإحصاءات .

تاريخ الجغرافيا

فى بواكير العصور الوسطى فى أوروبا، سجل الإغريق والرومان كثيرا من المعلومات الجغرافية لكنها فقدت ، إلا أن المسلمين فى الشرق الأوسط والشمال الأفريقى، استمروا فى دراسة الجغرافيا ومتابعة الكشوف .

العرب وعلم الجغرافيا

الجغرافية كما سبق ذكره كلمة يونانية الأصل معربة تعنى وصف الأرض، وقد دخلت هذه الكلمة اللغة العربية إبان العصر العباسي. وكان العرب يعرفون الجغرافيا بأنها علم بأحوال الأرض من حيث تقسيمها إلى الأقاليم والجبال والأنهار، وما يختلف حال السكان باختلافه. و الجغرافيا بذلك تدرس الأرض بوصفها وطنًا للإنسان. ويتفق الجغرافيون على أن الجغرافيا هى علم المكان. وأقدم كتب الجغرافيا المعروفة لدينا كتاب الجغرافيا لبطليموس. والملاحظ

أن علم الجغرافيا ارتبط بالإنسان منذ القدم نظراً إلى حاجة الإنسان إلى معرفة الأماكن والظواهر الجغرافية والفلكية المحيطة به، إلا أنه تطور على أيدي العرب نظراً لارتباط الجغرافيا ببعض المسائل الفقهية، مثل: تحديد القبلة والحج والصيام كذلك عمليات الفتح الإسلامية والتجارة والكسب وطلب العلم. وأشهر الجغرافيين المسلمين أبو عبد الله القزويني وأبو إسحاق الإصطخري وعلي بن الحسين المسعودي وياقوت الحموي وابن حوقل. وقد تطورت مسيرة الجغرافيا على أيدي الأوربيين فتعمق التفسير والتحليل فيها. وتهتم الجغرافيا بالمكان والإنسان والظواهر الفلكية والمناخية، والزراعة والسكان والنواحي العسكرية والاستراتيجية.

القارات

القارات هي إحدى الكتل الرئيسية التي تنقسم إليها اليابسة. وباستثناء أنتاركتيكا التي تعتبر في كثير من الأحيان قارة تتألف اليابسة من ست قارات هي على الترتيب من حيث المساحة بدءاً بالأعلى: آسيا، وإفريقيا، وأمريكا الشمالية، وأمريكا الجنوبية، وأوروبا، وأستراليا. هذا وأوروبا وآسيا تشكلان في الواقع كتلة من اليابسة واحدة متصلة ومن أجل ذلك تدعيان أحياناً أوراسيا وتؤلف القارات والجزر حوالي 28% من سطح الأرض في حين يغمر الماء سائر هذا السطح ومن النظريات الشائعة في نشأة القارات نظرية تقول بأن جميع القارات كانت في وقت ما كتلة واحدة وأن هذه الكتلة انقسمت بعد على نفسها في الدهر الوسيط.

أكبر القارات بالترتيب

أكبر القارات مساحة هي (1) آسيا ومساحتها 44.211.000 كم مربع. (2) أمريكا وهي مقسمة لثلاثة أقسام 1 أمريكا الشمالية ومساحتها 24.386.000 كم مربع. 2. وأمريكا الوسطى ومساحتها 2.750.500 كم مربع. 3 وأمريكا الجنوبية ومساحتها 17.834.000 كم مربع. والمجموع 44.970.500 كم مربع. (3) أفريقيا ومساحتها 30.319.000 كم مربع. (4) أنتاركتيكا منطقة القطب الجنوبي ومساحتها

13.975.000 كم مربع. (5) أوروبا و مساحتها 10.239.000 كم مربع. (6)
أوكيانيا (استراليا و ما حولها) و مساحتها 8.942.000 كم مربع.

نشوء القارات

نشوء القارات بدا حيث كانت الأرض منذ 200 مليون سنة عبارة عن كتلة واحدة تسمى بانجيا وكانت تلك الكتلة في بداية تفتتها بداية الانجراف القاري ومنذ 135 مليون سنة تفتت أجزاء البانجيا إلى كتلة أرضية شمالية تسمى لوراسيا وكونت الهند مساحة منفصلة والكتلة الأرضية الجنوبية عُرِفَت باسم جوندوانالاند ومنذ 65 مليون سنة بدأت الكتل الأرضية تشكل القارات المعروفة بأشكالها الحالية وكانت تلك القارات تتحرك في اتجاه مواقعها الحالية ولم تكن الهند قد التصقت بعد بآسيا .

مصدر أسماء القارات

مصدر أسماء القارات كما جاء في أطلس الحاسوب هو : 1- أوروبا : أصل الاسم يوناني مؤلف من كلمتين: اوروس ومعناها واسع وأوب ومعناها الأطراف أو أوريوس أوب أي واسع الأطراف . وقد اعتقد اليونان القدماء الذين عاشوا في الطرف الجنوبي من أوروبا أنها بلاد واسعة الأطراف فأسموها هكذا ولم يكونوا بعد على علم أن أوروبا ليست أكبر القارات ويعتقد البعض أن أصل الاسم آرامي ومعناه الغرب . 2- أفريقيا : اسم كنعاني ومعناه الأسود وذلك لأن الملاحين الكنعانيين الذين أبحروا إلى شواطئ أفريقيا شاهدوا سكانها وأطلقوا على القارة هذا الاسم . 3- أميركا اسم أطلق على اسم ملاح إيطالي وصل إلى أميركا بعد كولومبوس ولكنه هو الذي اكتشف أن الأمريكيتين هما قارتان منفردتان . 4- آسيا : أصل الاسم يوناني ومعناه بلاد الفجر لأن الشمس بالنسبة لليونان أشرقت من الاتجاه الشرقي . 5- استراليا : من استراليس باللاتينية ومعناه الجنوب .

آسيا

آسيا هي كبرى قارات العالم ومهد الديانات السماوية والحضارات القديمة تبلغ مساحتها (44.043.000 مليون كم2) يطل ساحلها الجنوبي على بحر العرب والمحيط الهندي

ويطل ساحلها الشمالى على المحيط المتجمد الشمالى ويطل ساحلها الشرقى على المحيط الهادى وبحر الصين وبحر اليابان ويوجد فيها أكثر جهات الأرض انخفاضاً وهو منخفض الأردن والبحر الميت وبها أكثر جهات الأرض ارتفاعاً وهى قمة إفرست فى جبال الهيمالايا . ومناخها يختلف من مكان إلى آخر نظراً لاتساع مساحتها، وتختلف أنواع النبات أيضاً باختلاف المناخ، وأهم المحصولات الزراعية بها: الأرز وهو الغذاء الرئيسى لغالبية السكان، والقمح، والذرة، والكتان، والشاى، والبن والبنجر، والقطن، وغيرها . كما تشتهر بوجود الإبل والماعز والأغنام والخيول والحمير، وتكثر فيها الفيلة والخزائيت . وهى غنية بالمعادن ومصادر الطاقة، مثل: الذهب والفضة والرصاص والنحاس والبلاتين والفحم والجرافيت والبتروول وغيرها، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة مليارات وثلاثمائة وثمانية ملايين نسمة حسب إحصائية سنة (1992م)، منهم (752) مليون مسلم . ومن الدول الإسلامية فيها: أفغانستان، وبنجلاديش، وإندونيسيا، وإيران، وماليزيا، وباكستان، وتركيا، والعراق و الأردن، ولبنان، والسعودية، وسوريا، واليمن، والكويت، والبحرين، وقطر، والإمارات العربية، وعمان، وبروناي، وفلسطين المحتلة . ويتكلم السكان اللغات العربية، والفارسية والتركية والإندونيسية، والأوردية، والباشتو، والروسية، والصينية، واليابانية . والأراضى متنوعة فى آسيا حيث تنمى قارة آسيا لنفس كتلة الأرض التى عليها أوروبا والحد الفاصل بين القارتين يتكون من جبال الأورال وبحر قزوين . وينتمى كل من الاتحاد السوفيتى وتركيا إلى كل من القارتين إذ أن لكل منهما جزء بأوروبا وآخر بآسيا . وتتصل قارة آسيا بقارة أفريقيا بواسطة شريط ضيق من اليابسة يسمى برزخ السويس . وسلاسل الجبال فى آسيا تقسمها الى ست مناطق رئيسية . وهى : شمال آسيا وهى المنطقة الباردة من الاتحاد السوفيتى وتسمى سيبيريا . وهى أرض مليئة بالمستنقعات والسهول الخالية من الأشجار . أما الأرض المتجمدة فى تلك المنطقة التى تسمى برمافروست (أو ذات الجليد الدائم) فانها تذوب قليلا فى فصل الصيف . وآسيا الوسطى وتتكون من صحارى وسهول عالية مجدبة تتخللها الجبال وتضم هذه المنطقة التبت ومنغوليا وغربى الصين . وشرق آسيا وهى ما أصطلح على تسميته الشرق

الأقصى، وهي منطقة تلال وأودية عميقة وسهول. وهي تشمل معظم الصين وجزر اليابان وكذلك جزيرة تايوان. وجنوب شرقي آسيا وهي تضم بورما وشبه جزيرة الهند الصينية وماليزيا والجزر التي تكوّن إندونيسيا والفلبين. والجزء الأساسى من هذه المنطقة يتكون من جبال ذات غابات فى الشمال وسهول الأنهار فى الجنوب. وجنوب آسيا وهو ما يسمى أحيانا شبه القارة الهندية. ويقع هذا الجزء جنوب جبال الهيمالايا، وهى أعلى سلاسل الجبال فى العالم. ويضم هذا الجزء الهند وباكستان وسرى لانكا. وجنوب غرب آسيا ويطلق على هذه المنطقة عادة اسم الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى، وهى منطقة حارة يغلب عليها الطابع الصحراوى. وتضم هذه المنطقة إثنتى عشرة دولة عربية وكذلك إيران وقبرص ومعظم تركيا. (قال) والبحيرات والأنهار فى آسيا هي بحر قزوين، وهو بحيرة ملحة تقع جزئيا فى آسيا وجزئيا فى أوروبا وهو أكبر بحيرة فى العالم إذ يغطى مساحة مقدارها 440300 كيلومتر مربع. ومن البحيرات الكبيرة أيضا بحر آرال وبحيرة بايكال فى الاتحاد السوفيتى. ويوجد فى آسيا عدد كبير من الأنهار العظيمة. ففي سيبريا يجرى كل من نهر الأوب ونهر ينيسى ونهر لينا فى اتجاه الشمال حتى تصب فى المحيط المتجمد الشمالى، وهذه الأنهار تظل متجمدة قرابة نصف العام. أما فى الشرق فإن أنهار أمور وهوانج هو ويانج تسمى كيانج وتصب فى المحيط الهادى. كما يصل نهر الميكونج حتى المحيط الهادى، وهو يجرى نحو الجنوب مخترقا جنوب شرقي آسيا. والأنهار الرئيسية فى جنوبى آسيا هي البراهما بوترا والجانج والهندوس إما نهر الفرات ودجلة فى جنوب غربى آسيا فانهما يلتقيان معا قبل أن يصبأ فى الخليج العربى (قال) والمناخ: يتباين فى آسيا تباينا عظيما. ففي حين يكون الشمال رطبا وباردا، فان الجنوب حار ومطير. وتجلب الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندى الأمطار الصيفية إلى معظم مناطق جنوبى آسيا. والنباتات والحيوانات كثيرة و يتميز الشمال البارد بغابات التنوب والصنوبر. أما الجنوب وهو حار ومطير فانه يمتاز بالغابات الاستوائية المطيرة، وأغلب أراضي القارة بها مناطق عشبية وإن كانت بعض المساحات صحراوية. ومن الأنواع المتباينة للنباتات هناك البامبو (الغاب) والنخيل وأشجار المانجو وجوز الطيب. وتعيش

الدببة البنية والذئاب فى سيبيريا . أما حيوان الياك (الثور البرى) فيعيش فى التبت، حيث تعيش أيضا حيوانات الباندا العملاقة التى توجد كذلك فى الصين . وفى المناطق الجنوبية هناك الأفيال والنمور والفهود والقروود وكثير من الثعابين . وتستعمل بعض الحيوانات لأداء بعض الخدمات ومنها حيوان الياك والجمال والأفيال والجاموس، وهى تستخدم فى النقل وجر المحارث والعربات . أما الأفيال فتستخدم على وجه الخصوص فى رفع الأحمال الثقيلة كالكتل الخشبية الضخمة . وشعوب آسيا كثيرة فقد ظهرت أقدم الحضارات فى العالم على أرض قارة آسيا . كما بدأت معظم الديانات العظيمة فى آسيا بما فى ذلك الهندوسية والبوذية واليهودية والمسيحية والاسلام . وقد أقام فنانونا آسيا بعضا من أجمل الأشياء فى العالم . ويعيش فى آسيا (زمن مؤلف الموسوعة) نحو 2500 مليون نسمة . وهذا العدد يمثل أربعة أضعاف سكان أوروبا التى هى ثانى قارة من حيث ازدحام السكان . ويعيش أغلب سكان الاتحاد السوفيتى غرب جبال الأورال فى أوروبا . والسكان فى آسيا موزعون بشكل غير متساو على الاطلاق، إذ أن هناك أماكن لا يكاد يسكنها أحد، مثل المساحات الشاسعة فى شمال ووسط وجنوب غربى آسيا . ومع ذلك فإن مدن الهند والصين تعتبر من بين أكثر الأماكن ازدحاما فى العالم . والشعوب ذات الملامح المنغولية: تعيش فى شرقى آسيا ومناطق كثيرة من أواسط آسيا . وهى تتكون من شعوب الصين واليابان وكثيرا من شعب سيبيريا . وقد رحلت كثير من الشعوب ذات الجنس المنغولى إلى بلدان جنوب شرقى آسيا مثل ماليزيا وسنغافورة واستقرت هناك . والشعوب ذات الملامح القوقازية تنتمى الى الشعوب الأوروبية . وتعيش هذه الشعوب فى جنوب غربى آسيا وكذلك فى باكستان وشمالى الهند والشعوب ذات الملامح الزنجية : وهى التى تنتمى الى الشعوب الزنجية فى أفريقيا تعيش فى جنوب شرقى آسيا كما يعيش بعضها فى شبه جزيرة الملايو . واللغات المتواجدة فى آسيا كثيرة حيث تتكلم الشعوب الآسيوية مئات اللغات المختلفة . وتنتمى معظم اللغات الآسيوية لأربع مجموعات لغوية . وتضم المجموعة الأولى لغات معظم الشعب فى إيران والاتحاد السوفيتى وباكستان والهند . وتضم المجموعة الثانية لغات الصين والتبت . وتتكلم معظم شعوب جنوب

غربي آسيا لغات تنتمي للمجموعة الثالثة، وإحدى هذه اللغات هي اللغة العربية. أما المجموعة الرابعة فتضم لغات تحدث بها الشعوب في أجزاء من سيبريا وآسيا الوسطى. وطرق المعيشة متنوعة ويزيد السكان في آسيا بشكل سريع جدا. ويعيش الملايين من الناس على حد الكفاف أى أن ما لديهم من الطعام يكفى بالكاد والتعب لابقائهم على قيد الحياة. وعندما لا يستطيع الفلاحون إلا زراعة قدر ضئيل من المحاصيل الغذائية بسبب سوء الأحوال الجوية أو الفيضانات، فإن الآلاف من البشر يموتون من الجوع. والمشكلة تزداد سوءا عاما بعد عام بازدياد عدد السكان و تعيش معظم شعوب آسيا على زراعة المحاصيل. وتقع أخصب الأراضي الزراعية في جنوبي شرقي آسيا والصين والمناطق الجنوبية الغربية من سيبريا. والمحاصيل الأساسية هي الأرز والقمح. وتزرع بعض المحاصيل بغرض بيعها للأقطار الأخرى، فسرى لانكا والهند والصين تزرع الشاي، أما ماليزيا وإندونيسيا فتزرعان المطاط. كما تقوم جزر كثيرة بزراعة التوابل. ومن المحاصيل الاقتصادية أيضا الدخان والقطن والجوت. وتمتلك مناطق جنوب غربى آسيا كثيرا من بترول العالم. أما أكثر البلاد الصناعية تقدما فهي اليابان، إذ تشتهر بالسيارات والسفن وآلات التصوير وأجهزة الراديو والتلفزيون. والاتحاد السوفيتى هو أيضا من الأقطار الصناعية الهامة. وهناك الكثير من البلاد التى لديها العديد من المصانع مثل الهند وماليزيا وسنغافورة والصين. وبالنسبة للتاريخ فإنه على مدى تاريخها الطويل كانت آسيا مسرحا لكثير من الحضارات والامبراطوريات، التى تضم الامبراطورية الفارسية والصينية والمنغولية واليابانية، وأيضا امبراطوريات الهند العديدة ولا ننسى الحضارة الإسلامية العظيمة طبعاً. وقد بدأ الأوروبيون فى القرنين السادس عشر والسابع عشر فى الاستقرار فى آسيا، وبحلول القرن التاسع عشر كانوا يحكمون معظم القارة. وقد أصبحت الدول المستعمرة مستقلة بعد الحرب العالمية الثانية (1939-1945). (ودول قارة آسيا (زمن مؤلف الموسوعة) (48 دولة) وهي أفغانستان ، أرمينيا ، أذربيجان ، البحرين ، بنجلاديش ، بوتان ، بروناي ، كمبوديا ، الصين ، قبرص ، جورجيا ، الهند أندونيسيا ، إيران ، العراق ، إسرائيل ، اليابان . الأردن ، كازاخستان ،

الكويت. قيرقيزستان لاوس ، لبنان ، ماليزيا ، جزر المالديف ، منغوليا ، ميانمار ، نيبال ، كوريا الشمالية . عُمان ، باكستان الفلبين ، قطر ، روسيا ، السعودية ، سنغافورة ، كوريا الجنوبية . سري لانكا ، سوريا ، تايوان ، طاجيكستان ، تايلاند ، تركيا ، تركمنستان ، الإمارات ، أوزبكستان ، فيتنام ، اليمن .

أمريكا

هي أكبر كتلة من اليابسة في النصف الغربي من الكرة الأرضية، وتتكون من الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، والامتداد الطولي لأمريكا من الجنوب إلى الشمال هو أكبر امتداد متصل لليابسة على وجه البسيطة، ويقدر أكبر طول لها من الشمال إلى الجنوب بنحو 14 ألف كيلو متر من شبه جزيرة بوثيا في كندا، إلى رأس فراوارد في شيلي. ويعتقد كثير من العلماء أن أمريكا كانت تتصل بالحافة الغربية لأفريقيا وأوراسيا (المنطقة المشتركة بين قارتي أوروبا وآسيا) منذ حوالي 250 مليون عام واستمر ذلك حوالي 200 مليون عام، إذ تشابه التكوينات البركانية في البرازيل مع التكوينات البركانية في قارة أفريقيا ، ويبدو أن جبال "الأباش" في شمال أمريكا كانت جزءاً من جبال كاليدونيا في أسكتلندا. ومن المعتقد أن كلمة "أمريكا" أطلقت تكريماً للمكتشف الإيطالي "أمريجو فيسبوتشي"، واستخدمت في أول الأمر للإشارة إلى أمريكا الجنوبية، ولكنها استخدمت فيما بعد لتشير إلى نصف الكرة الغربي برمه، واليوم غالباً ما تستخدم للإشارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. وراجع تفاصيل معلوماتها في المطولات.

إفريقيا

إحدى القارات الكبرى وثالثتها من حيث المساحة ، تمتد ما بين خطي عرض 40 شمالاً و40 جنوباً وتبلغ مساحتها 11 مليوناً و 500 ألف متر مربع. وقد دخل الإسلام هذه القارة في خلافة عمر ابن الخطاب باستيلاء المسلمين على مصر بقيادة عمرو بن العاص عام 18 هـ / 640 م ، ومنها سار غرباً فاستولى على برقة وطرابلس الغرب ، وصالح أهلها على الجزية عام 22 هـ / 644 م ، وفي عام 25 هـ غزاها عبد الله بن سعد بن أبي السرح

، وفى السنة التالية تولى على مصر وإفريقية فأعاد فتحها وقتل الوالي الروماني ، وفى عام 79 استولى حسان بن النعمان على قرطاجنة من الرومان ، وفى عام 86 هـ وصل المد الإسلامي إلى ساحل المحيط الأطلسي ، وفى عام 92 عبر طارق بن زياد الشاطئ الإفريقي إلى الأندلس . وأطلق المسلمون لفظ " إفريقيّة " على شمال القارة وهي المنطقة التي تمتد من برقة (في تونس) إلى (مراکش) في المغرب الأقصى وحتى عام 86 هـ كانت ولاية إفريقية تابعة للوالي على مصر ثم انفصلت واستقلت عنها ، وقامت في شمال إفريقية منذ القرن الثاني الهجري دول وإمارات إسلامية مستقلة عمل الكثير منها على الدعوة الإسلامية في غرب القارة الإفريقية ، أهم هذه الدول كما سيأتي بيانه : في تونس : دولة الأغالبة ، دولة العبيدين ، بني زيري الصنهاجيين ، دولة الموحدين ، ودولة بني حفص ، ثم دخلت تحت الولاية العثمانية . وفي الجزائر : دولة بني زيري الصنهاجية ، ثم دخلت تحت حكم دولة الموحدين في المغرب ثم بني زيان حتى دخلت تحت الحماية العثمانية . وفي المغرب : دولة الأدارسة دولة العبيدين ، دولة الملتين ، دولة الموحدين ، دولة بني مرين ، بني وطاس ، الأشراف السعديين . الأشراف السجلماسيين . وكان انتشار الإسلام في إفريقيا عن أربعة طرق رئيسية : 1- عن طريق المغرب جنوبا لا سيما بعد ظهور دولة المرابطين ، فدخلت غانا وصنغاي وجنى ومالي وكانم وبرنو في الإسلام وهي من الممالك الإفريقية القديمة كما اعتنقت قبائل الفلاني والحوصا والمندنجو ، وسارت موجته إلى قلب القارة حتى أعالي نهر النيجر وبحيرة تشاد وأسست مراكز إسلامية هامة من أشهرها تمبكتو . 2 - وعن طريق مجرى نهر النيل ، إلى النوبة والسودان ، سارت موجاته غربا إلى دارفور حيث التقت بالدعاة القادمين جنوبا من برقة وتونس عبر الصحراء . 3 - وعن طريق البحر الأحمر ، إلى السودان الشرقي وأريتريا والحبشة 4 - وعن طريق المحيط الهندي ، من اليمن إلى الصومال ، ومن عمان والبحرين إلى زنجبار وكنو ومنها سارت الدعوة غربا إلى أوغندة ونياسالاند ، وعن هذا الطريق دخلت الدعوة الإسلامية جزيرة مدغشقر وجزر القمر . والدول الإسلامية الإفريقية المعاصرة (زمن مؤلف الموسوعة) هي : مصر وليبيا ، وتونس ، والجزائر ،

والمغرب ، وموريتانيا ، وغينيا ، ومالي ، ونيجيريا ، والسودان ، وأريتريا ، والصومال .وزنجانر
عدا الدول الناشئة التي كانت تحت الحماية البريطانية والفرنسية في غرب إفريقيا ومنها
السنغال وسيراليون وغير ذلك . وتمثل هذه القارة 22% من المساحة الكلية لأراضي العالم
وبها توجد أكبر صحراء في العالم وهي الصحراء الكبرى Sahara ، وبها نهر النيل Nile أطول
أنهار العالم على الإطلاق . وبها 54 دولة . ويحيط بها المحيطات الأطلنطي والهندي والبحر
الأحمر وخليج عدن والبحر المتوسط يفصلها عن أوروبا مضيق جبل طارق وعن آسيا قناة
السويس ومضيق باب المندب تؤلف مع آسيا وأوروبا العالم القديم . وما زالت الزراعة تمثل
الحرفة السائدة في هذه القارة . ويعتقد أن الحياة البشرية بدأت على قارة إفريقيا منذ 5- 8
مليون سنة مضت . وتتغير الأماكن والمناظر على طول القارة من أقصى شمالها إلى أقصى
جنوبها . والصحراء الكبرى (أو الصحاري) : هي صحراء شاسعة في الشمال ، رملية
وصخرية وتمتد عبر الشمال الأفريقي بأكمله . واسمها كما هو واضح يعنى الصحراء (نفس
الاسم باللغة الإنجليزية) ولا يعمر الصحراء عدد قليل من البشر والحيوانات والنباتات ، لأنها
تكاد تخلو تماما من المياه . وعندما تسقط الأمطار ، فانها سرعان ما تتسرب في الرمال أو
تجف . وقد تنمو الأشجار والنباتات هنا وهناك في الصحراء الكبرى في أماكن تسمى
واحات . والواحة بها ماء مستمد من باطن الأرض . ويوجد عند الطرف الجنوبي للصحراء
منطقة عشبية وعرة تسمى السافانا ، حيث يعيش الكثير من الحيوانات المتوحشة . ويعيش
بعض هذه الحيوانات على الحشائش وأوراق الأشجار والشجيرات المتناثرة . وهذه الأشجار
والشجيرات هي التي تظلل الحيوانات من الشمس المحرقة . وتنمو الغابات في المناطق القريبة
من خط الاستواء بشكل أخضر كثيف ، وهي تسمى الغابات الاستوائية المطيرة وقد يهطل
المطر في بعض الأماكن لعدة أيام متواصلة تقريبا . وتنمو الأشجار والنباتات الأخرى قوية
وسامقة وبكثافة مرتفعة ، بحيث توفر الملاجئ لكثير من الحيوانات وبعض الطيور الجميلة ويقع
الكثير من الأراضي العشبية جنوب منطقة الغابات كما يوجد هناك الكثير من الشجيرات .
وقد تمت إقامة بعض حدائق النزهة في ذلك الجزء من إفريقيا ، حيث تعيش الأسود والأفيال

والزرافات وحيوانات برية أخرى بسلام داخل هذه الحدائق لأن القانون يحرم على الإنسان صيدها فى تلك الأماكن. وصحراء كلهاى وتقع هذه الصحراء فى جنوب إفريقيا وهى عبارة عن هضبة جافة ومغطاة بالشجيرات. وتوجد فى جنوبى إفريقيا أراضى زراعية خصبة وخاصة فى المناطق الجنوبية ومناطق الساحل الشرقى. وتوجد فى إفريقيا جبال عالية وأنهار طويلة ومجيرات ضخمة. وأعلى جبل فى إفريقيا هو جبل كاليمانجارو فى تنزانيا (يبلغ إرتفاعه 5895 مترا). وينتصب هذا الجبل بالقرب من خط الاستواء حيث الحرارة شديدة للغاية ولكن كاليمانجارو يبلغ من الارتفاع قدرا يجعل قمته باردة ومغطاة بالجليد. كما يوجد بإفريقيا أيضا جبال عالية فى الشمال الغربى تسمى جبال أطلس، وكذلك بالقرب من الساحل الجنوبي الشرقى وتسمى دراكسبرج أو جبال التين ويصل إرتفاعها إلى نحو 3500 مترا. ويجرى نهر النيل من الجنوب إلى الشمال لمسافة تبلغ نحو 6679 كيلو مترا بادئا من إفريقيا الوسطى إلى البحر الأبيض المتوسط وهو بهذا يخترق الصحراء الكبرى. ويبدو وادى النيل من الجو كشريط من الأشجار الخضراء الغنية والحقول الواقعة عبر صحراء جرداء قاحلة بنية اللون. ومن الأنهار الطويلة الأخرى فى إفريقيا نهر زائير ونهر النيجر ونهر زامبيزي. وأغلب أنهار إفريقيا بها مساقط للمياه أو الشلالات والجنادل (وهى إمتدادات خطيرة ذات تيارات سريعة) ويبلغ إرتفاع شلالات فيكتوريا على نهر الزامبيزي نحو 108 أمتار. ويبلغ طول بحيرة تنجانيقا نحو 676 كيلو مترا، وهى أطول بحيرة للماء العذب فى العالم وهى تقع فى وادى الصدع العظيم (جريت رفت فالى)، وهو واد ضخم يمتد خلال غربى أفريقيا وقد تكون بحيرة فيكتوريا أكبر فى المساحة من بحيرة تنجانيقا (69485 كيلو مترا مربعا) ولكنها ليست أطول منها، وتقع هذه البحيرة بين ذراعى الوادى المذكور. وشعوب أفريقيا متعددة وقد قامت إحدى أعرق الحضارات فى العالم وهى حضارة مصر القديمة فى أفريقيا. ثم سكنت الحياة فى أفريقيا ولم تقدم لعدة آلاف من السنين بينما صارت القارات الأخرى قوية وغنية. واليوم يروح كثير من الأفريقيين تحت وطأة الفقر الشديد والأمية، فهم لا يعرفون القراءة أو الكتابة. وتحاول الحكومات الأفريقية أن تقدم لشعوبها حياة أفضل فهم يعلمون

الفلاحين كيفية إنتاج كميات أكبر من المحاصيل وبينون المصانع والمنازل والمدارس والمستشفيات والطرق. ويعيش في أفريقيا (زمن مؤلف الموسوعة) نحو 458 مليوناً من البشر. كما أن هناك أجزاء من القارة مثل الصحارى والغابات الاستوائية المطيرة حيث تكاد تخلو من أى سكان بها. وفي الوقت نفسه تكثف أماكن أخرى بالسكان لأن بها أراضي خصبة صالحة للزراعة. وملاح الشعوب الأفريقية أساساً إما من النوع الزنجي أو القوقازي. والشعوب ذات الملاح الزنجية يشكل بها الأفارقة السود أكبر مجموعة تعيش في القارة. وتنقسم المجموعة الزنجية إلى مجموعات أقل مثل الزولو والماساي واليوروبا والماتابل والبوشمان والنيجريللو. وتبدو هذه المجموعات مختلفة عن بعضها البعض ولكل منها طريقة مختلفة للمعيشة ويتحدث الأفارقة السود مئات اللغات المختلفة التي تنقسم إلى ((عائلتين)) رئيسيتين من اللغات فعائلة الباتو تضم نحو 250 لغة يتحدثها الناس في أجزاء من أفريقيا الوسطى والجنوبية. أما العائلة السودانية فتضم نحو 200 لغة يتحدث بها الناس في أجزاء من أفريقيا الوسطى والغربية. والشعوب ذات الملاح القوقازية وفيهم العرب الأفحاح وتعيش في الجزء الشمالي من أفريقيا وأغلبهم يعيشون في شمال الصحراء الكبرى ، بينما تعيش قلة منهم داخل الصحراء إما في الواحات أو كبندو رحل (متجولون بقطعان من الماشية) ويعيش بعض هذه الشعوب في شرقي أفريقيا ولهم نفس الأسلاف الذين عاشوا منذ آلاف السنين وهم أيضاً نفس أسلاف شعوب أوروبا وشمالي الهند. وتتكلم كل هذه الشعوب تقريباً اللغة العربية. والقوقازيون من أصل أوروبي ويعيشون أساساً في جمهورية جنوب أفريقيا. وقد انحدر كثير منهم من الشعب الهولندي، وقد استقروا في أفريقيا منذ ما يزيد على مائتي عام. وهم يتكلمون اللغة الأفريكانية (لغة المستعمرين الهولنديين في جنوب أفريقيا)، وهي مشتقة من الهولندية. وهناك أيضاً من ينحدر إلى أصل إنجليزي ويتكلمون اللغة الإنجليزية. وتمتع أفريقيا بمصادر طبيعية غنية تضم الفحم والحديد والنحاس والذهب والماس واليورانيوم والبتترول والأخشاب الثمينة كالأبنوس والماهوجني. ويوجد في أفريقيا أيضاً أنهار سريعة يمكن استغلالها في توليد الكهرباء بطرق هيدروكهربائية. وهذه المصادر الطبيعية يمكن إستخدامها

فى جعل الشعوب تحيا حياة أفضل . والزراعة فيها تختلف فإن معظم الأفارقة فلاحون ، فهم إما أن يزرعوا المحاصيل المختلفة أو يربوا الماشية . وكثير منهم لا يزرعون سوى ما يكفى أسرهم فقط وفى بعض الأقطار تتم زراعة المحاصيل الاقتصادية فى مزارع ضخمة . وهذه المحاصيل هى التى يمكن بيعها ومن بينها الكاكاو وزيت النخيل والبن والسيزال (وهو نبات تستخدم أليافه فى صناعة الزكائب والحبال والسجاد) والقطن والشاى والدخان والفواكه . والصناعة ضئيلة إذا قورنت بالصناعة فى القارات الأخرى . وأهم الدول الصناعية فى القارة هى جمهورية جنوب أفريقيا ونيجيريا وزيمبابوى ، أما دول شمالى أفريقيا ومنها الدول العربية فلديها أيضا بعض الصناعات المتقدمة . (قال) وتاريخ المنطقة عريق فقد دامت الحياة العظيمة لقدماء المصريين نحو 3000 عام . كما كانت هناك حضارات أيضا جنوب الصحراء الكبرى ، ومن بينها إمبراطوريات غانا ومالى وسونجهاى ، وقد دامت منذ القرن الثامن حتى القرن السادس عشر . ومملكة يوروبا فى أويو وبنين التى دامت حتى القرن التاسع عشر وفى مطلع القرن الخامس عشر بدأ النحاسون (تجار العبيد) الأوروبيون فى أسر الأفارقة وإرسالهم كعبيد الى الأمريكتين . وبعد ذلك بفترة إستقر الأوروبيون أنفسهم فى أفريقيا (ولا تنس هنا فترة الفتح الإسلامى وما تمتعت به شعوب افريقيا زمنه من بهجة واعتبار) وبحلول القرن العشرين كانت أفريقيا كلها تحت حكم الدول الأوروبية فيما عدا إثيوبيا التى كانت تسمى عندئذ أبيسينيا وكذلك ليبيريا . على أنه بعد الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) صارت الدول الأفريقية مستقلة الواحدة تلو الأخرى (على الرغم من أن جمهورية جنوب أفريقيا دولة مستقلة إلا أنها تحت حكم الرجل الأبيض الذى إنحدر من المستوطنين الأوروبيين) . ودول قارة إفريقيا (زمن مؤلف الموسوعة) (53 دولة) وهى : الجزائر ، أنجولا ، بنين ، بوتسوانا ، بوركينافاسو ، بوروندى ، الكاميرون ، الرأس الأخضر ، أفريقيا الوسطى ، تشاد ، جزر القمر ، كوت ديفوار ، الكونغو الديمقراطية ، الكونغو ، جيبوتى ، مصر غينيا الاستوائية ، إريتريا ، إثيوبيا ، الجابون ، غانا ، غينيا ، غينيا بيساو ، كينيا ، ليسوتو ، ليبيريا ، ليبيا ، مدغشقر ، مالاوى ، مالى ، موريتانيا ، موريشيوس ، المغرب ، موزمبيق ، ناميبيا ،

النيجر نيجيريا ، رواندا ، ساوتومي وبرنسيب ، السنغال ، سيشل ، سيراليون ، الصومال ، جنوب أفريقيا السودان ، سوازيلاند ، تنزانيا ، جامبيا ، توجو ، تونس ، أوغندا ، زامبيا ، زيمبابوي .

أوروبا

تعتبر أوروبا موطن الحضارة الغربية منذ ظهور الحضارة اليونانية القديمة، فمنذ ذلك الحين وأوروبا تصدر للعالم بأسره الأفكار السياسية والاكتشافات العلمية والفنون والفلسفة والعلوم والمعتقدات الدينية . وتعتبر أوروبا من ناحية أخرى منطقة جذب للزائرين من كل أنحاء العالم ، بسبب العلاقات الثقافية التي ربطت بين دول أوروبا ودول العالم ، سواء من خلال التبادل التجاري أو إبان العهد الاستعماري والتوسع خارج أوروبا . كما تجذب أوروبا عشاق الفن لما تتمتع به من تراث معماري يمثل في معابد اليونان وروما القديمة، والكاتدرائيات في فرنسا وألمانيا وإيطاليا، والمعروضات المتحفية من اللوفر، وبقايا القلاع والقصور الملكية في إنجلترا، وجبال الألب في سويسرا، وحقول الزنابق في هولندا، وقنوات مدينة البندقية في إيطاليا وشواطئ الريفييرا . وتلعب أوروبا دورا مهما في النظام الاقتصادي العالمي، وتقوم مراكز التصنيع في المناطق القريبة من مناجم الفحم والحديد الخام ومعظم أراضي القارة خصبة تنتج الكثير من المحاصيل . ومع أن أوروبا تعتبر أصغر قارة بعد أستراليا، إلا أن ثمن سكان العالم يعيشون بها . وبينما نجد أن مناطق كبيرة من شمال أوروبا مهجورة فإن كثافة السكان في بقية أوروبا تبلغ 68 شخصا في الكيلومتر المربع ، في حين لا يزيد متوسط كثافة السكان في مناطق العالم الأخرى عن 38 شخصا لكل كيلومتر مربع ومع ذلك ، فقد أدت التنمية الزراعية والصناعية في القارة، إلى أن أصبح مستوى معيشة المواطن الأوروبي من أعلى مستويات المعيشة في العالم . وتوجد في أوروبا 47 دولة أكبرها روسيا التي تمتد أراضيها في أوروبا وآسيا، وأصغرها الفاتيكان . والمناطق اليبسة تتميز بشكل غير منتظم أكثر من أية قارة أخرى . وتنقسم إلى ثلاث مناطق . والجبال الشمالية تمتد عبر شمال الجزر البريطانية ثم تغلغل داخل النرويج والسويد . ثم تنحني هذه الجبال في شرق أوروبا متجهة الى الجنوب لتكون

جبال الأورال فى الاتحاد السوفيتى وتقطع هذه الجبال عند سواحل النرويج وذلك بـجبلان ضيقة عميقة وجميلة، وتتميز بجوانب صخرية منحدره. والسهول الوسطى تكون معظم أراضي القارة وتمتد من ايرلندا فى الغرب حتى الاتحاد السوفيتى فى الشرق ولقد كانت هذه السهول مغطاه فى وقت ما بالغابات الكثيفة، أما الآن فلم يعد هناك سوى قليل من تلك الغابات فيما عدا مناطق الشمال والوسط. وتضم هذه السهول بعض أجود الأراضي الزراعية، كما أن بها معظم الدول الأوروبية والقرى. والجبال الجنوبية تضم العديد من السلاسل الجبلية العظيمة، فـجبال البرانس فى الغرب تنتصب بين أسبانيا وفرنسا، أما جبال الألب فتتمتد فى منحنى هائل بين الجنوب الشرقى لفرنسا محترقة سويسرا والنمسا وشمالي إيطاليا حتى تصل إلى يوغسلافيا. أما أعلى قمم جبال الألب فهى قمة جبل مون بلان الواقع على الحدود بين إيطاليا وفرنسا، ويصل إرتفاعه إلى 4810 مترا. والمنحدرات المرتفعة لجبال الألب مغطاه دائما بالجليد. وإذا اتجهنا شرقا نحو الاتحاد السوفيتى لوجدنا جبال القوقاز التى ترتفع بين البحر الأسود وبحر قزوين. ومن بين تلك الجبال يتميز جبل مونت إلبروس، البالغ من الارتفاع 5633 مترا، بأنه أعلى جبال أوروبا. والبحيرات والأنهار لا تعدوا بحر قزوين كونه بحيرة كبيرة، لأنه محاط باليابسة من جميع الجهات ويقع فى الجنوب الشرقى للاتحاد السوفيتى. وهو بهذا يعد أكبر بحيرة فى العالم ومياهه ملحه. وهناك أيضا آلاف البحيرات فى شمالي أوروبا. وتستغل السفن فى نقل الحمولات (البضائع) والمسافرين فى الأنهار العديدة فى القارة. وأطول أنهار أوروبا هو نهر الفولجا الذى يجرى من الشمال إلى الجنوب لمسافة 3742 كيلو متر محترقا الاتحاد السوفيتى ليصب فى بحر قزوين. ومن الأنهار الهامة الأخرى، نهر الدانوب الذى يجرى من الغرب إلى الشرق خلال وسط أوروبا ليصب فى البحر الأسود، وكذلك الراين الذى يجرى نحو الشمال حتى بحر الشمال. والناس فى هذه القارة يختلفون ومعظم الأوروبيين ينتمون للقبائل التى عاشت فى القارة خلال العصور القديمة وتجولت واختلطت بجماعات وقبائل أخرى. وعلى سبيل المثال، فإن الإنجليز خليط من جماعات الأنجلز والجات (وهي قبائل جرمانية غزت بريطانيا فى القرن الخامس)، والكتيين (أو

السلتين)، والدانمركيين ، والسكسونيين. كما بدأت أوروبا تشهد هجرات منذ منتصف القرن العشرين ، بعد أن بدأ بعض سكان آسيا وشمال أفريقيا في النزوح إلى أوروبا الغربية، ومع ذلك فما زال المهاجرون الآسيويون والأفريقيون ، يشكلون نسبة ضئيلة من سكان هذه القارة . وينتمي سكان أوروبا لثقافات مختلفة، يحددها انتماءهم لجماعات عرقية بعينها أو اشتراكهم في نفس اللغة أو الدين . وهناك العديد من الجماعات العرقية في أوروبا، وقد توجد في الدولة الواحدة أكثر من جماعة كما هو الحال في بلجيكا ورغم أن الجماعة العرقية تعطي الفرد الإحساس بالانتماء إلا أن تجاوز هذه الجماعات كثيرا ما يؤدي إلى نشوب الصراع والحروب ، كما حدث بين الكاثوليكين والبروتستانت في أيرلندا، والصراع ما بين الصربيين والكرواتيين في يوغسلافيا وتعتبر المناطق الشمالية في أوروبا أكثر تطورا من الناحية الصناعية والحضرية من المناطق الجنوبية ويميل الريفيون في كل مناطق أوروبا إلى اتباع الطرائق التقليدية في الحياة، ولا يزالون يتمسكون بأهمية العائلة ويؤمنون بأهمية الطبقة الاجتماعية ويتوقعون من الحكومة أن تسهر على رفاهيتهم . والأوروبي يفتخر عادة بتراث أسلافه الفني والتعليمي والسياسي. وأكبر المدن الأوروبية هي موسكو عاصمة روسيا، وتعتبر لندن وباريس من أكبر المراكز الحضرية في العالم ، أما لندن فبسبب أهميتها لأسواق المال العالمية، وأما باريس فبسبب اعتبارها عاصمة الموضة والفن والعلم منذ وقت طويل وتجمع كثير من المدن في غرب أوروبا بين الكاتدرائيات التي بنيت خلال العصور الوسطى، وبين ناطحات السحاب المبنية من الصلب والزجاج . وما تزال أطلال المباني القديمة قائمة في بعض المدن مثل أثينا وروما . ويستعمل المزارعون في المناطق الشمالية من غرب أوروبا (ومنها هولندا والمملكة المتحدة)، أساليب زراعية متقدمة ومعدات زراعية حديثة، بينما ما زال بعض المزارعين في بعض مناطق الجنوب ، خاصة في اليونان والبرتغال ، يعملون بنفس أسلوب الأجداد. وكان معظم المزارعين في شرق أوروبا أثناء الحكم الشيوعي، يعيشون ويعملون في مزارع كبيرة تملكها الحكومة . ولكن دول أوروبا الشرقية سمحت للمزارعين ، بعد انهيار الشيوعية في نهاية الثمانينيات (1980 م) بالملكية الفردية، وأعدت توزيع هذه المزارع على

الأفراد. ويوجد في أوروبا حوالي 50 لغة وأكثر من مائة لهجة محلية. والمسيحية هي الديانة الرئيسية في أوروبا، ومعظم المسيحيين من الكاثوليك، أما الطائفة المسيحية الأخرى فنصفها تقريبا من الأرثوذكس الشرقيين، والنصف الآخر من البروتستانت. ويوجد في أوروبا عدة ملايين من اليهود والمسلمين. ويتركز المسلمون في دول جنوب شرقي أوروبا وفي أذربيجان وكازاخستان وتركيا، والأخيرة بلد يوجد قسم منها في أوروبا والقسم الأكبر منها في آسيا. وقد حقق الأوروبيون مستويات تعليمية من أرقى المستويات في العالم كله. والأغلبية الساحقة منهم تستطيع القراءة والكتابة. كما يوجد في أوروبا العديد من أقدم وأكثر جامعات العالم احتراما. والفنون تميزت في الحضارة اليونانية القديمة بعبائها في مجال العمارة والنحت والآداب. وقد اهتم الرومان بكل هذه المجالات وأضافوا إليها فن نحت التماثيل الشخصية الواقعية. وقد تمثل العطاء الفني للحضارة الأوروبية في فترة القرون الوسطى، في إبداع عمارة الكنائس والتصوير الديني والنحت. كما تأثر عصر النهضة الذي بدأ في إيطاليا في القرن الرابع عشر بفنون وفلسفات اليونان والرومان، كما تطور الفن منذ عصر النهضة فابتدع شتى الأساليب الفنية، ثم ظهر شكلان جديداً من أشكال الفن هما الأوبرا والسيمفونية. وبدأ الفنانون يتعدون عن الموضوعات الدينية ويركزون أعمالهم على منزلة الإنسان في العالم الحديث. والمناخ تقوم فيه الرياح الغربية القادمة من المحيط الأطلسي بتدفئة الجزء الأكبر من القارة في الشتاء كما تقوم بتلطيفه في الصيف أما الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط في جنوب القارة، فانها تتمتع بصيف حار وجاف. وبعض المناطق الشمالية والشرقية في القارة تتمتع هي الأخرى بصيف دافئ في حين يكون الشتاء شديد البرودة. أما أقصى الشمال فيقع في نطاق المنطقة القطبية الشمالية المتجمدة. والنباتات والحيوانات المتواجدة تتكون من أغلب غابات أوروبا المتبقية من أشجار صنوبرية، وإن كانت هناك أشجار أخرى متعددة. وتنمو أشجار النخيل والزيتون في كثير من أنحاء دول البحر الأبيض المتوسط. وقد تبقى بالقارة عدد قليل من الثدييات الضخمة. وقد تقلصت الحياة الحيوانية كثيرا بسبب تدمير البيئة الطبيعية للحيوانات وبسبب الصيد. ومع هذا، فان بعض الدببة

والذئاب والخنائير البرية والغزلان لازالت موجودة فى غابات أوروبا . كما أن هناك الكثير من الثدييات الصغيرة كالسنجاب والغرير (البادجر) والأرنب . كما تضم مملكة الطيور أنواعا عديدة من الطيور المغردة وطيور القنص والمسابقات . وشعوب أوروبا تختلف وأوروبا هى أكثر القارات ازدهاما بالسكان والمدن والقرى . وإن كثيرا من الأفكار والاكتشافات التى غيرت وجه العالم قد نبتت فى أوروبا ويبلغ تعداد السكان فى أوروبا (زمن مؤلف الموسوعة) وباستثناء الاتحاد السوفيتى . نحو 480 مليوناً (ويبلغ تعداد السكان فى الاتحاد السوفيتى نحو 260 مليوناً، يعيش معظمهم غرب جبال الأورال) . وتوزيع السكان فى أوروبا أكثر توازنا من القارات الأخرى . وينتمى كل الأوروبيين تقريبا إلى السلالة القوقازية وإن كانوا ينقسمون إلى عدة سلالات، وكثير من الشعوب لهم أسلاف ينحدرون من أكثر من مجموعة . والشعب الأوروبى الشمالى يتميز أفراداه دائما بأنهم طوال القامة وذوو شعر أشقر، ويعيش الكثير منهم فى النرويج والسويد وشمالى ألمانيا وهولندا . وشعب البحر الأبيض المتوسط يعيش أفراداه أساسا فى البلاد المطلة على البحر الأبيض المتوسط ويعيشون أساسا فى المناطق الجبلية لأواسط أوروبا وشرقها . وهم أطول قليلا من شعب البحر الأبيض المتوسط . وهناك مجموعات أخرى تضم الشعب الدينارى الذى يعيش أفراداه فى شبه جزيرة البلقان فى جنوب شرقى أوروبا . أما شعب البلقان الشرقى فيعيش فى شرقى أوروبا . واللغات المستعملة التى يتكلم بها الأوروبيون هى نحو ستين لغة مختلفة . وتنتمى معظم هذه اللغات إلى ثلاث مجموعات أساسية، وإن كان الكثير منها قد ((استعار)) كلمات من لغات أخرى . واللغات الجرمانية هى لغات شمال غرب أوروبا وجزء من وسط أوروبا وهى تضم اللغات الألمانية والدنماركية والهولندية والانجليزية والنرويجية والسويدية . وإحدى هذه اللغات وهى الإنجليزية هى أوسع اللغات انتشارا فى العالم . أما أكثر اللغات إنتشارا فى أوروبا فهى الألمانية . واللغات الرومانسية قد انحدرت من اللاتينية التى كان الناس يتكلمونها أثناء الامبراطورية الرومانية منذ 2000 سنة . وهى تضم : الإيطالية والفرنسية والبرتغالية والرومانية والأسبانية . واللغات السلافية يتكلمها الناس فى وسط وشرقى أوروبا وتضم البلغارية والتشيكية والبولندية

والروسية والأوكرانية . وهناك لغات أخرى تضم اليونانية والألبانية والسلتية (نسبة إلى جنس قديم ينتمى إليه سكان بريطانيا الأولون) التى تضم لغات أهل بریتون وويلز واسكوتلندا وبالنسبة لطرق المعيشة فإنه يوجد فى بعض أجزاء أوروبا مصادر تعدين غنية تضم البترول والفحم والحديد والمعادن الأخرى والمزارع الأوروبية صغيرة، ولكن المزارع فى أوروبا الغربية تستخدم الطرق الحديثة والمعدات المتطورة . وتعد من بين أكثر المزارع كفاءة فى العالم . وتزرع أكثر من نصف المزارع الحبوب كالقمح والشعير، ومن أهم المحاصيل الأخرى البطاطس وبنجر السكر والخضروات والفواكه . ويربى كثير من الفلاحين قطعان الماشية من الأغنام وغيرها . كما أن مزارع الألبان المخصصة لإنتاج اللبن ومنتجاته ذات أهمية خاصة فى عدد من البلاد و تمتلك بلدان أوروبا الغربية كثيرا من الصناعات مثل بناء الآلات والكيمائيات والمنسوجات والسفن والسيارات وأنواع أخرى كثيرة من البضائع، كما أن بعض الأقطار فى أوروبا الشرقية هى الأخرى صناعية . وبالنسبة للتاريخ فإن إثنين من أعظم حضارات العصور البائدة كانتا أوروبيتين، وهما حضارتا اليونان وروما . وفيما بعد تكونت كثر من الممالك المسيحية فى أوروبا . وقد انقسم معظم أوروبا فى القرن السادس عشر بين الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية . وفى مطلع القرن الثامن عشر، وماتلا ذلك، فإن عددا من دول أوروبا أخذ فى تشييد إمبراطوريات فى آسيا والأمريكيتين وأفريقيا . أما فى القرن العشرين فإن ملايين الأوروبيين قد قتلوا ودمرت مئات المدن فى حربين عالميتين والاقتصاد تعتبر فيه قيمة الإنتاج الاقتصادى لقارة أوروبا أكبر كثيرا من قيمة الإنتاج الاقتصادى لأية قارة أخرى . وتنتج أوروبا كمية هائلة من السلع الصناعية، من بينها السيارات والآلات والصلب كما تزداد أهمية الصناعات الخدمية فى أوروبا ، مثل الأعمال المصرفية والرعاية الصحية . وتنتج المساحات الشاسعة من أراضيها الخصب القمح والكثير من السلع الزراعية الأخرى . وكما تقدم مناجم أوروبا نحو نصف فحم العالم وثالث خام الحديد والغاز الطبيعى وسدس النفط على مستوى العالم كله . وقارة أوروبا تربطها شبكة من خطوط الطيران، والقنوات، والطرق البرية، والسكك الحديدية، والأنهار، إلى جانب الأنفاق التى تمر عبر الجبال تحت بحر المانش

(القنال الإنجليزي). وتوجد بأوروبا العديد من الموانئ المهمة، التي تنطلق منها وإليها نصف حركة الشحن البحري الدولية. والتاريخ يقول ان أهم الحضارات الأوروبية القديمة شأت في المنطقة المحيطة بالبحر المتوسط حيث ظهرت أقدمها منذ حوالى ثلاثة آلاف عام ، أى قبل الميلاد بألف سنة، فى جزر بحر إيجه . وقد أسهمت الحضارة اليونانية التي بلغت أوج ازدهارها فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد فى ارتقاء الفن والعلوم والفلسفة وتطور نظام الحكومة . وقد اقتبس الرومان فى شبه الجزيرة الإيطالية الكثير من الحضارة اليونانية، وفى القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ الرومانيون حملاتهم التوسعية لىبنوا إمبراطورية شملت مناطق كبيرة من أوروبا وأجزاء من أفريقيا وآسيا . وفى القرن الخامس الميلادى، انتهت الإمبراطورية الرومانية وبدأت العصور الوسطى التي لم تشهد نشوء أية دولة أوروبية قوية فى معظم فتراتها، بل شهدت ازدياد نفوذ الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى مجالات السياسة والتعليم والفنون بالإضافة للدين . وقد شهدت أوائل القرن الرابع عشر بداية عصر النهضة الأوروبية، وهو العصر الذى حققت فيه أوروبا إنجازات مهمة فى الفنون والتعليم . وفى نهاية عصر النهضة فى نحو عام 1600، دخلت أوروبا عصر التقدم السريع فى المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية . وفى أوائل القرن الثامن عشر أصبحت إنجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الأوروبية هى القوى العظمى فى العالم ، إذ أقامت مستعمرات لها فى أفريقيا وآسيا وأمريكا ، واكتسبت ثروة ضخمة من التجارة مع المستعمرات وبدأ الانقلاب الصناعى الذى كان بمثابة بداية للصناعات الحديثة، فى أوروبا فى القرن الثامن عشر. وسرعان ما أصبحت القارة مركز الصناعة فى العالم ، وأقامت الدول الأوروبية المزيد من المستعمرات الأجنبية . وكانت هذه المستعمرات تقدم المواد الخام اللازمة للصناعات الأوروبية، وتعتبر أسواقا للبضائع الأوروبية المصنعة. وكان معظم أفريقيا ونحو ثلث آسيا خاضعا للحكم الأوروبى الاستعمارى .

(قال) وفى القرن العشرين ، تحولت القوة من أوروبا إلى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وفى نفس الوقت فقدت الدول الأوروبية كل مستعمراتها تقريبا . واندلعت فى أوروبا الحرب العالمية الأولى (1914- 1918) والحرب العالمية الثانية، وأحدثتا دمارا

شاسعا . كما أحدثتا تغييرات فى شكل الحكومة فى كثير من الدول الأوروبية ونشوء دول جديدة فى القارة إذ أنشئت حكومات شيوعية فى مناطق كثيرة فى أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية، وانقسمت أوروبا إلى الدول الشيوعية وغير الشيوعية . وكانت الدول غير الشيوعية تشكل ما يسمى بغربي أوروبا ، أما الدول الشيوعية التى كانت تشكل شرقي أوروبا، فكانت: ألبانيا، وبلغاريا، وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية، والمجر (هنغاريا)، وبولندا ، ورومانيا ، والاتحاد السوفيتى، ويوغوسلافيا . وقد أصبحت أوروبا منذ أواخر الأربعينيات حتى أوائل الستينيات ، مركزا للحرب الباردة والصراع بين القوى الشيوعية وغير الشيوعية . ولكن الأوضاع بدأت تتحسن فى أواخر الستينيات ، وتحسنت العلاقات بين شرقي أوروبا وغربي أوروبا . وفى أواخر الثمانينيات ، بدأت حركة الإصلاح فى الاتحاد السوفيتى، التى منحت الناس المزيد من الحرية وأدت فى النهاية إلى إنهاء الحكم الشيوعى من معظم دول أوروبا الشرقية، وفى عامى 1989 و 1990 تمكن غير الشيوعيين من السيطرة على معظم حكومات شرق أوروبا وكانت ألمانيا قد انقسمت فى عام 1949 إلى ألمانيا الشرقية الشيوعية وألمانيا الغربية غير الشيوعية، وفى عام 1990، توحدت الدولتان فى دولة ألمانيا الموحدة وتعرض الاتحاد السوفيتى فى عام 1991 لقتل سياسى عارمة، وبدأت هذه القلاقل حين فشل المسئولون الشيوعيون المحافظون فى محاولة للإطاحة بالزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف . وحظيت جمهوريات إستونيا ولاتفيا وليتوانيا التى استولى عليها الاتحاد السوفيتى فى عام 1940 بالاعتراف بها كجمهوريات مستقلة ومع نهاية عام 1991، أعلنت معظم الجمهوريات الروسية استقلالها وتم حل الاتحاد السوفيتى وإلى جانب إستونيا ولاتفيا وليتوانيا توجد جمهوريات سوفيتية سابقة فى أوروبا وهى بيلاروس ، ومولدوفا، وأوكرانيا . أما الجمهوريات السوفيتية السابقة وهى أذربيجان وجورجيا وكازاخستان وروسيا، فتقع بعض أراضيها فى أوروبا والبعض الآخر فى آسيا . كذلك فقد شهد عام 1991 إعلان ثلاث جمهوريات يوغوسلافية استقلالها، وهى كرواتيا ومقدونيا وسلوفينيا، ولم تنفصل صربيا (الصرب) ومونتي نيجرو (الجلب الأسود)، بل أصبحتا تشكلان ما يعرف بيوغوسلافيا

الصغرى. وكثير من الدول الأوروبية أعضاء فى الاتحاد الأوروبى، وهو منظمة تهدف إلى وضع سياسة أمن مشتركة فى المجالات الاقتصادية ومجال السياسة الخارجية والدولية للدول الأعضاء فيها. وهذه حقائق موجزة عن أوروبا: المساحة: 10459000 كيلومتر مربع. عدد السكان: 713000000 نسمة. أعلى قمة: قمة إلبروس 5633 متراً. التضاريس: أهم سلاسل الجبال هى الألب، والأبينين، والبلقان، والكارباتي، والقوقاز، والبيرينيز، وسييرا نيفادا (أى هضبة نيفادا) الأنهار الرئيسية: الدانوب، والدون، والإلب، والراين، والرون، والسين، والتميز. البحيرات الرئيسية: بحر قزوين، وبحر لادوجا. أهم الجزر: جزر باليار، والجر البريطانية، وجزيرة كورسيكا، وجزيرة كريت، وجزر فارو، وجزيرة آيسلندا، وجزيرة مالطا، وجزيرة سردينيا، وجزيرة صقلية وهذه تواريخ مهمة فى أوروبا: 30000 قبل الميلاد ظهور الحضارة فى كريت وباقى جزر بحر إيجه ومن 500 إلى 300 ق.م: وصول الحضارة اليونانية إلى قمة ازدهارها ومن 27 ق.م إلى 180 ميلادية الإمبراطورية الرومانية تنقسم إلى إمبراطورية غربية وإمبراطورية شرقية أو بيزنطية. وفى فى القرن الرابع الميلادى: منح الرومان حرية العقيدة الدينية إلى المسيحيين. وفى القرن الخامس الميلادى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية وبداية العصور الوسطى. وفى سنة 732: هزيمة العرب فى إسبانيا. ومن سنة 768 إلى 814 شارلمان يبنى إمبراطورية فى غرب أوروبا. ومن 1540: انقسام الكنيسة المسيحية إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والكنائس الشرقية الأرثوذكسية. ومن 1096 إلى 1291: أوروبا ترسل حملاتها الصليبية إلى الشرق. ومن 1347 إلى 1352: ربع سكان أوروبا يلغون حتفهم بسبب وباء "الموت الأسود". القرن الرابع عشر: بداية عصر النهضة فى إيطاليا القرن السادس عشر: حركة الإصلاح الدينى وظهور المذهب البروتستانتى فى أوروبا. ومن 1689 البرلمان الإنجليزى يقر لائحة الحقوق. ومن 1789-1799: قيام الثورة الفرنسية ونهاية الحكم المطلق الملكى فى فرنسا. وفى 1815: هزيمة نابليون فى معركة واترلو. ومن القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر: الثورة الصناعية تجتاح أوروبا. ومن 1914 إلى 1918: الحرب العالمية الأولى تجتاح

أوروبا. وفي سنة 1917 قيام الثورة البلشفية والحكم الشيوعي الدكتاتوري فى روسيا . وفي العشرينيات : أصبح جوزيف ستالين الحاكم الدكتاتوري فى روسيا ، وبنيتو موسيليني الحاكم الدكتاتوري فى إيطاليا وفي 1933: أصبح هتلر الحاكم الدكتاتوري فى ألمانيا . ومن 1939 إلى 1945 نشوب الحرب العالمية الثانية، وقوات الحلفاء تهزم ألمانيا وإيطاليا ودول المحور الأخرى وفي الأربعينيات الدكتاتورية الشيوعية الروسية تفرض سلطتها على حكومات دول شرق أوروبا . وفى 1949 الولايات المتحدة وكندا وعشر دول أوروبية تنشئ منظمة حلف شمال الأطلسي (الناطق) . وخلال الخمسينيات : كونت الدول الأوروبية تحالفات اقتصادية، أدت فى النهاية إلى تكوين السوق الأوروبية المشتركة (ثم الجماعة الأوروبية وأخيرا الاتحاد الأوروبي) . وفي 1968: القوات الروسية تغزو تشيكوسلوفاكيا؛ لقمع حركة الإصلاح والتي أدت إلى إتاحة المزيد من الحريات للشعب . وفي 1975: معظم دول أوروبا توقع أول اتفاقية من اتفاقيات هلسنكي، وقد تعهدت الدول التى وقعت عليها بالعمل على زيادة التعاون وتعزيز حقوق الإنسان . ومن 1989-1990: نهاية الحكم الشيوعي فى معظم دول أوروبا الشرقية والاتجاه إلى منح المزيد من الحرية لشعبها . وفي 1990: توحيد شطري ألمانيا . ومن 1991-1992: إعلان معظم جمهوريات الاتحاد السوفيتي استقلالها وحل الاتحاد السوفيتي وأعلنت أربع جمهوريات من جمهوريات يوغوسلافيا الست استقلالها . وفي 1993: الجماعة الأوروبية انضوت تحت لواء منظمة جديدة تسمى الاتحاد الأوروبي، وأصبح أعضاء الجماعة أعضاء فى المجموعة الجديدة . والهدف من إنشاء الاتحاد زيادة التعاون السياسى بين أعضاء المجموعة . ودول قارة أوروبا (زمن مؤلف الموسوعة) (44 دولة) وهى : ألبانيا ، أندورا ، النمسا ، روسيا البيضاء ، بلجيكا ، البوسنة والهرسك ، بلغاريا ، كرواتيا ، التشيك ، الدانمارك ، إستونيا ، فنلندا ، مقدونيا ، فرنسا ، ألمانيا ، اليونان ، المجر ، أيسلندا ، أيرلندا ، إيطاليا ، لاتفيا ، ليشتنشتاين ، ليتوانيا ، لوكسمبورج ، مالطا ، مولدوفا ، موناكو ، هولندا ، النرويج ، بولندا ، البرتغال ، رومانيا ، روسيا ، سان

مارينو ، سلوفاكيا ، سلوفينيا ، أسبانيا ، السويد ، سويسرا ، تركيا ، أوكرانيا المملكة المتحدة ، الفاتيكان ، يوغسلافيا .

أستراليا

تطلق كلمة قارة أستراليا أو أوقيانوسيا أو أستراليا على معظم الجزر التي تقع في المحيط الهادي. ويقدر عددها ما بين 7 500 و 10 000 جزيرة تتفاوت بين الجزر الكبيرة والجزر الصغيرة جدا وكان " فرديناند ماجلان " أول أوروبي يصل إلى هذه الجزر . فقد رست سفنه عام 1521 ميلادية في جزيرة مارياناس إحدى جزر أوقيانوسيا، التي أطلق عليها بعد ذلك جزر اللصوص وتمتد أوقيانوسيا بين جزر هاواي في الشمال إلى جزر نيوزيلندا في الجنوب، ومن نيوزينيا و أستراليا في الغرب، إلى جزر إيستر في الشرق . وتمتد من دائرة العرض 23 . 5 شمالا (مدار السرطان) حتى دائرة العرض 47 جنوبا وتنقسم جزر أوقيانوسيا إلى أربع مجموعات هي : (1) مجموعة جزيرة أستراليا والجزر الملحقة بها، مثل جزيرة تسمانيا . وكلمة أستراليا تعني " الأرض الجنوبية " . وتعد أستراليا أصغر قارة في العالم، حيث تبلغ مساحتها حوالي 7 . 6 مليون كيلومتر مربع . وتتصف تضاريسها بوجود الجبال في الشرق، والسهول في الوسط ، والهضاب في الغرب (2) مجموعة جزر ميلانيزيا، أي مجموعة الجزر السوداء . وتتضمن مجموعة الجزر التي تمتد من جزيرة نيوزينيا غربا حتى جزر فيجي شرقا، وهي جزر بركانية النشأة، تكثر بها الجبال البركانية والتربة الخصبة (3) مجموعة جزر بولينيزيا أي مجموعة الجزر الكثيرة . وتتكون من عدد كبير جدا من الجزر، وتحتل منطقة كبيرة مثلثة الشكل، رأسه في الشمال عند جزر هاواي، وقاعدته في الجنوب، تمثل جزر إيستر طرفها الشرقي وجزر نيوزيلندا طرفها الغربي . ومن أهم جزر هذه أيضا جزر فينكس، وتونجا، وساموا وكوك، وتومائي، وتاهيتي وغيرها . (4) مجموعة جزر ميكرونيزيا أي مجموعة الجزر الصغيرة . إذ تتكون من مجموعة جزر مرجانية صغيرة المساحة . نذكر منها ماريانا، وجوام، ومارشال وكارولين وغيرها . وهي جزر قليلة الارتفاع ويتصف مناخ معظم جزر أوقيانوسيا، باستثناء أستراليا ونيوزيلندا، بأنه مناخ مداري بحري مرتفع

الحرارة تهب عليها بصفة دائمة الرياح التجارية، وتسقط عليها الأمطار معظم أيام السنة، التي تتراوح كمياتها بين 30 و80 بوصة وتعرض هذه الجزر - عادة - لإعصار التيفون الذي يؤدي إلى حدوث الفيضانات وتدمير الأشجار والمنشآت أما أستراليا - نظرا لكبر مساحتها - فتتنوع فيها الظروف المناخية، حيث تضم أربعة أقاليم مناخية مختلف أما نيوزيلندا فنظرا لوقوعها في العروض المعتدلة فهي تتمتع بمناخ بحري معتدل الحرارة، وتسقط عليها الأمطار معظم السنة (من 30 إلى 60 بوصة) وتنوع النباتات الطبيعية في أوقيانوسيا، حيث تجمع بين الغابات المدارية الموسمية في معظم الجزر، وأحراج متوسط في جنوب غرب أستراليا، والغابات المعتدلة النفضية في نيوزيلندا وجنوب شرق أستراليا، والنباتات الصحراوية في غرب ووسط أستراليا وتكثر في أوقيانوسيا الطيور لسهولة انتقالها بين الجزر، ومنها طائر النورس، والبط الطائر، والقادوس البحري، وطيور الفردوس، والبيغاء، وعصفور السنونو (أي الخطاف) . ومن الحيوانات البرية، خاصة في أستراليا، حيوان الكانجرو والكلاب البرية والأرانب البرية. ويسكن أوقيانوسيا مجموعات سكانية متباينة، تتكون بصفة عامة من هجرات قديمة جاءت أساسا من جزر جنوب شرق آسيا، إضافة إلى الأستراليين الأصليين . كما وفد إلى أوقيانوسيا هجرات حديثة من أوروبا جاءت بعد الكشوف الجغرافية في القرنين السابع عشر والثامن . وأهم المجموعات السكانية ما يلي: (1) الأستراليون الأصليون ويعيشون في الوقت الحاضر في مناطق منعزلة فقيرة في غرب أستراليا ويتصفون بالبشرة السمراء النحاسية ، والشعر الأسود المموج . وهي جماعة تعيش في حالة بدائية حيث يمارسون حرفة جمع البذور، والثمار، وعسل النحل، وصيد الطيور وهي مجموعة مهددة بالانقراض . (2) الميلانيزيون و يعيشون في مجموعة جزر ميلانيزيا، ويتصفون بالبشرة السوداء الداكنة والشعر المموج والمفلط وهم خليط من الأستراليين الأصليين والمالايين . (3) البولينيزيون و يعيشون في مجموعة جزر بولينيزيا، وينحدرون من السلالة المالايوية في إندونيسيا . وتميل البشرة إلى اللون الأسمر، وتسود بينهم الكثير من الصفات القوقازية . (4) الميكرونيزيون و يعيشون في مجموعة جزر ميكرونيزيا . تظهر فيهم بوضوح الصفات المغولية، فالبشرة تميل إلى اللون الأصفر والشعر

مسترسل والقامة قصيرة. (5) السلالة الأوروبية البيضاء ويتركزون في أستراليا ونيوزيلندا وجزر فيجي، كما توجد في بعض الجزر مجموعات من الصينيين .

وتعد الزراعة الحرفة الرئيسية في معظم جزر أوقيانوسيا إذا ما استثنينا أستراليا ونيوزيلندا، ومن أهم المحاصيل الغذائية نبات التارو واليام، وهي درنات نشوية تشبه البطاطا، كما يزرع الأرز خاصة في جزر فيجي، والموز وجوز الهند، وكثيرا ما يزرع الكاكاو وخاصة في نيوزيلندا وجزيرة ساموا الغربية، وأشجار المانجو ونبات الأناناس خاصة في جزر هاواي. كما توجد بعض المزارع الواسعة المتخصصة لزراعة قصب السكر في جزر هاواي، والمطاط في جزيرة نيوكاليدونيا ونيوزيلندا وسولومون . وتربى بعض الحيوانات من أجل ألبانها، خاصة في جزر هاواي وجزر فيجي. ويمارس السكان صيد الأسماك والقشريات والرخويات، التي تعد المصدر الرئيسي للبروتينات في معظم جزر أوقيانوسيا . وتستغل بعض المعادن، مثل الذهب والنيكل والكروم، إضافة إلى الفوسفات خاصة في الجزر المرجانية ويشتهر سكان أوقيانوسيا بالنحت على الأخشاب ، والرسم، وبعض الفنون التشكيلية الشعبية وتشكل جزر أوقيانوسيا المتناثرة في قلب المحيط الهادي أهمية كبيرة في النقل البحري والجوي . إذ تشكل محطات تموين وقود ومراكز صيانة رئيسية لخدمة السفن والطائرات التي تعبر المحيط الهادي، الذي تبلغ مساحته ثلث مساحة الكرة الأرض وقد أدت هذه الأهمية إلى سيطرة الدول الغربية على معظم جزر أوقيانوسيا لتأمين خطوطها الملاحية البحرية والجوية وأهم هذه الدول الغربية الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وتشيلي ، إضافة إلى أستراليا ونيوزيلندا . وتعد أستراليا ونيوزيلندا الدولتين المستقلتين الوحيدتين في أوقيانوسيا، وكاتتا من قبل مستعمرتين بريطانيتين وأهم المدن كانبرا عاصمة أستراليا، ملبورن وسدني بأستراليا، وويلنجتون عاصمة نيوزيلندا، وأوكلاند أهم موانئها . ومدينة هونولولو عاصمة ولاية هاواي الأمريكية . وتعد قاعدة بيرل هاربور الأمريكية أكبر القواعد البحرية في المحيط الهادئ دولة أوقيانوسيا . ودول القارة هي (14 دولة) وهي : أستراليا ، ميكرونيزيا ، فيجي ، جزر

الكاريباتي ، جزر مارشال ، نارو ، نيوزيلندا ، بالو ، بابوا غينيا الجديدة ، جزر السولمون ،
تونجا ، توفالو ، فانواتو. ساموا الغربية .

منظمة الأمم المتحدة

على ذكر القارات وما فيها من دول يتوجب علينا ذكر منظمة الأمم المتحدة وعليه
فقد خرجت الأمم المتحدة إلى الوجود كما جاء في موسوعة أطلس العالم. بعد مراحل متعددة
من العمل الدولي فقد أصدر الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني
ونستون تشرشل تصريح الأطلنطي في 14 آب أغسطس سنة 1941 وجاء فيه ذكر إنشاء
هيئة عالمية لحفظ السلام وتحقيق التعاون الدولي. وإذا كانت المنظمة قد ذكرت في تصريح
الأطلنطي إلا أن اسم الأمم المتحدة قد ذكر لأول مرة في تصريح الأمم المتحدة في أول كانون
الأول يناير سنة 1942. وصاحب التعبير هو الرئيس الأمريكي روزفلت. وقد صدر
التصريح بعد مؤتمر اشتركت فيه 26 دولة وعقد في واشنطن بهدف تشكيل جبهة عالمية
ضد دول المحور. والدول التي وقعت هي الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي
والصين، وأستراليا، وبلجيكا، وكندا، وكوستاريكا وكوبا وتشيكوسلوفاكيا والدومينيكان .
والسلفادور، واليونان، وغواتيمالا، وهاييتي، وهندوراس، والهند، ولوكسمبورغ وهولندا،
ونيوزيلندا ، ونيكاراغوا، والنرويج، وبنما، وبولندا، ويوغوسلافيا، وجنوب أفريقيا. وقد
وقعت على هذا التصريح بعد ذلك 21 دولة منها: فرنسا وعدد من الدول العربية وهي
العراق ومصر والسعودية وسوريا ولبنان. وتأكدت الرغبة في إنشاء الأمم المتحدة في تصريح
موسكو الذي صدر في 30 تشرين الأول - أكتوبر سنة 1943 - لممثلي الولايات المتحدة
وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين. وجاء فيه أنهم يعترفون بضرورة أن تنشأ في أقرب وقت
هيئة دولية لصيانة السلام الدولي قائمة على مبدأ المساواة في السيادة بين جميع الدول المحبة
للسلام، وعضويتها مفتوحة لكل هذه الدول. وفي هذا النص وضعت الأسس التي قامت
عليها الأمم المتحدة وهي ثلاثة: المساواة، وان المحبة للسلام، والعضوية مفتوحة. واثرت تلك
التصريحات المتلاحقة انتقل مشروع إنشاء الهيئة الدولية من دائرة البيانات إلى دائرة العمل

التنفيذي. ففي آب وأيلول أغسطس وسبتمبر سنة 1944 اجتمع في "دميرتون اوكس" واشنطن، ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا والصين والاتحاد السوفياتي، وكانت نتيجة ما عرف بمقترحات دميرتون اوكس، وهي عبارة عن سرد لأسس ومبادئ الهيئة الدولية المقترحة وأهدافها حسب تصور الدول المعنية. وفي مؤتمر يالطا في الفترة من 3 إلى 11 شباط فبراير سنة 1945 الذي اشتركت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا تقرر الدعوة إلى مؤتمر سان فرانسيسكو لوضع ميثاق هيئة دولية على أساس الخطوط الرئيسية لمقترحات دميرتون اوكس. ودعت فرنسا والصين للاشتراك في الدعوة للمؤتمر مع الدول الثلاث، وإن كانت فرنسا قد اعترضت واعتذرت عن أن تكون ضمن الدول الداعية. وأهم قرارات المؤتمر كان مبدأ الفيتو للدول الخمس في مجلس الأمن. وقد عقد مؤتمر سان فرانسيسكو في الفترة من 25 نيسان ابريل حتى 26 حزيران يونيو سنة 1945، ووجهت الدعوة إلى جميع الدول التي أعلنت الحرب على ألمانيا أو اليابان في موعد أقصاه أول آذار مارس سنة 1945. وهي 46 دولة وهي: استراليا، بلجيكا، بوليفيا، البرازيل، كندا، شيلي، الصين، كولومبيا، كوستاريكا، كوبا، تشيكوسلوفاكيا، الدومينكان، اكوادور، السلفادور، إثيوبيا، فرنسا، اليونان، غواتيمالا، هايتي، هندوراس، الهند، النرويج، بنما، باراغواي، بيرو، الفلبين، تركيا، الاتحاد السوفياتي، بريطانيا، الولايات المتحدة، اوراغواي، فنزويلا، يوغوسلافيا، مصر، لبنان، سوريا، العراق، السعودية، جنوب أفريقيا. ثم انضمت إليها الأرجنتين والدانمرك. هذا بالإضافة إلى أوكرانيا وبلوروسيا (روسيا البيضاء) بعد أن وافق مؤتمر يالطا على تمثيلها كجمهوريات مستقلة. وبذلك بلغت 50 دولة. ونتيجة معارضة الولايات المتحدة وبريطانيا، لم تدع بولندا حتى يتم الاعتراف بالحكومة المؤقتة رغم توقيعها على تصريح الأمم المتحدة. ولذلك ترك لها مكان في الوثيقة. وتكون الدول الموقعة بذلك 51 دولة. وتضم الوثيقة 111 مادة في الميثاق ولغاته الرسمية خمس هي: الإنجليزية والفرنسية والروسية والصينية والأسبانية. وخرجت الأمم المتحدة إلى حيز الوجود بصفة رسمية في 24 تشرين الأول أكتوبر سنة 1945 بعد أن صدقت على الميثاق الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا

وفرنسا والصين وهي الدول الدائمة في مجلس الأمن وأغلبية الحكومات الأخرى الموقعة على الميثاق. ويحتفل العالم بيوم 24 تشرين الأول أكتوبر من كل عام باعتباره يوم الأمم المتحدة. ويذكر ميثاق الأمم المتحدة المادة 7 أن هيئات الأمم المتحدة الرئيسية ست هي: الجمعية العامة، ومجلس الأمن، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي، ومجلس الوصاية، ومحكمة العدل الدولية، والأمانة العامة. والرأي السائد أن هذا النص تحديد للهيئات الرئيسية، وبالتالي لا يجوز إنشاء غيرها كهيئات رئيسية مثل تعديل الميثاق. فهي مذكورة على سبيل الحصر لا التمثيل وقبل التعرض لها لا بد أن يسبق ذلك عرض لأهداف الأمم المتحدة حسب ما جاء في ميثاقها: وكانت أهداف المنظمة كالتالي :- حفظ السلم والأمن الدولي، وذلك باتخاذ التدابير المشتركة الفعالة لمنع الأسباب التي تهدد السلم، وتقمع أعمال العدوان، وتعمل بالوسائل السلمية وفقاً لمبادئ العدل والقانون الدولي لحل المنازعات الدولية. - إنماء العلاقات الدولية بين الأمم على أساس حق تقرير المصير والمساواة بين الشعوب. تحقيق التعاون الدولي على حل المسائل الدولية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتقرير احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية له دون تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين. وعضوية الأمم المتحدة متاحة لجميع الأمم المحبة للسلم التي تقبل الالتزامات التي يتضمنها ميثاق الأمم المتحدة، والتي ترى المنظمة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة في تحملها. وتوافق الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الأمن على عضوية الدول الجديدة. كما للجمعية العامة الحق في أن توقف عضوية أية دولة من الدول الأعضاء أو تفصلها من الأمم المتحدة بناء على توصية من مجلس الأمن، ويجوز وقف الدول الأعضاء إذا قرر مجلس الأمن استخدام القوة ضدها، كما يجوز حرمانها من العضوية إذا أخلت في تطبيق مبادئ الميثاق. ومجلس الأمن أن يعيد إلى الدولة الموقوفة العضوية حقوقها كعضو. وقد بلغ عدد أعضاء الأمم المتحدة مع بداية الدورة الحادية والثلاثين للجمعية العامة (1976) 134 عضواً. ومسألة العضوية ما زالت واحدة من مشكلات الأمم المتحدة. فقد بقيت مسألة مساوطة بين الكتلتين الشرقية والغربية إلى درجة أن عدد الدول التي قبلت خلال السنوات العشر الأول من قيام الأمم المتحدة لم تزد عن خمس

دول هي أفغانستان وبورما وأيسلندا واندونيسيا وباكستان، بينما بقيت قائمة الدول طالبة العضوية تتزايد إلى أن توصلت الكتلتان، وعلى وجه التحديد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، إلى حل "قبول جماعي" لعدد من الدول بقدر يحافظ على التوازن داخل الأمم المتحدة كما بدأت. وشملت قائمة القبول الجماعي (14 كانون الأول ديسمبر سنة 1955) 15 دولة، هي: ألبانيا وبلغاريا والمجر ورومانيا وفنلندا والنمسا وأيسلندا وإيطاليا والأردن ولاوس وليبيا ونيبال والبرتغال وأسبانيا وسيلان. كما بقيت الصين الشعبية منذ انتصار ثورتها في تشرين الأول أكتوبر سنة 1949 حتى 25 تشرين الأول أكتوبر سنة 1971 خارج الأمم المتحدة أمام إصرار الولايات المتحدة على استخدام الفيتو ضد دخولها وبقاء فرموزا في الأمم المتحدة تشغل واحدا من المقاعد الدائمة في مجلس الأمن إلى أن استعادت الصين الشعبية هذا المقعد واعتبرت الممثل الوحيد للصين في سنة 1971. وقد بدأت تكرر القصة نفسها مع فيتنام الموحدة وأنغولا، حيث استخدمت الولايات المتحدة الفيتو ضد دخولها بدعوى أن فيتنام لم تسلم كشافاً كاملاً بمصير الأسرى الأمريكيين وأن في أنغولا قوات كوية، مع أن ذلك ليس شرطاً من شروط العضوية في الأمم المتحدة. وأجهزة الأمم المتحدة الرئيسية هي 1- الجمعية العامة. 2- مجلس الأمن. 3- المجلس الاقتصادي والاجتماعي. 4- مجلس الوصاية. 5- محكمة العدل الدولية. 6- الأمانة العامة. وهناك غير هذه الأجهزة الرئيسية للأمم المتحدة مثل الوكالات المتخصصة وهي منظمات دولية منفصلة، ترتبط بالأمم المتحدة وفق اتفاقات خاصة وهي تعمل مع الأمم المتحدة من خلال المجلس الاقتصادي والاجتماعي. ويتبع الأمم المتحدة وكالات ومنظمات متخصصة، هي: 1. اتحاد البريد العالمي: تأسس عام 1875 م، ومقره "برن" بسويسرا. 2. منظمة العمل الدولية: تأسست مع قيام عصبة الأمم عام (1919 م)، ومقرها "جنيف" بسويسرا. 3. الاتحاد الدولي للاتصالات السلكية واللاسلكية (اتحاد البرق والهاتف الدولي): تأسس عام 1934 م، ومقره جنيف. 4. منظمة الأغذية والزراعة (فاو FAO): تأسست في عام 1945 م، ومركزها مدينة "روما" في إيطاليا. 5. صندوق النقد الدولي: تأسس عام

1945 م ، ومقره " واشنطن " بالولايات المتحدة الأمريكية . 6 . البنك الدولي للإنشاء والتعمير: تأسس رسميا في 27 ديسمبر 1945 م ، ومقره واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية . 7 . منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) : تأسست عام 1946 م ، ومقرها " باريس بفرنسا . 8 . منظمة الصحة العالمية: تأسست عام 1946 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا . 9 . المنظمة الدولية للطيران المدني: تأسست عام 1947 م ، ومقرها " مونتريال " بكندا . 10 . المنظمة الدولية للتعريف والتجارة (منظمة الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة) تأسست في عام 1948 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا . 11 . المنظمة العالمية للأرصاد الجوية تأسست عام 1951 م ومقرها " جنيف " بسويسرا . 12 . هيئة التمويل الدولية تأسست عام 1956 م ، ومقرها واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ولها ارتباط بالبنك الدولي . 13 . الوكالة الدولية للطاقة الذرية: تأسست عام 1957 م ، ومقرها " فيينا " في النمسا الاتحادية . 14 . المنظمة البحرية الاستشارية ما بين الحكومات: تأسست عام 1959 م ، ومقرها " لندن " بالمملكة المتحدة . 15 . منظمة التنمية الدولية: تأسست عام 1960 م ، ومقرها " واشنطن " بالولايات المتحدة الأمريكية . 16 . منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (يونيدو) : تأسست عام 1967 م ، ومقرها " جنيف " بسويسرا . 17 . المنظمة العالمية للتراث الفكري: تأسست عام 1974 م ، ومقرها جنيف بسويسرا . 18 . الصندوق الدولي للتنمية الزراعية: تأسس عام 1977 م ، ومقره " روما " بإيطاليا .

(قال) ولاحظ : أن الدول الأعضاء الخاصة بكل وكالة يختلف وليس بالضرورة أن تكون بها كل الدول المنضمة للأمم المتحدة والدول الأعضاء (زمن مؤلف الموسوعة) (186 دولة) وهي أفغانستان ، ألبانيا ، الجزائر ، أندورا ، أنجولا ، أنتيغوا وبربودا ، الأرجنتين ، أرمينيا ، أستراليا ، النمسا ، أذربيجان ، البهاما ، البحرين ، بنجلاديش ، بربادوس ، روسيا البيضاء ، بلجيكا ، بليز ، بنين ، بوتان ، بوليفيا ، البوسنة والهرسك ، بوتسوانا ، البرازيل ، بروناي ، بلغاريا ، بوركينا فاسو ، بوروندي ، كمبوديا ، الكاميرون ، كندا ، الرأس الأخضر ، أفريقيا الوسطى ، تشاد ،

تطلب الإحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ الآية فلو وسع الخلاق العدل ما قرن الله به الإحسان والعدل ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوى والحق من المبطل . واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وأفضل الأزمنة ثوبا أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال (لعمل الإمام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاما) وروي عن النبي أنه قال (عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة) وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال (ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله وأما الإمام العادل فإني أرجو أن لا أجور وأما الشهادة فإني لي بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا . وسأل الإسكندر حكماء أهل بابل إيما أبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا إذا استعملنا العدل استغنينا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل إذا رغب السلطان عن العدل رغبت الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشكو إليه من خراب مدينته ويسأله مالا يرماها به فكتب إليه عمر قد فهمت كتابك فإذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل وفق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام . ويقال إن الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل يتناقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ارتفع في السنة الأولى إلى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية إلى ستين ألف ألف وقيل أكثر وقال إن عشت لأبلغنه إلى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمات في تلك السنة . ومن كلام كسرى لا ملك إلا بالجند ولا جند إلا بالمال ولا مال إلا بالبلاد ولا بلاد إلا بالرعايا ولا رعايا إلا بالعدل . ولما

مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولأمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لأمر المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لأحد الغرماء ثم كتب للمنصور إني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرماء فكتب إليه المنصور ملئت الأرض بك عدلا . وكان أحمد بن طولون والي مصر متحليا بالعدل مع تجره وسفكه للدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم حكى أن ولده العباس استدعي بمغنية وهو يصطحب يوما فلقبها بعض صالحى مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره فدخل العباس إليه وأخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما أحضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال أفعلت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال أفما أكرمته لي قال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول الله يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فأطرق أحمد بن طولون عند ذلك ثم قال كل منكر رأيت فغيره وأنا من ورائك ووقف يهودى لعبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين إن بعض خاصتك ظلمني فانصفني منه وأذقنى حلاوة العدل فأعرض عنه فوقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين إنا نجد في التوراة المنزلة على كليم الله موسى صلوات الله وسلامه عليه إن الإمام لا يكون شريكا في ظلم أحد حتى يرفع إليه فاذا رفع إليه ذلك ولم يزله فقد شاركه في الظلم والجور .

وتحدثُ من بعد الأُمور
وتظلمُ فيها أنجمٌ وتغورُ
فقد ظنَّ عجزاً لا يـدومُ سرورُ

تروخُ لنا الدنيا بغير الذي غدتُ
وتجري الليالي باجتماع وفرقة
فمن ظنَّ أن الدهرَ باقٍ سرورهُ

*

الكتاب الخامس

في بيان العروبة والعرب

ويتضمن عدة بحوث في العروبة والعرب ومراحل تاريخهم وأحوالهم قبل مجيء الإسلام

*

الفصل الأول

في بيان ما يقع عليه اسم العرب وذكر أنواعهم

قال الجوهري في صحاحه: العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار، والأعراب سكان البادية والتحقيق أن اسم العرب يشمل الجميع والأعراب نوع منهم. قال الجوهري: وجاء في الشعر الفصيح الأعراب ويقال: تعرب العجمي، إذا تشبه بالعرب. وقد ذكر صاحب العبر أن لفظ العرب مشتق من الإعراب، وهو البيان، أخذاً من قولهم: أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان، سُموا بذلك لأن الغالب عليهم البيان. وقيل تسمية العرب بالعرب جاءت من استيطانهم لبلدة عربية وقيل من نسبتهم ليعرب. وتصغير العرب: عريب، والنسبة إلى العرب: عربي، وإلى الأعراب: أعرابي لأنه لا واحد له يُرد إليه، بخلاف مساجد، حيث ينسب إليها: مسجدي، نسبة إلى الواحد منها من حيث إن لها واحداً ترد إليه. ثم إن كل من عدا العرب فهو عجمي، سواء الفرس أو الترك أو الروم أو غيرهم، وليس كما توهم العامة من اختصاص العجم بالفرس، أما الأعجم فالذي لا يفصح في الكلام وإن كان عربياً، ومنه سمي: زياد الأعجم الشاعر، وكان عربياً.

أنواع العرب

اتفق المؤرخون على أن العرب أولاً نوعان: عاربة ومستعربة. فأما العرب العاربة فقال الجوهري هم العرب الخالص. قال في العبر: وهم العرب الأول الذين فهمهم الله اللغة العربية ابتداء فتكلموا بها فقبل لهم: عاربة، إما بمعنى الراسخة في العروبية، كما يقال: ليل لائل، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها، لما كانوا أول من تكلم بها. قال الجوهري: وقد يقال فيها: العرب العرباء. (قال) و أما العرب المستعربة فهم الداخلون في العروبية بعد العجمة أخذاً من

قولهم استعمل بمعنى الصيرورة . قال الجوهري : وربما قيل لهم المتعربة . ثم اختلف في العاربة والمستعربة، فذهب ابن إسحاق والطبري إلى أن العاربة هم : عاد، وثمود، وطسّم، وجديس، وأميم، وعبيل، والعمالقة، وعبد ضخم، وجُرهم الأولى، التي كانت في زمن عاد، ومن في معناهم . والمستعربة هم : بنو قحطان بن عابر بن شالخ بن أد ابن سام بن نوح عليه السلام لأن لغة عابر كانت عجمية، إما سريانية، وإما عبرانية، فتعلم بنو قحطان العربية من العاربة ممن كان في زمنهم، وتعلم بنو إسماعيل العربية من جرهم من بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمه بمكة . وذهب آخرون، منهم المؤيد صاحب حماء، إلى أن بني قحطان هم العاربة، وأن المستعربة هو بنو إسماعيل فقط . والذي رجحه صاحب "العبر" القول الأول محتجاً بأنه لم يكن في بني قحطان من زمن نوح عليه السلام إلى عابر من تكلم بالعربية، وإنما تعلموها نقلاً عن من كان قبلهم من العرب، من عاد وثمود ومعاصريهم، ممن تقدم ذكرهم .

سمة العرب

إنّ العرب كما في كتاب العبر لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان، ولذلك سمو بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم : أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (الطيب تعرب عن نفسها) والبيان سمّتهم بين الأمم منذ كانوا وانظر قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضي لذلك، فاختار منهم وفداً أوفده عليه وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف (قلت) وقد أشرت إلى ذلك فيما سبق من فصول فراجعها إن شئت . فهذه كلها شعائرهم وسماتهم وأغلبها عليهم اتخاذ الإبل والقيام على تاجها وطلب الانتجاع بها وارتياح مراعيها ومفاحص توليدها بما كان معاشهم منها . فالعرب هم أهل هذه الشعار من دون الآدميين الآخرين . كما أنّ الشاوية هم أهل القيام على الشاة والبقر لما كان معاشهم فيها فهذا لا يختصون بنسب واحد بعينه إلا بالعرض (قال) ولذلك كان النسب في بعضهم مجهولاً عند الأكثر وفي بعضهم خفياً على الجمهور وربما تكون هذه السمات والشعائر في أهل نسب آخر فيدعون باسم العرب إلا أنهم

في الغالب يكونون أقرب إلى الأولين من غيرهم . وهذا الانتقال لا يكون إلا في أزمئة متطاولة وأحقاب متداولة ولذلك يعرض في الأنساب ما يعرض من الجهل والخفاء .

✱

جيل العرب بعد الطوفان

جيل العرب بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام كما في العبر كان في عاد الأولى وثمود والعمالقة وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمي إليهم من العرب العاربة من أبناء سام بن نوح ثم لما انقرضت تلك العصور وذهبت تلك الأمم وقد أبادهم الله بما شاء من قدرته صار هذا الجيل في آخرين ممن قرب من نسبهم من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ثم لما تطاولت تلك العصور وتعاقبت وكان بنو فالغ بن عابر أعلم من بين ولده واختص الله بالنبوة منهم إبراهيم بن تارخ وهو أزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ، وكان من شأنه مع نمرود ما قصه القرآن . ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع أمه هاجر بالحجر قربانا لله ومرّت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة فخالطوها، ونشأ إسماعيل بينهم وربّي في أحيائهم، وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان أبوه أعجميا ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أبالجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إباد وعك وشعوب نزار وعدنان وسائرهم من ولد إسماعيل، وهم العرب التابعة للعرب . ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالطوا العجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في أماد متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل بالمشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان، أمم لا يأخذها الحصر والضبط قد كثروا أمم الأرض لهذا العهد شرقا

وغرباً واعتزوا عليهم فهم اليوم (في عصر ابن خلدون) أكثر أهل العالم وأملك لأمرهم من جميع الأمم ولما كانت لغتهم مستعجمة على اللسان المضري الذي نزل به القرآن وهو لسان سلفهم ، سميناهم لذلك العرب المستعجمة فهذه أجيال العرب منذ مبدأ الخليقة ولهذا العهد في أربع طبقات متعاقبة كان لكل طبقة منها عصور وأجيال ودول وأحياء وقعت العناية بها دون من سواهم من الأمم، لكثرة أجيالهم واتساع النطاق من ملكهم .

جغرافية بلاد العرب

بلاد العرب قديماً قبل الاسلام هي شبه جزيرة تقع جنوبي غربى قارة آسيا يحدها «البحر الأحمر» من الغرب، و«الخليج العربى» من الشرق، و«بحر العرب» و«المحيط الهندى» من الجنوب وبادية «الشام» من الشمال وتبلغ مساحتها أكثر من مليونى كيلو متر مربع ويقسمها الجغرافيون إلى خمسة أقاليم رئيسية هى: (1) إقليم تهامة وهو شريط ساحلى يطل على البحر الأحمر وسمى بتهامة لارتفاع درجة حرارته وركود هوائه. (2) إقليم الحجاز: ويقع شرقى «تهامة»، ويمتد من «الشام» شمالاً إلى «اليمن» جنوباً وتقع عليه سلسلة جبال «السراة» وسمى بالحجاز لأنه يحجز بين «تهامة» فى الغرب و«نجد» فى الشرق وتقع فى هذا الإقليم «مكة» المكربة و«المدينة» المنورة. (3) إقليم نجد: ويقع شرقى «الحجاز» ويمتد من صحراء بادية «السماوة» شمالاً حتى قرب حدود «اليمن» جنوباً وسمى «نجداً» لارتفاع أرضه. (4) إقليم العروض: وهو الجزء الشرقى من شبه الجزيرة العربية ويطل على «الخليج العربى». (5) إقليم اليمن: وهو الجزء الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية. وهذه المساحة الكبيرة ذات طبيعة صحراوية، لا يجرى فيها نهر واحد، ولا تسقط الأمطار إلا نادراً، باستثناء إقليم «اليمن» الذى تسقط فيه بعض الأمطار الموسمية وبخاصة فى فصل الصيف، مما يسر لأهلها حياة مستقرة نتيجة اشتغالهم بالزراعة، وساعدهم على إقامة حكومات منظمة وإقامة حضارة راقية ، وقد اشتهر هذا الإقليم باليمن السعيد . أما بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية فقد قلت فيها الزراعة أو كادت تنعدم لندرة المياه عدا بعض الواحات التى بها عيون للمياه ساعدت على نمو الحشائش

التي ترعاها الماشية وزراعة بعض المحاصيل كالشعير والقمح (قلت) وبعد الإسلام توسعت رقعة العالم العربي كما هو معهود الآن ومنها الشمال الإفريقي وغيره.

ذكر مساكن العرب القديمة

مساكن العرب في ابتداء الأمر كانت بجزيرة العرب الواقعة في أواسط المعمور وأعدل أماكنه وأفضل بقاعه حيث الكعبة الحرام وتربة أشرف الخلق نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وما حول ذلك من الأماكن وهذه الجزيرة متسعة الأرجاء ممتدة الأطراف يحيط بها من جهة الغرب بعض بادية الشام حيث البلقاء إلى أيلة ثم بحر القلزم الآخذ من أيلة حيث العقبة الموجودة بطريق حجاج مصر إلى الحجاز إلى أطراف اليمن حيث طي وزبيد وما دناهما. ومن جهة الجنوب بحر الهند المتصل به بحر القلزم المقدم ذكره من جهة الجنوب إلى عدن إلى أطراف اليمن حيث بلاد مهرة من ظفار وما حولها. ومن جهة الشرق بحر فارس الخارج من بحر الهند إلى جهة الشمال إلى بلاد البحرين، ثم إلى أطراف البصرة، ثم إلى الكوفة من بلاد العراق. ومن جهة الشمال الفرات آخذاً من الكوفة على حدود العراق إلى عانة إلى بلس من بلاد الجزيرة الفراتية إلى البلقاء من بركة الشام حيث وقع الابتداء. ودور هذه الجزيرة فيما ذكر في تقويم البلدان بالمشي على الأقدام : سبعة أشهر وأحد عشر يوماً تقريباً بسير الأتقال فمن البلقاء إلى الشراة ثلاثة أيام، ومن الشراة إلى أيلة نحو ثلاثة أيام، ومن أيلة إلى فرضة المدينة النبوية نحو عشرين يوماً، ومنها إلى ساحل الجحفة إلى جدة ثلاثة أيام ومن جدة إلى عدن نحو من شهر، ومن عدن إلى سواحل مهرة نحو من شهر، ومن مهرة إلى عمان من البحرين نحو من شهر، ومن عمان إلى هجر نحو من شهر، ومن هجر إلى عبادان من سواد العراق نحو خمسة عشر يوماً، ومن عبادان إلى البصرة نحو يومين، ومن البصرة إلى الكوفة نحو اثنتي عشرة يوماً، ومن الكوفة إلى بلس نحو عشرين يوماً، ومن بلس إلى سلمية نحو سبعة أيام، ومن سلمية إلى مشارف غوطة دمشق نحو أربعة أيام، ومن مشارف غوطة دمشق إلى مشارف حوران ثلاثة أيام، ومن مشارف حوران إلى البلقاء نحو ثلاثة أيام. قال المدائني وجزيرة العرب هذه تشتمل على خمسة أقسام وهي : تهامة، ونجد، وحجاز وعروض. ويمن قهامة هي

الناحية الجنوبية من الحجاز. ونجد: هي الناحية التي بين الحجاز و العراق. والحجاز: هو ما بين نجد وتهامة وهو جبل يقبل من اليمن حيث يتصل بالشام، وسمي حجازا لحجزه بين نجد وتهامة. والعروض: هي اليمامة إلى البحرين. ويدخل في هذه الجزيرة قطعة من بلاد الشام، منها: تدمر، وتيماء، وثُبُوك. واعلم أن اليمن كان هو منازل العرب العاربة من عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وجُرهم، وحضرموت، ومن في معناهم، ثم انتقلت ثمود منهم إلى الحجر من أرض الشام، فكانوا به حتى هلكوا، كما ورد به القرآن الكريم. وهلكت بقايا العاربة باليمن من عاد وغيرهم، وخلفهم فيه بنو قحطان من عابر، فعرفوا بعرب اليمن إلى الآن (زمن المؤلف) وبقوا فيه إلى أن خرج منهم عمرو مزيقياء عند توقع سيل العرم وكانت أرض الحجاز منازل بني عدنان إلى أن غزاهم بُختنصر وقتل من نقل منهم إلى الأنبار من بلاد العراق. ولم تزل العرب بعد ذلك كله في التنقل عن جزيرة العرب والانتشار في الأقطار إلى أن كان الفتح الإسلامي، فتوغلوا في البلاد حتى وصلوا إلى بلاد الترك وما داناها، ونزلت منهم طائفة بالجزيرة الفراتية وصاروا إلى أقصى المغرب وجزيرة الأندلس وبلاد السودان، وبلغوا الآفاق وعمروا الأقطار، وصار بعض عرب اليمن إلى الحجاز فأقاموا به، وربما صار بعض عرب الحجاز إلى اليمن فأقاموا به، وبقي من بقى منهم بالحجاز واليمن على ذلك إلى الآن، ومن تفرق منهم بالأقطار منتشرون في الآفاق قد ملأوا ما بين الخافقين.

قحطان

قحطان : اسم يطلق على عرب الجنوب . وموطنهم بلاد اليمن وينتهي نسب القحطانيين الى قحطان وقحطان هذا ينتهي نسبه الى سام اذ هو قحطان مهزم بن عامر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام . وعرب قحطان انشعبت بطونها وقبائلها من سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان منه بطون حمير وقضاة والسكاسك وزيد وكهلان وهمدان وانمار وطبي وكندة ومذحج ولخم وجدام والازد الذين منهم الاوس والخزرج واولاد ملوك الشام وغيرهم كما سيأتي تفصيله .

عرب عدنان

عرب عدنان : اسم يطلق على عرب الشمال وموطنهم الا صلي مكة وما جاورها من ارض الحجاز وتهامة وينتهي نسب العدنانيين الى عدنان. وعدنان هذا ينتهي نسبه الى اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اذ هو عدنان بن أد بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يشجب بن نابت بن اسماعيل كما سيأتي تفصيله.

فأئده

قال عنتر بن شداد مفتخرا بالعروبة²⁸

لعمرك ان الجمد والفخر والعللا	ونيل الاماني وارثقاع المراتب
لمن يلتقي ابطالها وسراتها	بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبني بحد السيف مجدا مشيدا	على فلك العلياء فوق الكواكب
ومن لم يرورحه من دم العدا	اذا اشتبكت سمر القنا بالقواضب
ويعطي القنا الخطي في الحرب حقه	ويبري بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغصة	وان مات لايجري دموع النوادب
فضائل عزم لاتباع لضارع	واسرار عزم لا تداع لعائب
برزت دهرا على كل حادث	ولاكحل الامن غبار الكائب
اذا كذب البرق اللموع لشائم	فبرق حسامي صادق غير كاذب

رجوع أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان

أنساب عرب الحجاز كما سبق أن ذكرت ترجع إلى عدنان لأن عدنان على ما سبق ذكره ولد له اولاد وهم (عك ومعد والحارث والمذهب وأبين و عدن الذي تعرف به مدينة عدن و الضحاك) وقيل إن (الضحاك) بن لمعد لا ابن عدنان. قالوا وتزوج عك في الأشعرين وسكن في بلادهم من اليمن فصارت لغتهم واحدة فزعم بعض أهل اليمن أنه منهم فيقولون عك بن

²⁸ يراجع ديوان عنتر ابن شداد وسائر كتب الادب.

عدنان بن عبدالله بن الأزدي بن يغوث ويقال عك بن عدنان بن الذيب بن عبدالله بن الأسد
ويقال الريث بدل الذيب . والصحيح ما ذكرنا من أنهم من عدنان قال عباس بن مرداس :
وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد
فأما معد فولد له أربعة وهم (نزار وقضاة وقنص وإياد) وكان قضاة بكره وبه كان
يكنى وأما (قنص) فيقال إنهم هلكوا ولم يبق لهم بقية إلا أن النعمان بن المنذر الذي كان نائباً
لكسرى على الحيرة كان من سلالة علي قول طائفة من السلف وقيل بل كان من حمير كما
تقدم والله أعلم وأما (نزار) فولد له (ربعة وأمار ومضر وإياد) قال ابن هشام وإياد
ومضر شقيقان أمهما سودة بنت عك بن عدنان . وأم ربعة وأمار شقيقة بنت عك بن
عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان قال ابن اسحاق فأما (أمار) فهو والد خثعم
وبجيلة قبيلة جرير بن عبدالله البجلي قال وقد تيامنت فلحقت باليمن قال ابن هشام وأهل
اليمن يقولون أمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن
سبأ . قالوا وكان مضر أول من حدا وذلك لأنه كان حسن الصوت فسقط يوماً عن بعيره
فوثبت يده فجعل يقول (وايداه وايداه) فأعنت الإبل لذلك . قال ابن اسحاق فولد
(مضر بن نزار) رجلين وهما (الياس وعيلان) وولد لالياس (مدركة وطابخة وقمعة)
وأمهم خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاة قال ابن اسحاق وكان اسم مدركة عامرا
واسم طابخة عمرا وذلك انهما اصطادا صيدا فبيناهما يطبخانه إذ نفرت الإبل فذهب عامر
في طلبها حتى أدركها وجلس الآخر يطبخ فلما راحا على أبيهما ذكرا له ذلك فقال لعامر أنت
مدركة وقال لعمرو أنت طابخة قال وأما (قمعة) فيزعم نسابو مضر أن خزاعة من ولد عمرو
بن لحي بن قمعة بن الياس قلت والأظهر أنه منهم لا والدهم وأنهم من حمير كما تقدم والله
أعلم قال ابن اسحاق فولد (مدركة) (خزيمة وهذيل) وأمهما امرأة من قضاة وولد
(خزيمة) (كنانة وأسدا وأسدة والهون وزاد وعامرا والحارث والنضير وغنما وسعدا وعوفا
وجرولا والحدال وغزوان) قالوا وولد كنانة (النضر ومالكا وعبد مناة وملكان) وسيأتي
مزيد من البيان .

جرهم واسماعيل

اتفقت كلمة الاخباريين²⁹ والرواة على أن هاجر به أبوه إبراهيم من أرض كنعان الى ارض مكة وبعد حادثة الفداء وبناء الكعبة أقام بمكة وساكن جرهم الذين كانوا قد استوطنوا مكة ليرتووا من ماء زمزمها الذي كان اكتشافه بسببه (وجرهم) هؤلاء هم من نسب (قحطان) المسمى مهزم بن عامر بن ارفخشذ المذكور اعلاه وكانوا رحلا يتبعون الماء والكلاء ولما مروا في احدى رحلاتهم بضواحي مكة وعلموا باستخراج ماء زمزمها استاذنوا السيدة هاجر في ان ينزلوا بجوارها فاذنت لهم واستوطنوا المكان وبقوا فيه مدة قرون الى ان اخرجتهم منه قريش بعد ان دالت لها دولتها (قال المؤرخون) ولما ساكن اسماعيل جرهم صاهرهم وكثر ولده فيهم وتناسلوا حتى كان منهم (عدنان) المذكور سابقا وابنه (معد) . هذا ولفظة (جرهم) من قولهم رجل جرهمٌ ومجرهمٌ بمعنى جادٌ كذا ضبط مجرهم كمقشعرٌ ب (الأصل والحكم) لكن ضبط في القاموس كالتكلمة بوزن مدحرج في أمره وبه سمي جرهمٌ . وجرهم صفة من صفات الأسد (أقول) ومن اخوة (اسماعيل) لأبيه (إسحاق) بن ابراهيم وابن سارة بنت توبيل عم ابراهيم .

عرب الحجاز وجرهم والبيت العتيق

جميع عرب الحجاز على اختلاف قبائلهم يرجعون في أنسابهم إلى ولدي سيدنا إسماعيل (نابت وقيذر) كما سبق أن ذكرت في الفصول السابقة . وكان الرئيس بعد اسماعيل والقائم بالأمر والحاكم في مكة والناظر في أمر البيت وزمزم ابنه (نابت بن إسماعيل)

تغلب جرهم على ابناء اسماعيل

تغلبت جرهم على البيت طمعا في بني أختهم فحكموا بمكة وما والاها عوضا عن بني إسماعيل مدة طويلة فكان أول من صار إليه أمر البيت بعد نابت (مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن عيبر بن نبت بن جرهم بن قحطان) ويقال (جرهم بن يقطن بن عيبر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح الجرهمي وكان مضاض نازلا بأعلى مكة بقعيقعان وكان

²⁹ تراجع هذا البحث وما يليه في متاب العبر لابن خلدون والتاريخ للامام الطبري وسير اعلام النبلاء للامام الذهبي والتذكرة للامام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للامام السيوطي والبداية والنهاية للامام ابن كثير والروض الالف للامام السهيلي

السميدع سيد قطوراء نازلا بقومه في أسفل مكة وكل منهما يعشر من مر به مجتازا إلى مكة ثم وقع بين جرهم وقطوراء فاقتلوا فقتل السميدع واستوثق الأمر لمضاض وهو الحاكم بمكة والبيت لا ينازعه في ذلك ولد إسماعيل مع كثرتهم وشرفهم وانتشارهم بمكة وبغيرها وذلك لحوولتهم له ولعظمة البيت الحرام ثم صار الملك بعده إلى ابنه الحارث ثم إلى عمرو بن الحارث ثم بغت جرهم بمكة وأكثر فيها الفساد والحدوا بالمسجد الحرام حتى ذكر أن رجلا منهم يقال له إساف بن بغي وامرأة يقال لها نائلة بنت وائل اجتمعا في الكعبة فكان منه إليها الفاحشة فمسخهما الله حجرين فنصبهما الناس قريبا من البيت ليعتبروا بهما فلما طال المطال بعد ذلك بمدد عبدا من دون الله في زمن خزاعة كما ذكر في موضعه فكانا صنمين منصوبين يقال لهما إساف ونائلة .

تمالؤ خزاعة على جرهم

لما أكثر جرهم البغي بالبلد الحرام تمالأت عليهم خزاعة الذين كانوا نزلوا حول الحرم وكانوا من ذرية عمرو بن عامر الذي خرج من اليمن لأجل ما توقع من سيل العرم كما تقدم وقيل إن خزاعة من بني إسماعيل فالله أعلم والمقصود أنهم اجتمعوا لحربهم وأذنواهم بالحرب واقتلوا واعتزل بنو إسماعيل كلا الفريقين فغلبت خزاعة وهم بنو بكر بن عبد مناة وغبشان وأجلوهم عن البيت فعمد عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي وهو سيدهم إلى غزالي الكعبة وهما من ذهب وحجر الركن وهو الحجر الأسود وإلى سيوف محلاة وأشياء أخر فدفنها في زمزم وعلم زمزم وارتحل بقومه فرجعوا إلى اليمن. كما سبق أن ذكرت .

أقسام العرب

كما سبق أن ذكرت يُقسم علماء الأنساب العرب إلى : عرب بائدة وهم الذين هلكوا ولم يبق من نسلهم أحد، مثل : عاد و ثمود و طسّم وغيرهم .وعرب باقية وهم قسمان : أ - عرب عاربة وهم أهل اليمن الذين ينسبون إلى يعرب ابن قحطان . ب - وعرب مستعربة وهم الذين ينسبون إلى عدنان الذي يتصل نسبه بإسماعيل بن إبراهيم عليهما

السلام وسُموا مستعربة لأن أباهم غير عربي وهو إسماعيل عليه السلام وأمهم عربية من جرهم .

أحوال العرب

للعرب في قديم عهدهم أحوال متعددة منها الأحوال السياسية ومنها الأحوال الأخلاقية ومنها الأحوال الاقتصادية و منها الأحوال الثقافية ومنها الأحوال الدينية وما إلى ذلك وملخصها على النحو التالي :

الأحوال السياسية

الأحوال السياسية كانت متنوعة فالأقطار الثلاثة التي كانت مجاورة للأجانب كانت حالتها السياسية في توضع وانحطاط لا مزيد عليه . فقد كان الناس حينذاك بين سادة وعبيد ، أو حكام ومحكومين فالسادة ولا سيما الأجانب لهم كل الغنم ، والعبيد عليهم كل الغرم ، وبعبارة أوضح أن الرعاية كانت بمثابة مزرعة تورد المحصولات إلى الحكومات، فتستخدمها في ملذاتها وشهواتها، ورجائبها، وجورها وعدوانها . أما الناس فهم في عمايتهم يتخبطون والظلم ينحط عليهم من كل جانب وما في استطاعتهم التذمر والشكوى بل هم يسامون الخسف والجور والعذاب ألوانا ساكنين، فقد كان الحكم استبداديا والحقوق ضائعة مهدورة، والقبائل المجاورة لهذه الأقطار مذذبون تتقاذفهم الأهواء والأغراض، مرة يدخلون في أهل العراق، ومرة يدخلون في أهل الشام، وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال، تغلب عليها المنازعات القبلية والاختلافات العنصرية والدينية حتى قال ناطقهم:

ما أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يرجعون إليه، ويعتمدون عليه وقت الشدائد . وأما حكومة الحجاز فقد كانت تنظر إليها العرب نظرة تقدير واحترام، ويرونها قادة وسدنة المركز الديني وكانت تلك الحكومة في الحقيقة خليطا من الصدارة الدنيوية والحكومية والزعامة الدينية، حكمت بين العرب باسم الزعامة الدينية، وحكمت في الحرم وما والاه بصفتها حكومة تشرف على مصالح الوافدين إلى البيت، وتنفذ حكم شريعة إبراهيم، وكانت

لها من الدوائر والتشكيلات ما يشابه دوائر البرلمان كما ذكر. ولكن هذه الحكومة كانت ضعيفة لا تقدر على حمل العبء كما وضع يوم غزو الأحباش.

الحكم والإمارة في العرب

كان حكام الجزيرة قبيل بزوغ شمس الإسلام قسمين قسم منهم ملوك متوجون، إلا أنهم في الحقيقة كانوا غير مستقلين، وقسم منهم رؤساء القبائل والعشائر لهم ما للملوك من الحكم والامتياز، ومعظم هؤلاء كانوا على تمام الاستقلال. وربما كانت لبعضهم تبعية لملك متوج، والملوك المتوجون هم ملوك اليمن، وملوك آل غسان، وملوك الحيرة، وما عدا هؤلاء من حكام الجزيرة فلم تكن لهم تيجان.

الملك باليمن

من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، وقد عثر على ذكرهم في حفريات "أور" بـخمسة وعشرين قرناً قبل الميلاد. ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم وبسط سيطرتهم بأحد عشر قرناً قبل الميلاد. ويمكن تقسيم أدوارهم حسب التقدير الآتي - القرون التي خلت قبل سنة 650 ق.م، وكان ملوكهم يلقبون في هذا الزمن بـ: "مكرب سبأ" وكانت عاصمتهم بلدة "صرواح" التي توجد أنقاضها على مسافة يوم إلى الجانب الغربي من بلدة "مأرب" وتعرف باسم خريبة وفي زمنهم بدأ بناء السد الذي عرف بسد مأرب، والذي له شأن كبير في تاريخ اليمن، ويقال إن سبأ بلغوا من بسط سلطتهم إلى أن اتخذوا المستعمرات في داخل العرب وخارجها منذ سنة 650 ق.م، إلى سنة 115 ق.م، وفي هذا الزمن تركوا لقب "مكرب" وعرفوا بملوك سبأ، واتخذوا "مأرب" عاصمة لهم بدل "صرواح" وتوجد أنقاضها على بعد ستين ميلاً من صنعاء إلى جانبها الشرقي. منذ سنة 115 ق.م. إلى سنة 300 م، وفي هذا العهد غلبت قبيلة حمير على مملكة سبأ، واتخذت بلدة "ريدان" عاصمة لها بدل "مأرب" ثم سميت بلدة "ريدان" باسم ظفار، وتوجد أنقاضها على جبل مدور بالقرب من "يريم" وفي هذا العهد بدأ فيهم السقوط والانحطاط، فقد فشلت تجارتهم إلى حد كبير لبسط سيطرة الأنباط في شمال الحجاز أولاً، ثم لغلبة الرومان على طرق التجارة البحرية بعد نفوذ

سلطانهم على مصر وسوريا وشمالي الحجاز ثانياً، وتنافس القبائل فيما بينها ثالثاً. وهذه العناصر هي التي سببت في تفرق آل قحطان وهجرتهم إلى البلاد الشاسعة. منذ سنة 300م إلى أن دخل الإسلام في اليمن. وفي هذا العهد توالى عليهم الاضطرابات والحوادث، وتتابعت الانقلابات والحروب الأهلية التي جعلتهم عرضة للأجانب حتى قضت على استقلالهم. ففي هذا العهد دخل الرومان في عدن ومبعوتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة سنة 340م مستغلين التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة 378م. ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن بدأت تقع الثلمات في سد مأرب، حتى وقع السيل العظيم الذي ذكره القرآن بسيل العرم في سنة 450م أو 451م. وكانت حادثة كبرى أدت إلى خراب العمران وتششت الشعوب. وفي سنة 523م قاد ذو نواس اليهودي حملة منكرة على المسيحيين من أهل نجران، وحاول صرفهم عن المسيحية قسراً. ولما أبوا خدّ لهم الأخدود وألقاهم في النيران، وهذا الذي أشار إليه القرآن في سورة البروج بقوله (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) وكان من جراء ذلك نقمة النصرانية الناشطة إلى الفتح والتوسع تحت قيادة أمبراطورة الرومان على بلاد العرب فقد حرضوا الأحباش وهياًوا لهم الأسطول البحري فنزل سبعون ألف جندي من الحبشة، واحتلوا اليمن مرة ثانية، بقيادة أرياط سنة 525م، وظل أرياط حاكماً من قبل ملك الحبشة حتى اغتاله أبرهة أحد قواد جيشه وحكم بدله بعد أن استرضى ملك الحبشة وأبرهة هذا هو الذي جند الجنود لهدم الكعبة، وعرف هو وجنوده بأصحاب الفيل. وبعد وقعة الفيل استنجد اليمانيون بالفرس، وقاموا بمقاومة الحبشة حتى أجلوهم عن البلاد، ونالوا الاستقلال في سنة 575م، بقيادة معد يكرب بن سيف ذي يزن الحميري، واتخذوه ملكاً لهم، وكان معد يكرب أبقى معه جمعا من الحبشة يخدمونه ويمشون في ركابه، فاغتالوه ذات يوم، وموته انقطع الملك عن بيت ذي يزن، وولى كسرى عاملاً فارسياً على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية فلم تزل الولاة من الفرس تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان الذي اعتنق الإسلام سنة 638م. وبإسلامه انتهى نفوذ فارس على بلاد اليمن.

الملك بالحيرة

كانت الفرس تحكم على العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير 557 / 529 قبل الميلاد . ولم يكن أحد يناوئهم، حتى قام الإسكندر المقدوني سنة 329 قبل الميلاد فهزم ملكهم دارا الأول، وكسر شوكتهم، حتى تجزأت بلادهم وتولاها ملوك يعرفون بملوك الطوائف، واستمروا يحكمون البلاد مجزأة إلى سنة 320م. وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون، واحتلوا جزءاً من ريف العراق ثم لحقتهم من هاجر من العدنانيين فزاحموهم حتى سكنوا جزءاً من الجزيرة الفراتية. وعادت القوة مرة ثانية إلى الفرس في عهد أردشير - مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة 226 ميلادي - فإنه جمع شمل الفرس، واستولى على العرب المقيمين على تخوم ملكه، وكان هذا سبباً في رحيل قضاة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار. وفي عهد أردشير كانت ولاية جذيمة الوضاح على الحيرة وسائر من بادية العراق والجزيرة من ربيعة ومضر، وكان أردشير رأى أنه يستحيل عليه أن يحكم العرب مباشرة، ويمنعهم من الإغارة على تخوم ملكه، إلا أن يملك عليهم رجالاً منهم له عصبية تؤيده وتمنعه ومن جهة أخرى يمكنه الإستعانة بهم على ملوك الرومان، الذين كان يتخوفهم، ليكون عرب العراق أمام عرب الشام الذين اصطنعهم ملوك الرومان وكان يبقى عند ملك الحيرة كتيبة من جند الفرس، ليستعين بها على الخارجين على سلطانه من عرب البادية، وكان موت جذيمة حوالي سنة 268م. وبعد موت جذيمة ولي الحيرة عمرو بن عدي بن لفر اللخمي، أول ملوك اللخمين - في عهد كسرى سابور بن أردشير - ثم لم تزل الملوك من اللخمين تتوالى على الحيرة حتى ولي الفرس قباذ بن فيروز، وفي عهده ظهر مزدك، وقام بالدعوة إلى الإباحية، فبعه (قباذ) كما تبعه كثير من رعيته، ثم أرسل قباذ إلى ملك الحيرة - وهو المنذر بن ماء السماء - يدعوه إلى أن يختار هذا المذهب ويدين به، فأبى عليه ذلك حمية وأنفة، فعزله قباذ، وولى بدله الحارث بن عمرو بن حجر الكندي بعد أن أجاب دعوته إلى المذهب المزدكي. وخلف قباذ كسرى أنوشروان، وكان يكره هذا المذهب جداً، فقتل المزدك وكثيراً ممن دان بمذهبه، وأعاد المنذر إلى ولاية الحيرة، وطلب الحارث بن عمرو لكنه أفلت إلى دار كلب، فلم يزل فيهم

حتى مات. واستمر الملك بعد المنذر بن ماء السماء في عقبه حتى كان النعمان بن المنذر وهو الذي غضب عليه كسرى بسبب وشاية دبرها زيد بن عدي العبادي، وأرسل كسرى إلى النعمان يطلبه، فخرج النعمان حتى نزل سرا على هانيء بن مسعود سيد آل شيبان، فأودعه أهله وماله، ثم توجه إلى كسرى، فحبسه كسرى حتى مات وولى على الحيرة بدله إياس بن قبيصة الطائي، وأمره أن يرسل إلى هانيء بن مسعود يطلب منه تسليم ما عنده، فأبى ذلك هانيء حمية، وأذن الملك بالحرب، ولم تلبث أن جاءت مرازبة كسرى وكثائبه في موكب إياس، وكانت بين الفريقين موقعة هائلة عند ذي قار، انتصر فيها بنو شيبان، وانهمزت الفرس هزيمة منكرة. وهذا أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم، وهو بعد ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بقليل، فإنه عليه السلام ولد لثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة على الحيرة. وولى كسرى على الحيرة بعد إياس حاكماً فارسياً، وفي سنة 632 م عاد الملك إلى آل لخم، فتولى منهم المنذر الملقب بالمعرور، ولم تزد ولايته على ثمانية أشهر حتى قدم عليه خالد بن الوليد بعساكر المسلمين.

الملك بالشام

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح بن حلوان الذين منهم بنو ضجعم بن سليح المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان. ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكاً، ثم تعاقب الملك فيهم سنين، ومن أشهر ملوكهم زياد بن الهبولة، ويقدر زمنهم من أوائل القرن الثاني الميلادي إلى نهايته تقريباً، وانتهت ولايتهم بعد قدوم آل غسان، الذين غلبوا الضجاعمة على ما بيدهم وانتصروا عليهم، فولتهم الروم ملوكاً على عرب الشام، وكانت قاعدتهم دومة الجندل، ولم تزل تتولى الغساسنة على الشام بصفقتهم عمالاً للملوك الروم حتى كانت وقعة اليرموك سنة 13هـ، وانقاد للإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الإمارة بالحجاز

ولي إسماعيل³⁰ عليه السلام زعامة مكة وولاية البيت طول حياته . وتوفي وله 137 سنة . ثم ولي إثنان من أبنائه نابت ثم قيدار، ويقال العكس، ثم ولي أمر مكة بعدهما (كما سبق أن ذكرت) جدّهما مضاض بن عمرو الجرهمي فانتقلت زعامة مكة إلى جد هم وظلت في أيديهم وكان لأولاد إسماعيل مركز محترم لما لأبيهم من بناء البيت ولم يكن لهم من الحكم شيء ومضت الدهور والأيام ولم يزل أمر أولاد إسماعيل عليه السلام ضئيلاً لا يذكر، حتى ضعف أمر جرهم قبيل ظهور مجتصر، وأخذ نجم عدنان السياسي يتألق في أفق سماء مكة منذ ذلك العصر، بدليل ما جاء بمناسبة غزو مجتصر للعرب في ذات عرق، فإن قائد العرب في الموقعة لم يكن جرهمياً . وتفرقت بنو عدنان إلى اليمن عند غزوة مجتصر الثانية: سنة 587ق.م وذهب برميا النبي بمعد إلى الشام، فلما انكشف ضغط مجتصر رجع معد إلى مكة فلم يجد من جرهم إلا جرشم بن جلهمة، فتزوج بابنته معانة فولدت له نزارا . وساء أمر جرهم بمكة بعد ذلك، وضاعت أحوالهم، فظلموا الوافدين إليها، واستحلوا مال الكعبة الأمر الذي كان يغضب العدنانيين، ويثير حفيظتهم، ولما نزلت خزاعة بمر الظهران، ورأت نفور العدنانيين من الجراهمة استغلت ذلك الوضع فقامت بمعونة من بطون عدنان وهم بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة بمحاربة جرهم حتى أجلتهم عن مكة، واستولت على حكمها، في أواسط القرن الثاني للميلاد (كما سبق أن ذكر) ولما لجأت جرهم إلى الجلاء سدوا بئر زمزم، ودرسوا موضعها، ودفنوا فيها عدة أشياء، قال ابن إسحاق فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة، وبجبر الركن الأسود فدفنهما في بئر زمزم، وانطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً، وفي ذلك قال عمرو

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
نحن كنا أهلها فأبادنا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فصروف الليالي والجدود العوائر

³⁰راجع هذا البحث وما يليه في التاريخ للإمام الطبري وسير اعلام النبلاء للإمام الذهبي والتذكرة للإمام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي والبداية والنهاية للإمام ابن كثير والروض الآف للإمام السهيلي

ويقدر زمن إسماعيل عليه السلام بعشرين قرناً قبل الميلاد، فتكون إقامة جرهم في مكة واحداً وعشرين قرناً تقريباً، وحكمهم على مكة زهاء عشرين قرناً. واستبدت خزاعة بأمر مكة دون بني بكر، إلا أنه كان إلى قبائل مضر ثلاث خلال (الأولى): الدفع بالناس من عرفة إلى المزدلفة، والإجازة بهم يوم النفر من منى وكان يلي ذلك بنو الغوث بن مرة من بطون إلياس بن مضر، وكانوا يسمون صوفة ومعنى هذه الإجازة أن الناس كانوا لا يرمون يوم النفر حتى يرمي رجل من صوفة، ثم إذا فرغ الناس من الرمي وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجاني العقبة، فلم يجز أحد حتى يمروا، ثم يخلون سبيل الناس، فلما انقرضت صوفة ورثهم بنو سعد بن زيد مناة من تميم. (الثانية): الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى، وكان ذلك في بني عدوان. (الثالثة): إنساء الأشهر الحرم. وكان ذلك إلى بني تميم بن عدي من بني كنانة. واستمرت ولاية خزاعة على مكة ثلاثمائة سنة.

الحكم في سائر العرب

قد سبق لنا أن ذكرنا هجرات القبائل القحطانية والعدنانية، وأن البلاد العربية اقتسمت فيما بينها، فما كان من هذه القبائل بالقرب من الحيرة كانت تبعا لملك العرب بالحيرة، وما كان منها في بادية الشام كانت تبعا للغساسنة، إلا أن هذه التبعية كانت اسمية لا فعلية. وأما ما كان منها في البوادي في داخل الجزيرة فكانت حرة مطلقاً. وفي الحقيقة كان لهذه القبائل رؤساء تسودهم القبيلة، وكانت القبيلة حكومة مصغرة أساس كيانها السياسي الوحدة العصبية، والمنافع المتبادلة في حماية الأرض ودفع العدوان عنها. وكانت دولة رؤساء القبائل في قومهم كدرجة الملوك، فكانت القبيلة تبعا لرأي سيدها في السلم والحرب، لا تتأخر عنه مجال، وكان له من الحكم والاستبداد بالرأي ما يكون لكثاتور قوي حتى كان بعضهم إذا غضب غضب له ألوف من السيوف لا تسأله فيما غضب إلا أن المنافسة في السيادة بين أبناء العم كانت تدعوهم إلى المصانعة بالناس من بذل الندي وإكرام الضيف والكرم والحلم، وإظهار الشجاعة والدفاع عن الغير حتى يكسبوا المحامد في أعين الناس، ولا سيما الشعراء الذين كانوا لسان

³¹ تراجع هذا البحث وما بليه في تاريخ ابن خلدون و التاريخ للإمام الطبري وسير اعلام النبلاء للإمام الذهبي والتذكرة للإمام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي والبداية والنهاية للإمام ابن كثير والروض الانف للإمام السهيلي

القبيلة في ذلك الزمان، وحتى تسمو درجاتهم عن مستوى المنافسين. وكان للسادة والرؤساء حقوق خاصة، فكانوا يأخذون من الغنيمة المربع والصفى والنشيطة والفضول، يقول الشاعر:
لك المربع فينا والصفـايا
وحكمك والنشيطة والفضول
والمربع ربع الغنيمة، والصفى ما يصفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة، والنشيطة ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل إلى بيضة القوم، والفضول ما فضل من القسمة مما لا تصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس ونحوهما .

الحالة الاجتماعية

كانت في العرب أوساط متنوعة تختلف أحوال بعضها عن بعض، فكانت علاقة الرجل مع أهله في الأشراف على درجة كبيرة من الرقي والتقدم، وكان للمرأة من حرية الإرادة ونفاذ القول القسط الأوفر، وكانت محترمة مصونة تسل دونها السيوف، وتراق الدماء، وكان الرجل إذا أراد أن يمتدح بما له في نظر العرب المقام السامي من الكرم والشجاعة لم يكن يخاطب في أكثر أوقاته إلا المرأة، وربما كانت المرأة إذا شاءت جمعت القبائل للسلام، وإن شاءت أشعلت بينهم نار الحرب والقتال، ومع هذا كله فقد كان الرجل يعتبر بلا نزاع رئيس الأسرة، وصاحب الكلمة فيها، وكان ارتباط الرجل بالمرأة بعقد الزواج تحت إشراف أوليائها ولم يكن من حقها أن تفتت عليهم. بينما هذه حال الأشراف، كان هناك في الأوساط الأخرى أنواع من الاختلاط بين الرجل والمرأة، لا نستطيع أن نعبر عنه إلا بالدعارة والمجون والسفاح والفاحشة، روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فكان منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كالرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمئتها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إن أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح يسمى نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا

عندها فتقول له قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان فتسمي من أحببت منهم باسمه فيلحق به ولدها ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبين على أبوابهن رايات تكون علما لمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هدم نكاح أهل الجاهلية كله إلا نكاح الإسلام اليوم وكانت عندهم اجتماعات بين الرجل والمرأة تعقدتها سفار السيوف وأسنة الرماح فكان المتغلب في حروب القبائل يسبي نساء المقهور فيستحلها، ولكن الأولاد الذين تكون هذه أمهم يلحقهم العار مدة حياتهم. وكان من المعروف في أهل الجاهلية أنهم كانوا يعددون بين الزوجات من غير حد معروف ينتهي إليه، وكانوا يجمعون بين الأختين، وكانوا يتزوجون بزوجة آبائهم إذا طلقوها أو ماتوا عنها كما هو نص سورة النساء وكان الطلاق بيد الرجال لا إلى حد معين. وكانت فاحشة الزنا سائدة في جميع الأوساط لا نستطيع أن نحص منها وسطا دون وسط أو صنفا دون صنف إلا أفرادا من الرجال والنساء ممن كان تعاضم نفوسهم يأبى الوقوع في هذه الرذيلة وكانت الحرائر أحسن حالا من الإماء والطامة الكبرى هي الإماء ويبدو أن الأغلبية الساحقة من أهل الجاهلية لم تكن تحس بعار في الانتساب إلى هذه الفاحشة، روى أبو داود بسنده قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن فلانا ابني عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا دعوة في الإسلام ذهب أمر الجاهلية الولد للفراش وللعاهر الحجر " وقصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة وهو عبد الرحمن بن زمعة معروفة. وكانت علاقة الرجل مع أولاده على أنواع شتى، فمنهم من يقول:

إنما أولادنا بيننا أفلاذ أكبادنا تمشي على الأرض

ومنهم من كان يبد البنات خشية العار والإنفاق، ويقتل الأولاد خشية الفقر والإملاق لكن لا يمكننا أن نعد هذا من الأخلاق المنتشرة السائدة، فقد كانوا أشد الناس احتياجا إلى الأبناء ليقوا بهم العدو أما معاملة الرجل مع أخيه وأبناء عمه وعشيرته فقد كانت موطدة قوية،

فقد كانوا يحمون للعصبية القبلية ويموتون لها . وكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة تزيدها العصبية، وكان أساس النظام الاجتماعي هو العصبية الجنسية والرحم، وكانوا يسيرون على المثل السائر: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" على المعنى الحقيقي من غير التعديل الذي جاء به الإسلام من أن نصر الظالم كفه عن ظلمه، إلا أن التنافس في الشرف والسؤدد كثيراً ما كان يفضي إلى الحروب بين القبائل التي كان يجمعها أب واحد، كما نرى ذلك بين الأوس والخزرج، وعبس وذبيان، وبكر وتغلب وغيرها . أما العلاقة بين القبائل المختلفة فقد كانت مفككة الأوصال تماماً . وكانت قواهم متقانية في الحروب، إلا أن الرهبة والوجل من بعض التقاليد والعادات المشتركة بين الدين والخرافة ربما كان يخفف من حدتها وصرامتها وفي بعض الحالات كانت الموالاة والحلف والتبعية تفضي إلى اجتماع القبائل المتغايرة ، وكانت الأشهر الحرم رحمة وعوناً لهم على حياتهم وحصول معاشهم . وقصارى الكلام أن الحالة الاجتماعية كانت في الحضيض من الضعف والعماية، فالجهل ضارب أطنابه، والخرافات لها جولة وصول، والناس يعيشون كالأنعام، والمرأة تباع وتشترى وتعامل كالجماوات أحياناً، والعلاقة بين الأمة داهية مبتوتة وما كان من الحكومات فجل همتها امتلاء الخزائن من رعيتهما أو جر الحروب على مناوئتها .

الطواعين والمساعب

الطواعين هي أوبئة نزلت قديماً في المنطقة العربية ومنها طاعون عمواس أول طاعون كان في الإسلام بالشام وبعده طاعون شيرويه الملك بالعراق و طاعون الجارف كان في زمن ابن الزبير وطاعون الفتيات ويسمى طاعون الأشراف كان في أيام الحجاج وسمى بذلك لموت كثير من العذارى ومن الأشراف فيه . وطاعون غراب سمي بذلك لأن أول من مات فيه رجل اسمه غراب وكان زمن الوليد بن يزيد (قتل وعندنا في الجلفة) عينات من هذه الطواعين لازال الناس يؤرخون بها ومنها : طاعون عام المسغبة وكان سنة 1919م بالوسط الجزائري و عام المسيغبة وكان سنة 1920م و عام التيفيس وكان سنة 1946م بالوسط الجزائري و عام موت الخيل وكان سنة 1967 بالوسط الجزائري وراجع الباقي في الذاكرة الشعبية وفي النشريات .

طبقات الناس عند العرب في الجاهلية

طبقات الناس في الاصطلاح القديم هي : (1) الصنائع وهم خواص الملوك. (2) والعباد وهم خدام الملوك وكان كل من يسكن المدر بالحيرة يسمون: العباد. (3) والسوقة وهم : عوام الناس وهو اسم يقع على الواحد والجماعة يقال : رجل سوقة ورجال سوقة وهو مشتق من السياقة وليست السوقة جماعة السوقية كما يتوهم كثير من الناس. (4) و الردف وهو خليفة ملك الحيرة وكان له المربع من الغنائم وكان يجلس على يمين الملك ويشرب بعده قبل الناس كلهم والردافة هي الخلافة. (5) والأقيال واحدهم قيل (6) والمقاول واحدهم مقول وكانوا بمنزلة القواد باليمن وكانوا دون الذوين (7) والذوون كانوا دون التبايع والذوون والأذواء جمع ذو وذلك أن ملوكهم كانوا يلقبون بذوي المنار وذوي الأعوام ونحو ذلك. (8) والمخالف كور اليمن وأحدهم مخالف ولكل مخالف منها اسم يعرف به .

الحالة الاقتصادية

الحالة الاقتصادية في العرب القدامى تابعة للحالة الاجتماعية ويتضح ذلك إذا نظرنا في طرق معاش العرب فالتجارة كانت أكبر وسيلة للحصول على حوائج الحياة والجولة التجارية لا تيسر إلا إذا ساد الأمن والسلام وكان ذلك مفقودا في جزيرة العرب إلا في الأشهر الحرم وهذه هي الشهور التي كانت تعقد فيها أسواق العرب الشهيرة من (عكاظ وذو الحجاز ومجنة) وغيرها وأما الصناعات فكانوا أبعد الأمم عنها ومعظم الصناعات التي كانت توجد في العرب من الحياكة والدباغة وغيرها كانت في أهل اليمن والحيرة ومشارف الشام ، نعم كانت في داخل الجزيرة الزراعة والحرث واقتناء الأنعام وكانت نساء العرب كافة يشتغلن بالغزل لكن كانت الأمتعة عرضة للحروب وكان الفقر والجوع والعري عاما في المجتمع .

الحالة الأخلاقية

لا ننكر أن أهل الجاهلية³² كانت فيهم دنيا ورذائل وأمور ينكرها العقل السليم ويأبأها الوجدان ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان ويفضي به إلى

³²راجع هذا البحث وما بليه في الموسوعة العربية والمفاهيم المصرية وتاريخ ابن خلدون و التاريخ للإمام الطبري وسير اعلام النبلاء للإمام الذهبي والتذكرة للإمام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للإمام السيوطي والبداية والنهاية للإمام ابن كثير والروض الاف للإمام السهيلي

الدهشة والعجب فمن تلك الأخلاق : الكرم وكانوا يتبارون في ذلك ويفتخرون به وقد استنفدوا فيه نصف أشعارهم بين متمدح به ومثن على غيره وكان الرجل يأتيه الضيف في شدة البرد والجوع وليس عنده من المال إلا ناقته التي هي حياته وحياة أسرته فتأخذه هزة الكرم فيقوم إليها ويذبحها لضيفه ومن آثار كرمهم أنهم كانوا يتحملون الديات الهائلة والحملات المدهشة يكفون بذلك سفك الدماء وضياع الإنسان ويمدحون بها مفتخرين على غيرهم من الرؤساء والسادات وكان من نتائج كرمهم أنهم كانوا يمدحون بشرب الخمر لأنهم مفخرة في ذاتها بل لأنها سبيل من سبل الكرم ومما يسهل السرف على النفس ولأجل ذلك كانوا يسمون شجر العنب بالكرم، وخمره بنت الكرم، وإذا نظرت إلى دواوين أشعار الجاهلية تجد ذلك باباً من أبواب المديح والفخر، يقول عنتر بن شداد العبسي في معلقته :

ولقد شربت من المدامة بعد ما	ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسورة	فرنت بأزهر بالشمال مقدم
فإذا شربت فإنني مستهلك	مالي عرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى	وكما علمت شمالي وتكرمي

ومن نتائج كرمهم اشتغالهم بالميسر، فإنهم كانوا يرون أنه سبيل من سبل الكرم، لأنهم كانوا يطعمون المساكين ما رجوه أو ما كان يفضل عن سهام الراجين ولذلك ترى القرآن لا ينكر نفع الخمر والميسر وإنما يقول ﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ ومن تلك الأخلاق الوفاء بالعهد فقد كان العهد عندهم ديناً يتمسكون به ويستهنون في سبيله قتل أولادهم وتخريب ديارهم وتكفي في معرفة ذلك قصة هانيء ابن مسعود الشيباني والسموأل بن عاديأ وحاجب بن زرارة التميمي. ومنها عزة النفس وإباء عن قبول الخسف والضميم وكان من نتائج هذا فرط الشجاعة وشدة الغيرة وسرعة الانفعال، فكانوا لا يسمعون كلمة يشمون منها رائحة الذل والهوان إلا قاموا إلى السيف والسنان وأثاروا الحروب العوان وكانوا لا يبالون بتضحية أنفسهم في هذا السبيل. ومنها المضي في العزائم فإذا عزموا على شيء يرون فيه المجد والافتخار لا يصرفهم عنه صارف بل كانوا يحاطرون بأنفسهم في سبيله. ومنها الحلم والأناة والتؤدة كانوا

يتمدحون بها إلا أنها كانت فيهم عزيزة الوجود لفرط شجاعتهم وسرعة إقدامهم على القتال. ومنها السذاجة البدوية وعدم التلوث بلوثات الحضارة ومكائدها وكان من نتائجه الصدق والأمانة والنفور عن الخداع والغدر. نرى أن هذه الأخلاق الثمينة مع ما كان لجزيرة العرب من الموقع الجغرافي بالنسبة إلى العالم كانت سبباً في اختيارهم لحمل عبء الرسالة العامة وقيادة الأمة الإنسانية والمجتمع البشري لأن هذه الأخلاق وإن كان بعضها يفضي إلى الشر ويوجب الحوادث المؤلمة إلا أنها كانت في نفسها أخلاقاً ثمينة تدر المنافع العامة للمجتمع البشري بعد شيء من الإصلاح وهذا الذي فعله الإسلام. ولعل أعلى ما عندهم من هذه الأخلاق وأعظمها نفعاً بعد الوفاء بالعهد هو عزة النفس والمضي في العزائم، إذ لا يمكن قمع الشر والفساد، وإقامة نظام العدل والخير إلا بهذه القوة القاهرة وبهذا العزم الصميم. ولهم أخلاق فاضلة أخرى دون هذه التي ذكرناها وليس قصدنا استقصاءها .

العرب قبل البعثة المحمدية

كانت البلاد المجاورة لشبه جزيرة العرب³³ منذ وفاة أسكندر الأكبر إلى زمن الرومانيين والبيزنطيين خالية من حكومة قاسرة فإن المملكة السلجوقية نهكت بالفتن الداخلية فلم تستطع أن تمنع نشأة الممالك المستقلة في الأناضول ولا أن تنقذ ملوك اليهود من إتلافات العرب المتعودين إذ ذاك العدوان على ممالك أكبر الملوك وكانوا لا يتمكنون من الإغارة على المملكة السلجوقية من جهة الفرات لقرب مدينة هؤلاء للدولة السلجوقية وأخذوا يرتقبون كل سنة اشتغال جيوش السلجوقية بالحروب في البلاد القاصية فيسيرون من جهة الشام شاهرين السيوف ثم يعودون بالغنائم الجسيمة بلا انتقام ولا قصاص وما زالوا على ذلك حتى عدت سلطنة السلجوقية فاجتهد الرومانيون والبيزنطيون في إزالة ذلك التعدي بتشييد القلاع والحصون بحدود البلاد وترتيب عساكر لملاحظة حركات هؤلاء بل استمال الرومانيون جمعا من مشايخ العرب بالعطايا وتلقيبهم بأمراء العرب فكفوهم عدوان تلك القبائل وانظم إلى البيزنطيين من مشايخ العرب جمع

³³ تراجع هذا البحث وما يليه في التأريخ للشيخ البيهقي والحلبية للإمام الحلبي والعقد الفريد للإمام ابن عبدبريه والجمهرة للإمام الحموي والموسوعة العربية لشركة العرس وبرنامج مفاهيم للحاسوب

منهم (أزيامنس) الذي أظهر للقائد (كراكوس) الروماني أنه محب ومنتصر لهم حتى حول ذلك القائد جيوشه من البلاد الجبلية التي يود التمتع بها إلى سهول واسعة خالية عن الشجر والماء فحمل إذ ذاك البزنطيون مجيئهم ورجلهم وظفروا بهذا القائد كل الظفر وليس ذلك بأول وآخر دخول للعرب بين فريقين فقد فعلوا مثل ذلك فيما أنقذ من الفشل في مدينة روميا التي بين المدائن مع بعد المسافة بينهما وانضموا إلى الملكة الزباء المتسلطنة بعد زوجها أذينة زمن محاربتها الرومانيين من سنة (257 بعد الميلاد إلى سنة 272) وتعدوا على سكان آسيا الصغرى وتولى منهم فيليبش القيصري سنة (643) بعد الميلاد لابسا ملابس القيصر الأرجوانية فنسي وطنه ولم ينفعه شيء وأتى إليهم (أوريليان) بالجيوش الرومانية سنة (271) بعد الميلاد فدمر مدينة تدمر وحل بالعرب من المصائب ما لم يبق لهم بعده جاه ولا سطوة ومن أمراء العرب الذين ملكوا الجهة الشرقية من الشام وجزء من الجزيرة ودجلة والفرات (قالوا) والملوك الأذينية المعاصرون لأوائل ملوك الحيرة والأنبار. زعم بعض الفرنج. أن آخرهم أذينة زوج الزباء الذي قتل سنة (257) بعد الميلاد في معركة بينه وبين جذيمة ابن الأبرش أحد ملوك الحيرة التوخيين فخلفته الزباء في السلطنة وقتلت جذيمة الذي خلفه عمرو بن عدي أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية قالوا وبُعث إلى الزباء قصير بن سعد المعروف عند الفرنج بزبير الثاني فهجم عليها في قصرها فهمت بالفرار وعبرت سردابا صنعت تحت أخدود الفرات فقتلها قوات الرومانيين سنة (272) بعد الميلاد. وكان الفرع الأصلي من بني قضاة الذين هم ملوك الحيرة التوخية الذين ملكوا الحيرة وأغاروا على العراق سنة (192) بعد الميلاد ثم على بلاد الأنبار وكان رئيسهم سنة (228) بعد الميلاد جذيمة بن الأبرش المعترف بتبعيته لأزدشير بن ساسان ملك الفرس خلفه في الملك كما سبق عمرو بن عدي أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية التي امتد حكمها إلى سنة (605) بعد الميلاد الذي لم يساعد عرب مدينة حضر المؤسسة بين دجلة والفرات بصحراء سنجار وقاوم أهلها القيصرين (تراجان سنة (116) (وسيور) سنة (102) بعد الميلاد والملوك الساسانية سنة (221) بعد الميلاد وأخذها من ملوك الفرس سابور الأول سنة (240) بعد الميلاد. وكان بين الفرس

واليونان في حكم الفرات تنازع أدى إلى انقراض نار الحرب بينهما كما كان بين البزنطيين والرومانيين مع عناد شديد اغتم به ملوك الحيرة اتساع مملكتهم بسواحل الفرات وكان لجيوش الفرس طلائع تغلبوا سنة (272) بعد الميلاد على الجزيرة و دجلة والفرات وتوغلوا في التغلب حتى بلغوا مدينة انطاكية لكن تعذر عليهم إدارة الحكومة فيما فتحوه من البلاد فلزموا المقاتلة للنهب والسلب وكانوا مدبرين في الحرب يطمعون العدو بفرار يعود منه في الغالب الظفر بسبب رخاوة اليونان واستقلوا بمحاربتهم حتى حولوا جميع خزائن الأناضول تحت ملوك الحيرة فساغ لهم أن ينافسوا بالزينة والزخرفة ملوك المدائن وقياصرة القسطنطينية الذين تقموا منهم هذه الغزوات حتى انتقموا من العرب سكان شمال شبه الجزيرة المسمون عندهم بالشرقيين فقد قاتلوه بعد الميلاد في سنة (289 و 303 و 463) التي أخذوا فيها الأنبار وهزموا سنة (421) الملك المنذر الأول هزيمة سفكت فيها دماء كثيرة لمساعدته الملك بهرام جور في عودته إلى الجلوس على سرير سلطنة الفرس وأغرقوا على ما قال المؤرخ سقراط مائة ألف من العرب في الفرات سنة (448) لكن القيصر (أنسطاس) انهزم سنة (498) وجدد العداوة والحرب مع الفرس فكادت الجزيرة ودجلة والفرات تذهب منه بأسرها سنة (502) وشارك النعمان الثالث الفرس في محاربة الرومانيين وصد عنهم من وسط بلاد العرب سنة (503) وكانت القبائل التغلبية أو البكرية مع رئيسهم الحرث بن عمرو المقصور على ملك الحيرة المتظاهرة بنصرة ديانة مزدك الالمانى الذي عزل المنذر الثالث من السلطنة سنة (518) ثم قتله كسرى بعد خمس سنين وأعاد المنذر الثالث إلى سلطنته وسائر حقوقه الملكية ونقل أن هذا المنذر مكث سلطانا من سنة (513 إلى سنة 562) بعد الميلاد نافذ الكلمة على العرب التابعين للفرس يشن الغارات من سائر الجهات على اليونان فلا يستطيعون رده فظهر رونق المملكة الحيرية حتى كان ذلك العصر أزهر أعصرها وما زالت كذلك حتى ملك النعمان الخامس من سنة (583 إلى سنة 605) بعد الميلاد فكان آخر ملوك العائلة اللخمية وتولى سائرا نحو الملوك الساسانية ونصر القبيلة البكرية السابقة الذكر سنة (116) بعد الميلاد على

الفرس في واقعة ذوقار فاستقلت بالبحرين وولى مملكة الحيرة من حينئذ عمال من قبل ملوك
الفرس وفي ذلك الزمن ظهر النبي صلى الله عليه وسلم بما جاء به من الجهاد وتأسيس الدين .

حالة ديانة الشعوب قبل الإسلام

ديانات العرب قبيل مجيء الإسلام قد أصابها الانحلال والبوار، - فالمشركون الذين كانوا
يدعون أنهم على دين إبراهيم كانوا بعيدين عن أوامر ونواهي شريعة إبراهيم، مهملين ما أتت
به من مكارم الأخلاق، فكثرت معاصيهم، ونشأ فيهم على توالي الزمان ما ينشأ في الوثنيين من
عادات وتقاليد تجري مجرى الخرافات الدينية، وأثرت في الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية
تأثيراً بالغاً جداً - أما اليهودية فقد انقلبت رياءً وتحكماً وصار رؤساؤها أرباباً من دون الله
يتحكمون في الناس ويحاسبونهم حتى على خطرات النفس وهمسات الشفاه وجعلوا همهم
الخطوة بالمال والرياسة وإن ضاع الدين وانتشر الإلحاد والكفر والتهاون بالتعاليم التي حض الله
عليها وأمر كل فرد بتقديسها - وأما النصرانية فقد عادت وثنية عسرة الفهم، وأوجدت خلطاً
عجيباً بين الله والإنسان، ولم يكن لها في نفوس العرب المتدينين بهذا الدين تأثير حقيقي، لبعد
تعاليمها عن طراز المعيشة التي ألفوها، ولم يكونوا يستطيعون الابتعاد عنها . - وأما سائر أديان
العرب فكانت أحوال أهلها كأحوال المشركين فقد تشابهت قلوبهم، وتواردت عقائدهم،
وتوافقت تقاليدهم وعوائدهم .

ديانة أهل الأرض عموماً قبل الإسلام

كان أهل الأرض عموماً صنفيين أهل كتاب وزنادقة لا كتاب لهم وكان أهل الكتاب أفضل
الصنفيين وهم نوعان : مغضوب عليهم وضالون . فأما المغضوب عليهم فمثل اليهود قتلة
الأنبياء كانوا لا يرون لمن خالفهم في كفرهم حرمة . وأما الضالون فمثل النصراني الذين سبوا الله
الخالق وقالوا إن الله ثالث ثلاثة وأن مريم صاحبه وأن المسيح ابنه هذا حال من له كتاب (
وأما) من لا كتاب لهم فهو بين عابد أو ثان وعابد نيران وعابد شيطان وصائب حيران
يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل وتعطيل الشرائع وإنكار المعاد وحشر الأجساد لا يدينون
للخالق بدين . ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين . وهم (إما) مجوس دينهم

الزمر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر ومعبودهم النار ووليهم الشيطان ، فهم أخبث بني آدم
نحلة وأرداهم مذهبا، وأسوأهم اعتقادا (وأما) زنادقة وصابئة وملاحدة لا يؤمنون بالله ولا
ملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا لقاءه .

تدهور ديانات العرب

كان معظم العرب³⁴ قد اتبعوا دعوة إسماعيل عليه السلام حين دعاهم إلى دين أبيه إبراهيم
عليه السلام فكانت تعبد الله وتوحده وتدين بدينه حتى طال عليهم الأمد ونسوا حظا مما
ذكروا به إلا أنهم بقي فيهم التوحيد وعدة شعائر من دين إبراهيم حتى جاء عمرو بن لحي
رئيس خزاعة وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين
فأحبه الناس ودانوا له ظنا منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء ثم إنه سافر إلى الشام
فراهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقا لأن الشام محل الرسل والكتب فقدم معه
بهبل وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه ثم لم يلبث أهل الحجاز
أن تبعوا أهل مكة لأنهم ولاة البيت وأهل الحرم ومن أقدم أصنامهم مناة كانت بالمشلل على
ساحل البحر الأحمر بالقرب من قديد، ثم اتخذوا اللات في الطائف، ثم اتخذوا العزى بوادي
نخلة، هذه الثلاث أكبر أوثانهم، ثم كثر الشرك، وكثرت الأوثان في كل بقعة من الحجاز، ويذكر
أن عمرو بن لحي كان له رأي من الجن فأخبره بأن أصنام قوم نوح ودا وسواعا ويغوث ويعوق
ونسرا مدفونة بجدة فأتاها فاستثارها ثم أوردتها إلى تهامة فلما جاء الحج دفعها إلى القبائل،
فذهبت بها إلى أوطانها، حتى صار لكل قبيلة ثم وفي كل بيت صنم . وقد ملأوا المسجد
الحرام بالأصنام . ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاثمائة
وستين صنما، فجعل يطعنهما حتى تساقطت، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد
وحرقت . وهكذا كان الشرك وعبادة الأصنام أكبر مظهر من مظاهر دين أهل الجاهلية الذين
كانوا يزعمون أنهم على دين إبراهيم . وكانت لهم تقاليد ومراسم في عبادة الأصنام، ابتدع
أكثرها عمرو بن لحي وكانوا يظنون أن ما أحدثه عمرو بن لحي بدعة حسنة، وليس بتغيير

³⁴راجع هذا البحث وما بليه في الموسوعة العربية والتاريخ للإمام الطبري وسير اعلام النبلاء للإمام الذهبي والتذكرة للإمام ابن الجوزي وتاريخ الخلفاء للإمام
السيوطي والبداية والنهاية للإمام ابن كثير والروض الأنت للإمام السهيلي

لدين إبراهيم فكان من مراسم عبادتهم للأصنام أنهم: كانوا يعكفون عليها ويلتجئون إليها، ويهتفون بها، ويستغيثونها في الشدائد، ويدعونها لحاجاتهم معتقدين أنها تشفع عند الله، وتحقق لهم ما يريدون. وكانوا يحجون إليها ويطوفون حولها ويتذللون عندها، ويسجدون لها. وكانوا يتقربون إليها بأنواع من القرابين، فكانوا يذبحون وينحرون لها وبأسمائها. وهذا النوعان من الذبح ذكرهما الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ وكان من أنواع التقرب أنهم كانوا يخصون الأصنام بشيء من مأكلاتهم ومشاربهم حسبما يبدو لهم، وكذلك كانوا يخصون لها نصيباً من حرثهم وأنعامهم. ومن الطرائف أنهم كانوا يخصون من ذلك جزءاً لله أيضاً. وكانت عندهم أسباب كثيرة ما كانوا ينقلون لأجلها إلى الأصنام ما كان لله، ولكن لم يكونوا ينقلون إلى الله ما كان لأصنامهم بحال. قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ وكان من أنواع التقرب إلى الأصنام النذر في الحرث والأنعام، قال تعالى ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحِرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾. وكانت منها البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. قال ابن إسحاق البحيرة بنت السائبة، هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهم ذكر سيبت، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذننها، ثم خلى سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف، كما فعل بأمها. فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة الشاة إذا أئمت عشر إناث متابعات في خمسة أبطن ليس بينهم ذكر جعلت وصيلة، قالوا: قد وصلت فكان ما ولد بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم إلا أن يموت شيء فيشترك في أكله ذكورهم وإناثهم. والحامي الفحل إذا تبج له عشر إناث متابعات ليس بينهم ذكر حمى ظهره، فلم يركب، ولم يجز وبره، وخلى في إبله يضرب فيها، لا ينتفع منه بغير ذلك، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ مَا جَعَلْ

³⁵ - قلت: والعجيب، أن الناس عندنا اليوم ظهروا في أوساطهم خرافة تقول أن المرأة إذا أنجبت توأم ثلاث مرات لم تحل لزوجها وقد حاربنا هذه الفكرة الجاهلية التي قاسها البعض على ما ذكرناه من حكاية السائبة. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَأَنْزَلَ: ﴿٢﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذِكْرِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَى
أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴿٣﴾ وَقِيلَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ غَيْرَ ذَلِكَ وَقَدْ صَرَحَ
سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْعَامَ كَانَتْ لَطَوَاعِيَتِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَرْفُوعًا أَنَّ عَمْرُو بْنَ لُحْيِ أَوَّلَ
مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ بِأَصْنَافِهِمْ مَعْتَقِدِينَ أَنَّهَا تَقْرِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ
وَتُوصِلُهُمْ إِلَيْهِ وَتَشْفَعُ لَدَيْهِ كَمَا فِي الْقُرْآنِ ﴿٤﴾ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿٥﴾ وَقَوْلُهُ
﴿٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴿٧﴾ وَكَانَتِ
الْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ وَالزَّلْمِ الْقَدْحِ الَّذِي لَا رِيْشَ عَلَيْهِ وَكَانَتِ الْأَزْلَامُ ثَلَاثَةَ أَنْوَاعٍ (نَوْعٍ) فِيهِ
نَعْمٌ وَلَا وَكَانُوا يَسْتَقْسِمُونَ بِهَا فِيمَا يَرِيدُونَ مِنَ الْعَمَلِ مِنْ نَحْوِ السَّفَرِ وَالنِّكَاحِ وَأَمْثَلِهِمَا فَإِنْ
خَرَجَ "نَعْمٌ" عَمَلُوا بِهِ وَإِنْ خَرَجَ "لَا" آخَرُوهُ عَامَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوهُ مَرَّةً أُخْرَى (نَوْعٍ) فِيهِ الْمِيَاهُ
وَالدِّيَةُ (نَوْعٍ) فِيهِ "مِنْكُمْ" أَوْ "مِنْ غَيْرِكُمْ" أَوْ "مَلْصُقٌ" وَكَانُوا إِذَا شَكَا فِي نَسَبِ أَحَدِهِمْ
ذَهَبُوا بِهِ إِلَى هَيْبٍ وَمِائَةِ جُزُورٍ فَأَعْطَوْهَا صَاحِبَ الْقَدْحِ فَإِنْ خَرَجَ "مِنْكُمْ" كَانَ مِنْهُمْ وَسَيْطًا،
وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ "مِنْ غَيْرِكُمْ" كَانَ حَلِيفًا، وَإِنْ خَرَجَ عَلَيْهِ "مَلْصُقٌ" كَانَ عَلَى مَنْزِلَتِهِ فِيهِمْ لَا
نَسَبَ وَلَا حَلْفَ. (قَالَ) وَيَقْرَبُ مِنْ هَذَا الْمَيْسِرِ وَالْقَدْحِ وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْقَمَارِ،
وَكَانُوا يَتَقْسِمُونَ بِهِ لَحْمَ الْجُزُورِ الَّتِي يَذْبَحُونَهَا بِحَسَبِ الْقَدْحِ وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَخْبَارِ الْكُهْنَةِ
وَالْعَرَافِينَ وَالْمُنْجِمِينَ، وَالْكَاهِنُ هُوَ مَنْ يَتَعَاطَى الْإِخْبَارَ عَنِ الْكَوَائِنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَيَدْعِي مَعْرِفَةَ
الْأَسْرَارِ، وَمَنْ الْكُهْنَةُ مِنْ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ تَابِعًا مِنَ الْجِنِّ يَلْقَى عَلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعِي إِدْرَاكَ
الْغَيْبِ بِفَهْمِ أُعْطِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمَقْدَمَاتٍ وَأَسْبَابٍ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى مَوَاقِعِهَا
مِنْ كَلَامٍ مَنْ يَسْأَلُهُ أَوْ فَعَلَهُ أَوْ حَالَهُ، وَهَذَا الْقِسْمُ يُسَمَّى عَرَافًا، كَمَنْ يَدْعِي مَعْرِفَةَ الْمَسْرُوقِ
وَمَكَانِ السَّرْقَةِ وَالضَّالَّةِ وَنَحْوَهُمَا. وَالْمُنْجِمُ مَنْ يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ أَيِ الْكَوَاكِبِ وَيَحْسَبُ سَيْرَهَا
وَمَوَاقِعَهَا، لِيَعْلَمَ بِهَا أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَحَوَادِثَهُ الَّتِي تَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالتَّصْدِيقُ بِأَخْبَارِ الْمُنْجِمِينَ هُوَ
فِي الْحَقِيقَةِ إِيمَانٌ بِالنُّجُومِ، وَكَانَ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِالنُّجُومِ الْإِيمَانُ بِالْأَنْوَاءِ، فَكَانُوا يَقُولُونَ مَطْرُنَا بِنُوءِ كَذَا
وَكَذَا. وَكَانَتِ فِيهِمُ الطَّيْرَةُ (بِكَسْرِ فَفَتْحٍ) وَهِيَ التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ، وَأَصْلُهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ الطَّيْرَ

أو الظبي فينفرونه، فإن أخذ ذات اليمين مضوا إلى ما قصدوا، وعدوه حسناً، وإن أخذ ذات الشمال اتهاوا عن ذلك وتشاءموا، وكانوا يتشاءمون كذلك إن عرض الطير أو الحيوان في طريقهم ويقرب من هذا تعليقهم كعب الأرنب، والتشائم ببعض الأيام والشهور والحيوانات والدور والنساء والاعتقاد بالعدوى والهامة، فكانوا يعتقدون أن المقتول لا يسكن جأشه ما لم يؤخذ بثأره، وتصير روحه هامة أي بومة تطير في الفلوات وتقول صدى صدى أو اسقوني اسقوني، فإذا أخذ بثأره سكن واستراح. وكان أهل الجاهلية على ذلك وفيهم بقايا من دين إبراهيم ولم يتركوه كله، مثل تعظيم البيت والطواف به، والحج، والعمرة، والوقوف بعرفة، والمزدلفة وإهداء البدن، نعم ابتدعوا في ذلك بدعا. منها أن قریشاً كانوا يقولون نحن بنو إبراهيم وأهل الأمثال الحرم، وولاية البيت وقاطنو مكة، وليس لأحد من العرب مثل حقتنا ومنزلتنا وكانوا يسمون أنفسهم الحمس فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم إلى الحل، فكانوا لا يقفون بعرفة، ولا يفيضون منها، وإنما كانوا يفيضون من المزدلفة وفيهم أنزل ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ ومنها أنهم قالوا: لا ينبغي للحمس أن يقطوا الأقط ولا يسلئوا السمن، وهم حرم، ولا يدخلوا بيتاً من شعر، ولا يستظلوا إن استظلوا إلا في بيوت الأدم ما داموا حرماً. ومنها أنهم قالوا: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤوا به من الحل إلى الحرم إذا جاؤوا حجاجاً أو عمارة. ومنها أنهم أمروا أهل الحل أن لا يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا شيئاً فكان الرجال يطوفون عراة، وكانت المرأة تضع ثيابها كلها إلا درعا مفرجا ثم تطوف فيه وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وأُنزل الله في ذلك: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ فإن تكرم أحد من الرجل والمرأة فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها بعد الطواف ولا ينتفع بها هؤلاء ولا أحد غيره. ومنها أنهم كانوا لا يأتون بيوتهم من أبوابها في حال الإحرام بل كانوا ينتقبون في ظهور البيوت تقباً يدخلون ويخرجون منه وكانوا يحسبون ذلك الجفاء برا وقد منعه القرآن (قال) وكانت هذه الديانة ديانة الشرك وعبادة الأوثان، والاعتقاد بالوهميات والخرافات ديانة معظم

العرب، وقد وجدت اليهودية، والمسيحية، والمجوسية والصابئية سبيلاً للدخول في ربوع العرب. وللإهود دوران على الأقل مثله ما في جزيرة العرب (الدور الأول) هجرتهم في عهد الفتوح البابية والأشورية في فلسطين، فقد نشأ عن الضغط على اليهود، وعن تخريب بلادهم وتدمير هيكلهم على يد الملك مجتصر سنة 587ق. م وسبي أكثرهم إلى بابل أن قسماً منهم هجر البلاد الفلسطينية إلى الحجاز، وتوطن في ربوعها الشمالية (الدور الثاني) يبدأ من احتلال الرومان لفلسطين بقيادة (بتطس الروماني) سنة 70م فقد نشأ عن ضغط الرومان على اليهود، وعن تخريب الهيكل وتدميره أن قبائل عديدة من اليهود رحلت إلى الحجاز، واستقرت في يثرب وخيبر وتيماء، وأنشأت فيها القرى والآطام والقلاع، وانتشرت الديانة اليهودية بين قسم من العرب عن طريق هؤلاء المهاجرين، وأصبح لها شأن يذكر في الحوادث السياسية التي سبقت ظهور الإسلام، والتي حدثت في صدره. وحينما جاء الإسلام كانت القبائل اليهودية المشهورة هي خيبر والنضير والمصطلق وقريظة وقينقاع، وذكر السهمودي في وفاء الوفا أن عدد القبائل اليهودية يزيد على عشرين. ودخلت اليهودية في اليمن من قبل تبان أسعد أبي كرب، فإنه ذهب مقاتلاً إلى يثرب واعتنق هناك اليهودية وجاء مجبرين من بني قريظة إلى اليمن، فأخذت اليهودية إلى التوسع والانتشار فيها، ولما ولي اليمن بعده ابنه يوسف ذو نواس هجم على المسيحيين من أهل نجران ودعاهم إلى اعتناق اليهودية، فلما أبوا خدّ لهم الأعداء وأحرقهم بالنار، ولم يفرق بين الرجل والمرأة والأطفال الصغار والشيوخ الكبار، ويقال إن عدد المقتولين ما بين عشرين ألف إلى أربعين ألف، وقع ذلك في أكتوبر سنة 523م وقد أورد القرآن جزءاً هذه القصة في سورة البروج. أما الديانة النصرانية فقد جاءت إلى بلاد العرب عن طريق احتلال الحبشة والرومان، وكان أول احتلال الحبشة لليمن سنة 340م واستمر إلى سنة 378م وفي ذلك الزمان دخل التبشير النصراني في ربوع اليمن، وبالقرب من هذا الزمان دخل رجل زاهد مستجاب الدعوات وصاحب كرامات - وكان يسمى فبميون - إلى نجران، ودعاهم إلى الدين المسيحي، ورأى أهل نجران من أمارات صدقه وصدق دينه ما لبوا لأجله النصرانية واعتنقوها. ولما احتلت الأحباش اليمن كرد فعل لما أتاه ذو نواس

وتمكن أبرهة من حكومتها أخذ ينشر الديانة النصرانية بأوفر نشاط وأوسع نطاق، حتى بلغ من نشاطه أنه بنى كعبة باليمن، وأراد أن يصرف حج العرب إليها ويهدم بيت الله الذي بمكة، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى. وقد اعتنق النصرانية العرب الغساسنة وقبائل تغلب وطيء وغيرهما لمجاورة الرومان، بل قد اعتنقها بعض ملوك الحيرة. أما الجوسية فكان معظمها في العرب الذين كانوا بجوار الفرس، فكانت في عراق العرب وفي البحرين والأحساء وهجر وما جاورها من منطقة سواحل الخليج العربي، ودان لها رجال من اليمن في زمن الاحتلال الفارسي. أما الصابئية فقد دلت الحفريات والتنقيبات في بلاد العراق وغيرها أنها كانت ديانة قوم إبراهيم الكلدانيين، وقد دان بها كثير من أهل الشام، وأهل اليمن في غابر الزمان، وبعد تتابع الديانات الجديدة من اليهودية والنصرانية تضعضع بنيان الصابئية وخدم نشاطها، ولكن لم يزل في الناس بقايا من أهل هذه الديانة مختلطين مع الجوس أو مجاورين لهم في عراق العرب وعلى شواطئ الخليج العربي.

ما امتازت به منطقة العرب

العرب أكرمهم الله جل علاه بأغنى منطقة (مجرا وجوا وبرأ ومناخا) وكيف لا وهي ارض الرسالات ولقد امتاز العرب قبل الاسلام عن شعوب الدنيا باخلاق ونعوت لم يتمتع بها غيرهم ولم يدانهم فيها سواهم (مع ما كان فيهم من أحوال مشينة ذكرناها) فقد كانوا ذوي فصاحة وبيان وبلاغة ولسن مشهورين بالحرية والانفة والشجاعة والبسالة ومضرب الامثال في الكرم والبذل وحماية الذمار والجوار والمحافظة على المقدسات المعقدة لديهم . ولما جاء الاسلام قوم ما كانوا عليه و زادهم هداية ونورا وهنا تحضرني أبيات قالها الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس³⁶ ونصها:

من أنجبوا لبني الإنسان خير نبي	المجد لله ثم المجد للعرب
لاظلم فيها على دين ولا حسب	ونشروا ملة في الناس عادلة
فنال رغباه ذو فقر وذو نشب	وبذلوا العلم مجانا لطالبه

³⁶ يراجع كتاب مجالس التذكير والمنتخب لحنا الفاخوري وكتاب التربية للمعهد التربوي

وحرروا الدين من غش ومن كذب
رق القداسة باسم الدين والكتب
عشيرتي وهدى الإسلام مطلبي
وفي رضى الله ما نرجو من الرغب

وحرروا العقل من جهل ومن وهم
وحرروا الناس من رق الملوك ومن
قومي همو وبنو الإنسان كلهم
أدعو إلى الله لأدعو إلى أحد

الحياة العربية الثقافية قبل الإسلام

كان العرب قبل الإسلام أمة أمية، لا تعرف القراءة والكتابة إلا فى نطاق ضيق، ولم يكن الذين يعرفونها فى «مكة» مثلاً يزيدون على عشرين شخصاً، ومع ذلك فإنهم امتلكوا قدرًا لا بأس به من المعرفة، واتصلوا بالعالم الخارجى من خلال رحلاتهم التجارية، فعرفوا الثقافة الفارسية عن طريق إمارة «الحيرة» العربية، والثقافة اليونانية عن طريق الإمارات العربية فى «الشام». واكتسب العرب أيضًا قدرًا كبيرًا من المعارف العلمية بالخبرة والتجربة وبدافع الحاجة كالمعلومات الفلكية والجغرافية دفعهم إلى معرفتها تنقلاتهم الكثيرة، وارتحلهم من مكان إلى آخر، وحاجتهم إلى معرفة مواسم نزول الأمطار وهبوب الرياح. وتفوق العرب على غيرهم من الأمم فى مجال «علم الأنساب»، وذلك لاعتزازهم بانتسابهم إلى قبائلهم، وبلغ من شدة اهتمامهم بعلم الأنساب أن اعتنوا بأنساب الخيل غير مكتفين بأنساب البشر. أما الميدان الثقافى الذى برع فيه العرب فهو البلاغة والفصاحة فالعربى كان فصيحًا بطبعه، بليغًا بفطرته، ودليل ذلك فهمهم للقرآن الكريم، الذى نزل بلغتهم وهو ذروة البلاغة والفصاحة. وبرع العرب فى ميدان الشعر براعة واضحة، فهو ديوان حياتهم وشعراؤهم يُعدُّون بالمئات، والشعر العربى إلى جانب كونه لونًا راقياً من ألوان الأدب يُعدُّ بعد القرآن الكريم مصدرًا من مصادر معرفة الحياة العربية بكل خصائصها ومظاهرها. وكما تفوق العرب فى الشعر تفوقوا فى الخطابة، وكانوا يقيمون الأسواق الأدبية التى تشبه مهرجانات المسابقات الأدبية فى الوقت الحاضر، ومن أشهر تلك الأسواق سوق «عكاظ»، وكانت تعقد فيها لجان للتحكيم بين الشعراء والخطباء، والقصيدة أو الخطبة التى يفوز صاحبها يتناقلها الناس ويحفظونها،

ويشيدون بقائلها، ومن القصائد الرائعة ما كان يعلق في «الكعبة»، وهي التي عرفت باسم «المعلقات»، مثل معلقة «امرئ القيس» و«زهير بن أبي سلمى».

*

الكتاب السادس

في بيان نبذة من الأدب العربي

ويتضمن تبين معنى الأدب العربي ومراحله وإدراج نصوص منه

الفصل الأول

في

نبذة من الأدب العربي

-

الأدب

هنا لزاما علي الإشارة إلى الأدب ككل والأدب العربي على وجه الخصوص . وكلمة الأدب اختلف مدلولها باختلاف العصور: ففي العصر الجاهلي والإسلامي: كانت كلمة «أدب» تعني التهذيب الخُلقي كقول الرسول صلى الله عليه وسلم «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وفي العصر الأموي أخذت معنى إضافيا جديدا وهو: التعليم ف«المؤدبون» في هذا العصر هم المعلمون الذين كانوا يعلمون أولاد الخلفاء والوزراء الشعر والخطب وأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم وفي العصر العباسي كان الأدب يعني التهذيب أو التعليم أو التهذيب والتعليم معا كما هو الحال في (الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع أو كل المعارف غير الدينية التي ترقى بالإنسان اجتماعيا وثقافيا كما هو موجود في (رسائل إخوان الصفاء) أو هو الأخذ من كل علم بطرف قال بن خلدون (الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف) أو هو أدب السلوك الذي يجب أن يُراعى عند طبقة من الناس كما هو في: أدب الكاتب لابن قتيبة وفي العصر الحديث: أخذت لفظة الأدب مدلولين إضافيين جديدين وهما (1) معنى عام ويشمل كل ما كتب سواء أكان علما أم فلسفة أم أدبا خالصا (2) معنى خاص، ويعني

³⁷ يراجع في هذا البحث تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان وجواهر الأدب للهاشمي وموسوعة المفاهيم للشركة المصرية والعقد الفريد للامام ابن عبدربه

الأدب الخالص الجميل الذي يراد به التأثير في عواطف القاريء والسامع معاً كما هو معروف في صناعتي الشعر والنثر الأدبي (قالوا) وأقدم التصوص التي وصلتنا من الأدب العربي يرقى تاريخها الى المرحلة التي يُطلق عليها اسم الجاهلية الثانية وهي مرحلة تبدأ عام 450 بعد الميلاد وتنتهي عام 610 بعد الميلاد أي عند ظهور الدعوة الإسلامية وبذلك يكون الأدب العربي قد مضى على مولده أكثر من خمسة عشر قرناً وما يزال الى الآن حياً ناشطاً معبراً عن خواطر العرب وآمالهم وعواطفهم ومعارفهم وعلومهم خير تعبير مكوّن في امتداد عهده وقابليته للبقاء ظاهرة غريبة لا مثيل لها في أي لغة اخرى ثم انتقل الأدب العربي في أطوار كثيرة متأثراً بالعوامل السياسية والاجتماعية والفكرية وصبت فيه روافد شتى فأغنته كما كان له فعله البليغ في الاداب التي عاصرتة أو جاورته فأخذ منها وأعطاهما بسخاء وتوعدت أساليبه بتنوع رجاله وتفاوت الأعصر والأذواق وصنفت فيه الكتب على اختلاف مضامينها حتى بلغت الآثار المكتوبة بالعربية عشرات الألوف منها دواوين الشعر وكتب في السيرة والتاريخ والجغرافية والرواية والحكاية والرحلة والفلسفة والعلم والقواعد والمقالة والدين وغيرها من الفنون التي تتناول معارف الانسان وخواطره.

اللغة العربية

لغة العرب نوعان: الاولى العربية الحميرية وهي التي تكلم بها من كانوا في عهد هود عليه السلام ومن كان قبلهم وبقي بعضها متداولاً الى وقت قريب من نزول الوحي . الثانية العربية المحضه التي نزل بها القرآن واول من انطق لسانه بها سيدنا اسماعيل عليه السلام قال فضيلة الشيخ عطية صقر: يقول مؤلفو كتاب " الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: إن اللغة العربية من أغنى اللغات كلماً وأعرقها قدماً وأخدها أثراً، وأعذبها منطقاً، وأسلسها أسلوباً، وأغزرها مادة. ولها من عوامل النمو ودواعي البقاء والرقى ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبة اطراد التصريف والاشتقاق، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم والسنة النبوية بلسانها . ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب في مشاعر الحج والأسواق بهذيب لغتهم أنفسهم، لأخذهم من لغات القبائل الوافده عليهم ما خف على اللسان وحسن في السمع، حتى تهيأت لنزول القرآن الكريم بها واللغة

العربية حية وستظل حية لامتوت لأنها لغة القرآن الكريم ولغة عبادة لله يجدها المؤمن ضرورة لفهم كلام الله وكلام رسوله ، ولأداء العبادة التي لا تغنى عنها ترجمة مهما كانت الدقة فيها ، ولأنها مناط الشرف عند الإبداع فى الخطابة أو الشعر . وقد شهد بعضهم كثير من المنصفين الأجانب مثل "إرنست رينان" فى كتابه "تاريخ اللغات السامية" حيث يقول : من أعرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى ، عند أمة من الرُّحَل تلك اللغة التى فاقت أخوتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا فى حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أى تغيير يذكر ، حتى إنها لم يعرف لها فى كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة . وإلى جانب فضل اللغة العربية فى فهم القرآن والسنة وإتقان العبادة لها فضل كبير فى توحيد الأمة الإسلامية ، التى دخل فيها الفارسى والحشى والرومى ونسوا لغتهم الأصلية ، وروى الحافظ ابن عساکر أن رجلا عاب على غير العرب مناصرة محمد العربى يريد أن يصرفهم عنه لاختلاف أجناسهم ولغاتهم ، فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب فى المسجد "يا أيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد . وإن الدين واحد . وليست العربية بأحدكم من أب ولأم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى" (قال) وهناك حملات مسعورة قديما وحديثا لصرف الناس عن الإسلام بشبهات واهية من جهة العقيدة أو الشريعة أو شخص الرسول أو غير ذلك . ومن هذه الحملات تشجيع اللغات المحلية لكل جماعة بحجة سهولة التعامل بها وصعوبة فهم القرآن وصعوبة تلاوته وقراءته ، وللمحافظة على التاريخ والتراث لكل بلد أو جماعة . والهدف الحقيقى من وراء كل ذلك هو هجر اللغة العربية ، وبالتالى الجهل بتعاليم الدين ، ثم ضعف الشعور الجماعى ووحدة المسلمين ، ثم تفرقهم وتباعدهم ، ثم ضعفهم التام ، وسهولة السيطرة عليهم . ونسى هؤلاء المغرضون ومن ينخدعون بهم أن الحكماء يسعون الآن لجمع الناس على لغة واحدة لتيسير التفاهم وتبادل المنافع مثل "الإسبرانتو" التى اقترحها الطبيب البولونى "لودفيج زامنهوف" والإسلام جاء بلغة واحدة لكل المسلمين ، ولو كانت للمسلمين قوة فى تاريخهم الطويل لسادت اللغة العربية فى كل مكان يوجد فيه إسلام لأنها أحسن اللغات ، والبقاء دائما للأصلح (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) إن اللغة العربية بمقوماتها وبقبولها

للتطعيم بألفاظ من اللغات الأخرى يمكن أن تساير كل عصر وتمشى مع كل حضارة ، فهي البحر الذي يكمن في أحشائه الدر كما يقول شاعر النيل . لقد تصدى لهذه الدعوة للعامة والمحليات بعض الغيورين على الدين وعلى العروبة . وبينوا ما في كتب المحدثين من سموم حين يعالجون مستقبل الثقافة ويضعون مناهج للتعليم والتأليف الذي لا يلتزم قواعد اللغة العربية ، ووجدت برامج تدرس في بعض الكليات والمعاهد بعنوانين مثل : دراسات لغوية حديثة ، والتطور اللغوي العربي في العصر الحديث ، واللهجات العربية الحديثة ، والأدب الشعبي ، والمذاهب الكبرى في الآداب الأوروبية ، ومدارس القصة ، وتطور الفكر الإسلامي في العصر الحديث . وناقش الدكتور محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية سنة 1958 م على صفحات مجلة الأزهر هذه الأفكار بموضوعية ودقة وبين ما فيها من أثر على اللغة العربية والعروبة والدين وذكر حملة صاحب (مستقبل الثقافة في مصر) على الأزهر وعلماء الدين ، لاهتمامهم البالغ باللغة العربية ودعوته إلى حرية تعلمها وتعليمها والتصرف فيها دون رقابة أو تحكم واذم الدكتور دعوة أحد المناهضين للعربية في المؤتمر الأول لجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقى من اللهجات العربية حياً في عامية كل إقليم ، ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب النحو وتدوينه من جديد . وذكر الدكتور من تزعم الدعوة من رجال التعليم إلى تأليف كتب القراءة الجديدة "شرح جلا" وما جاء فيها من ألفاظ سوقية عامية من المجلة المذكورة وأن نتيجة ذلك عدم استقامة اللسان باللغة العربية أو صعوبة التزام القواعد النحوية وشيوع الكلمات السوقية ، وتعدي ذلك إلى عدم الالتزام بالأوزان الشعرية ذات الوقع الموسيقى المؤثر على العواطف والأذواق . إن مما يؤسف له أن بعض من يسمون أنفسهم عصريين متمدينين يحاولون أن يظهروا عصريتهم بتطعيم كلامهم بكلمات أجنبية ، كدليل على معاشتهم للعصر وتفاعلهم مع الظروف وانفتاحهم على العالم كله "مرسى ، برافو ، شور ، داكور ، أكسيلانس ، مستر" أو يكتبون عناوين محلاتهم بلغة أجنبية مثل : سوبر ماركت ، رستوران وكل ذلك غزو للغة العربية من أبناءها الذين كان المفروض فيهم أن تعصبوا للغتهم الشرقية الدينية . إن من سياسة الاستعمار فرض نظامه وثقافته ولغته على المستعمرات ، ونتيجة لذلك رأينا بعض البلاد الإسلامية التي كانت تروج فيها اللغة العربية أصبحت اللغة الأجنبية هي الرسمية أو الشائعة في التخاطب والمراسلات

والتأليف، وما زال لها أثر واضح حتى بعد زوال الاستعمار شكلاً وحكماً وفي ذلك تذويب للشخصية العربية والإسلامية. ويجرنا ذلك إلى الحديث عن تعريب العلوم أو دراستها باللغة العربية كالطب والهندسة، وهناك نداءات تميل إلى ذلك، حفاظاً على اللغة، وقامت بعض الدول العربية بالاستجابة لهذا النداء، وإن كانت فيه صعوبة في الدراسة والترجمة. ولا مانع في هذا المجال من استعمال الأسلوب الأجنبي مع الأسلوب العربي، وليست هذه دعوة إلى هجر اللغات الأجنبية، فإن تعلمها لازم وبخاصة في هذه الأيام التي تشابكت فيها المصالح وسهلت المواصلات. وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ليعرف ما في كتبهم التي يرسلونها إليه. فتعلم اللغات مشروع، ولكن مع المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن والدين ومن المؤكد أن حفظ القرآن الكريم - في الصغر بالذات - أكبر مساعد على رسوخ اللغة العربية وتعودها واستقامة اللسان بها. هذا، وتعلم اللغة العربية واجب على كل مسلم بالإجماع، كما قرره الإمام الشافعي في رسالته، وهو الذي جرى عليه العمل، حتى كثر الأعاجم وقل العلم وغلب الجهل، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه الله في العبادة والذكر. أما حكم تعلم اللغات الأجنبية فهو الجواز، وقد يصل إلى حد الوجوب عند الحاجة إليه، وهو داخل في عموم الأمر بطلب العلم ومدح العلماء، والنصوص الكثيرة الواردة لم تحدد نوعاً معيناً من العلم، بل وسَّعت ميدانه ومما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة فاطر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) بعد ذكر نزول الماء من السماء ونمو النباتات واختلاف طبقات الأرض ومكونات الجبال واختلاف المخلوقات الحية من الإنسان والحيوان، مما يدعو إلى الإيمان بالله وحسن استخدام كنوز الأرض شكراً لله وتحقيقاً للخلافة، حتى العلم الذي يظن أنه شر لا بأس بتعلمه لاتقاء شره كما قيل.

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

وتعلم اللغات الأجنبية فيه خير لا شك في ذلك، فمن تعلم لغة قوم آمن من مكرهم، حيث تتمكن من الاطلاع على ما كتبوا لنفيد من خيره وتقي شره ونزد عليه واليهود كانوا يسبون الرسول صلى الله عليه وسلم بعبارة يدل ظاهرها على أنها خير مثل "راعنا" فهي في لغتهم تعنى الرعونة، كانوا ينادون بها الرسول، والمسلمون يقلدونهم فيها دون علم بما يقصدون منها، ظانين أنها كما في لغة العرب تدل

على الرعاية . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا) وكان ابن عباس رضى الله عنهما يترجم بين يدي الرسول عند قدوم الوفود بلهجاتهم المختلفة ويقال : إن الذين حملوا كتب النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الملوك كانوا يعرفون لغاتهم . وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ، لأن كُتبا تأتي منهم تحتاج إلى من يترجمها له كما سبقت الإشارة إليه روى البخارى تعليقا والبعغوى وأبو يعلى موصولا عن زيد بن ثابت الأنصارى قال : أتى بى إلى النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه فقيل : هذا غلام من بنى النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك فقال "تعلم كتاب يهود، فإنى لا آمنهم على كتابى" فتعلمت ، فما مضى لى نصف شهر حتى حذفته ، فكنت أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له . فتعلم اللغات الاجنبية مشروع ويجب أن يكون فى الوطن من يتقنونها كلها ، حتى لا يعيش المجتمع فى عزلة عن العالم . (اقول) وللعلم أن اللغة العربية كما هو معلوم هي احدى اللغات السامية الحية وهي التي قال بلسان حالها شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وناديت قومي فاحتسبت حياتي
 عقلت فلم اجزع لقبول عداتي
 رجالا واكفاء وأدت بناتي
 وما ضقت عن آي به وعظاتي
 وتنسيق اسماء لمخترعات
 فها ساءلوا الغواص عن صدقاتي
 ومنكم وان عزالدواء إساتي
 أخاف عليكم أن تحين وفاتي
 وكم عز أقوام بعز لغات
 فياليتكم تأتون بالكلمات
 ينادي بوادي في ربيع حياتي

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
 رموني بعقم في الشباب وليتي
 ولدت ولما لم أجد لعرائسي
 وسعت كتاب الله لفظا وغاية
 فكيف أضيق اليوم عن وصف آة
 انا البحر في احشائه الدر كما من
 فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني
 فلا تكلوني للزمان فإنني
 أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
 اتوا اهلهم بالمعجزات تفننا
 ايطربكم من جانب الغرب ناعب

بما تحته من عشرة وشتات
يعز عليها ان تلين قناتي
لهن بقلب دائم الحسرات
حياءً بتلك الاعظم النخرات
من القبر يدنيي بغير اناة
فأعلم أن الصائحين نعاتي
الى لغة لم تتصل برواتي
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
مشكلة الألوان مختلفة
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
وتنبت في تلك الرموس رفاتي
مما لم عمري لم يقس بمات

ولو تزجرون الطير يوما علمتم
سقى الله في بطن الجزيرة اعظما
حفظن ودادي في البلى وحفظته
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق
أرى كل يوم بالجزائر مزلقا
وأسمع للكتاب في مصر ضجة
أهجرني قومي عفا الله عنهمو
سرت لوثة الافريج فيها كما سرى
فجاءت كئوب ضم سبعين رقة
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
فأما حياة تبعث الميت في البلى
وإما ممات لا قيامة بعده

اصل اللغات

اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة. والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالا، ومعنى الحال: أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة. فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك

يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم .

وهنا أهيب بكل قارئٍ لكتابي هذا ان يخرج الى بادية مناطق الجلفة والأغواط وغيرهما للسمع من ذويها وتعلم الفصاحة والتعبير والارتجال منهم كما كان عرب قريش يفعلون .

اللسانية

اللسانية اصطلاح معاصر وهو علم اللغة . التي هي صفة للأحرف التي تنطق بواسطة طرف اللسان واللغة أي اللسان language language هي «ظاهرة بلسيولوجية اجتماعية، ثقافية، مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، اكتسبت عن طريق الاختبار معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي، تستطيع جماعة ما أن تفاهم وتتفاعل واللسان هو أحد أعضاء النطق الأساسية . يعتمد علماء اللسانية في تصنيف الأصوات الكلامية على تدخله في عملية اللفظ بكامله أو بجزء منه فقط .

لسان العرب

لسان العرب وكلامهم على فنين : (1) فن الشعر وهو الكلام الموزون المقفى، ومعناه : الذي تكون أوزانه كلها على روي واحد، وهو القافية . (2) فن النثر وهو الكلام غير الموزون . وكل واحد من الفنين : يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فأما الشعر : فمنه المدح والهجاء، والرثاء . وأما النثر فمنه : السجع : الذي يؤتى به قطعاً، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة . ومنه : المرسل : وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً، ولا يقطع أجزاء، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في : الخطب، والدعاء، وترغيب الجمهور، وترهيبهم .

تقسيم عصور الأدب

أصطلح الباحثون في الأدب العربي على قسمة مرحلة نشاط الأدب الى أعصر زمنية هي : الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام والأدب الأموي والأدب العباسي والأدب الأندلسي وأدب عصر

الأنحطاط وأدب التهضة بما فيه الأدب الحديث وميزوا كل واحد منها بخصائص تفرّد بها عما سبقه أو لحق به وبمن شهّر من رجاله وبالتيارات الناشطة فيه .

(قالوا) وهناك مناهج للأدب خاصة منها : أدب الرحلة وهو نوع أدبي يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته من عمران وأحداث وأشخاص وعادات وتقاليد وغيرها . وأدب الرواية : وهو الذي يروي الآثار الأدبية العربية نظماً ونثراً ومنه كتاب «الكامل» للمبرد . والأدب السياسي المثالي وهو الأدب الذي يتناول السياسة بهدف وضع نظام سياسي مثالي للمجتمع نحو كتاب «الجمهورية» لأفلاطون وكتاب «المدينة الفاضلة» للفارابي والأدب العام وهو مصطلح ابتدعه الأستاذ الفرنسي للأدب المقارن ليميز به دراسة تيارات الفكر والذوق المشتركة بين عدة شعوب في زمن واحد أو أزمنة مختلفة من دراسة العلاقات الثنائية بين أديبين أو أديبين في بلدين مختلفين كما هو معروف في الأدب المقارن . والأدب العمالي وهو نوع من الأدب ظهر في أوروبا في العقد الثاني من هذا القرن أهم مميّزاته محاولته التعبير عن مشاكل الطبقة العاملة نتيجة الصراع المستمر بين العمل ورأس المال من جهة وبين الإنسان والآلة من جهة أخرى وثورته على مدرستي الواقعية والطبيعية المنتشرتين آنذاك . والأدب القصصي وهو أدب الروايات والحكايات والقصص المختلفة المكتوبة نثراً سواءً أكانت حقيقية أم خيالية . وأدب المجانين وهو نوع من الأدب ازدهر في أوروبا بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر يصف مغامرات أبطال بله أو مجانين وغايته التسلية والوعظ من أهم نماذجه «سفينة المجانين» للكاتب الألماني سبستيان براند (1457 . 1521 م) والأدب المقارن وهو «دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب وكيف اتصل هذا الأدب بذلك الأدب وكيف أثر كل منهما في الآخر وماذا أخذ هذا الأدب وماذا أعطى» وأدب الهروب وهو نوع من الأدب غايته نقل القارئ من العالم الواقعي إلى عالم خيالي كي ينسى هموم حياته .

(قالوا) والأدب الذي ينتشر اليوم في العالم الواسع هو غير متوقف عند حدود اللغات فهو جزء من تراث الإنسانية ومنه أدب هوميروس الشاعر اليوناني ودانتي الشاعر الإيطالي وجبران خليل جبران الأديب اللبناني وشكسبير الشاعر الإنكليزي

(فائدة) قال الامام القنوجي في كتابه أجمد العلوم مانصه: أما علم الأدب فعلم يجتريه عن الخلل في كلام العرب لفظاً، أو كتابةً، وههنا مجثن. الأول: أن كلام العرب بظاهره لا يتناول القرآن ويعلم الأدب يجتريه عن خلله أيضاً إلا أن يقال المراد بكلام العرب يتكلم العرب على أسلوبه. الثاني: أن السيد رحمه الله تعالى قال: لعلم الأدب أصول وفروع. أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها وهيئاتها فعلم اللغة، أو من حيث صورها وهيئاتها فقط كعلم الصرف، ومن حيث اتساق بعضها ببعض الأصالة والفرعية كعلم الاشتقاق، وأما عن المركبات على الإطلاق. فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية كعلم النحو. وأما باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى كعلم المعاني. وأما باعتبار كيفية تلك الإفادة في مراتب الوضوح كعلم البيان، وعلم البديع ذيل لعلمي المعاني والبيان داخل تحتها، وليس علماً برأسه، وأما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها كعلم العروض. أو من حيث أواخرها كعلم القوافي. وأما الفروع: فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة كعلم الخط، أو يختص بالمنظوم كعلم المسمى بقرض الشعر، أو بالنثر كعلم الإنشاء من الرسائل، أو من الخطب ولا يختص بشيء كعلم المحاضرات، ومنه التواريخ. قال الحفيد: هذا منظور فيه وأورد النظر بثمانية أوجه حاصلها أنه يدخل بعض العلوم في المقسم دون الأقسام ويخرج بعضها منه مع أنه مذكور فيه، وإن جعل التاريخ واللغة علماً مدوناً لمشكل إذ ليسا بمسائل كلية، وجواب الأخير مذكور فيه ويمكن الجواب عن الجميع أيضاً بعد التأمل الصادق. وفي ((إرشاد القاصد)) للشيخ شمس الدين الأصفهاني السخاوي: الأدب وهو علم يتعرف منه التفاهم عما في الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة وموضوعه: اللفظ والخط من جهة دلالتها على المعاني. ومنفعته: إظهار ما في نفس الإنسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر من النوع الإنساني حاضراً كان أو غائباً، وهو حلية اللسان والبنان، وبه تميز ظاهر الإنسان على سائر أنواع الحيوان (قالوا) وتنحصر مقاصد الأدب العربي في عشرة علوم وهي: علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض وعلم القوافي، وعلم النحو، وعلم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة، وذلك لأن نظره إما في اللفظ أو الخط. والأول: فإما في اللفظ المفرد أو المركب أو ما يعمهما. وما نظره في المفرد: فاعتماده إما على السماع وهو اللغة، أو على الحجة وهو

التصريف . وما نظره في المركب : فإما مطلقاً أو مختصاً بوزن . والأول : إن تعلق بمجواص تراكيب الكلام وأحكامه الإسنادية فعلم المعاني ، وإلا فعلم البيان . والمختص بالوزن : فنظره إما في الصورة ، أو في المادة . الثاني : علم البديع . والأول : إن كان بمجرد الوزن فهو علم العروض ، وإلا فعلم القوافي ، وما يعم المفرد والمركب فهو علم النحو . والثاني : فإن تعلق بصور الحروف فهو علم قوانين الكتابة . وإن تعلق بالعلامات فعلم قوانين القراءة ، (قال) وهذه العلوم لا تختص بالعربية بل توجد في سائر لغات الأمم الفاضلة من اليونان وغيرهم . واعلم أن هذه العلوم في العربية لم تؤخذ عن العرب قاطبة بل عن الفصحاء البلغاء منهم ، وهم الذين لم يخاطبوا غيرهم ، كهذيل ، وكثانة . وتميم ، وقيس ، وغيلان ، ومن يضا هيهم من عرب الحجاز ، وأوساط نجد فأما الذين أصابوا العجم في الأطراف فلم تعتبر لغاتهم وأحوالها في أصول هذه العلوم ، وهؤلاء كحمير ، وهمدان ، وخولان ، والأزد ، لمقاربتهم الحبشة والزنج وطى ، وغسان ، لمخالطتهم الروم ، والشام ، وعبد القيس ، لمجاورتهم أهل الجزيرة ، وفارس ، ثم أتى ذوو العقول السليمة والأذهان المستقيمة ورتبوا أصولها ، وهذبوا فصولها ، حتى تفرقت على غاية لا يمكن المزيد عليها قال ابن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ . قال ابن رشيق : ما ذكره صحيح لأن المعاني اتسعت باتساع الناس في الدنيا وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فإنهم حضروا الحواضر ، وتفننوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان ما دلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه وغيره .

الأدب الإسلامي

الأدب الإسلامي قسم من الأدب العربي ، ويقابله الأدب الجاهلي . ويبدأ الأدب الجاهلي باستقلال عرب الشمال (العدنانيين) عن عرب الجنوب (اليمنيين) في منتصف القرن الخامس الميلادي وينتهي بظهور الإسلام سنة 622 م . ويبدأ الأدب الإسلامي بظهور الإسلام إلى الآن ، وقد قسمه علماء تاريخ الأدب بحسب الزمن ، وأطلقوا على كل حقبة زمانية عصرًا على الوجه الأتى كما سبق أن ذكرت ف : (أولاً) عصر صدر الإسلام ويشمل :عصر النبوة والخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية حتى سقوطها عام 132 هـ . (ثانياً) العصر العباسي ، ويبدأ بقيام دولتهم عام 132 هـ إلى سقوط بغداد على أيدي التتار عام 656 هـ . (ثالثاً) العصر المملوكي ، ويبدأ من سقوط بغداد ثم ينتهى

بظهور النهضة الحديثة سنة 1230 هـ. (رابعا) العصر الحديث ، ويبدأ بحكم محمد علي لمصر ، وما يزال إلى الآن .

(قال) وثمة ضوابط أخرى تميز بين الأدب الإسلامي قد تأثر في صورته ومعناه بمبادئ الإسلام وقيمه وتحرر من الأعراف والتقاليد والموضوعات والأغراض التي خضع لها الأدب الجاهلي شعرا ونثرا فغفت ألفاظه وسمت معانيه ، واستهدف نصرة الحق الذي جاء به الإسلام ودعا إلى الفضائل والأخلاق الكريمة وسار مع الدعوة الإسلامية حيث سارت . وقد بدأ هذا التحول على أيدي شعراء الدعوة الإسلامية في المدينة المنورة بعد الهجرة الكبرى إليها ، أمثال: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه وكعب بن زهير . ومع قيام الصحوة الإسلامية المعاصرة برز معنى جديد لمصطلح الأدب الإسلامي وهو حصر مفهومه في كل نتاج فني ، التزم بتوجيهات الإسلام شكلا ومضمونا وناصر قضاياها ، فخمريات أبي نواس وغزله بالمذكر تعد من الأدب الإسلامي حسب التقسيم الزمني أما في ظل المفهوم الجديد فخارجة عنه ، كما تخرج بعض أعمال الأدباء المعاصرين أمثال: نازك الملائكة في بعض قصائدها ، وعبد الرحمن البياتي وأودونيس ، وبعض كتابات نجيب محفوظ ، وإحسان عبدالقدوس وغيرهم . بيد أن هذا المفهوم لم يستقر حتى الآن (خامسا) رغم اهتمامات بعض الجامعات الإسلامية بهذا النوع من الأدب الإسلامي . والأدب الإسلامي في المفهوم العام المعاصر لا يمنع من عدد الأعمال الأدبية التي تعالج مشكلات الخير والشر أدبا إسلاميا شريطة أن تكون النهاية هي انتصار الخير ، والأيهتم فيها بالمغالاة في وصف الشر بالبطولة أو الامتداد الزمني داخل العمل الأدبي نفسه ، لتلايتك تأثيرا قويا في طباع المتلقى وبخاصة النشء .

تقسيم أدبي لا إسلامي

هذا التقسيم الوارد في الأدب ونصوصه خاص بالأدب كثرات أما الإسلام فلا ينبغي ولا يجوز أن يقسم هذا التقسيم ولا غيره مما يدعيه الغربيون ومن هذا حذوهم . إذ الإسلام مجموعة واحدة صالحة لكل زمان ومكان كما أنه ليس تراثا بل هو دين منزل . وسيأتي بيان بعض مضموناته ومحتوياته في الفصول الآتية بعد .

مختارات من الأدب العربي

بالإضافة إلى ما ورد وما سيرد في هذا الكتاب فإني هنا وبمناسبة ذكر الأدب العربي سأورد عشرة أعمال من الأدب العربي لها تعلق بموضوع هذا الكتاب وهي خطبة وقصتان ومقامة وتقرير وحكايات ثلاث وقصيدتان . الخطبة لقس بن ساعدة الإيادي الجاهلي . والقصتان قصة البردين وقصة مارية . والمقامة المقامة السمرقندية التي لا يوجد فيها حرف منقوط . والتقرير تقرير الحموي والحكايات الثلاث هي حكاية الأعمش وحكاية الجارية والمأمون وحكاية هند والحجاج والقصيدتان هما قصيدة زهير بن أبي سلمى وهي من العصر الجاهلي وقصيدة الأستاذ أحمد الهاشمي المصري وهي من العصر الحديث وقد كنا نسمع ذلك كثيرا في مجالس أدبائنا ومشايخنا بالجلفة :

خطبة قس بن ساعدة

خطب قس بن ساعدة الإيادي بسوق عكاظ فقال : أيها الناس اسمعوا . وعوا . من عاش مات . ومن مات فات . وكل ما هو آت . ليل داج . ونهار ساج . وسماء ذات أبراج . ونجوم تزهـر . وبحار تزخر . وجبال مرسة . وأرض مدحاة . وأنهار مجرأة . إن في السماء لخبرا . وإن في الأرض لعبرا . ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضوا فأقاموا . أم تركوا فناموا . يقسم قس بالله قسما لا إثم فيه . إن لله ديننا هو أرضى له . وأفضل من دينكم الذي أتم عليه . إنكم لتأتون من الأمر منكرا . ويروى أن قسا أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها تمضي الأكابر والأصاغر لا يرجع الماضي إلي ولا من الباقين غابر
أيقنت أنني لا محالة حيث صار القوم صائر .

قصة البردين

يحكي أن الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فأنزرت بواحدة وارتدى بالأخرى فقال له محرق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لأن العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب فمن

أنكر ذلك فليناظرني فسكت الناس فقيل له هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزأها من مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وببرديه .

قصة مارية

مارية ابنة ظالم بن وهب الكندي زوج الحرث الأكبر الغساني ملك العرب بالشام وهي أم الحرث الأصغر وأمها هند الهنود وكان في قرطبيها درتان عجيبتان كبيضتي الحمام ولمير مثلهما توارثتهما الملوك إلى أن وصلت إلى عبد الملك بن مروان فوهبها لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قال لها إن أحببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فأجابته إلى سؤاله فلما مات وولي يزيد بن عبد الملك أرسل إليها يقول لها خذي القرطين والحلي فقالت لا والله ما أوافق في حال حياته وأخالفه بعد وفاته .

المقامة السمرقندية التي لا يوجد فيها حرف معجم عدا حرف التاء

الحمد لله الممدوح الأسماء . المحمود الآلاء . الواسع العطاء . المدعو لحسم الأواء . مالك الأمم ومصور الرمم . وأهل السماح والكرم . ومهلك عاد وإرم . أدرك كل سر علمه . ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله . وهد كل مارد حوله . أحمده حمد موحد مسلم . وأدعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا إله إلا هو الواحد الصمد . لا والد له ولا ولد . أرسل محمدا للإسلام مهيدا . وللملة موطدا ولأدلة الرسل مؤكدا . وللأسود والأحمر مسددا . وصل الأرحام . وعلم الأحكام . ووسم الحلال والحرام . ورسم الإحلال والإحرام . كرم الله محله . وكمل الصلاة والسلام له . ورحم آله الكرماء وأهله الرحماء . ما همم ركام . وهدر حمام . وسرح سوام . وسطا حسام . اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء . واكدحوا لمعادكم كدح الأصحاء . واردعوا أهواءكم ردع الأعداء . وأعدوا للرحلة إعداد السعداء . وادرعوا حلل الورع . وداووا علل الطمع . وسووا أود العمل . وعاصوا وساوس الأمل . وصوروا أوهاكم حؤول الأحوال . وحلول الأهوال . ومساورة الأعمال . ومصارمة المال والآل . وادكروا الحمام وسرعة مصرعه . والرمس وهول مطلعته . واللحد ووحدة مودعه . والملك

وروعة سؤاله ومطلعه . والحوا الدهر ولؤم كرهه . وسوء محاله ومكره . كم طمس معلما . وأمر مطعما . وطحطح عرمرما . ودمر ملكا مكرما . همه سك المسامع . وسح المدامع . وإكداء المطامع وإرداء المسمع والسامع . عم حكمه الملوك والرعا . والمسود والمطاع . والمحسود والحساد والأساود والأساد . ما مول الآمال . وعكس الآمال . وكلم الأوصال . ألهمكم الله أحمد الإلهام وردكم رداء الإكرام . وأحلکم دار السلام . وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام . وهو أسمح الكرام . والسلام (قلت) رحم الله أبا القاسم الحريري أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن ألجأته ضرورة العاطل في مواضع إلى الإتيان بألفاظ تقتقر إلى الحل

تقريظ الامام الحموي الذي لا يوجد فيه حرف معجم عدا حرف التاء

قال الامام الحموي أوقفني رجل من طلبة العلم مجلب الحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الأدباء وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل إلى أن رسم لي مولانا المقر الأشرف القاضي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الإنشاء الشريف بالممالك الإسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحة أن أكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا من النقط فقلت هذا النوع من المستحيلات فإن الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل إلى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لأن كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت أن الصرف إلى غير الامتثال ممنوع فكتبت هذا التقريظ الذي ما سبقني ناثر إليه ولا حام طائر فكره عليه وهو (طالع المملوك رسالة محمد وسلم . وأحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم . والله ما سمعها عالم إلا وهام ولا ردع سحرها الحلال مسلما إلا كره الحرام . وعاد عاملا وأعد للصلاح حواصله . وصار له مع الله معاملته . ما أحلى ما كرر عاطلها الخلى . وأهلا لسهولة مسلكها وسهلا . ما لولد ساعة سعد أحكامها . ولا أهل العصر سكر إلا ما أدار كأس مدامها . ولا لعمارة عامر صرحها ورهطه . ولا للمصدر كؤلؤها وسمطه . ولا لولد مطروح مع طرحها المحرر مطارحه . ولا صار لولادة رسالة مسموعة ولا لسرحها آرام سارحه . ولا مسارح الماء الحلوملحها إلا كآل . وما عامر ما أسه المعمار

الإطلال . وما المطاعم الحلوة معها إلا مالحة . وما صوادح الكلام الصادح إلا حول دوحها صادحة
وما لطعم الراح مع حلوة ووردها راحه . ولا لسلسل الورد معها طلاوة ولو كلل الطل أدواحه . ولا
لسلوك الدر در سلوكها . ولا للمسوك العاطرة عطر مسوكها . ولم لا ومحكمها حرسه الله صار ملكا
ولحكمة أحكام . وكلام الملوك ملوك الكلام . لا إله إلا الله ما أسرار ولد آدم إلا حكمه . وما كلام
الحكماء وما أحكامه إلا حرمه . وما أمة رسول الملك العلام إلا سادة الأمم . وما سماه صدورهم إلا
مطالع أهل الحكم . أطال الله عمره وما ملها سامع . وأطلع هلال دالها وسعد السعود لها طالع
وحصل للعالم لما هل هلالها سرور . وأكرموا محلها وأحلوا الصدور . أحكامها عمدة لأمة محمد .
وما أعادها السامع إلا صار العود أحمد . سلسلوا دورها . لسمع كساه درها . وهو عاطل كل حله
لا سماع إلا لها . لا كلام لسواها . كرره كرره الله . وع ما حكاها ولد همام . أرواه واسمع مسامرة
همام . صعد طور الحكم . وساعده الله وحسم . كل كلامه مادة العواطل . وسلسل لظروسه
وسطوره سلاسل . الدور ودور السلاسل . ولو سمعها ملك العواطل . أمال رؤوس رماحه . وكل
حد سلاحه . وسع معالم العلم ومعاهده صدره . وأدر لأهل الموارد الحلوة ولله دره . ما للكمال
أصول سطوره الكاملة . ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مراسله . رحم الله امرأ أطاع أو امر حكمها
وسمع مرسوم رسمها . ودارس ما أحكامه . مهدا وأملاه أمد الله عمره . والحمد لله .

حكاية الإمام الأعمش

عن اسماعيل بن زياد قال نشزت على الأعمش امرأته وكان يأتيه رجل يقال له أبو البلاد فصيح يتكلم
بالعربية يطلب منه الحديث فقال له يا أبا البلاد إن امرأتي قد نشزت علي وغمتني فادخل عليها
وأخبرها بمكاني من الناس وموضعي عندهم فدخل إليها وقال إن أبا محمد شيخ كبير فلا يزهدنك
فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف ركبتيه وتن إبطينه وبخر فيه وجمود كفيه فقال له الأعمش قم
قبحك الله فقد أريتها من عيوي ما لم تكن تعرفه .

الجارية والمأمون

يحكى عن ابي عبد الله النيميري أنه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية
من العسكر فبينما هو سائر إذ لاحت له طريدة فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل

فأشرف على نهر ماء من الفرات فإذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهدي كأنها القمر ليلة تمامه ويدها قرينة قد ملأتها وحملتها على كنفها وصعدت من حافة النهر فأنحل وكأوها فصاحت برفيع صوتها يا ابت أدرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي فيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت الجارية القرينة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي حملك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أو عندك علم بالأنساب قالت نعم قال لها أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ومن تها به مضر كلها قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محمدا وأطولها في المكرمات يدا من تها به كنانة وتحافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال من أجملها ذكرا وأعظمها فخرا من تها به قريش كلها وتحشاه قالت أنت والله من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تها به هاشم وتحافه فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال فعجب المأمون وطرب طربا عظيما وقال والله لأتزوجن بهذه الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وانفذ خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم .

هند والحجاج

حكى أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للحجاج حسننها فأنفذ إليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أدبية فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول :

وما هند إلا مهرة عربية سلية أفراس تحللها بغل
فإن ولدت فحلا فله درها وإن ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأفند إليها عبد الله ابن طاهر وأفند لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزدد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر أنا والله كنا فما حمدنا وبننا فما ندمننا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارتك بخلصي من كلب بني ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل إليها يخاطبها فأرسلت إليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء محل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يكنها المخالفة فكتبت إليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لأحل العقد إلا بشرط فإن قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها ويكون ماشيا حافيا مجليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا وانفذ إلى الحجاج (قلت) قال أحد الحكماء :

عَجِبْتُ لَطْوِيحِ النَّوَى مِنْ نُحْبِهِ وَتَدُنُوبِمْ لِأَيْسَلْدِ لَهُ قُرْبِ

قصيدة زهير بن أبي سلمى

وهي من المعلقات يقول فيها :

مَجُومَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْمَتَلِّمْ	أَمِنْ أَوْفَى دَمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ
مَرَّاجِيْعُ وَشَمِّمْ فِي نَوَاشِرِ مَعْصِمِ	وَدَارُهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا
وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثِمِ	بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةَ
فَلَأَيَّا عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوْهَمِ	وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حَجَّةَ
وَتَوَيْيَا كَجَذْمِ الْحَوْضِ لَمْ يَتَلِّمْ	أَثَاقِي سَفْعَا فِي مَعْرَسِ مَرْجَلِ
أَلَا أُنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الرِّبْعُ وَأَسْلَمِ	فَلَمَّا عَرَفْتَ الدَّارَ قُلْتَ لِرُبْعَهَا
تَحْمَلْنَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثِمِ	تَبَصَّرْ خَلِيلِي ! هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنِ

جَعَلَنَ الْقَنَانَ عَن يَمِينٍ وَحِزْنَهُ
 عَلَيَّ وَأَنطَاعَتَاكَ وَكَلَّةَ
 وَوَرَكُنَ فِي السُّبُوبَانِ يعلُونَ مَتْنَهُ
 بَكْرُنَ بَكُورًا وَاسْتَحْرَنَ بِسُحْرَةٍ
 وَفِيهِنَّ مَلَهَى لِلطَّيْفِ وَمَنْظَرٌ
 كَانَ قَتَاتِ الْعَهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ
 فَلَمَّا وَرَدْنَا الْمَاءَ زَرْقًا جَمَامَهُ
 ظَهَرْنَا مِنَ السُّبُوبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَاهُ
 فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ
 يَمِينًا لِنَعْمِ السَّيِّدَانِ وَجَدْتُمَا
 تَدَارِكْتُمَا عَبَسًا وَذِيَانًا بَعْدَمَا
 وَقَدِ قَلْتُمَا: إِنْ نُدِرْكَ السَّلْمَ وَاسْعَا
 فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَيَّ خَيْرَ مَوْطِنٍ
 عَظِيمِينَ فِي عَلِيَا مَعْدِ هُدَيْتُمَا وَمَنْ
 تُعْفَى الْكَلُومُ بِالْمَيْنِ فَأَصْبَحَتْ
 يُنَجِّمُهُمَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ
 فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تَلَادِكُمْ
 الْأَبْلَغُ الْأَحْلَافَ عَنِّي رِسَالَةٌ
 فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيخْفَى
 يُؤَخَّرُ فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخَرُ
 وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذَقْتُمْ
 مَتَى تُبْعَثُوهَا تُبْعَثُوهَا ذَمِيمَةٌ
 فَتَعْرِكُكُمْ عَرَكُ الرَّحَى بِثِقَالِهَا

وَكَمْ بِالْقَنَانَ مِنْ مُحَلٍّ وَمُحْرَمٍ
 وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ
 عَلَيْنَهُنَّ دَلَّ النَّاعِمُ الْمُتَنَعَمُ
 فَهَنْ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
 أُنْبِقُ لَعَيْنِ النَّاطِرِ الْمُتَوَسِّمِ
 نَزَلْنَا بِهِ حَبَّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمِ
 وَضَعْنَا عَصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
 عَلَيَّ كُلِّ قَيْنِي قَشِيْبٍ وَمُفَامِ
 رَجَالِ بَنِيهِ مِنْ قَرِيْشٍ وَجُرْهُمِ
 عَلَيَّ كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
 تَفَانُوا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطْرَ مَنْشَمِ
 بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسْلَمِ
 بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عَقُوقٍ وَمَاتَمِ
 يَسْتَبِحُ كَرَا مِنْ الْمَجْدِ يَعْظَمِ
 يُنَجِّمُهُمَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمَجْرَمِ
 وَلَمْ يَهْرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَحْجَمِ
 مَغَانِمُ شَتَى مِنْ إِفَالٍ مُزْنَمِ
 وَذِيَانٍ: هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلُّ مَقْسَمِ
 وَمَهْمَا يُكْتُمَنَّ اللَّهُ يَعْلَمِ
 لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلَ فَيُنْقَمِ
 وَمَا هُوَ عَنَّا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
 وَتَضْرِبُ إِذَا ضَرَبَتْ مَوَاهِجَ قَضْرَمِ
 كَشَافَا ثُمَّ تُنْبِجُ قَتْمِ

وَتَلْحُقُ فِتْنَتُجْ لَكُمْ غُلْمَانُ أَشَامَ كُلَّهُمْ
 فَتَغْلُلُ لَكُمْ مَا لَا تَغْلُ لِأَهْلِهَا
 لَعْمَرِي لِنَعْمِ الْحَيِّ جَرَّ عَلَيْهِمْ
 وَكَانَ طَوِي كَشْحَا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ
 وَقَالَ: سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَقِي
 فَشَدَّ فَلَمْ يُفْرَعْ يُبِوتَا كَثِيرَةً
 لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفِ
 جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمُ يُعَاقِبُ بِظُلْمِهِ
 رَعَوْا ظُمَاهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أُوْرِدُوا
 فَقَضَوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا
 لَعْمَرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رِمَاحُهُمْ
 وَلَا شَارَكَتْ فِي الْمَوْتِ فِي دَمِ نُوْفِلِ
 فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ
 لِحَيِّ حَلَالٍ يَعَصِمُ النَّاسَ أَمْرَهُمْ
 كَرَامٍ فَلَا ذُو الضَّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلُهُ
 سَمَّتْ تَكَالِيفُ الْحَيَاةِ، وَمَنْ يَعِشْ
 وَأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ
 رَأَيْتُ الْمَنَآيَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تَصَبُّ
 وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورِ كَثِيرَةٍ
 وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ
 وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيُبْخَلُ بِفَضْلِهِ
 وَمَنْ يُوفِ لَا يَذُمَّ وَمَنْ يُهْدِ قَلْبَهُ
 وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنَهُ

كَأَحْمَرَ عَادِثٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَتَقْطَعُ
 قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدَرَاهِمِ
 بِمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ
 فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ
 عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمِ
 لَدَى حَيْثُ أَلْقَيْتُ رَحْلَهَا أَمْ قَشَعَمِ
 لَهُ لَبِيدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تَقْلَمِ
 سَرِيْعًا وَالْأَيْدِ بِالظُّلْمِ يَظْلَمِ
 غَمَارًا تَفَرَّى بِالسَّلَاحِ وَبِالْدَمِ
 إِلَى كَلَامِ مُسْتَوْبِلٍ مَتَوَخَّمِ
 دَمِ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمِثْلِ
 وَلَا وَهَبَ مِنْهَا وَلَا ابْنَ الْمُخَزَمِ
 صَحِيحَاتٍ مَالِ طَالَعَاتِ بِمُخْرَمِ
 إِذَا طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
 وَلَا الْجَارِمُ الْجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ
 ثَانِينَ حَوْلًا لِأَبَاكَ يَسَامِ
 وَلَكِنِّي عَنِ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِ
 تَمَّهُ وَمَنْ تَخْطَى يُعْمَرُ فِيهِرَمِ
 يُضْرَسُ بِأَنْيَابِ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمِ
 يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتَمِ
 عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ
 إِلَى مُطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمِ
 وَإِنْ يَرِقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمِ

يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيُنْدِمَ
يُطِيعُ الْعَوَالِي رَكِبَتْ كُلَّ لَهْذِمٍ
يُهْدِمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ لَمْ يَكْرَمْ نَفْسَهُ لَمْ يَكْرَمْ
وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ
زِيَادَتُهُ أَوْ تَقْصُصُهُ فِي السِّكِّمِ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالِدَمِ
وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سَيُحْرَمُ

وَمَنْ يُجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ
وَمَنْ يَعِصُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ
وَمَنْ لَمْ يَذُدَّ عَنِ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يُحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجَبٌ
لِسَانَ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفٌ فَوَادُهُ
وَإِنْ سَفَاهَ الشَّيْخَ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ
سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعُدْنَا فَعُدْتُمْ

قصيدة الأستاذ أحمد الهاشمي المصري

وهي قصيدة طويلة عارض بها لامية الإمام الطغرائي

عليك بالصبر والاحلاص في العمل	ولازم الخير في حل ومرتحل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه	لا بد يجرّاه في سهل وفي جبل
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا	تركن الى فشل في ساعة الوهل
وكن كرضوى لما يعرّوك من نوب	ولا تكن جازعا في الحادث الجلل
واصبر على مفضض الايام محتملا	ففيه قرع لباب النجح والامل
تان متّدا فيما تروم ولا	تعجل وان خلق الانسان من عجل
لا تطلب العز في دار ولدت بها	فالعز عند رسيم الاينق الذلل
شمر وجد لامرانت طالبه	اذ لا تنال المعالي قط بالكسل
واحذر مساوي اخلاق تشان بها	واسوا السوء سوء الخلق والبخل
واخفض جناحك للمولى وجد ونل	ما اقبح الكبر والامسك بالرجل
لا تسال النذل واقصد ماجدا حدبا	في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

تقول فالشر كل الشر في الجدل
في حادث الدهر ما يغني عن الخيل
والعنوان قى لذا الظن وذو الدخل
والبذل خير فعال الماجد البطل
وانت يكفيك منه مصة الوشل
واربا بنفسك ان ترعى مع الحمل
بل حاذر الناس واصحبهم على دخل
وظن شرا وكن منهم على وجل
فهل سمعت بظل غير منتقل
بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
كما تضر رباح الورد بالجعل
وربما صحت الاجسام بالعلل
ليس التكحل في العينين كالكحل
في ارفع العيش بين الخيل والخول
الى الطغام شرار الناس والسفل
وحكموا كل ذي جهل اخي خيل
كباقل مثلا في العي والخطل
يسقـيهم علا على نهل
من كل سكران من خمر الهوى مثل
والباز الاشهب يخشى صولة الحمل
والكلب يوعد ليث الغيل بالغيل
فوق المؤمل من شب ومكتهل
مرخى لهم من مروع العيش والطول

ولا تجادل جهولا ليس يفهم ما
ولا تكن لنزول الخطب مضطربا
الجود احسن ما اوليت من خلق
والحلم ملح فساد الامر يصلحه
لا تقحم غمرات البحر مرتكبا
ولا تعاشر سوى حزم أختة
لا تتخذ لصديق يدعي ملقا
لا تامن احدا واحذر مكائدهم
ولا تغرنك الدنيا بزهرتها
ان الغنى غني النفس في كرم
ان الصنعة للانذال تفسدهم
مرارة النصح تحلوي مضاضتها
دع التكلف لا يجديك منفعة
ارى الرعاء رعاء الشاء في ترف
وسادة العصر قد القوا مقلدهم
تحكموا في قضايا الناس واحتكموا
من كل غر جهول لا يرى رشدا
تعسا لشر زمان ظل طوع يد اللئام
القبض والبسط في ايدي ذوي شطط
تسطو الكلاب على اسد الشرى سفها
والقرد يضحك من نمر على هزؤ
نال المرام علوج لا خلاق لهم
املى لهم دهرهم فاستمهلوا ابدا

خب لثيم غدا في الشر كالثلج
سوى الشرارة في قول وفي عمل
وسوقه الناس في رعد وفي جذل
مساكنا لذوي اولى حيل
وليس لي ثم من ثور ولا حمل
وهل يطابق معوج بمعادل
فما حصلت على صاب ولا غسل
مسافة الخلف بين القول والعمل
وما مواعيدهم الاعلى دخل
اذ سوا افعالهم اوفى على القل
زاغت بصيرتهم عن اقوم السبل
ظلم على عجل وعد على مهل
والسعي في الارض بالافساد والخلل
مستهجن من صفات العاجز الوكل
والنم فيما لديهم شربة العسل
خلف الوعود وذا من اسوا الثقل
تذل على كريم الاصل مقبيل
تشيب فيه النواصي غير محتمل
مقدما لمفاعيل على البذل
مثل التليل غدا في مؤخر الكفل
اطال ايام عمري ام دنا اجلي
فالعين في لجج والقلب في شعل
وفي الحشا منك جرح غير مندمل

شر العصور زمان يستمد به
لا يعلم الرشده من غي وليس له
يشكو الطوى كل ذي فضل وذي ارب
مالي وللبلدة الحمقاء اسكنها
وليس لي ناقة فيها ولا جمل
لا يستقيم وفاق لي بمثلهم
قد ذقت وبلوت الحال عندهم
لا يفعلون اذا قالوا فقد بعدت
اضحت مواعيد عرقوب لهم مثالا
اشكو الزمان واهلهم وامقتهم
ساعت سيرتهم حالت طريقتهم
علم بلا عمل حكم بلا حكم
الافك والزور والبهتان عندهم
الكذب مستحسن والصدق عندهم
اهنى الطعام لحوم الناس عندهم
نكت العهود سجاياهم ودابهم
يا دهر مالك والاحرار تقهرهم
حتى متى يا زمان السوء تفعل ما
تؤخر الفاعل المرفوع تتخفظه
وساقه الجيش قد اضحت مقدمة
فلست احفظ في ذي الدهر من اسف
واها لقلبي يوم السبين اذ ظنعتوا
كيف التصبر من نارى نوى وجوى

فقد فقدت الالى بي هجتهم
لم اکتحل بقرار بعد ما ارتحلوا
لم يبق لي الدهر بعد البين من جلد
ولا من الغمض ما اقى الخيال به
قلبي على هب والجسم في نصب
حسبي الغرام حليف والجوى ابدا
خذها محبرة غيداء غانية
جاءت من الهاشمي لا تبغي مهرا

نور النواظر في الاحداق والمقل
ولا ابتغيت لهم في الناس من بدل
ما استطيع به توديع مرتحل
ولا من الدمع ما ابكي على طلل
والروح في وصب واللب في ذهل
منادما , وسمير غير منفصل
انت على عجل كالقابس العجل
من خاطب لبنات النظم في عطل

قلت وعلى ذكر لامية العجم للإمام الطغرائي أذكر أن والدي قد اشترى هذه القصيدة قديما وعليها شرح قيم ولما أدركت وجدتها في خزائنه فحفظت منها شطرا كبيرا قلت والقصيدة بنصها الكامل هي :

لامية العجم

أصالة الرأي صانتني عن الخطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع
فيم الإقامة بالزوراء لا سكاني
ناء عن الأهل صفر الكف منفرد
فلا صديق إليه مشتكى حزني
طال اغترابي حتى حن راحلتي
وضج من لغب نصوي وعج لما يلقاه
أريد بسطة كف استعين به
والدهر يعكس أمالي ويقنعني
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل
حلوا الفكاهة مر الجدد قد مزجت

وحلية الفضل زانتني لدى العطل
والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
كالتصل عري مناه عن الخلل
ولا أنيس إليه منتهى جذلي
ورحلها وقتنا العسالة الذبل
قلبي ولج الركب في عذلي
على قضاء حقوق للعلى قبلي
من الغنيمه بعد الكد بالقفل
بمثله غير هياب ولا وكل
بقسوة البأس منه رقة الغزل

طَرِدَتْ سَرِحَ الْكَرَى عَنْ وَرْدٍ مُقْلَتَهُ
 وَالرَّكْبُ مِيلَ عَلِي الْأَكْوَارِ مِنْ طَرْبِ
 فَقَلْتِ أَدْعُوكَ لِلْجُلَى لِنَصْرَتِي
 تَنَامُ عَيْنِي وَعَيْنِ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ
 فَهَلْ تَعِينُ عَلَي غِي هَمَمْتُ بِهِ
 إِنِّي أَرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمِ
 يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ
 فَسَرُّنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُهْتَدِيًا
 فَالْحَبُّ حَيْثُ الْعَدَى وَالْأَسَدُ رَابِضَةٌ
 نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجَزَعِ قَدْ سُقِيَتْ
 قَدْ زَادَ طَيْبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا
 تَبَيَّتْ نَارُ الْهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَيْدِ
 يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبِّ لَأَحْرَاكَ بِهِمْ
 يَشْفِي لَدَيْغِ الْعَوَالِي فِي يَوْمِهِمْ
 لَعَلَّ الْإِمَامَةَ بِالْجَزَعِ ثَانِيَةً
 لَا أَكْرَهُ الطَّعْنََةَ التَّجْلَاءَ قَدْ شَفَعَتْ
 وَلَا أَهَابُ الْبُصْفَاحِ الْبَيْضِ تَسْعِدُنِي
 وَلَا أَخْلُ بِغَزْلَانِ أَغَازِلِهَا
 حُبُّ السَّلَامَةِ يَثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ عَنِ الْمَعَالِ
 فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا
 وَدَعْ غَمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَي رُكُوبِهَا
 يَرْضَى الدَّلِيلَ بِخَفْضِ الْعَيْشِ يَخْفِضُهُ
 فَادْرَأْ بِهَا فِي نُحُورِ الْبَيْدِ جَافِلَةٌ

وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمَقْلِ
 صَاحٍ وَأَخْرَمَ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى ثَمَلِ
 وَأَنْتِ تَخْذِلِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ
 وَتَسْتَحِيلِ وَصَبَّغِ اللَّيْلَ لَمْ يَحُلِ
 وَالغِي يُزَجِّرُ أَحْيَانًا عَنِ الْفِشْلِ
 وَقَدْ حَمَّتْهُ رُمَاءُ مَنْ بَنِي ثَعْلِ
 سُودَ الْغِدَائِرِ حُمْرَ الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ
 بِنَفْحَةِ الطَّيِّبِ تَهْدِينًا إِلَى الْحَلَلِ
 حَوْلَ الْكِنَاسِ لَهَا غَابٌ مِنَ الْأَسَلِ
 نَصَالِهَا بِمِيَاهِ الْغُنْجِ وَالْكَحَلِ
 مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمَنْ يَخْلِ
 حَرَى وَنَارُ الْقَرَى مِنْهُمْ عَلَى الْقَلَلِ
 وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
 بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ
 يَدْبُ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرِّ فِي عِلَلِي
 بِرَشْفَةٍ مِنْ زَلَالِ الْأَعْيُنِ التَّجَلِّ
 بِاللَّمْحِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ فِي الْكَلَلِ
 وَلَوْ دَهْتَنِي أَسُودُ الْغَابِ بِالْغَيْلِ
 وَيُغْرِي الْمِرَّءَ بِالْكَسَلِ
 فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي الْجَوْفِ اعْتَزَلِ
 وَاقْتَنَعُ مَسْتَهْنٍ بِالْبَلْبَلِ
 وَالْعَزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الْإَيْتِقِ الذَّلَلِ
 مُعَارِضَاتٍ مَثَانِي الْجُجْمِ بِالْجُدَلِ

إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ
 لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنِيٍّ
 أَهْبَيْتُ بِالْحِظِّ لَوَادَيْتُ مُسْتَمْعَا
 لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَتَقْصَمُهُمْ
 أَعْلَلِ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْفِيهَا
 لَمْ أَرْضَ بِالْعَيْشِ وَالْأَيَّامِ مُقْبَلَةً
 غَالِي بِنَفْسِي عَرَفَانِي بِقِيمَتِهَا
 وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يَزْهُقَ وَبِجَوْهَرِهِ
 مَا كُنْتُ أَوْشُرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي
 تَقَدَّمْتَنِي أَنْاسٌ كَانَتْ شَوْطُهُمْ
 هَذَا جَزَاءُ أَمْرِيءَ أَقْرَانِهِ دَرَجُوا
 وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبُ
 فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجْرٍ
 أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَتَقْتَبَهُ
 فَإِنَّمَا رَجُلٌ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا
 وَحُسْنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ
 غَاضَ الْوَفَاءُ وَفَاضَ الْغَدْرُ وَانْفَرَجَتْ
 وَشَانَ صَدْقِكَ بَيْنَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ
 إِنْ كَانَ يَنْجَعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ
 يَا وَارِدَا سُورَ عَيْشِ كُلِّهِ كَدْرٌ
 فِيمَ اقْتِحَامِكَ لِبِحِّ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ
 مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخَشِي عَلَيْهِ وَلَا
 تَرْجُو الْبَقَاءَ بَدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا

فِيمَا تَحَدَّثُ أَنَّ الْعَزِي فِي التَّقْلِ
 لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمْلِ
 وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجَهَالِ فِي شُغْلِ
 لَعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
 مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ لِي وَلَا فَسْحَةَ الْأَمَلِ
 فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَكْتُ عَلَى عَجَلٍ؟
 فَصَنَّتْهَا عَنْ رَحِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَذَلٍ
 وَلَيْسَ يَعْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلٍ
 حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّفَلِ
 وَرَاءَ خَطْوِي إِذْ أَمْشِي عَلَى مَهَلٍ
 مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فَسْحَةَ الْأَجَلِ
 لِي أَسْوَةٌ بِالْحِطَّاطِ الشَّمْسُ عَنْ زَحَلٍ
 فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحَيْلِ
 فَحَازِرَ النَّاسِ وَأَصْحَبَهُمْ عَلَى دَخَلٍ
 مَنْ لَا يَعُولُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ
 فَظَنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ
 مَسَافَةَ الْخَلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
 وَهَلْ يُطَابِقُ مَعُوجٌ بِمَعْتَبِدٍ
 عَلَى الْعُهُودِ فَسَبِقُ السَّيْفِ لِلْعَدْلِ
 أَنْفَقْتَ صَفْوِكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ
 وَأَنْتَ تَكْفِيكَ مِنْهُ مُصَّةُ الْوَشَلِ
 يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ
 فَهَلْ سَمِعْتَ بِظَلِّ غَيْرِ مُنْتَقِلِ

ويا خبيراً على الأسرار مُطَّلِعاً
أصمْتُ ففِي الصَّمْتِ مُنْجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
قد رَشَّحوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطَنْتَ لَهُ
فَارْبِأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

استراحة في السيادة والشيم

جاء في كتب الأدب قولهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رزقه الله ما لا يقبل معرفه وكف أذاه فذلك السيد) وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال لم أخاصم أحدا إلا تركت للمصلح موضعا وقال سعيد بن العاص ما شامت رجلا مذكنت رجلا لأنني لم أشاتم إلا أحد رجلين إما كريم فأنا أحق أن أجله وإما لئيم فأنا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملا العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس فقال الحاجب إن أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد إلا لنفسه فلما وصلوا إليه قال الأحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفه ردف وتنازلة نزلت ونائبة نابت الكل بهم حاجة إلى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كهنت الشاهد والغائب وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا أصبحهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عنك من أمري ما لا يعينك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي وعلى الأعداء كالليث الغادي وكان سبب ارتفاع عرابة الأوسبي وسؤدده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحدثا فقال له عرابة ما الذي أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لأمتار منها فمالأه عرابة رواحله برا وتمرأ وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد يقول:

رأيت عرابة الأوسبي يسمو إلى الخيرات منقطع القرين

إذا ما راية رفعت بمجد تلقاها عرابة باليمين

وحكي أن رجلا تكلم بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين قال نعم النسب اتسبت إليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا يغنيك محموده عن النسب

إن الفتى من يقولها أناذا ليس الفتى من يقول كان أبى

الإستشارة

أختم هذه الفصل بكلمات الإستشارة التي لها تعلق بموضوع كتابنا هذا وهي كما جاء في المستطرف قال : قال أفلاطون إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج عن عداوتك إلى موالاةك وقيل من بذل نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن بذر في سبحة وقال ابن المعز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الأحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الأسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجد . ولما أراد نوح ابن مريم قاضي مروان أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وأنت تستفتيني قال لا بد أن تشير علي قال إن رئيس الفرس كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ورئيس العرب كان يختار الحسب ورئيسكم محمد كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقدي وكان يقال من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل إذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضي الله تعالى في امره ما يحب وقال بعضهم: خير الرأي خير من فطيره وتقديمه خير من تأخيره . وقالت الحكماء : لا تشاور معلما . ولا راعي غنم . ولا كثير القعود مع النساء . ولا صاحب حاجة يريد قضاءها . ولا خائفا . ولا حاقنا . وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب أن يشاورهم : جاهل . وعدو . وحسود . ومراء . وجبان . وبخيل . وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة والمرائي واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الحرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته والله أعلم .

أرجوزة نظم الأجرومية

بما أن النحو هو المفتاح السحري للقراءة السليمة . والمطالعة القويمة هاهي ذي أرجوزة نظم الأجرومية للشيخ ابن ناجي غويني بن المسعود الجلفاوي يقول فيها :

حمداً لربي علم الإنساننا

نحو الكلام حازه تبياننا

الكلام
شرط كلام النحو لفظ ركبنا

يفيد للسامع معنىً معرباً

أقسام الكلام

أقسام ذا (اسم ثم فعل حرف

بالخفض والتنوين أل وحروف الجر

على وفي ورب كاف مع لام

و(الفعل) يُعرب بقَد و السَيْنُ

و(الحرف) لا يفيد ما لم يتصل

جاء لمعنى (و) للاسم) وصفُ

كمثل: من إلى وعن وقتت الضر

الواوُ بَ والتاءُ لُحلف في الكلامُ

وسوف تا التائيثُ بالتسكينُ

بالاسم أو فعل وتركَ ما يدل

باب الإعراب وعلاماته

للعامل الجديد فزتَ بالسلام	(الإعرابُ) تغييرُ أواخر الكلام
كجاء زيدُ الفتى بشيري	يكون باللفظِ وبالتقدير
(رفع ونصب ثم خفضه مجزوم)	أقسامه أربعة وذا معلوم
ك (خفض) الاسم (جزم) فعلٍ وقعا	(رفع ونصب) الاسم والفعل معاً

باب معرفة علامات الإعراب

(ضم . واو . ألف . النون) أثبت	لرفع أربع من الأدله
(جمع المؤنث) (المضارع) النظر	ف (الضم) في (المفرد) جمع للتكسير
وفي (أسامي خمسة) أياً تميم	و (الواو) في (الجمع المذكر السليم) ⁴⁰
(فوك) و(ذو) العلوم أنت و(حموك)	تقول جاء (أبوك) برّه (أخوك)
(مضارع بالنون) أيضاً فاعرف	(الاسم المثني) رفعه بالألف
(وحذف نون) في الفعال الخمسة ⁴¹	و (انصب) بفتح ألف . يا . كسرة
(فعل مضارع) مجرد الأخير	ف (الفتح) في اسم مفرد جمع التكسير
(جمع المؤنث) كذا ب (الكسرة)	(ألف) في نصب (الاسماء الخمسة)
ب (كسرة) القرآنُ أخبرا	(جمع المؤنث السليم) اشتها
مع السلامة) أيا ذا السمع	و(الياءُ) في نصب (المثني . الجمع)
و(الياءُ والفتحة) نلت الخبره	(يخفض الاسم بثلاث) (الكسرة
(جمعُ المذكر الكسير) ⁴² ينصرفُ	ف (الكسر) في (اسم مفرد ومنصرف)
(جمعُ المذكر) ب (يا) يا غانم	كذلك (جمعُ للتأنيثُ السالم)
و(خفضُ ما لم ينصرف بالفتحة)	وفي (المثني . والاسماء الخمسة)

40 - يقصد بقوله (الفعال الخمسة) الأفعال الخمسة

41 - يقصد بقوله (جمع المذكر الكسير) جمع التكسير .

42 - يقصد بقوله (الجمع المذكر السليم) جمع المذكر السالم . ويقصد بقوله (أسامي خمسة) الاسماء الخمسة .

(يسكن الفعل الصحيح حرفه) هذا نظام ما مضى فصلته
 علامتا الجزم (سكون حذفه) (معتل الأفعال أزل علقه)

باب المُعْرَبَات

فـ (مُعْرَبُ الْكَلَامِ) جَاءَ عَدُّهُ
 و (أَرْبَعُ) فَبِالْحُرُوفِ تُكْتَبُ
 و (جَمْعُ تَأْنِيثِ الْمَضَارِعِ) فَادِرُ
 و (النَّصْبُ بِالْفَتْحِ) و (جَرُّ الْكُسْرَةِ)
 فـ (تَحْذِفُ الْمَعْلُولُ) فَزَتْ بِالْأَمْلِ
 بـ (الْكَسْرُ) فَاحْفَظْهُ وَثِقْ بِمَا كَذَبَ
 و (أَرْبَعُ أُخْرَى) فَشَكَّلَهَا حُرُفُ
 و (النَّصْبُ) و (الْجُرُّ) بـ (يَا) تُعْرَبُهَا
 و (انْصَبْ) و (جُرْ) بـ (يَا) تُعْرَفُ
 و (النَّصْبُ بِالِإِلْفِ) (جَرُّ الْيَاءِ)
 (تَحْذِفُ نَصْبًا). (جَازِمًا) لِأَنَّ ثَبِتَ

وَمَا أَتَى إِجْمَالًا فَاسْمِعْ حِكْمَهُ
 فـ (أَرْبَعُ) بِالْحُرُوكَاتِ تُعْرَبُ
 فـ (الْإِسْمُ) (مَفْرَدٌ . وَجَمْعُ الْكُسْرِ)
 فَكُلُّهَا (مَرْفُوعَةٌ بِالضَّمَّةِ)
 و (الْجُزْمُ) بـ (السُّكُونِ) غَيْرُ (مَا أُعْلِمَ)
 و (جَمْعُ تَأْنِيثِ السَّلَامَةِ) نَصْبُ
 و (الْفَتْحُ) فِي (جَرِّ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ)
 (تَثْبِيَةٌ) بـ (الْفِ) تُرْفَعُهَا
 بـ (الْوَاوُ) (جَمْعُهُ الصَّحِيحُ) أَرْفَعُهُ
 و (أَرْفَعُ) بـ (الْوَاوُ) خَمْسَةَ الْأَسْمَاءِ
 و (النُّونُ) رَفَعًا لـ (الْأَفْعَالِ الْخَمْسَةِ)

باب الأفعال والنواصب والجوازم

(ماضٍ) (مضارعٍ) و (أمرٍ) فاعتن
 مجزومٌ. (المضارع) ارفع يستقر
 نواصبٌ عشرةٌ) يافاهم
 و (لام كي) عند النحاة قاطبه
 جواب (فا. و. الواو) يُنصبُ (وأو)
 وهي: (لم. لما. ألم). كن فاهمه

(ثلاثة الأفعال) حسب الزمن
 (ماضيه) مفتوح الأخير. و (الأمر)
 إلى دخول ناصب أو جازم
 أولها (أن لن إذن كي) ناصبه
 (لام الجحود) مع (حتى) قد رووا
 (ثمان عشرة) أداة جازمه

(لامِ الدعا) و (لا) لنهي الغير
تَجَزَمُ فَعْلَيْنِ كَذَا الْبَقِيَّةُ
(أَيُّ . مَتَى . أَيَّانَ . أَيْنَ) لازمه
في شعر ما يُنظَمُ فاعِثَنَ بِذَا
حرفُ (أَلْمَا) مع (لامِ الأَمْرِ)
(لا) في الدعا وحرفُ (إِن) شرطيه
و (ما . ومن . مهم . وإذما) جازمه
(أَنى . و . حيثما . و . كيفما) (إِذَا)

باب مرفوعات الاسماء

(فاعلُ . فعله . و . نائب له)
و (اسم لَكَانِ) الأخوات دان
و (تابع المرفوع) جا فاسمعه
وذا بإجمال وما يأتي فصل
بابُ أتى فيما يحق رفعه
و (المبتدا . الخبرُ) مرفوعان
خبرُ (إِنَّ) الاخوات ارفعُهُ
وهو: (نعتُ . العطفُ . توكيدُ . البدلُ)

باب الفاعل

وفعله مقدم ملتمزم
كقام زيد للصلاة باكرا
يقوم زيدان وفازا في امتحان
تقوم عمال البلاد بالفعال
وقام هندان بصالح الأولاد
تقوم أيضا النساء بالجهود
قام غلامي ويقوم قل أبوك
(الفاعلُ) الرفع له محتم
وهو يأتي (مضمرا وظاهرا)
يقوم زيد ثم قام الرجلان
يقوم زيدون كقامت الرجال
قامت سعاد وتقوم لسعاد
تقوم هندات وقامت الهنود
قام أخوك ويقوم لي أخوك

باب نائب الفاعل

والفاعل المرفوع محذوف مقطوع
و (أكسر) قبيل آخر تحصّله
و (ما ينوب عن الفاعل) مرفوع
ففعله الماضي (يُضم أوله)

ثم (افتح العين) بذلك يقبل
ضرب زيد يُضربُ أي زيد أقر
(ضميره عشر كذا اثنان)
و (خمسة) المخاطبين يا إمام
فهكذا تحيّدُهُم للنائب
(مضارع) ب (ضم حرف الأول)
(تقسيمه) لظاهر أو منضم
أكرم عمرو . يُكرمُ العُمران
(اثنان) تعبير لصاحب الكلام
و (خمسة) ضمائر لغائب

باب المبتدأ والخبر

والخبر أرفع مسندا يا سائل
زيدان قائمان يا ذا الطالب
رجالنا قيامهم بالمستطاع
و (مضمرة) تمثله يأتي بحق
تمام الاثني عشرة فتلعلما
و (خبر قسمان) أنتم سامعون
و (غير مفرد) له مراسم
و (الظرف زيد عندكم بالاستقرار
و (مبتدأ وخبر) قد أعربوه
فهذه أخبارهم محصورة
(مبتدأ) يرفع لا بالعامل
نقول زيد قائم بالواجب
زيدون قائمون هم بالارتفاع
(مبتدأ قسمان) (ظاهر) سبق
(أنا ونحن وأنت وأنتما)
نحو أنا القائم نحن القائمون
ف (مفرد الخبر) زيد قائم
ماجر بالحرف كزيد في ذي الدار
(فعل وفاعل) ك (زيد قام أبوه)
(محمد علومه كثيرة)

باب النواسخ

(ثلاثة) جاءت لنا في الخبر
ونصبها الخبر خذ ما قيّدا
أضحى وظل (ثم) (بات) فرحا
فتى ما برح ما دام السما
نواسخ للمبتدأ والخبر
(أولها) (كان) لرفع المبتدأ
(من أخوات كان) (أمسى أصبحا
(ليس و ما زال وما انفك وما

وما تصرف من الأمثال
أصبح يصبح وأصبح في أرضا
فكان زيد قائما وليس أخي
و (إن) تنسخ بنصب الاسما
(أحرفها) ستة (إن . أنا)⁴³
تقول (إن زيدا قائم) (ليت
أكد بإن مع أن ، الاستدراك
وللمثنى ليت للرجاء لعل
ف (تنصب الإسمين مفعولين)
(زعمت) قل رأيت مع (علمت)
ظننت زيدا مسرعا منطلقا

كان يكون كن على افضال
الربّ تريح الثواب المرتضى
عمرو ومسافر وشبهه يا سخي
و رفعها الأخبار نلت العلماء
(لكنّ ليت ولعل) و (كأن)
عمراً مسافراً) وما أشبه البيت
لكن شبهه بكان لمسعاك
كذلك (ظن) تنسخ أيضا العمل
(ظننت) مع حسبت خلتم) ذين
(وجدت . اتخذت) زد (جعلت)
وخلت عمرا شاخصا مستبقا

باب النعت

(النعت) تابع أخى (المتبوعا)
تعريفه تنكيره يتابع
ك (جاء زيد المفضل) فقل
والنكرة
قل (استمع لزيد المفضل)
معرفة الأسماء خمسة أمور
أنا وأنت ثم بعده (العلم)
(إشارة) هذا الذي به تقول
(نكرة) عمّت جميع الجنس

منصوبا أو محفوزا أو مرفوعا
منعوته كما يقول الواضع
(رأيت زيدا المفضل) الأجل
المعرفة
يحدد التعريف كالمستقبل
(اسم الجلالة) وبعدها (الضمير)
زيد ومكة فحج واغتم
ما فيه (أل) (مضاف) هذه النقول
كرجل طفل وجن إنس

⁴³ - يقصد بقوله (أنا) أن - ويقصد بقوله (كأن) كأن .

باب العطف

وتم أو أم (حرف (إما) بالوفا
في البعض والحالات فيها شتى
يتبع ما سبق في ذا الوصف
واستفسر زيدا وعمرا الخبر
وزيد لم يقم ويقعد إن أتى
والعطف من حروفه (الواو والفاء
و (بل ولا لكن) كذلك حتى
فشكل ما بعد حروف العطف
زيد وعمرو أنفا كل حضر
عجبت من زيد وعمرو يا فتى

باب التوكيد

في (رفعه والنصب والخفض) بدا
و (لفظه) (نفس وعين) أكدا
(أكتع ابتع وأبصع) دعا
القوم كلهم مؤكدا أديت
ثم أجمعين وهلم جرا
(توكيدهم) قد يتبع المؤكدا
كذلك في (تعريفه) معتمدا
(كل وأجمع) توابع أجمعا
ك (قام زيد نفسه وقد رأيت
مررت بالأقوام كل قرا

باب البدل

فعل من الفعل فأتبع ما رووا
أي (بدل الشيء من الشيء) يثبت
البعض من كل (كما يأتي المثل
(بدل الاشتمال) يأتي قل بذا
خطا) رأيت زيدا الحصان كل
الاسم إن أبدلته من اسم أو
أعربه مثله وذا (أربعة)
كقام أحمد أخوك و (بدل
أكلت ذا الرغيف ثلثه كذا
نفعتني زيد علوممه (بدل

⁴⁴ قوله (قد يتبع المؤكدا) أقول قد هنا للتحقيق واليقين وليست للشك كما قد يُتوهم من ظاهر العبارة. إذ لاختلاف أن التأكيد يتبع المؤكد كما يتبع العطف المعطوف عليه.

باب منصوبات الأسماء

فالأول (المفعولُ به) (مصدرٌ) قر
(تمييز) (مستثنى) كما في الاستعمال
من أجله (المفعول معه) ذا منقول
و (اسم لأن) الأخوات بعدها
(توكيد) (البدل) ثم (الوصف)
وانصب من الأسماء (خمسة عشر)
(ظرفُ الزمان و المكان مع الحال)
واسم ل (لا) (الاسم النادى و المفعول
(خبر كان) الأخوات مثلها
(تابع) المنصوب (نعت) (عطف)

باب المفعول به

وانصب بفعل قبله فاعتن به
الفرس . (الضمائر) الآن تلوت
ضربني ضربا واستفسرا
ضربكما ضربهما غلبه
(ضمائر المنفصل) اثنا عشر
إياك قل إياكما استعلما
إياه إياها إياهما نعا
والآن نأتي بتعريف المصدر
والنصب واقع على المفعول به
ف (ظاهر) ضربتُ زيدا قل علوت
(متصل الضمائر) اثنا عشر
ضربك أيضا وقل أنت ضربه
ضربهم ضربهن أمرا
إياي إيانا إياك أكرما
إياكمو كذا إياكن دعا
إياهمو أيضا إياهن اخبر

باب المصدر

في صرف الأفعال هنا يا حارث
وهو (لفظي) أو (معنوي) اخصصا
قتله قتلا جزاء المثل
وفيه معناه بغير شكله
فافهم تصل واحرص على ما ثبتا
(المصدر المنصوب) فهو الثالث
ضربه يضربه ضربا بالعصا
ف (اللفظي) ما فيه حروف الفعل
(معنوي) بدون حرفه فعله
كقوله قمت وقوفا يا فتى

باب ظرف الزمان و المكان

قدّر لفي الظرفية هنا تُعَانُ
وسحرا غدا لكم ذي خبره
أبدا الأمد حيننا واستمر
قدامه وراء فوق تحته
هنا و ثم والتشبيه جاء
ظرف الزمان و المكان ينصبان
كاليوم ليلة وغدوه بكره
عمّة صباحا المسا حضر
(ظرف المكان) كأمام خلفه
وعند مع إزاء خذا تلقاء

باب الحال

مفسرا كجاء زيد ركبنا
صاحبه معرفة بلا ملام
الحال نصبه يكون واجبا
(نكرة بعد تمام للكلام

باب التمييز

كانصب زيد عرقا ذا رشحات
وزيد أكرم أبا بلا جدال
وخاتما للجملّة) المقررة
وينصب التمييز فسّر الذوات
ملكّت ذي التسعين نعمة حلال
وشاع في التمييز (لفظ النكرة

باب الإستثناء وأدواته

(إلا وغير سوى) تبيانيه
واستن ناصبا بلا مابدا
رووه إلا واحدا يا سامي
ك (ما أتى آت إلا السلامي)
ما قام إلا واحدا كامل
حروف الاستثناء هي (ثمانية)
(سوى سواء وخلا حاشا عدا)
في حالة الإيجاب والتمام
وجهان في النفي مع التمام
وناقص الكلام حسب العامل

ما كنت إلا في المكان يا عمر
سوى سواء) فعلى الجر احتوى
حاشا) بنصب أو يجر باقتدا
وما أرى إلا سعيـدا ينتظر
وكل مستثنى بـ (غير وسوى
وما يؤدي بـ (خلا كذا عدا

باب لا

فتنصب الاسم وترفع الخبر
لا) علم لي .و(الفصل) رفعه مبين
لا) في المكان رجل ولا صبي
اعلم بأن لا) فحكمها اشتهر
تباشر التنكير من غير تـيـوين
وإن تشأ الرفع فلا ترتب

باب المنادى

(مفرد الأعلام) و(تنكير قصد)
(شبه المضاف) آخر بلا خلاف
بلا تنوين الضمة الموجوده
قل: (ربنا اغفر لي) (أعالما بيا)
اسم المنادى خمسة في المعتمد
(نكرة من غير قصد) (المضاف)
فالعلم نكرة المقصوده
وما بقي بنصبه يا داعيا

باب المفعول لأجله

فاعرفه واعلم حكمه لتعربه
وعلة لفعله بلا عجب
و (جئتك ابتغاء عرفك) اشتهر
كذلك مفعول من أجله انصبه
بنصب الاسم مع تبيان السبب
ك (قام زيد احتراماً لعمر)

باب المفعول معه

فتنصب اسمه وذهنك اجمعه
وذا نهاية لتنصب الاسما
وهاك إعراباً لمفعول معه
بين من أتى بفعل أسمى

الماء وأخشاباً لبسُّ المرتوى كجاءنا الأمير والجيش استوى
أسماء إن والتوابع احتذا تقدمت أخبارا كان وكذا

باب مخفوضات الأسماء

(مخفوض مذ منذ و أحرف مضت) مخفوض الاسم هو أقسام أتت
مخالف النحو كلامه مرفوض وب (الإضافة) و (تابع المخفوض)
نحو غلام زيد انصح الإسلام (خفض المضاف) إن تقدره باللام
وذا أتتها المقصود إن تسع تفز (وما يقدر بمن) كثوب خز

الخاتمة

نثر ابن آجروم سامي الذكر وقد ختمت هذا النثر
وأربع مئات ألف مشتهر تاريخ ذا في عامنا الثامن عشر
من هجرة لأحمد المبعشر مبدا ذا تاريخنا المقرر
والطف بنا ربّ إلى الختام صلى عليه الله بالدوام
ومائة ختامها دعاء أمين أبياتها تسع تضاف للسبعين

الكتاب السابع

في بيان الفتوحات الإسلامية والمغرب العربي

ويتضمن ذكر مراحل الفتح الإسلامي للغرب العربي وذكر بعض الدول المتعاقبة على المنطقة

الفصل الأول في الفتح الإسلامي والدول القائمة في المغرب العربي

الفتوحات الإسلامية

عندما انتهت حروب الردة كان لا بد من العودة لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في نشر الدعوة الإسلامية وتكملة ما بدأ فيه فبعدهما أرسل جيش أسامة بن زيد لحرب الروم تابع الخليفة الأول سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ما كان قد بدأ به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأرسل الجيوش الإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية ومحاربة الدولتين القويتين آنذاك الفرس على الجبهة الشرقية والروم على الجبهة الغربية وتابع هذا الأمر من بعده خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي توسعت رقعة الفتح في عهده بعد الانتصارات التي حققها المسلمون في كبريات المعارك والتي شكلت المفصل الأساسي لبدء سقوطها تين الدولتين كمعركة اليرموك وفتح القدس على جبهة الروم ومعركة القادسية وفتح نهاوند على جبهة الفرس وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يتوقف الفتح بل أخذ طابع بسط السلطة الإسلامية في البلاد المفتوحة وإخضاع بعض الذين حاولوا الخروج عن الاتفاقات المعقودة مع المسلمين إضافة إلى بعض الفتوحات على الجبهتين . وفي آخر سنتين من خلافة عثمان وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما توقف الفتح وانشغل الناس بالفتنة التي اندلعت إلى أن استلم الحكم بنو أمية . وعلى ذلك يمكننا تقسيم جبهات الفتح على الشكل التالي :

فتح الشرق

(قال) أما (فتح بلاد الشام) فبعد أن أنهى الخليفة أبو بكر الصديق حروب الردة بالقضاء عليهم سير جيشاً كبيراً باتجاه بلاد الشام وكان قد قسمه إلى خمسة أقسام ووضع على رأس كل قسم قائد وهم:

- 1- يزيد بن أبي سفيان إلى دمشق .
- 2- عمرو بن العاص إلى فلسطين .
- 3- شرحبيل بن حسنة إلى الأردن .
- 4- أبو عبيدة بن الجراح إلى حمص .
- 5- عكرمة بن أبي جهل كان مساعداً للجميع . وقد

اجتمعت فرق الجيش الإسلامي تحت إمرة خالد بن الوليد عندما أمره الخليفة أبو بكر بترك العراق والتوجه إلى بلاد الشام ليقود الجيش الإسلامي ضد الروم، فقاد خالد في معركة اليرموك وانتصر على الروم انتصاراً كبيراً وكان ذلك في عام 13 هـ. وبعد وفاة الخليفة أبو بكر وتسلم عمر بن الخطاب كلف أبا عبيدة بن الجراح أمانة الجيش الإسلامي وتابع الجيش الإسلامي زحفه نحو الشمال ففتح دمشق في رجب عام 14 هـ. ثم بعث أبا عبيدة شرحبيل بن حسنة لفتح الأردن وعمر بن العاص إلى فلسطين وانتقل أبو عبيدة إلى فتح حمص وساعده في ذلك خالد بن الوليد الذي فتح البقاع وعلبك وساهم في فتح مدينة حمص، ثم انتقل خالد إلى فتح قنسرين وكان يزيد بن أبي سفيان قد أرسل أخاه معاوية بن أبي سفيان لفتح ساحل الشام ففتحها كلها بإذن الله. وسير الخليفة عمر عياض بن غنم من العراق لفتح الجزيرة شمال سوريا ففتحها وأما عمرو بن العاص فكان يحارب الأرواطيون في أجنادين بفلسطين وانتصر عليهم ثم انتقل إلى القدس ليحاصرها ولقيه هناك أبو عبيدة بن الجراح، وفتح القدس الخليفة عمر بن الخطاب بعد أن صالح أهلها وأخرجوا الروم من داخلها وأما فتح العراق وبلاد فارس فكان الفرس يسيطرون على مناطق واسعة من البلاد العربية المتاخمة لشبه الجزيرة العربية وكانت طيء على رأس القبائل العربية التي دخلت الإسلام وكان على رأسها المشنى بن حارثة الشيباني. فطلب من أبي بكر أن يؤمره على القبائل العربية وأن يناوش الفرس الذين يدعمون بعض القبائل الأخرى فيقومون بالاعتداءات المتكررة على القبائل المسلمة إلى أن تجمع الفرس في جيش كبير وجمعوا معهم بعض القبائل العربية غير المسلمة. فطلب الحارثة من الخليفة أبو بكر المدد، فأرسل له خالد بن الوليد الذي خرج من حروب الردة منتصراً فسيره الخليفة إلى العراق لدعم المشنى وكان ذلك مطلع عام 12 هـ، وكان أول ما فتح في طريقه الحيرة وكان عليها من قبل الفرس «هانيء بن قبيصة الطائي» بعد ذلك التقى خالد بالمشنى فوحد الجيش وانتصر على قائد الفرس «هرمز» وقتله في معركة كبيرة عرفت باسم «ذات السلاسل» لأن بعض صفوف الفرس ربطوا بعضهم بالسلاسل. بعده هذه الهزيمة التي لحقت بالفرس أرسل أردشير جيشاً بقيادة قريانس لمواجهة المسلمين وكانت معركة المذار التي تكبد فيها الفرس خسائر فادحة. كذلك أعاد الفرس جمع فلولهم بقيادة «الأندر زعر» فسار إليهم خالد وهزمهم في معركة الدلجة. ثم في معركة «اليسر» ثم انتقل خالد إلى شمال العراق وترك على الحيرة

القعقاع بن عمر، خرج يريد دعم عياض بن غنم ثم تالت المدن على الإستسلام فكانت الفلوجة وكر بلاء ثم نزل الأنبار ثم أخذ دومة الجندل بعدما اختلف أهلها فيما بينهم. ثم جمع جيشه بالحيرة مجدداً وتركها وعليها عياض بن غنم وسار إلى أعداءه في معركة كبيرة وهي معركة القراض والتي راح ضحيتها مائة ألف مقاتل من الفرس. بعدها رجع خالد إلى الحيرة ومنها إلى الحج وبعد عودته جاء قرار نقله من العراق إلى بلاد الشام لقيادة جيش الإسلام هناك بعدما أظهر عن قدرة باهرة في قيادة الجيش الإسلامي بالعراق وحقق الكثير من الانتصارات للمسلمين. وقد استخلف مكانه المثنى بن حارثة. عند ذلك شعر الفرس بقلّة من بقي من جيش المسلمين بالعراق فأرادوا النيل منهم وطردهم من العراق، فأرسل شهربار ملك الفرس جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل فواجههم المثنى مع جيشه واتصر عليهم انتصاراً باهراً. بعد هذا الانتصار خاف المثنى من الفرس إذ علم أنهم يحشدون للمسلمين لقتالهم. فطلب المدد من مركز القيادة في المدينة، إلا أن المدد قد تأخر، فقد كان المسلمون منشغلون بفتح الشام الأمر الذي جعل المثنى يسير بنفسه إلى المدينة خشية أن يسبقه الفرس. فلما وصل المدينة المنورة وجد أبا بكر في آخر حياته وقد استخلف عمراً من بعده. فلما رأى أبو بكر المثنى قال لعمر: «إذا أنا مت فلا تمسّين حتى تندب الناس لحرب أهل العراق مع المثنى، وإذا فتح الله على أمرائنا الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنهم أعلم بحربه». وهذا ما حصل فقد عين عمر على رأس المجاهدين إلى العراق أبا عبيد بن مسعود الثقفي الذي كان أول من لبى نداء الجهاد وطلب منه أن يستشر الصحابة الذين معه. وكتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح قائد الجيش الإسلامي في الشام عقب اليرموك أن يعيد إلى العراق من كان به من أصحاب خالد فسيّرهم أبو عبيدة بقيادة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص. ثم أرسل عمر مدداً آخر بقيادة جرير بن عبد الله البجلي الذي سار متجهاً نحو الكوفة ففتحها (قلت) وهكذا إلى آخره وراجع التفاصيل والبقية في المطولات.

فتح الشمال الإفريقي

بما أنني أذكر نسبنا الموجود في المغرب العربي وبما أن وطننا الغالي: الجزائر هو جزء لا يتجزأ من المغرب العربي فلا بد من إشارة إلى فتح هذه المناطق المغاربية وما نشأ فيها قديماً من دويلات نعرف مجرى التاريخ وعليه فأقول جاء في موسوعة التاريخ الإسلامي قولها:

المغرب الإسلامى

إن المغرب الإسلامى يمثل الجناح الغربى لأقاليم الدولة الإسلامية وقد أسهم منذ اعتناق أبنائه الإسلام فى بناء صرح الحضارة الإسلامية، ويمتد من برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسى غرباً ويطل على البحر المتوسط شمالاً. وقد استخدم بعض المؤرخين لفظة المغرب بمعناها العام على المنطقة الواقعة غرب مصر والممتدة من برقة حتى المحيط الأطلسى بينما أطلق آخرون لفظة المغرب على أقاليم بعينها، ولذا قسموا المغرب إلى ثلاثة أقاليم متميزة هى: 1- المغرب الأدنى ويسمى إفريقية وهو تونس وكانت قاعدته فى صدر الإسلام مدينة القيروان وقد اشتمل هذا الإقليم قديماً على عدة مدن منها: «باجة» و«بونة» و«بنزرت» و«قسطيلة» و«صفاقس» و«قفصة» و«تونس» و«سوسة»، وغيرها من المدن. 2- المغرب الأوسط وهو الجزائر ويمتد من «بجاية» إلى «وادي ملوية»، وقاعدته مدينة «تلمسان»، ويشتمل قديماً على عدة مدن منها: "مزقنه" و«تنس» و«جيجل» و«القلعة» و«المسيلة» و«طنبة» و«مليلة»، وغيرها من المدن 3- المغرب الأقصى ويمتد من «وادي ملوية» و«جبال تازا» حتى «المحيط الأطلسى» وقاعدته مدينة «فاس» ثم «مراكش»، ويشتمل قديماً على عدة مدن منها: «فاس» و«مكناسة» و«سلا» و«درعة»

(قال) وكان لمظاهر السطح المغاربي فى طول بلاد المغرب العربى دورٌ ذا أثر فى التاريخ السياسى للمنطقة بما اشتمل عليه من سهول ساحلية، وأودية وجبال وصحراء ممتدة وقد ظهر تأثير هذا فى عملية الفتح الإسلامى للمغرب. إذ استغرق نحو سبعين سنة وينقسم سطح المغرب العربى إلى ثلاث مناطق متميزة وهى:

1- المنطقة الساحلية: وهى المنطقة المطلية على «البحر المتوسط» و«المحيط الأطلسى» ويفصلها عن الداخل سلسلة «جبال أطلس» التى تمتد من أقصى الغرب متجهة إلى الشرق. وتختلف المنطقة الساحلية ضيقاً واتساعاً تبعاً لاقتراب الجبال من البحر أو بعدها عنه، فقامت تجمعات سكانية فى المناطق الساحلية الواسعة، وساعدتها الظروف الطبيعية والأرض الخصبة والمناخ المعتدل على إقامة زراعة ناجحة، تبح عنها نمو اقتصادى، فأصبحت هذه المناطق

مطمعاً للمستعمرين من «الرومان» و«الوندال» و«البيزنطيين»؛ حيث أقاموا في هذه المناطق وأسسوا بها المدن والقواعد العسكرية إلى جانب السهل الساحلي توجد منطقة سهول داخلية، تكونت حول مجارى الأنهار التي أسهمت إسهاماً بارزاً في مدد السكان بما يلزمهم من المياه، وربطت إقليم الساحل بالمناطق الداخلية؛ ولعل أبرز هذه السهول: سهل «شادية» و«دكالة» بالمغرب الأقصى، وسهل «وادي شلف» بالجزائر، وسهل «وادي مجردة» بتونس .

2 - منطقة الجبال: مثلت منطقة الجبال حاجزاً طبيعياً بين منطقة السهول ومنطقة الصحراء، وقد وصفها «ابن خلدون» بقوله: «بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمورة بما أعرق في الثرى أصلها وذهبت في السماء فروعها، ومدت في الجو هياكلها . ومثلت سياجاً على ريف المغرب سطورها . وتبتدى من ساحل البحر المحيط عند آسفى وما يليها، وتذهب في المشرق إلى غير نهاية» . وتبرز أهمية هذه الجبال في الدور الذي لعبته في تاريخ هذه البلاد؛ حيث وقفت سداً منيعاً في وجه الطامعين من «الفينيقيين» و«الرومان» و«الوندال» وغيرهم . وقد حصرت جبال «أطلس التل» و«الأطلس الصحراوي» هضبة امتلأت بالمرعى، فاستغلها السكان في تنمية ثرواتهم الحيوانية بالمغرب الأوسط، ويُطلق عليها: «منطقة الشطوط» . 3 - منطقة الصحراء: وتنقسم إلى عدة أجزاء، أولها: منطقة «الواحات»، وهي المنطقة التي تلى منطقة الجبال، وتمتد من «مصر» شرقاً حتى «وادي درعة» في جنوب «المغرب الأقصى» . وتعود أهمية هذه المنطقة إلى كونها حلقة الاتصال بين الأقاليم المختلفة بالمغرب، كما كانت طريق القوافل والحجاج، لتوفر آبار المياه بها، وتمتعها بالأمن الذي وفرته القبائل المقيمة بهذه المنطقة نظير بعض المال، وقصر المسافة التي تقطعها القوافل إذا قيست بطريق الساحل المحفوف بالمخاطر . وتلى منطقة «القبلات» منطقة «الواحات» من الناحية الجنوبية وهي آخر العمران في الصحراء، وتضم: «فزان» في «ليبيا»، و«بسكرة» في «الجزائر» و«سجلماسة» في «المغرب الأقصى» وتمتعت «القبلات» بمركز تجارى بارز حيث كانت ملتقى قوافل التجارة الآتية من الشمال أو من جنوب الصحراء الكبرى . ثم تلت "منطقة رمال الصحراء" المعروفة بالعرق منطقة «القبلات» وهي بداية الصحراء الكبرى التي تنعدم فيها الحياة وتخللها الهضاب المرتفعة

المعروفة باسم: «الحمارات» وقد أُطلق على هذه المنطقة اسم «مناطق الموت» نظراً إلى انعدام مظاهر الحياة بها .

سكان المغرب قبل الفتح الإسلامي

عاش بالمغرب قبل الفتح الإسلامي ثلاثة أقطار من السكان، لكل منها سماته ومميزاته وهى (1) الروم: وهم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلى للمغرب إذ لم تكنهم طبيعة البلاد وصعوبة الحياة بها من التوغل إلى داخلها فضلاً عن بغض القبائل لسلطة المستعمرين واستقر بعض هؤلاء الروم هناك واشتغلوا بالتجارة وزرعوا الأرض، إلى جانب عملهم بالإدارة الحكومية .

(2) الأفارقة وهم خليط من بقايا الأمم التى احتلت بلاد المغرب من الرومان والوندال وغيرهم وهم ليسوا من البربر ولكنهم انصهروا فى حياتهم الجديدة بمدن المغرب واستقروا بها واختلطوا بالتحضرين من البربر، ولم تكن تجمعهم بأهالى البلاد إلا الحياة المشتركة، المرتبطة بأسباب المعيشة .

(3) البربر: وهم الغالبية العظمى من سكان بلاد المغرب وأصحاب البلاد الأصليين، وقد تصدوا للفتح الإسلامى فى أول الأمر ثم لم يلبثوا أن ساندوه بعد أن اختلطوا بالمسلمين وعرفوا الدعوة الإسلامية ومبادئها السامية، فأقبلوا على الإسلام وآمنوا به وحملوا رايته إلى «الأندلس» مبشرين به ومدافعين عنه .

حالة المغرب قبل الفتح الإسلامي

تعرض إقليم المغرب قبل الفتح الإسلامى لموجات من الغزو الرومانى والوندالى والبيزنطى، وعاشت المنطقة فى ظل سلطة أجنبية حاولت صبغها بحضارتها وأسلوبها فى الحياة على النحو الآتى:

(1) الحكم الرومانى للمغرب: بدأ أول اتصال بين المغرب والرومان حين استولى الرومان على «إفريقية» فى سنة (146 ق.م)، ثم على «نوميديا» فى سنة (46 ق.م)، واتجه الرومان منذ وطئت أقدامهم هذه البلاد إلى بناء المدن على السواحل وفى الداخل؛ لانتهازها مراكز وقواعد لإقامة الحاميات الرومانية وحكام الولايات، وقد تضمنت هذه المدن بين جنباتها كثيراً من المنشآت والمعابد والساحات والملاعب وغيرها، ويتضح ذلك فى مدينة ولىلى التى بناها الرومان على رأس

جبل، وجعلوا لها أبواباً عالية واسعة، ويبلغ طول سورها نحو ستة أميال، وقد حوت هذه المدينة آثاراً وأبقاضاً كثيرة، ترسم صورة لمعالم الحضارة الرومانية التي كانت قائمة في تلك المنطقة، وقد حاول الرومان نشر حضارتهم ولغتهم وديانتهم بين أهل المدن من البربر، وبخاصة الذين كانوا يعملون بمزارعهم وضياعهم، لكنهم لم يجدوا استجابة لحاولاتهم، ولم تتمكن الحضارة الرومانية من فرض نفسها بصورة واضحة على البربر، خاصة في الداخل، حيث تضعف السيطرة الرومانية.

(2) الحكم الوندالي للمغرب: خلف الوندال الرومان في احتلال بلاد المغرب سنة (429هـ) ولم يكونوا أهل حضارة بل كانوا شعباً همجياً، عُرف بوحشيته وقسوته، فاهتم حكامه بفرض الضرائب التي أثقلت كاهل المغريين وجمعها، فضلاً عن ذلك فقد خرب القائد الوندالي «جنعديك» القلاع والحصون في المدن المغربية باستثناء «قرطاجنة» العاصمة، حتى لا يتحصن بها البربر ويشقوا عصا الطاعة على الوندال، ومن ثم لم يخلف الوندال آثاراً حضارية بالمغرب، وكان حكمهم بمثابة سحابة سوداء جثمت قرناً من الزمان على أرض المغرب.

(3) الحكم البيزنطي للمغرب حيث قامت الإمبراطورية البيزنطية على أنقاض الإمبراطورية الرومانية فاستعاد البيزنطيون الحكم في بلاد المغرب في سنة (533م)، واهتموا بالعمارة وأنشؤا القصور والكنائس والحصون، ذات الطابع البيزنطي، التي تأثر بها المسلمون في إنشاء مساجدهم، واستخدموا ما تبقى من آثارهم في تشييد أبنيتهم، ومع ذلك لم تختلف سياسة البيزنطيين عن سابقيهم، ففرضوا الضرائب، وتعسفوا في جمعها، وانصرفت جهود حكامهم إلى جمع الأموال بكل السبل، فأدى ذلك إلى تخلي المزارعين عن أراضيهم، واضطر التجار إلى إغلاق متاجرهم، واتجه كثير من الناس إلى السلب والنهب، مما أدى إلى قيام العديد من الثورات ضد هذا الظلم. ولقد تركت هذه الأمم بصماتها على حياة البربر، وخاصة في المدن والمناطق الساحلية، كما تأثر الشعب المغربي بحضاراتهم على مراحل متعاقبة من الزمن. ومما سبق نلمس تركز الإدارة الأجنبية بقواتها في منطقة الساحل، وحرص هذه الإدارة على الاستفادة بقدر ما تستطيع من خبرات البلاد، ولعل هذا يفسر مدى مقاومة المغاربة للعرب، الذين مكثوا سبعين

سنة فى محاولات دائبة ومستمرة لفتحها، إذ عدّوهم أجانب مثل غيرهم من الرومان والوندال فقاوموهم كل هذه الفترة مقاومة شديدة .

مراحل الفتح الإسلامى للمغرب العربى

بعد أن فتحت مصر على يد القائد «عمر بن العاص» سنة (21هـ / 642م)، كان من الطبيعى أن يمتد هذا الفتح تجاه المغرب فى «برقة» و«طرابلس» باعتبارهما الامتداد الجغرافى الطبيعى للمنطقة، وإلى رغبة المسلمين فى تخليص هذه الشعوب من قبضة المستعمرين، وإتاحة الفرصة أمامها لتعرف الدين الإسلامى للدخول فيه والإيمان به . وقد مرّ الفتح الإسلامى لهذه البلاد بعدة مراحل هى :

المرحلة الأولى مرحلة عمرو بن العاص

المرحلة الأولى وهى مرحلة الاستطلاع وتبدأ من سنة (21هـ / 642م) إلى سنة (49هـ / 669م) وتشمل هذه المرحلة جهود ثلاثة من قادة الفتح الإسلامى وهم :

(1) عمرو بن العاص وهو القائد العسكرى الخبير الذى أعلن إسلامه فى العام الثامن الهجرى، وشارك بدور بارز فى النشاط العسكرى للمسلمين فى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم)، وعهد «أبى بكر الصديق»، فلما تولى «عمر بن الخطاب» أمور الخلافة أسند إليه بعض المهام العسكارية، ومنها فتح «مصر»، فلما فرغ من ذلك توجه بقواته إلى مدينة «برقة» فاستسلمت للقائد المسلم دون قتال، ووافقت على شروطه ودخل بعض أبنائها فى الإسلام وارتضى بعضها الآخر دفع الجزية مقابل الاحتفاظ بعقيدته وكان أغلب سكان هذه المدينة من قبيلة «لواته» البترية . فلما اطمأن «عمرو» إلى استقرار الأوضاع ببرقة قسّم قواته إلى جزئين، وخرج على رأس أحدهما نحو «طرابلس»، وبعث بالجزء الثانى إلى «زويلة» و«الواحات الداخلىة»، حتى لا يكون الفتح مقصوراً على الشريط الساحلى فحسب ولكى يأمن الهجوم عليه من الخلف وقد دل عمرو بن العاص بذلك على براعة عسكارية وخبرة بفتون القيادة ومعرفة بأحوال المنطقة وطبيعتها . كانت «طرابلس» مدينة حصينة ذات أسوار عالية فحاصرها فترة ثم تمكن من فتحها بعد صدام لم يطل مع القوة البيزنطية الموجودة بالمدينة، ولم يمكث «عمرو» طويلاً بعد أن تم له فتح

«طرابلس»، وسارع بإرسال جزء من جيشه إلى مدينة «سبرت» لمفاجأتها قبل أن تستعد لملاقاته، وفوجئ أهلها بالمسلمين على أبواب مدينتهم، فسقطت دون عناء. وكان يمكن لعمر وبن العاص أن يمضى فى مسيرته ليفتح إفريقيا، لكنه لم يكن ليفعل ذلك دون استئذان الخليفة «عمر بن الخطاب» ومشاورته فبعث إليه برسالة جاء فيها: «إن الله قد فتح علينا طرابلس، وليس بينها وبين إفريقيا إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها، ويفتحها الله على يديه فعل». ولكن الخليفة رفض رغبة «عمر وبن العاص» فى استمرار الفتح، لحرصه على حياة الجنود، وعدم التَّجِّبهم فى ميادين بعيدة عن مقر الخلافة، خاصة وأن الخليفة «عمر بن الخطاب» كان على علم ودراية بأحوال إفريقيا، ولديه انطباع بأنها تمثل خطورة شديدة على الجيش الفاتح لكثرة ثوراتها واشتعال الفتن والقتال بها من حين إلى آخر، ولذا توقف الفتح ورجع «عمر وبن العاص» إلى «مصر» قبل منتصف سنة (23هـ / 644م)، بعد أن مهَّد الطريق لمن سيأتى بعده.

(2) عبد الله بن سعد بن أبى السرح أحد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسلم قبل الفتح الإسلامى بمكة، وتولى إمارة «مصر» فى سنة (25هـ / 646م) خلفاً لعمر وبن العاص فأخذ يصرف أمورها ويدبر شؤونها، ويبعث بالسرايا للإغارة على أطراف إفريقيا، ولكنه شعر أن هذه السرايا لم تعد كافية لتأمين الحدود الغربية لمصر، فبعث إلى الخليفة «عثمان بن عفان» يستأذنه فى الخروج على رأس حملة عسكرية تجاه إفريقيا لتأمين «مصر» والمسلمين من الخطر البيزنطى المسيطر على إفريقيا، فتشاور الخليفة مع من حوله، ووافق على مطلب «ابن أبى السرح» وأمدّه بجيش كبير، ضم نخبة من الصحابة والتابعين بقيادة «الحريث بن الحكم»، فلما وصل «مصر» انضم إلى قوات عبد الله بن أبى السرح فصارت نحو عشرين ألفاً، وانطلق بها إلى إفريقيا التى كانت تحت حكم القائد البيزنطى «جريجوريوس» المعروف باسم «جرجير» فى المصادر العربية. استعد هذا القائد استعداداً جيداً لملاقاة المسلمين، وتحصن فى مدينة «سبيطلة» وعسكر المسلمون فى بلدة «قمونية» التى تبعد بضعة أميال عن مدينة «سبيطلة»، ثم بدأت المفاوضات بين الطرفين، وعرض المسلمون شروطهم كما أمر الإسلام، وهى: الإسلام، أو الجزية أو القتال، ولكن المفاوضات فشلت، وفشل معها الحل السلمى، وبدأت المناوشات

العسكرية بين الطرفين، وشعر المسلمون بقوة البيزنطيين؛ لقوة تحصيناتهم وكثرة عدد جنودهم وحين
ظنوا أن النصر لن يحالفهم أقبل عليهم «عبدالله بن الزبير» بمدد من «المدينة» كان له أثر فى
تحقيق النصر للمسلمين، ففتحوا مدينة «سبيطلة» وقتلوا القائد البيزنطى «جرجير»، وتمكوا من
الاستيلاء على المعقل والحصون، وجمعوا مغنم كثيرة، حتى إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار
(للفرس ألفا دينار، ولفارسه ألف) وللراجل ألف وكان من المتوقع بعد هذا النصر العظيم أن يواصل
المسلمون زحفهم صوب «المغرب الأوسط أي الجزائر»، إلا أن «عبدالله بن أبى السرح» قرر فجأة
العودة بجنده إلى «مصر»، ولعل الذى دعاه إلى ذلك ما علمه من تأهب البيزنطيين واستعدادهم
لخوض معركة شرسة ضد المسلمين انتقاماً لمقتل «جرجير» وسقوط «سبيطلة»، فأثر عدم
المخاطرة بجنوده، واكفى بما حقق، خاصة أن المسلمين لم تكن لهم قاعدة عسكرية قريبة
يلجأون إليها عند الحاجة، ولذا عاد بجيشه إلى «مصر». ثم توقف النشاط العسكرى فى
إفريقية بعد ذلك لتوالى الأحداث وتلاحقها فى المشرق، حيث ثار بعض الخارجين على الخليفة
«عثمان بن عفان»، وانتهى الأمر باستشهاده، فخلفه الإمام «على بن أبى طالب»، ولم يلبث أن
استشهد هو أيضاً، فتولى «معاوية بن أبى سفيان» خلافة المسلمين.

(3) معاوية بن حديج: أدرك «معاوية بن أبى سفيان» أهمية إفريقية من الناحية
الاقتصادية ودورها المؤثر فى البحر المتوسط، فضلا عن موقعها الجاور لمصر الإسلامية، فأرسل
«معاوية بن حديج» على رأس جيش لمتابعة الجهاد فى إفريقية، فخرج إليها سنة (45هـ
/665م)، والتقى بالبيزنطيين عند «قمونية»، ودار قتال مرير بينهما أسفر عن انتصار كبير
للمسلمين، وقتل كثير من البيزنطيين، ثم مضى المسلمون نحو «جلولاء» واستولوا عليها بعد قتال
شديد. وإلى هنا تنتهى المرحلة الأولى من مراحل الفتح التى أُطلق عليها: «مرحلة الاستطلاع»،
وترجع أهميتها إلى أنها مكنت المسلمين من الاحتكاك بالبربر على أرض «المغرب»، ومعرفة
أحوال هذه البلاد، مما كان له أثر فى إقبال بعض سكان المنطقة من البربر وبخاصة فى «برقة»
على الإسلام.

المرحلة الثانية مرحلة عقبة بن نافع

المرحلة الثانية وهى مرحلة الارتكاز والانتشار، وتمتد من سنة (50هـ / 670م) إلى سنة (64هـ / 684م)، وتتضمن ولايتى: «عقبة بن نافع» الأولى والثانية، وولاية: «أبى المهاجر دينار» (1) فأما عقبة بن نافع: فقد تولى إمرة الجيش فى سنة (50هـ / 670م) وتوجه إلى إفريقية، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يتوجه فيها إلى إفريقية؛ إذ إنه اشترك من قبل فى حملة «عمر وبن العاص» على «برقة»، وتولى فتح المناطق الداخلية بها، وأقام فيها فترة، ونشر الإسلام بين سكانها، فأكسبه ذلك خبرة ومعرفة بأوضاع البلاد وحالة سكانها. انطلق «عقبة» على رأس قواته التى بلغت عشرة آلاف مقاتل إلى إفريقية، متخذاً الطريق الداخلى، ومبتعداً عن الطريق الساحلى لكثرة القلاع والحصون البيزنطية على الساحل، ولرغبته فى استخدام عنصر المفاجأة مع سكان الواحات، لتحقيق نصر سريع فتحقق له ما أراد، واستولى على كثير من المدن والقلاع والحصون مثل: «ودن»، و«جرمة» و«قصور فزان»، و«خادار»، و«غدامس»، كما استولى على مدينتى «قنصة» و«قصطيلية». ثم رأى «عقبة» أن أفضل طريقة لتثبيت الفتح الإسلامى فى هذه المنطقة هو بناء مدينة يسكنها الناس تصبح قاعدة عسكرية، وتكون مركزاً للأعمال الفتح القادمة، فوقع اختياره على مكان مدينة «القيروان»، وكان وادياً كثير الشجر، تأوى إليه السباع والوحوش والهوام، فأعده هو ومن معه من المسلمين وبنى به مسجداً وداراً للإمارة، ثم بنى الناس دورهم حول المسجد، وظلت عمليات البناء هذه حتى سنة (55هـ / 675م). وتجلت عبقرية «عقبة» فى حسن اختياره لمكان المدينة إذ توافر فيه البعد الكافى عن شواطئ البحر المتوسط لىأمن المسلمون غارات الأسطول البيزنطى المتكررة، والقرب من قبائل البربر ووسط معاقليهم، وهى خطوة عملية فى سبيل اجتذابهم إلى الدين الإسلامى، واندماجهم مع العرب الفاتحين، يضاف إلى ذلك أن موقع «القيروان» كان على الطرق الموصلة إلى «مصر»، وبذلك ضمن «عقبة» سلامة خطوط إمداده من «مصر»، ولكنه لم يستمر ليبنى ثمره جهوده، إذ تم عزله، وتولى «أبو المهاجر دينار» إمارة الجيوش وولاية المغرب بدلاً منه. وقد أقبل «أبو المهاجر» على «القيروان»، وكره المقام فيها، فاخطب لجنوده معسكراً يبعد عنها نحو ميلين، ثم أقام به، وأخذ

يوجه نشاطه الديني والعسكري منه، ويروى أنه خرج على رأس حملة كبيرة وصلت إلى مدينة «تلمسان»، كما فتح «جزيرة شريك»، وعامل البربر بمودة وعرفهم بحقيقة الدين الإسلامي وعمل على نشره بينهم، ولم يستمر «أبو المهاجر» طويلاً؛ إذ تم عزله، وعوض بـ «عقبة بن نافع» مرة ثانية وعاد «عقبة» إلى المغرب ثانية في سنة (62هـ/682م)، بقرار من الخليفة «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان»، وقد اختلفت ولايته الثانية عن سابقتها؛ إذ بينما تميزت ولايته الأولى ببعض الأعمال العسكرية الداخلية في «إقليم الواحات»، وقضاء الشطر الأكبر منها في تأسيس مدينة «القيروان» وتعميرها، نراه في ولايته الثانية يقوم بغزوة كبرى، يصل فيها إلى شواطئ «المحيط الأطلسي»، وقد انطلق عبر الطريق الداخلي بعيداً عن الساحل، ودخل في معارك عنيفة مع الروم حتى أجبرهم على الفرار، وتمكن من فتح أمنع حصونهم مثل: «لميس»، و«باغاية»، ثم فتح «أذنة» قاعدة «الزاب»، واستولى على مغانم كثيرة منها، بعد معارك ضارية مع أهلها، ثم اتخذ طريق الساحل ليترك أبواب «المغرب الأقصى»، وتم له ذلك، فكان أول فاتح عربي تطأ قدمه هذا الإقليم، فبادر «بطنجة» أهم مدن الإقليم، فأسرع حاكمها «يليان»، وقدم فروض الطاعة لعقبة مع كثير من الهدايا والتحف، فانطلق «عقبة» عقب ذلك إلى مدينة «وليلي» ومنها إلى بلاد «درعة» و«السوس» والتقى هناك مع جموع البربر في معركة حامية، وتمكن من هزيمتهم، وواصل مسيرته حتى بلغ المحيط. ولم ينس خلال كل هذه الأحداث الهدف الأسمى الذي خرج من أجل تحقيقه، فبنى مسجداً بالسوس وآخر بدرعة وجعل بهما بعض فقهاء المسلمين ودعاتهم، لتعليم سكان هذه البلاد قواعد الدين الجديد، ثم أذن «عقبة» لجزء كبير من قواته بالعودة إلى «القيروان» لطمأنة أهاليهم، بعد غياب استمر ما يقرب من عام، وبقي «عقبة» مع الجزء المتبقى من الجيش، وكان عدده نحو خمسة آلاف مقاتل واستعان يومها «كسيلة» زعيم البربر بالروم على العرب الفاتحين، وأعد كل منهما عدته وجنوده لملاقاتهم، ثم قطعوا خط الرجعة على «عقبة» ومن معه عند «سهل تهودة»، فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً، واستشهد «عقبة» وعدد كبير ممن كانوا معه ودخل «كسيلة» زعيم البربر مدينة «القيروان»، فأنتهت بذلك المرحلة الثانية من مراحل الفتح

المرحلة الثالثة مرحلة زهير وحسان وموسى

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة إتمام الفتح، وتمتد من سنة (69هـ / 688م) إلى سنة (90هـ / 709م) وتشمل جهود ثلاثة من القادة الفاتحين، وهم: «زهير بن قيس»، و«حسان بن النعمان»، و«موسى بن نصير».

زهير بن قيس

أحدث استشهاد القائد «عقبة بن نافع» ومن معه من أبطال المسلمين أثراً سيئاً فى نفوس المسلمين المقيمين بالقيروان، وضاعت جهودهم فى الإقامة بالمنطقة؛ حيث زحف «كسيلة» وجنوده على «القيروان»، وبذل «زهير بن قيس» - الذى خلف «عقبة» فى إدارة شؤون البلاد - كل جهوده فى بث الحماسة والحمية فى نفوس المقيمين بها، وحثهم على الثبات بقوله: «يا معشر المسلمين، إن أصحابكم قد دخلوا الجنة، وقد منَّ الله عليهم بالشهادة، فاسلكوا سبيلهم، ويفتح الله لكم دون ذلك». ولكن الخوف كان قد سيطر على نفوس الناس، فأثروا الرحيل على الإقامة، وذهبت كل جهود «زهير» سدىً، واضطر إلى التخلي عن «القيروان»، وتوجه إلى «برقة» مع من استطاع الرحيل من المسلمين، وظل بعض المسلمين ذوى الظروف الخاصة بالقيروان، وطلبوا الأمان من «كسيلة» فمنحهم إياه، وأعلن نفسه أميراً على المدينة. وتوقف النشاط العسكرى بالمغرب مدة خمس سنوات تقريباً، بسبب الأحداث التى واجهتها الخلافة الأموية فى دمشق، حيث توفى الخليفة «يزيد بن معاوية» فاضطرب البيت الأموى نتيجة لذلك، ثم تولى «مروان بن الحكم» الخلافة، وقامت ثورة «عبدالله بن الزبير» بمكة، فاستنزفت هذه الثورة وقت وجهه «مروان ابن الحكم» وابنه «عبد الملك» من بعده. ثم تولى «عبد الملك بن مروان» الخلافة بدمشق فى سنة (65هـ / 685م)، فواجهته المشاكل والثورات العديدة، ولكن ذلك لم يمنعه من التفكير فى أوضاع إفريقية، وضرورة استعادة نفوذ المسلمين بها، واستشار من حوله فى ذلك، واستقر الرأى على ضرورة تجهيز حملة جديدة، يكون على رأسها «زهير بن قيس»؛ لمعرفته بطبيعة المنطقة وأحوال الناس هناك، فضلاً عن شجاعته وحبه للجهاد، فأرسل الخليفة بذلك إلى «زهير» بركة، وأمده بما تحتاج إليه هذه الحملة، وحشد إليه وجوه العرب، ووفّر له المال اللازم ولما جاء أمر

الملك عبد الملك رتب «زهير» أموره، وخرج للقاء «كسيلة» وجموع البربر والروم، فعلم «كسيلة» بتحركات «زهير» وفضل الخروج لملاقاته خارج «القيروان». خشية أن ينضم المسلمون المقيمون بها إلى جيش «زهير»، واختار منطقة «ممس» التي تبعد مسافة يوم عن «القيروان»، لتكون معسكراً لجنوده، لوفرة المياه بها وقربها من الجبال، التي يمكن الاحتماء بها، أو الهروب إليها إذا ما حلت الهزيمة بجنوده. ووصل «زهير» على رأس قواته إلى «القيروان»، واستراح خارجها عدة أيام عباً فيها قواته، وتجهز للمعركة، ثم انطلق للقاء «كسيلة» وجموعه من البربر والروم عند «ممس»، ودارت بين الفريقين معركة حامية الوطيس، وكثر عدد القتلى من الفريقين، ولكن المسلمين صمدوا، وتمكنوا من قتل «كسيلة»، فدبّ الضعف والوهن في جموع البربر والروم، وتكاثر عليهم المسلمون من كل مكان، وقتلوا منهم عدداً كبيراً، وتبعوهم حتى فروا من أرض المعركة يجرّون وراءهم أذيال الهزيمة المنكرة. وانهز الروم فرصة رحيل الجيش الإسلامي من «برقة» إلى «القيروان»، وقرروا مباغته مدينة «برقة»، مستعينين ببعض قطع أسطولهم الراسية على شواطئ «صقلية»، وانطلقوا بها صوب «برقة»، فلم تستطع المدينة مقاومتهم وسقطت بين أيديهم، فألحقوا بها الدمار واستولوا على ما فيها من أموال، فضلا عن السبايا والأسرى، ولما بلغت هذه الأنباء المؤلمة مسامع «زهير» أسرع بمن معه من الجنود وكانوا قلة لنجدة المدينة، ولكن الروم كانوا أكثر، فخرجوا عليه وعلى جنوده من كل مكان، وأسفر ذلك عن هزيمة المسلمين واستشهاد «زهير».

حسان بن النعمان

لم يستطع الخليفة «عبد الملك بن مروان» اتخاذ موقف حاسم إزاء الكارثة التي حلت بالمسلمين بإفريقية، نظراً لانشغاله بثورة «عبد الله بن الزبير»، فلما قضى عليها، عاوده التفكير ثانية في إفريقية، وكيفية معالجة أوضاعها، وبدأ في البحث عن قائد جديد يتولى مهمة قيادة حملة جديدة على إفريقية ووقع اختياره على القائد «حسان بن النعمان» الذي كانت له مكانة مرموقة لدى بنى أمية، وحرصت الخلافة على أن تهيب له عوامل النصر، فحشدت له أعداداً غفيرة من الجنود، ووفرت له العدة والعتاد اللازمين ولما جاءت المدود انطلق «حسان» إلى إفريقية

على رأس جيش تعداده أربعون ألف مقاتل، وعزم على القضاء على قوة الروم، وخطورتهم على التواجد الإسلامي بهذه البلاد، وما إن وصل بجيشه إلى «القيروان» على أرجح الآراء فى سنة (74 هـ / 693م) حتى أخذ يستفسر ويسأل عن أماكن تجمعات الروم، وعدد جنودهم، وأنواع معداتهم، فعلم أن «قرطاجنة» هى مركز تجمعات الروم وعاصمتهم بإفريقية، فانطلق بقواته نحوها، ثم حاصرها . وقد كانت مدينة حصينة وتضم أعداداً كبيرة من الروم، وكتب الله له شرف اقتحامها وفتحها بعد مشقة وجهد كبيرين، ثم مضى نحو «صطفورة» وقضى على من بها من جنود الروم والبربر، ثم توجه إلى «بنزرت» وفتحها؛ وقضى على معاقل الروم بها، ثم عاد إلى «القيروان» لكي يرتاح الجند، ويستعدوا للمواجهة القادمة . وبعث «حسان» بالعيون لمعرفة إمكانات «البربر» وأماكن تجمعاتهم، وأخذ يسأل من حوله عنهم وعن زعمائهم، فعرف أن هناك كاهنة تدعى «داهيا» من قبيلة «جرادة» البربرية، تمكنت بادعاءاتها وكهانتها من السيطرة على معظم قبائل البربر، وبسطت نفوذها عليهم منذ ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً، وهى تقيم فوق جبل «أوراس»، وقد اتخذته هى وأعوانها معقلاً وحصناً . وانطلق «حسان» بجنوده صوب معقل الكاهنة وجمعها من البربر، والتقى الفريقان فى وادى «مسكيانة»، ودارت بينهما معركة طاحنة، انتهت بهزيمة المسلمين، وانسحاب «حسان» بمن معه منها، وعادوا إلى «برقة»، ثم بعث «حسان» بما حدث إلى الخليفة «عبد الملك»، موضحاً له عوامل الهزيمة، ومدى قوة الكاهنة بمن معها من حشود البربر، فبعث إليه الخليفة بأن يقيم بجنوده فى مكانه حتى تعدد الخلافة الإمدادات اللازمة لجولة أخرى، وامتل «حسان» لقرار الخليفة، وشيد هو ومن معه مساكن للإقامة بها . وكانت الكاهنة قد أسرت جماعة من المسلمين، وأبقت على حياتهم لتعرف منهم أخبار المسلمين وإمكاناتهم وقد استأثرت بنجالد ابن يزيد أحد الأسرى ومنحته عطفها وجعلته فى منزلة ابنتها، فاستغل هذه الفرصة وأمدقائه سرّاً بالمعلومات عن أوضاع الكاهنة وأخبار معاونيها، ومن معها من البربر، فى الوقت نفسه ظنت الكاهنة أن المسلمين مثلهم مثل بقية الغزاة الذين جاءوا إلى هذه البلاد بغية الاستيلاء على أموالها وثوراتها وخيراتهما، ولذا أمرت أعوانها بتخريب البلاد وهدم حصونها ونهب أموالها، راجية من وراء ذلك أن يرحل المسلمون عن

هذه المنطقة لانعدام السبب الذي جاءوا من أجله . ولاشك أن هذا تصور خاطئ، وظن ليس في محله، لأن هدف المسلمين الأوحدهو إتاحة الفرصة للشعوب لتعرف الإسلام، ونشر العدل والمساواة بين الناس، وقد جاءت خطوة التخريب التي قام بها أعوان الكاهنة بعكس ما كان متوقفاً، فضلاً عن تدهور اقتصاد البلاد، وسارع سكان هذه المدن بالجوء إلى المسلمين والاحتماء بهم مطالبين بإتقاذهم مما حل بهم على أيدي الكاهنة وأعوانها، فكان لذلك أثره في دعم قوة المسلمين . خاصة وأن أهل «قابس» و«قفصة» وغيرهم، أمدهم بالمال وأعلنوا لهم الطاعة وانطلق «حسان» بقواته لملاقاة الكاهنة، ودارت بينهما معركة عنيفة أسفرت عن مقتل أعداد كثيرة من أتباع الكاهنة، ثم مقتل الكاهنة نفسها عند بر، عرف فيما بعد باسم: «بر الكاهنة». وهكذا استطاع «حسان» أن يقضى على مقاومة البربر مثلما قضى من قبل على جحافل الروم وعمد إلى تثبيت أقدام المسلمين في «تونس» و«الجزائر»، وقام ببعض الأعمال المهمة التي من شأنها تثبيت عملية الفتح في المنطقة، فعمّر مدينة «ترشيش»، وهي تبعد نحو (12) ميلاً عن شرقي «قرطاجنة»، لتكون ميناء عربياً إسلامياً، بدلاً من «قرطاجنة» البيزنطية التي تم هدمها في المعارك، ثم أنشأ بها داراً للصناعة السفن، ليكفل حماية شواطئ المغرب الإسلامية من تطلعات البيزنطيين وغاراتهم، واتبع «حسان» سياسة جديدة في إدارة شؤون هذه البلاد، ووضع الأسس التي تجعل من «المغرب» ولاية عربية تعتمد على مواردها، دون الاعتماد على غيرها في شيء، ومن هذه الأسس: أولاً: أنشأ إدارة حكومية، واعتبر أرض المغرب مفتوحة صلحاً لا عنوة مع الذين أسلموا من أهلها، ومعنى ذلك أن يؤدوا عنها ضريبة العشر، أما الأراضي التي كانت ملكاً للبيزنطيين ومن قاوم الفتح من الأفارقة وغيرهم، فقد اعتبرها «حسان» مفتوحة عنوة، ولذا اعتبرها من أملاك المسلمين، واعتبر من وجد هم عليها موالى لهم، فكان لهذه الناحية الاقتصادية المهمة أثر بالغ في نفوس البربر . ثانياً: عمد إلى إشراك البربر بجيشه، ورغبهم بالغنائم، وعاملهم معاملة الجند العرب في الحقوق والواجبات، وأدى ذلك إلى مزيد من الاحتكاك بين المسلمين والبربر، مما دفع الكثيرين منهم إلى الدخول في الإسلام. ثالثاً: وزع مسؤولية الحكم على القبائل المختلفة، واختص كل قبيلة بناحية معينة تمشياً مع طبيعة البلاد. ولهذا

السياسة التي رسمها «حسان بن النعمان» وأرسى قواعدها أعظم الأثر في نفسية البربر، وفي علاقتهم بالعرب الفاتحين، وازدادت معرفتهم بالدين الجديد الوافد عليهم، ودخله الكثيرون منهم، ودخل «المغرب» في طور جديد من التنظيم السياسي، ثم عُزل «حسان»، وعُيِّن «موسى بن نصير» مكانه موسى بن نصير:

موسى بن نصير

وصل الوالي الجديد «موسى بن نصير» إلى «القيروان» سنة (86هـ/705م)، فألقى على الناس فور وصوله خطبة، أعلن لهم فيها سياسته التي سينتهجها لفتح بقية أقاليم المغرب، ثم انطلق موسى على رأس قواته إلى قلعة «زغوان» التي على مسيرة يوم من «القيروان»، واستولى عليها، في الوقت الذي أرسل فيه أبناءه على رأس مجموعات من الجند لإخضاع المناطق المحيطة بالقيروان، وقد نجحوا في تحقيق ما خرجوا من أجله، وكان هدف «موسى» من ذلك تأمين خطوطه الخلفية إذا ما خرج للجهاد بالمغربين الأوسط (أي الجزائر) والأقصى (أي المغرب)، فلما تحقق له ما أراد، انطلق إلى جانب «الجزائر» وأخضع قبائله، وفتح قلاع وحصونه، ثم انطلق إلى «المغرب الأقصى» متبعاً سياسته التي سار عليها في جميع حملاته العسكرية، وتمثل في توزيع نشاطه العسكري في شتى الاتجاهات في آن واحد، لبث الرعب في قلوب الأعداء، فأجبر البربر على الفرار إلى المناطق البعيدة، ونجح في بسط نفوذ المسلمين على «المغرب الأقصى» حتى بلاد «درعة»، ثم استولى بعد ذلك على «طنجة»، وكان أول من نزلها، واختط فيها للمسلمين، وجعل عليها مولاه «طارق بن زياد». وقد اتبع «موسى بن نصير» سياسة من سبقه من الولاة في نشر الدين الإسلامي بين صفوف «البربر»، وترك الدعاة يحفظون الناس القرآن الكريم، ويعلمونهم تعاليم الدين، وكذلك بنى المساجد، وأشرك البربر مثلما فعل «حسان» من قبل في حكم البلاد. ويتضح ذلك في توليته «طارق بن زياد» - الذي يرجع نسبه إلى البربر - شؤون «طنجة» عاصمة «المغرب الأقصى» وأهم مدنه - آنذاك - وقد قاد طارق فيما بعد جيشاً كبيراً من البربر لفتح بلاد «الأندلس». ثم صدرت الأوامر من قبل الخلافة باستدعاء «موسى»، فأسرع بتنفيذ الأمر، وترك ابنه «عبدالله» بالقيروان، خلفاً له في إدارة «المغرب»، وانطلق صوب المشرق في

سنة (96هـ / 715م)، فاتته بعودته إلى المشرق أعمال الفتح المختلفة وبدأ بالمغرب عصر جديد؛ هو عصر الولاية.

أسباب صعوبة فتح المغرب العربي

لقد استمرت أعمال فتح «بلاد المغرب» نحو سبعين سنة، وأخذ ذلك جهداً كبيراً؛ بذلت فيه الخلافة الإسلامية كثيراً من الرجال والأموال، وهذا يغيّر بصورة واضحة أعمال الفتح الأخرى التي قام بها المسلمون في الأقاليم الأخرى، مثل: «الشام» و«مصر»، وكان لذلك أسبابه، مما أحرّج عملية الفتح. (أولاً) - طبيعة المكان: لعل من أبرز أسباب تأخر فتح «بلاد المغرب» هو بُعد هذه المنطقة عن مقر الخلافة الإسلامية، فضلاً عن طبيعة منطقة القتال، وهي ساحل ضيق، تركزت فيه مقاومة البيزنطيين، وتجاورها جبال شاهقة، لجأت إليها جموع البربر واعتصمت بها، يضاف إلى ذلك وجود صحراء واسعة يشق على المحارب اجتيازها. (ثانياً) - البيزنطيون: وهم الذين استعمروا هذه المنطقة منذ زمن بعيد، ولذلك عرفوا أهميتها، ومقدار خيراتها وثرواتها، فدافعوا عنها بكل ما يملكون رغبة منهم في إبقاء هذا المورد الثرى، الذي يدرعون بما يحصلون عليه منه اقتصاد بلادهم وبقاء حضارتهم، وقد عمد البيزنطيون إلى محاربة المسلمين، فضلاً عن تأليب جموع البربر عليهم، كما حدث في علاقة «كسيلة» معهم. (ثالثاً) - سكان البلاد (البربر): بات «البربر» لا يرحبون بأى قادم نحوهم، دفاعاً عن حريتهم وأرضهم، وذلك ناتج عن القهر والذل والهوان الذي سيطر عليهم أعواماً طويلة على يد الاستعمار الأجنبي لبلادهم، وكانت المقاومة أشد وأعنف من قبل هؤلاء الذين نالوا حظاً من الحضارة، حيث كانوا ملاصقين للبيزنطيين، ومتأثرين بدعائهم. (رابعاً) - المسلمون الفاتحون: لعل الأحداث السياسية التي كان يمر بها المشرق الإسلامي، فضلاً عن الفتن والثورات التي انشغلت بها الخلافة الإسلامية آنذاك.

عصر الولاية في المغرب الإسلامي

تعد فترة تبعية المغرب للخلافة (عصر الولاة) والتي تمتد من سنة (96هـ / 715م) إلى سنة (184هـ / 800م) من أهم الفترات وأخطرها في تاريخ المغرب الإسلامي، وقد اختلفت هذه الفترة عن سابقتها، لأن فترة الفتح كان يغلب عليها النشاط العسكري، واتسمت بالامتداد والانحسار، والخوف والاضطراب، ولم يعرف المسلمون شيئاً من الاستقرار بالمغرب إلا بعد تأسيس مدينة «القيروان» على يد «عقبة بن نافع»، ثم تم لهم الاستقرار بفضل جهود: «زهير بن قيس»، و«حسان بن النعمان»، و«موسى بن نصير». وقد اتسم عصر الولاة بسمات وصفات معينة. فهو عصر الاستقرار العربي على أرض «المغرب»، ووضح فيه موقف الخلافة من المنطقة وما ترتب على ذلك من علاقة بين الخلافة والولاة فضلاً عن علاقة الولاة بسكان هذه البلاد، يضاف إلى ذلك الأوضاع السياسية المختلفة التي ترتبت على هذه العلاقات حيث ثار «المغرب الأقصى» وانفصل عن «الخلافة الأموية»، ثم انتقلت عدوى الثورة إلى الجزائر وتونس، وبذلت «الخلافة العباسية» جهوداً كبيرة، وأموالاً طائلة، ورجالاً كثيرين، في سبيل الحفاظ على هذه الأقاليم، ولكن الأمور أسفرت عن مجرد سلطة اسمية للخلافة العباسية على «تونس» مُثلة في قيام «دولة الأغالبة»، وقامت دويلات مستقلة بالجزائر والمغرب الأقصى. وسوف نعرض هنا تاريخ هذا العصر، ونستعرض تاريخ ولاته، وهم:

محمد بن يزيد

استشار الخليفة «سليمان بن عبد الملك» فيمن يصلح لولاية إقليم المغرب، فأشار عليه المحيطون به بمحمد بن يزيد مولى قريش، لما يتمتع به من صفات الفضل والحزم، فوقع عليه اختيار الخليفة «سليمان بن عبد الملك»، ومنحه ولاية «المغرب» وأوصاه بقوله: «يا محمد بن يزيد اتق الله وحده لا شريك له، وقم فيمن وليتك بالحق والعدل. اللهم اشهد عليه»، فعمل «محمد» بهذه الوصية منذ تولى مقاليد البلاد، واستقر بالقيروان، فأقام سياسة العدل بين سكان هذه البلاد، وسار فيهم بأحسن سيرة، ثم عمد إلى تجديد النشاط العسكري، وأرسل السرايا والبعوث إلى أماكن متفرقة من أرض المغرب فحققت

نجاحًا ملحوظًا فيما ذهبت من أجله وعادت بالمغانم الكثيرة والنصر المظفر. وظل «محمد بن يزيد» و«يأيا على «المغرب» حتى وفاة «سليمان بن عبد الملك»، فعزل من ولايته بعد أن قضى بها سنتين وعدة أشهر.

إسماعيل بن عبد الله

(100-101هـ/718-719م)

اختاره الخليفة «عمر بن عبد العزيز» لصفاته الحسنة وسمعته الطيبة، لتولى هذا المنصب في سنة (100هـ/718م)، وبعث معه مجموعة من التابعين، منهم: «سعد بن مسعود التجيبي»، لمعاوته في نشر الإسلام، وتعليم الناس قواعده، وقد أثمرت سياسة «إسماعيل» الطيبة بين الرعية، في إقبال البربر على اعتناق الدين الإسلامي، وأسلم جميع البربر في أيامه كما ذكر «ابن خلدون» ولاشك أن سياسة الدولة الإسلامية عامة، التي انتهجها الخليفة العادل «عمر بن عبد العزيز»، كان لها أثرها الواضح على كل أقاليم الدولة، خاصة وأن الخليفة قد حرص على اختيار ولاة أكفاء؛ يتخلفون بأخلاق الإسلام، لذا أشار كثير من المؤرخين إلى الدور الإيجابي الذي قام به «إسماعيل بن عبد الله» في تعليم «البربر» القرآن، وقواعد الحلال والحرام، وقد عُزل «إسماعيل» من منصبه عقب وفاة الخليفة «عمر بن عبد العزيز» في سنة (101هـ/720م) فتولى «يزيد بن أبي مسلم» ولاية «المغرب» خلفاً له.

يزيد بن أبي مسلم

لم يُقر الخليفة «يزيد بن عبد الملك» الذي تولى الخلافة خلفاً لعمر بن عبد العزيز في سنة (101هـ/720م) سياسة اللين والتسامح التي انتهجها الخليفة السابق «عمر»، واستوجب ذلك تغييراً عاماً في سياسة الدولة، فعزل جميع الولاة، وعين آخرون مكانهم. وكان «يزيد بن أبي مسلم» من بين الولاة الجدد. أقبل «يزيد» إلى «القيروان» في سنة (101هـ/720م)، وتولى مقاليد الأمور فيها، واتبع سياسة الشدة والحزم تجاه أهل «المغرب» مثلما اتبعها مع أهل «العراق» من قبل، وفرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة ليزداد الدخل المالي في خزينة الدولة، كما أنه خصّ طائفة من قبيلة «البتة» البربرية بحراسته دون غيرها، وأساء إلى آل «موسى بن نصير» وبعض

الشخصيات العربية المقيمة بالقيروان، فأثار عليه ذلك حفيظة بعض حرسه من غير «البترة» وقتلوه .

بشر بن صفوان

تحرك «بشر» تجاه «المغرب» فى أواخر سنة (102هـ/721م)، وقد بدأ أعماله بالتحقيق فى مقتل «ابن أبى مسلم»، واكتشف أن هناك بعض المحرضين للجند على فعل ذلك لإشعال الفتنة، فأمر بإعدامهم كما أمر بعزل «الحسن بن عبد الرحمن» والى «الأندلس» من منصبه، وولى مكانه «عبد الله بن سحيم الكلبي»، ثم قام فى سنة (109هـ/727م) بجملة بحرية على «جزيرة صقلية»، وعاد منتصراً ومحملاً بكثير من المغانم والأسلاب، ثم مرض عقب عودته من هذه الغزوة، ومات فى العام نفسه .

عبدة بن عبد الرحمن السلمى

وصل القيروان فى سنة (110هـ/728م)، فأرسل «المستنير بن الحبحاب الحرشى» أحد القادة العسكريين على رأس حملة بحرية إلى «صقلية»، ولكن هذه الحملة لم تحقق نجاحاً، وغرقت معظم سفنها وقد عين «عبدة» بعض الولاة من قبله على «الأندلس» فى سنة (114هـ/732م)، ثم توجه إلى مقر الخلافة بدمشق، وطلب إعفاءه من منصبه، فأجيب إلى مطلبه . -

عبيد الله بن الحبحاب

وصل «عبيد الله» إلى «المغرب» فى سنة (116هـ/734م)، وبدأ ولايته بتجهيز حملة بقيادة «حبيب بن أبى عبدة بن عقبة بن نافع»، وبعث بها لفتح بعض المناطق؛ لتأمين الأقاليم الإسلامية بالمغرب، فتوغلت هذه الحملة حتى وصلت إلى «السوس الأقصى»، وأرض «السودان» وحققت الأهداف التى خرجت من أجلها . وقد انتهج «عبيد الله» سياسة مغايرة لسابقيه، فأسرف فى جمع الأموال مستخدماً القسوة والقوة وشرع فى تخميس البربر، أى اعتبر من أسلم منهم ومن لم يسلم فيناً للمسلمين، بخلاف ما اعتاد عليه هؤلاء البربر حيث منح الولاة من أسلم منهم نفس الحقوق والواجبات الخاصة بالمسلمين كما أنه أذكى نار العصبية القبلية، حيث حابى أبناء قبيلته من

القيسية وأساء معاملة اليمينية وغيرهم، فكانت النتيجة أن قامت الثورات المدمرة فى أقاليم «المغرب» ودخل البربر فى صراع مسلح مع ولائهم من العرب، وترتب على ذلك انفصال «المغرب الأقصى» عن سلطة الخلافة بدمشق .

كلثوم بن عياض القشيري

وقع اختيار الخلافة عليه لتولى مقاليد الأمور بالمغرب، ومواجهة الأحداث الخطيرة التى نشبت على أرضه، وتوجه على رأس جيش كبير تعداده سبعون ألف مقاتل إلى هذه البلاد، ودعّمته الخلافة بكل ما يحتاج إليه ووصل على رأس جيشه إلى «بقدورة» بالمغرب الأقصى، ودخل فى معركة شرسة مع جحافل البربر، وقد انتهت هذه المعركة بهزيمة جيش العرب، فضلا عن مقتل «كلثوم» نفسه ومعه كثير من زعماء الجيش، وفرّ الباقي إلى «طنجة» ومنها إلى «الأندلس» .

حنظلة بن صفوان الكلبي

كان «حنظلة» والياً على «مصر»، وكان ذا كفاءة عالية وخبرة كبيرة، فضلا عن إمامه بأخبار «المغرب» وأوضاعه بحكم الجوار بين «مصر» و«المغرب»، فوقع عليه اختيار الخليفة «هشام بن عبد الملك» لتولى شؤون «المغرب»، وأمره بالتوجه إليها فى سنة (124هـ/742م)، فخرج على رأس جيش بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل، قاصداً «القيروان»؛ لمواجهة أحداث المغرب. ووصلت الأخبار إلى «حنظلة» بمسير البربر إليه فى جيشين كبيرين، أحدهما بقيادة «عكاشة الصفري الخارجي»، والآخر بقيادة «عبدالواحد بن يزيد الهوارى»، وقد سار الجيشان فى طريقين مختلفين، فاضطر «حنظلة» إلى لقاء كل جيش على حدة، وبدأ بحاربة جيش «عكاشة» وأنزل به هزيمة كبيرة أعادت الثقة إلى نفوس جيشه، ثم كان اللقاء الثانى بجيش «عبدالواحد» عند «باجة»، ودارت بين الفريقين معركة عنيفة، انتهت بهزيمة جيش الخلافة، وعودة ما تبقى منه إلى «القيروان» استعداداً لمحاولة ثانية. ثم حشد «حنظلة» كل ما استطاع من قوة، وخرج للقاء البربر، ودارت بينهما معركة، أثبت جيش «حنظلة» فيها كفاءة عالية وصبراً على القتال، فانتصر جيش الخلافة وقتل «عبدالواحد» قائد البربر، فضلا عن مقتل عدد كبير من جنوده، فمكّن هذا النصر للأمويين فى البلاد، ودعم وجودهم فيها، وعمد «حنظلة»

إلى إقرار الأمن والطمأنينة فى النفوس، ثم بعث بأخبار هذا النصر إلى مركز الخلافة «بدمشق» فى شعبان سنة (125هـ/ يونيو 743م)، فتوافق هذا الوقت مع وفاة الخليفة «هشام بن عبد الملك»، وتولى «الوليد الثانى بن يزيد» خلفاً له. وواجه «حنظلة» مشكلة كبيرة، تمثلت فى نزول «عبد الرحمن بن حبيب» أحد زعماء العرب على شواطئ «تونس» قادماً من «الأندلس»، وقد استغل هذا الرجل اضطراب الأوضاع فى «دمشق»، وضعف والى «القيروان» بسبب الحروب الكثيرة التى خاضها مع البربر، وسعى إلى جمع عناصر من العرب والأفارقة والبربر حوله، ثم نزل بهم منطقة «سمنجة» فى سنة (127هـ/ 745م) استعداداً للاستيلاء على «القيروان» وعلى مركز السلطة فيها. وحاول «حنظلة» معالجة الأمور بطريقة ودية، فاختار خمسين من فقهاء «القيروان» وزعمائها، وأرسلهم إلى «عبد الرحمن» للتفاوض معه، فألقى القبض عليهم وهدد بقتلهم إن لم يتخل «حنظلة» عن الإمارة، ويترك «القيروان» خلال ثلاثة أيام، وألا يأخذ من بيت المال إلا ما يكفيه مؤونة السفر، فوافق «حنظلة» على مطالب «عبد الرحمن» حفاظاً على أرواح من بعث بهم إليه، وترك «القيروان» فى جمادى الآخرة سنة (127هـ/ مارس 745م) فدخلها «عبد الرحمن». ثم وافقت الخلافة على تعيينه والياً على بلاد «المغرب».

الولاية فى العصر العباسى

استقر «عبد الرحمن بن حبيب» بالقيروان فى سنة (127هـ)، وعمل على الاستقلال بالمغرب، فواجه العديد من ثورات البربر، ولكنه تمكن من التغلب عليها، وهاجم معاقلمهم، وقضى على تجمعاتهم، ثم أرسل حملتين عسكريتين فى سنة (135هـ/ 752م) إلى جزيرتى «صقلية» و«سردانية»، فحققت الحملتان أهدافهما، وعادتا منتصرتين. فلما قامت الدولة العباسية، أسرع «عبد الرحمن بن حبيب» بالخطبة للعباسيين على المنابر، وأرسل لهم مبايعته وطاعته، فرحب به الخليفة العباسى «أبو العباس السفاح» وأقره على ولايته، ولكن الأمور تغيرت فى عهد «أبى جعفر المنصور»، الذى تولى الخلافة فى ذى الحجة سنة (136هـ/ مايو 754م)، حيث أقر «عبد الرحمن» على «المغرب» فى البداية، ثم توترت بينهما العلاقات، فخلع «عبد الرحمن» طاعة العباسيين واستقل بحكم إقليم «المغرب الأدنى». ولقد حاول «عبد الرحمن بن حبيب» نقل

ولاية العهد من أخيه «إلياس» إلى ابنه «حبيب»، فدير له «إلياس» مؤامرة انتهت بقتله فى سنة (137هـ/754م) بعد أن قضى نحو عشر سنوات بالحكم، أمضاها فى معارك متصلة ضد الثائرين والخارجين، ومن ثم ثارت جموع البربر، وعادت الاضطرابات إلى المنطقة ثانية، وتمكن «إلياس» من إحكام سيطرته على «القيروان»، إلا أن «حبيب بن عبدالرحمن» دخل فى صراع طويل معه، وانتهى الأمر بمقتل إلياس فى سنة (138هـ/755م)، وتولى «حبيب» مقاليد الحكم بالقيروان، ولجأ عدد من أفراد أسرته إلى قبيلة «درفجومة» البربرية، وكان زعيمها «عاصم بن جميل كاهناً» يدعى النبوة، فدخل «حبيب» فى حروب مع هذه القبيلة، ولكنهم هزموه، فاضطر إلى الفرار، ودخل «عاصم» «القيروان» واستحل حرمانها وخرَّب مساجدها وقضى على مظاهر حضارتها. وهكذا سقطت «القيروان» فى قبضة هذه القبيلة التى أساءت معاملة الناس، فاضطر بعضهم إلى اللجوء والاستنجاد بالخلافة العباسية، ولجأ آخرون إلى «أبى الخطاب عبدالأعلى بن السمح المعافى» وكان أحد وجوه العرب، ويعتق المذهب الإباضى، فهب لنجدتهم، وجمع من حوله من البربر المعتنقين لآراء الخوارج وأثار فيهم الحمية، ثم خرج بهم لملاقاة قبيلة «درفجومة»، فاستولى على «طرابلس»، ثم قصد «القيروان» فى سنة (141هـ/758م)، وتمكن من قتل «عاصم بن جميل» وعدد كبير من أتباعه، ودخل مدينة «القيروان». وحين علم الخليفة العباسى «أبو جعفر المنصور» بما حدث ببلاد المغرب، عين «محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعى» على ولاية «مصر»، وأمره بمعالجة الأمور بالمغرب، فاضطر «ابن الأشعث» بعد فترة إلى الخروج بنفسه على رأس الجيش إلى «المغرب» للقضاء على نفوذ الإباضية فيها، وقد تمكن من ذلك بعد عدة حروب، وقتل «أبا الخطاب» وأتباعه، ثم دخل مدينة «القيروان» فى سنة (144هـ/761م)، وتولى مقاليد الأمور بها، وبنى حولها سوراً كبيراً لحمايتها، ثم هاجم معاقل البربر، وقضى على تجمعاتهم، ولكنه أساء معاملة جنده، فثاروا عليه، وأجبروه على التخلي عن الولاية، والعودة إلى المشرق فى ربيع الأول سنة (148هـ/إبريل 765م).

الأغلب بن سالم

الأغلب بن سالم التميمي: وقع اختيار الخلافة عليه لتولى إفريقية، لحزمه وشجاعته وسداد رأيه فدخل «القيروان» فى جمادى الآخرة سنة (148هـ / يوليو 765م)، وبلغه احتشاد البربر بقيادة «أبي قرّة بن دوناس» الخارجى فى «تلمسان» للتوجه إلى «القيروان»، فخرج «الأغلب» بجنوده لملاقاتهم، ولكنهم انسحبوا إلى «المغرب الأقصى» دون قتال، فانتهم «الحسن بن حرب الكندى» فرصة خروج الجيش من «القيروان» واحتلها، فلما علم «الأغلب» بذلك دخل مدينة «قابس» استعداداً لطردها، ثم دخل معه فى معركة حامية، واستشهد «الأغلب» وصمد جيشه، وتمكن من قتل «الحسن بن حرب» وهزيمة جيشه.

عمر بن حفص

وقع عليه اختيار الخلافة لتولى مهام إقليم «المغرب» عقب استشهاد «الأغلب بن سالم التميمي» وكان «عمر» رجلاً شجاعاً، ذا شخصية قوية، فدخل مدينة «القيروان» فى سنة (151هـ / 768م) وانتهج سياسة جديدة تجاه أهلها وعاملهم بالحسنى، وتودد إلى زعمائها وأنزلهم منازلهم، فاستقرت له الأوضاع، وهدأت الأمور، ثم خرج إلى مدينة «طبنة» لإصلاح أحوالها، وبناء سورها، ففاجأته جموع البربر، وحاصرت مدينة «القيروان»، كما حاصرت مع جنوده بمدينة «طبنة»، فلجأ إلى استعمال الحيلة، وأغدق بالأموال على الجيش المحاصر لطبنة، فانصرف عدد كبير من جنود البربر عن المدينة، وتمكن «عمر» من هزيمة الجزء المتبقى منهم، ثم دخل «القيروان» بالحيلة والتمويه، وتولى مهمة الدفاع عنها، ولكن «إباضية» «طرابلس» بزعامته «أبي حاتم» كانوا قد أحكموا حصارهم وسيطرتهم على «القيروان»، وظلوا كذلك ثمانية أشهر، فساءت الأوضاع داخل المدينة، واضطر الناس إلى أكل دوابهم وحيولهم، وفشلت كل محاولات «ابن حفص» لفك الحصار عن المدينة، فخرج على رأس قواته، ودخل فى معركة شديدة مع المحاصرين، فاستشهد هو وكثير من رجاله فى سنة (154هـ / 771م) ودخل «الإباضية» بقيادة «أبي حاتم» المدينة.

يزيد بن حاتم

تولى «يزيد بن حاتم» إمرة «مصر» فى عهد الخليفة «أبى جعفر المنصور» فى سنة (144هـ / 761م)، وأثبت فيها كفاءة عالية، فوقع عليه اختيار الخلافة ليكون والياً على «المغرب»، وجهاز له الخليفة جيشاً كبيراً، ضم تسعين ألف مقاتل، وتم تجهيزه بثلاثة ملايين درهم، وخرج «يزيد» على رأس الجيش قاصداً إفريقيا، ووصلها فى سنة (154هـ / 771م)، فانضمت إليه فلول الجند المنهزمة أمام «أبى حاتم»، وتم اللقاء بين الجيش العباسى وجيش الخوارج بقيادة «أبى حاتم» فى شهر ربيع الأول سنة (155هـ / فبراير 772م)، فكانت المعركة حاسمة، وهُزم جيش الخوارج وقتل قائده «أبو حاتم»، وبعث «يزيد» بجنوده لاستئصال شأفة الخوارج ثم دخل «القيروان» رافعاً أعلام العباسيين، وبث الطمأنينة فى نفوس أهلها، ومات «يزيد بن حاتم» بالقيروان فى سنة (170هـ / 786م) فخلفه ابنه «داود» فى الولاية.

داود بن يزيد بن حاتم

تولى «داود» مقاليد الأمور خلال فترة مرض والده كمعاون له فلما مات والده، تولى إدارة البلاد ريثما تتخذ الخلافة قرارها، وواجه ثورة الإباضية مجزم، وحافظ على ما حققه والده من انتصارات ومكاسب، ولم يستمر فى الحكم سوى تسعة أشهر، ثم سلم مقاليد الأمور إلى عمه «روح بن حاتم»، وعاد إلى المشرق.

روح بن حاتم

روح بن حاتم اختاره الخليفة «هارون الرشيد» خلفاً لأخيه «يزيد» فقدم إلى إفريقيا فى سنة (170هـ / 787م)، وتولى مقاليد أمورها، وأحدث تغييرات فى إدارتها، وقضى على ثورات ما تبقى من البربر بها، فهدأت أوضاعها، واستقر أمنها ثم مات «روح» فى رمضان سنة (174هـ / يناير 791م).

نصر بن حبيب

اقتفى «نصر» سياسة والى السابق، وعدل بين الناس وحسنت سيرته بينهم، ولكنه لم يستمر طويلاً فى الولاية، حيث تم عزله بعد سنتين وثلاثة أشهر قضاها فى الحكم.

الفضل بن روح بن حاتم

الفضل بن حاتم اختاره «الرشيد» بدلاً من «نصر ابن حبيب»، فوصل إلى مدينة «القيروان» في سنة (177هـ / 793م)، وجعل ابن أخيه «المغيرة ابن بشير بن روح» على مدينة «تونس»، وكان «المغيرة» غراً تنقصه التجارب والكياسة، فأساء معاملته الجند، وفرق بينهم في المعاملة، فثاروا عليه بقيادة «ابن الجارود» المعروف بابن عبدويه، وعزلوه عن «تونس»، وأجبروه على تركها، فأدرك «الفضل بن روح» خطورة الموقف، وأرسل «عبدالله بن يزيد» والياً جديداً على «تونس» لتهديئة الموقف، ولكن الثوار قتلوه على أبواب المدينة، وشرعوا في استمالة قادة الجيش بالقيروان وزعماء الجند إليهم للتخلص من «الفضل»، وقد نجحوا في ذلك وحاصروا مدينة «القيروان»، ثم دخلوها، وأرغموا «الفضل» على تركها مع بعض أفراد أسرته ولكن «ابن الجارود» أرسل خلفه من يأت به إلى «القيروان» ثانية، وأودعه السجن فترة، ثم قتله في شعبان سنة (178هـ / نوفمبر 794م)، فلما بلغ «الرشيد» ذلك بعث بيحيى بن موسى إلى «تونس» برسالة ليهدئ النفوس، ويدعو «ابن الجارود» إلى «بغداد»، فامثل «ابن الجارود» للأمر، وهدأت الثورة، وعين الخليفة «الرشيد» «هرثمة بن أعين» على إفريقية.

هرثمة بن أعين

تسلم «هرثمة» مهام منصبه بالقيروان في ربيع الآخر سنة (179هـ / يونيو 795م)، فنهج سياسة حسنة في رعاياه، وأعاد إليهم استقرارهم وأمنهم، ثم شرع في العمران والبناء، فأنشأ سوراً حول «طرابلس»، وبنى القصر الكبير بالمنستير، ولم تحدث في عهده ثورات ذات أهمية، سوى ثورة «عياض بن وهب الهواري»، إلا أن «هرثمة» استطاع القضاء عليها في مهدها. ظل «هرثمة» بإفريقية نحو سنتين ونصف السنة، ثم ألح على الخلافة في أن تعفيه من منصبه، فأجابه الخليفة إلى طلبه، وعاد «هرثمة» إلى المشرق.

محمد بن مقاتل العكي

اختاره «الرشيد» لتولى إمرة بلاد «المغرب الأدنى»، فوصلها في رمضان سنة (181هـ أكتوبر 797م)، ويبدو أنه لم يكن على دراية بأوضاعها، وظروف الجند بها، فوقع في عدة أخطاء، وقطع

أرزاق الجند، وأساء معاملته وجوه القوم وزعمائهم، فثاروا عليه بقيادة «تمام بن تميم التميمي» ثم توجه بها إلى «القيروان» وحاصرها، ثم دخل مع «العكي» في معركة وهزمه فيها، ولكن «إبراهيم بن الأغلب» والي «الزاب» من قبل «العكي» كانت له طموحات في هذه المنطقة، فأسرع إلى نجدته بقواته، وقضى على جموع الثائرين.

إبراهيم بن الأغلب

عمد «إبراهيم بن الأغلب» إلى التقرب إلى أهالي «القيروان» لتحقيق أهدافه ومطامعه بالمنطقة، وظهر بمظهر المدافع عن سلطة الخلافة وممتلكاتها، وقد ساعدته كراهية الناس لابن مقاتل العكي في تحقيق مبتغاه، وطلب منه وجهاء القوم مراسلة «الرشيد» وإعلامه بمسلك «العكي» العدائي تجاه السكان، ومطالبة الرعية بعزله، فاستجاب لمطلبهم، وبعث إلى «الرشيد» برسالة وضح له فيها هذه الأمور، فعينه «الرشيد» على هذه الولاية، ودخل «المغرب الأدنى» في مرحلة سياسية جديدة عقب تولية «إبراهيم بن الأغلب» عليه، الذي سعى إلى تحقيق أهدافه، والاستقلال بحكم المنطقة عن الخلافة، وباتت السلطة الحقيقية في يده، وأورثها من بعده أبناءه، ولم تعد المنطقة مرتبطة بالخلافة سوى بالدعاء للخليفة على المنابر. وهكذا انتهى عصر الولاية بالمغرب الأدنى وبدأ عصر الاستقلال الذاتي وظل الحكم إرثاً في «بنى الأغلب» بالمنطقة طيلة قرن من الزمان حتى سقطت هذه الأسرة على أيدي الفاطميين في سنة (296هـ/909م) كما سيذكر بعد.

عصر الدول الإقليمية

[184-296 هـ / 800-909م]

قامت أربع دول إقليمية ببلاد المغرب العربي في الفترة من سنة (140هـ / 757م) إلى سنة (296هـ / 909م) ومن تلك الدول (1) دولة الأغالبة التي تأسست بالمغرب الأدنى (ليبيا وتونس) في سنة (184هـ / 800م). (2) الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط (الجزائر) في سنة (161هـ / 778م). (3) دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى والغرب الجزائري في سنة (172هـ /

788م) (4) دولة بنى مدرار فى سجلماسة بجنوب «المغرب الأقصى» فى سنة 140هـ
757م) وكان لكل واحدة من هذه تاريخ طويل يراجع فى المطولات . وإليك ملخصها:
دولة الأغالبة

(184هـ / 800م)

ينسب الأغالبة إلى «الأغلب بن سالم التيمى»، وهو عربى من قبيلة «تيم»، التى شاركت فى القضاء على «الأمويين»، وإقامة «الدولة العباسية»، وقد تولى «الأغلب» إفريقية فى سنة (148هـ / 765م)، ثم استشهد بها فى حربته ضد الطامعين بقيادة «الحسن بن حرب الكندى» وتلقى إبراهيم بن الأغلب [184هـ / 800م] فى نشأته الأولى دروسه الدينية بمسجد الفسطاط على يد الإمام «الليث بن سعد»، فلما بلغ مبلغ الشباب التحق بالجنديّة، ثم جاء إلى «المغرب» وشارك فى أحداثها، ثم ظهر على مسرح الأحداث فى إفريقية - كما سبقت الإشارة إليه - فى عهد «محمد بن مقاتل العكى» استقل «إبراهيم» بحكم «المغرب الأدنى» عن الخلافة وعمد إلى إقرار الأمن والاستقرار بهذا الإقليم، فضلاً عن تعريبه، واستكمال نظامه الإدارى وتنمية اقتصاده، فباتت «القيروان» مركزاً من مراكز العلم والحضارة بالدولة الإسلامية، وظهرت أهمية المدن التابعة لها. مثل: «تونس» و«سوسة»، و«قابس»، و«قفصة» و«توزر»، و«نفطة»، و«طبنة»، و«المسيلة»، و«بجاية»، وغيرها. ولكن ذلك لم يمنع من وقوع بعض الثورات بالمنطقة، مثل ثورة «عمران بن مجالد الربيعى» الذى جمع حوله أهل «القيروان» فى محاولة للقضاء على حكم «الأغالبة»، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، حيث تصدى لهم «إبراهيم بن الأغلب» مجزماً وشدة، واستمر فى منصبه حتى وافته منيته فى شوال سنة (196هـ / يونيو 812م)، فذكره المؤرخون بأنه كان أحسن الولاة سيرة، وأفضلهم سياسة، وأوفاهم بالعهد، وأرعاهم للحرمة، وأرفقهم بالرعية، وأخلصهم لأداء واجبه. ثم تولى بعده أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب [196هـ / 812م] «المغرب» خلفاً لوالده فاستقامت له الأمور واستقرت، ولكنه انتهج سياسة ضريبية سيئة، أسفرت عن سحق الناس عليه، وظل «أبو العباس» بالحكم مدة خمس سنوات ثم مات من جرأ قرحة أصابته تحت أذنه. بعده تولى زيادة

الله بن إبراهيم بن الأغلِب [201هـ/816م]: مقاليد الحكم بالمغرب خلفاً لأخيه «أبي العباس» واستمر في هذه الإمارة حتى سنة (223هـ/838م) فتمتعت البلاد في عهده بالرخاء والازدهار، فضلا عن التشييد وال عمران بالمدن المغربية، مثل: «القيروان»، و«العباسية» و«تونس»، و«سوسة» وقد وجه «زيادة» قدراته العسكرية للقضاء على الثورات التي قامت بالمنطقة ومنها: ثورة «زياد بن سهل» المعروف بابن الصقلبية في سنة (207هـ) وثورة «عمرو بن معاوية العيشي» في سنة (208هـ/823م)، وثورة «منصور الطنبذي» في سنة (209هـ/824م) وكذلك وجه «زيادة» كفاءته الحربية في العناية بالأسطول الإسلامي، ثم توجيهه لغزو بعض الجزر القريبة من «تونس»، وإليه يرجع الفضل في إعداد حملة بحرية كبيرة بقيادة «أسد بن الفرات» لغزو الجزر القريبة من «تونس»، ثم توفي في سنة (223هـ/838م). وجاء بعده أبو عقاب الأغلِب بن إبراهيم بن الأغلِب [223هـ/838م]: وتولى الإمارة خلفاً لأخيه «زيادة» في سنة (223هـ/838م)، ومكث بهما ما يقرب من ثلاث سنوات؛ نعمت البلاد خلالها بالهدوء والاستقرار وحرّم «أبو عقاب» صنع الخمر بالقيروان، وعاقب على بيعها وشربها، فكان لذلك صداه الطيب في نفوس الناس عامة، فضلا عن الفقهاء والعلماء، ومات «أبو عقاب» بالقيروان في سنة (226هـ/841م) وتولى بعده أبو العباس محمد بن الأغلِب [226هـ/841م] الإمارة خلفاً لأبيه «الأغلِب»، وظل بها أكثر من خمسة عشر عاماً، اتسمت بالخلافات بين أبناء «الأسرة الأغلبية»، فضلا عن محاولة أخيه «أحمد» الفاشلة للإطاحة به والوصول إلى الحكم، يضاف إلى ذلك انتفاضات الجند التي لم يكتب لها النجاح بمنطقتي «الزاب»، و«تونس»، وقد توفي «أبو العباس» في سنة (242هـ) بالقيروان. ثم تولى أبو إبراهيم أحمد بن محمد [242هـ/856م]: الإمارة خلفاً لأبيه عقب وفاته في سنة (242هـ)، وتميزت فترة حكمه بالهدوء والاستقرار، وقد غلب الطابع الديني على سلوكه، فكان يخرج في شهري شعبان ورمضان من مقر إقامته ليوزع الأموال على الفقراء والمساكين بالقيروان، واهتم «أبو إبراهيم» بالبناء والتعمير وزاد في «مسجد القيروان» وجدد «المسجد الجامع» بتونس، وحصّن مدينة «سوسة» وبنى سورها، كما اهتم بإمداد سكان المدن بمياه الشرب، وقد توفي في سنة

(249هـ/863م). ثم تولى أبو محمد زيادة الله الثاني [249هـ/863م] الإمارة خلفاً لأخيه «أبى إبراهيم أحمد»، ولم يستمر فى منصبه سوى عام واحد، ثم توفى فى سنة (250هـ/864م). ثم تولاها أبو عبد الله محمد بن أحمد [250هـ/864م]: خلف عمه «أبا محمد زيادة» فى الإمارة فى سنة (250هـ/864م) وقد اشتهر «أبو عبد الله» بأبى الغرائق؛ لولعه بصيد «الغرائق»، وبنى لذلك قصرًا كبيرًا، أنفق عليه أموالًا كثيرة، كما شاد الحصون والمحارس الكثيرة على سواحل البحر المتوسط وتوفى «أبو الغرائق» فى سنة (261هـ). ثم تولى إبراهيم بن أحمد [261هـ/875م]: فى أمور الحكم عقب وفاة أخيه «أبى الغرائق» فى سنة (261هـ/875م)، وامتد عهده أكثر من ثمانية وعشرين عامًا؛ ظهر خلالها «أبو عبد الله الشيعى»، الذى استقطب إلى دعوته الشيعية عددًا من القبائل، وقد اختلف المؤرخون فى تقييم شخصية «إبراهيم بن أحمد»، فذكر بعضهم أن عهده كان عهد استقرار وهدوء، وإقرار للعدل، وتأمين للسبل، فضلًا عن قيامه بإتمام بناء المسجد بتونس، وبناء الحصون والمحارس على سواحل البحر، يضاف إلى ذلك تأسيسه مدينة «رقادة»، وبنائه جامعًا بها، فى حين يصفه «ابن خلدون» بقوله: «وذكر أنه كان جائرًا، ظلومًا ويؤخذ أنه أسرف فى معاقبة المعارضين له بالقتل والتدمير، لكنه حاول فى أخريات أيامه إصلاح ما أفسده، وبخاصة بعد ظهور داعية الشيعة «أبى عبد الله» وانضمام كثير من الناس إلى دعوته، فأسقط المغارم، ورفع المظالم عن طبقات الشعب الكادحة، كما تجاوز عن ضريبة سنة بالنسبة إلى أهل الضياع، ووزع الأموال على الفقراء والمحتاجين، وختم حياته بالجهاد فى «صقلية»، حيث مرض أثناء حصاره لإحدى المدن، ومات ليُحمل ويدفن فى مدينة «بلرم» فى سنة (289هـ/902م) وذكر «ابن الأثير» أنه حُمل فى تابوت ودفن بالقيروان. ثم تولى أبو العباس عبد الله بن إبراهيم [289هـ/902م]: الإمارة فى سنة (289هـ/902م)، ولم يستمر بها سوى عام ونصف العام، حيث قُتل على يد ابنه «زيادة الله»، وكانت فترة حكمه امتدادًا لسياسة والده «إبراهيم بن أحمد» فى الحكم، فبدأت عوامل الضعف والوهن تدب فى أوصال دولة الأغالبة. ثم جاء زيادة الله بن أبى العباس عبد الله [290هـ/903م] وتولى الحكم عقب مقتل أبيه، واتهج سياسة أبيه وجده، وتتبع أفراد أسرته بالقتل، فى الوقت

الذي نشط فيه «أبو عبد الله الشيعي» وأحرز الانتصارات تلو الأخرى، واستولى على كثير من المدن الأغلبية، ولم تفلح جيوش «زيادة» في صدّه أو إيقاف زحفه، فوجد «زيادة» نفسه عاجزاً عن الحفاظ على ملك آبائه وأجداده، فأثر الحرب إلى «مصر»، وحمل معه كل ما استطاع حمله من مال وعتاد، ورحل من «رقادة» في (26 من جمادى الآخرة عام 296هـ/مارس 909م)، فباتت المدينة سهلة المنال «لأبي عبد الله الشيعي»، فبعث «عروبة بن يوسف» أحد قادته للاستيلاء عليها، فدخلها دون قتال، وطويت بذلك صفحة «الأغلبية».

الدولة الرستمية

[161-296هـ / 778-909م]

عبد الرحمن بن رستم [162هـ/779م]: بويح «ليكون أول إمام للدولة الإباضية الناشئة في ربوع «المغرب الأوسط»، وقد كان أحد طلاب العلم، ودرس على يد «أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة»، فلما أتم تعليمه عمل على نشر «المذهب الإباضي» ودعمه، ثم عينه «أبو الخطاب» نائباً له على «مدينة القيروان»، فأكسب الخبرة الإدارية، وعرف طبائع الناس وظروفهم، ولم يدخر جهداً في محاربة الولاة العباسيين، وجمع شمل «الإباضية»، خاصة بعد مقتل «أبي الخطاب». كان «عبد الرحمن» رجلاً زاهداً، وذا صبر على الشدائد، وملتزماً بكتاب الله وسنة نبيه، واشترط على الناس حين وقع اختيارهم عليه للإمامة أن يسمعوا له ويطيعوا ما لم يجد عن الحق، ثم اختط مدينة «تهيرت» (أي تيارت) ودخل في طاعته العديد من القبائل مثل: «لماية»، و«سدرانة»، و«مزاتة»، و«لواتة»، و«مكناسة»، و«غمارة»، و«أزداجة»، و«هوارة»، و«نفوسة»، وقد افترشت هذه القبائل مساحات واسعة، امتدت من «تلمسان» غرباً حتى «طرابلس» شرقاً. ومضى «عبد الرحمن» في حكم البلاد بالعدل، منتهجاً سياسة شرعية في إدارتها، مما أشاع الاستقرار والأمن بين الناس، فلما شعر بدنو أجله اختار مجلساً للشورى، ليختار من بين أفراد من يصلح للإمامة من بعده، واختار ابنه «عبد الوهاب» ضمن أفراد هذا المجلس، ثم مات في سنة (168هـ/784م) فتولاها عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم [168هـ/784م] اختاره مجلس الشورى ليكون خلفاً لأبيه في الإمامة، واتسم عهده ببعض الاضطرابات

والقلاقل، وواجه العديد من الثورات التي اتخذ بعضها طابعاً مذهبياً، وبعضها الآخر طابعاً قبلياً، فأثرت إلى حد بعيد على «الدولة الرستمية»، وعلى رمزها الدينى المتمثل فى الإمام . ومات «عبد الوهاب» فى سنة (814هـ/198م) . فجاء أفلح بن عبد الوهاب [814هـ/198م] ويبيع خلفاً لأبيه وكان ذا صفات طيبة، وجاءت مبايعته على عكس ما نهجه الخوارج فى تعيين الإمام، إذ اختاره أبوه للإمامة قبل وفاته، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الظروف التى أمت بالبلاد، حيث أحاط الأعداء بمدينة «تهيرت»، وكان لابد من اختيار رجل شجاع يتمكن من مواجهة الأعداء . وقد اتسم عهد «أفلح» بالهدوء والاستقرار، وبلغت الدولة فى عهده أوج ازدهارها، ونشطت التجارة، وأقبل الناس من كل مكان قاصدين العاصمة «تهيرت»، وتوفى الإمام «أفلح» فى سنة (240هـ)، إثر حزنه الشديد على وقوع ابنه «أبى اليقظان» فى أيدي العباسيين . وجاء أبو بكر بن أفلح بن عبد الوهاب [240هـ/854م] وكان «أبو اليقظان» مرشحاً لمنصب الإمامة، ولكن وقوعه فى أيدي العباسيين حال دون ذلك، وتولاها أخوه «أبو بكر» الذى لم يكن فى شدة آبائه وأجداده وحزمهم، فضلا عن انغماسه فى الترف والنعيم وميله إلى الراحة، وقد تفرغ لراحته وملذاته حين خرج أخوه «أبو اليقظان» من سجن العباسيين وشاركه الحكم، ولكن «أبا بكر» دبر مقتل «محمد بن عرفة» وهو من الشخصيات البارزة بالعاصمة، ليتخلص من نفوذه فكان ذلك سبباً فى نشوب الصراع بين طوائف الدولة الرستمية وحاولت كل طائفة تحقيق أهدافها من خلال المعارك الطاحنة، التى أسفرت عن هزيمة حكام البيت الرستمي، واعتزال «أبى بكر» منصب الإمامة . ثم جاء أبو اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب [268هـ/881م]: وقد شهدت العاصمة «تهيرت» فترة من القلاقل والاضطرابات، ثم نجح «أبو اليقظان» فى تهدئة الأوضاع ودخول العاصمة «تهيرت» فى سنة (268هـ/881م)، فتولى منصب الإمامة، وتجنب سياسة التعصب وتفضيل قبيلة بعينها على غيرها، وجلس لبحث شكواوى رعاياه والبت فيها بنفسه، واستعان بمجلس الشورى الذى ضم إليه شيوخ القبائل ووجهاءها، فاستقرت الأوضاع، وهدأت النفوس، وظل «أبو اليقظان» يدير دفة الأمور فى دولته حتى وفاته فى سنة (281هـ/894م) . ثم جاء أبو حاتم يوسف بن محمد [281هـ/894م]: وتولى

الإمامة عقب وفاة والده «أبي اليقظان»، لأن أخاه الأكبر «يقظان» كان غائباً في موسم الحج، وقد لعب العامة بزعامة «محمد بن رباح» و«محمد بن حماد» المعروفين بالشجاعة والنجدة دوراً بارزاً في المطالبة ببيعة «أبي حاتم» بالإمامة لسخائه وكرمه، ولكن هذا الدور الذي لعبه العامة أطمعهم في التدخل في شؤون الحكم وتحقيق المكاسب، فرفض «أبو حاتم» ذلك وضرب على أيديهم وطردهم من المدينة، فعمدوا إلى تأليب القبائل ضده، ونجحوا في طرده من العاصمة «تهيرت» وبايعوا عمه «يعقوب بن أفلح» بالإمامة، فصار هناك إمامان من بيت واحد، يقفان وجهاً لوجه في صراع دام على السلطة، ولكن أحدهما لم يحقق نجاحاً ملموساً على الآخر، فاحتكما وعقدا هدنةً، وعاد «أبو حاتم» إلى العاصمة إماماً على البلاد، وانسحب عمه «يعقوب» بعد أن حكم العاصمة «أربع سنوات». وقد حاول «أبو حاتم» إصلاح ما أفسدته الحروب داخل العاصمة «تهيرت»، وكوّن مجلساً استشارياً من زعماء القبائل ومشايخها للاستعانة بهم في إدارة البلاد، ولكن محاولاته الإصلاحية كانت بمثابة صخرة الموت للبيت الرستمي، خاصة بعد أن ضعفت قوتهم العسكرية في محاولة لإنهاء الصراع الذي وقع حول مدينة «طرابلس». وقد تأمر أفراد البيت الرستمي أنفسهم على حياة إمامهم «أبي حاتم»، وقتلوه في سنة (294/907م) ثم جاء اليقظان بن أبي اليقظان [294/907م] ويبيع له بالإمامة عقب مقتل أخيه في سنة (294/907م)، واتسم عهده بالفتن والقلاقل، وتطلع مختلف القبائل والطوائف إلى الاستئثار بالحكم، كما دبرت المؤامرات من داخل البيت الرستمي على يد «دوسر» ابنة «أبي حاتم»، وتكاثفت فرق ضد الخوارج مثل: «المالكية» و«الواصلية» و«الشيعة» لإحباط الفتن والمؤامرات للإطاحة بالإمام، وقد نجح «اليقظان» إلى حد بعيد في كبح جماح هذه الطوائف والحد من نشاطها، فهربت «بنته دوسر»، ولجأت إلى «أبي عبد الله الشيعي» الذي نجح في بسط نفوذه على مساحات كبيرة من أرض «المغرب»، واستنجدت به للثأر لأبيها، فاستجاب لها، واتجه إلى «تهيرت»، فخرجت لمقابلته وجوه أهل «تهيرت» ورحبوا بمقدمه، واستسلم «اليقظان» لمصيره، وخرج مع بنيه إلى «أبي عبد الله»، فأمر بقتلهم ودخل

العاصمة فى سنة (297هـ/910م)، واستولى على ما بها من أموال ومغانم، وبذلك طويت صفحة «الدولة الرستمية» .

دولة الأدارسة

[172-300هـ / 788-913م]

اضطهد العباسيون منذ اللحظة الأولى لقيام دولتهم أبناء عمومته من العلويين، وأسرف بعض الخلفاء العباسيين فى ذلك، فأسفر الأمر عن قيام عدة ثورات، كانت آخرها ثورة «الحسين بن على ابن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب» على والى «المدينة» فى سنة (169هـ/785م)، ولكن العباسيين استطاعوا قمعها، وقتلوا زعيمها ومجموعة من أهل بيته. وكان «إدريس بن عبد الله (172هـ/788م): «ومولاه «راشد» ممن فر من أرض المعركة، واتجها إلى «مصر»، ومنها إلى «المغرب الأقصى»، ونزلا مدينة «وليلى» عاصمة هذا الإقليم، ثم توجهتا إلى أميرها وزعيمها «إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربى»، زعيم قبيلة «أوربة» التى فرضت نفوذها وسيطرتها على مدينة «وليلى» وما حولها، وعرفه «إدريس» بنفسه، وأعلمه بسبب فراره من موطنه «الحجاز»، ولجؤته إلى بلاده، فرحب به «إسحاق» وآمن بدعوته، وبايعه بالإمامة، وكذلك بايعته قبيلته «أوربة»، ومعها بقية القبائل فى رمضان سنة (172هـ/788م) ومن ثم نجح «إدريس» فى تأسيس دولة حملت اسمه بالمغرب الأقصى. لكن ذلك أقلق الخلافة العباسية خاصة بعد أن مدَّ «إدريس» نفوذه إلى مدينة «تلمسان» بالمغرب الأوسط. وعمد الخليفة العباسى «الرشيد» إلى الحيلة للقضاء على نفوذ «الأدارسة»، فقيل إنه بعث برجل يدعى «الشماع» إلى «إدريس»، فتظاهر بحبه لآل البيت، وفراره من بطش العباسيين، ولأزم «إدريس» فترة ثم اغتاله حين سنحت له الفرصة، وهكذا نجحت الخلافة العباسية فى التخلص من «إدريس» أبرز المناوئين لها، وفقدت «دولة الأدارسة» مؤسسها فى سنة (175هـ/791م) بعد ثلاث سنوات ونصف فقط من قيامها. ويات مقعد الإمامة شاغراً عقب اغتيال «إدريس»، والتف البربر حول مولاه «راشد»، وانتظروا مولود «كنزة» زوجة «إدريس بن عبد الله»، فلما وضعت حملها أسموه «إدريس

الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل [175-213هـ / 791-828م] تبركاً باسم والده، وتعهده «راشد» بالتربية والرعاية، ونشأه تنشأة دينية، حتى إذا بلغ الحادية عشرة من عمره أقبلت القبائل على مبايعته بالإمامة، فدعا ذلك الخلافة العباسية إلى التحرك ثانية للقضاء على هذه الدولة، وأوكلت هذه المهمة إلى والي «المغرب الأدنى» «إبراهيم بن الأغلب» الذي نجح في استمالة مجموعة من البربر بأمواله وهداياهم، ثم أوكل إليهم مهمة قتل «راشد»، فقاموا بتنفيذها في سنة (186هـ / 802م)، لكن «الدولة الإدريسية» واصلت مسيرتها، وانتقلت كفاءة «إدريس» والوصاية عليه إلى «أبي خالد بن يزيد بن إلياس العبدى»، وجُددت له البيعة في سنة (188هـ / 804م)، حين بلغ الثالثة عشرة من عمره، وأصبح في سن تؤهله لخلع الوصاية وإدارة البلاد، وعزز مركزه إقبال الوفود العربية من «القيروان» و«الأندلس» للعيش في كنف دولته فراراً من بطش الحكام، فدعم بهم نفوذه، واتخذ منهم الوزراء والكتاب والقضاة، وجعلهم بطاقته وحاشيته، وقد شجعه هؤلاء على بناء عاصمة جديدة لدولته، فبنى مدينة «فاس»، ثم استقر بها. وفي سنة (197هـ / 813م) خرج «إدريس الثاني» على رأس قواته لإخضاع «قبائل المصامدة» التي هددت أمن بلاده، ونجح في ذلك نجاحاً كبيراً، وامتد نشاطه حتى منطقة «السوس الأقصى»، ودخل مدينة «نفيس» ثم عاد إلى عاصمته «فاس»، وخرج في العام التالي صوب الشرق لتأمين حدود دولته، ودخل مدينة «تلمسان»، وأقام بها ثلاث سنوات، يرتب أمورها، ويرمم مسجدها، ثم عاد إلى «فاس» في سنة (201هـ) وظل في الحكم حتى وافته المنية في سنة (213هـ / 828م). فتولى «محمد بن إدريس بن إدريس (213-234هـ / 828-848م)» أكبر أبناء «إدريس الثاني» الإمامة في سنة (213هـ / 828م)، فنفذ وصية جدته «كنزة» بتقسيم أقاليم الدولة بين إخوته، فكان لذلك أثره السيئ على وحدة دولة «الأدارسة»، ولم يرض على قيامها أربعين سنة بعد، وطمع كل أخ في الاستقلال بإقليمه، وشق عصا الطاعة على السلطة المركزية. ولكن «محمد بن إدريس» تصدى لإخوته وضم ممتلكات أخويه «عيسى» و«القاسم» بعد هزيمتهما إلى أخيه «عمر». ولم تشهد البلاد بعد هذا التقسيم استقراراً إلا في بعض فترات مثل فترة: عهد «يحيى بن محمد» الذي تولى الإمامة في سنة

(234هـ/848م)، فازدهرت في عهده مدينة «فاس» وشهدت تطوراً ملحوظاً في أنشطتها، ثم عهد «يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس» عام (292هـ/905م)، الذي وصفه المؤرخون بأنه كان أعظم ملوك «الأدارسة» قوة وسلطاناً وصلاًحاً وورعاً وفقهاً وديناً، وقد ظل بالحكم حتى سنة (305هـ / 917م) حتى طرق «مصالة بن حيوس» أبواب مدن «المغرب الأقصى»، فأطاعه «يحيى بن إدريس»، وبيع «أبا عبيد الله المهدي»، فدخلت دولة «الأدارسة» منذ ذلك الحين في طور التبعية للفاطميين تارة، وللحكم الأموي بالأندلس تارة أخرى. وسيأتي التفصيل أكثر في فصل الأدارسة. فراجعه هناك.

دولة بني مدرار

[122-354 هـ / 740-965 م]

ساهمت الظروف السياسية التي مر بها إقليم «المغرب» عقب نجاح الثورة التي قادها «ميسرة المضفرى الصفرى» ضد الدولة الأموية في سنة (122هـ/740م) في استقلال «المغرب الأقصى» وانفصاله عن الحكم الأموي، فأسهم ذلك -إلى جانب اضطراب الأوضاع في إقليمى «المغرب الأوسط» أي الجزائر و«المغرب الأدنى» أي تونس وليبيا- في قيام تجمع مذهبي في جنوب «المغرب الأقصى» هو تجمع «الصفريين» الذين وجدوا بمنطقة «سجلماسة» المجال المناسب لإقامتهم، ثم أسسوا مدينة تحمل اسم المنطقة، لتكون نواة لدولة صفرية، وبيعوا «عيسى بن يزيد بن الأسود» إماماً لهم، وسانده «أبو القاسم سمكو» زعيم قبيلة «مكناسة» بمبايعة قبيلته له، ولكن جماعة «الصفرية» - بعد خمس عشرة سنة - أخذوا عليه بعض المآخذ، وأنكروا عليه بعض الأمور، وقتلوه في سنة (155هـ/772م)، وقد تولى «أبو القاسم ابن سمنون بن واسول المكناسى بن مدرار» الحكم خلفاً لعيسى، وجعل الحكم متوارثاً في أفراد «الأسرة المدرارية» حتى سقوط المدينة في أيدي الفاطميين، وقد توالى الأئمة بعد وفاة «مدرار»، حتى جاءت سنة (174هـ/790م) فتولى «اليسع بن أبى القاسم» الملقب بأبى منصور شؤون الحكم، وظل في مقعد الإمامة حتى سنة (208هـ/823م)، وشهدت المدينة في عهده ازدهاراً اقتصادياً، ونفوذاً سياسياً كبيراً، لذا يعد «اليسع» المؤسس الحقيقي لدولة

«بنى واسول» المعروفة بدولة «بنى مدرار»، وامتد نجاح «اليسع» إلى تعمير العاصمة «سجلماسة»، فشهدت في عهده تطوراً واتساعاً، ومات «اليسع» في سنة (208هـ/ 823م). وتولى «مدرار» خلفاً لوالده في سنة (208هـ/ 823م)، ولقب نفسه بالمنتصر، وظل بالحكم حتى سنة (223هـ/ 838م)، ونشب النزاع - خلال هذه الفترة - بين أبناء «مدرار»، مما أضعف نفوذهم، وفكك وحدة بيتهم. وخلفه «محمد بن ميمون بن مدرار»، ووافاه أجله في سنة (270هـ/ 883م)، فتولى من بعده عمه «اليسع بن مدرار»، ودخل «عبيد الله المهدي» وابنه «القاسم» إلى «سجلماسة» في عهده، فلما اكتشف حقيقة أمرهما، قبض عليهما، وأودعهما السجن، فظلا به حتى أقبل «أبو عبد الله الشيعي» على رأس قواته وخلصهما، ثم استولى على المدينة في سنة (296هـ/ 909م)، وحاول بعض أفراد البيت المدراري استرداد مدينتهم واستعادة حكمهم من قبضة الفاطميين، وقد حققوا نجاحاً نسبياً في ذلك، ولكن «جوهر الصقلي» تمكن من القضاء على ملكهم في سنة (347هـ/ 958م)، وقبض على «الشاعر بالله» آخر أمراءهم، وأودعه سجن مدينة «رقادة»، فمات به في سنة (354هـ/ 965م). وطويت صفحة التاريخ السياسي لمدينة «سجلماسة» في القرن الثالث الهجري.

الدولة الفاطمية بالمغرب

[296-362هـ / 908-973م]

قامت «الدولة الفاطمية» ببلاد «المغرب» وفق خطة مرسومة من قبل دعاة الشيعة - على أنثاف قبيلة «كثامة»، التي تنتمي إلى بربر «البرانس»، وتميزت عن غيرها من القبائل بكثرة عددها، ومنعة منطقة سكنها بجبال «الأوراس» بين مدينتي «بجاية» و«قسنطينة»، فضلاً عن عدم خضوعها لسلطة الولاة اعترازاً بمنعتها وقوة بأسها. وقد وقف زعماء الشيعة على ما اتصفت به هذه القبيلة، واختار «ابن حوشب» رئيس مركز الدعوة الشيعية باليمن «أبا عبد الله الحسين بن أحمد الشيعي» للاتصال بوفد «كثامة» بموسم الحج، لنشر الدعوة الشيعية بالمغرب، وإقامة الدولة المرتقبة هناك. وقد تم لقاء «أبي عبد الله» بوفد «كثامة» بمكة، وجعله هذا الشيعي يبدو وكأنه جاء مصادفة، وبدأ يتعرف أحوالهم وميولهم المذهبية، ولم يفصح عما أضمره وما جاء من

أجله، ونجح في استمالتهم والسيطرة على قلوبهم بمكره ودهائه وعلمه وجدله، ثم تظاهر بعد انقضاء موسم الحج برغبته في السفر معهم إلى «مصر»، للتدريس لأبنائها، فاصطحبوه معهم، فلما وصلوها، ألحوا عليه بمصاحبتهم إلى بلادهم، فوافقهم، وذهب معهم إلى المغرب في سنة (289هـ/902م)، واتخذ من «إيكجان» مستقرا له لأنها نقطة التقاء حجاج «الأندلس» و«المغرب الأقصى»، والمتوجهين لأداء فريضة الحج. وبدأ «أبو عبد الله» في تنفيذ خطته، وتظاهر بتعليم الصبية، وإلقاء دروسه عليهم، فزاده ذلك مكانة ومنزلة بين أبناء «كثامة»، وذاع صيته بين القبائل، وقصده البربر من أماكن متفرقة، لينهلوا من علمه، ويستفيدوا من نصائحه، ثم عمد «أبو عبد الله» إلى مصارحة بعضهم بعد أن اطمأن إليهم بحقيقة أمره، ورغبته في إقامة دولة لآل البيت تقوم على أكتاف قبيلة «كثامة»، لأن الروايات كما ادعى لهم جاءت بذلك، وأخبرت عما ينتظرهم من عز الدنيا وثواب الآخرة. وأخذ «أبو عبد الله» على عاتقه تنظيم صفوف أبناء «كثامة» وبعض أبناء القبائل الأخرى، وقسمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يطمئن إليه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملي إقامة مجتمع يدين بفكرة واحدة هي إقامة الدولة المثالية التي يحكمها إمام من آل البيت. وقد اتخذ «أبو عبد الله الشيعي» من أبناء «كثامة» جنداً يدافعون عن الدعوة ويهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة، وهي «الأغالبة» بالمغرب الأدنى و«الرستميون» بالمغرب الأوسط، و«بنو مدرار» بسجلمااسة بجنوب «المغرب الأقصى» وبقايا «الأدارسة» بمدن «المغرب الأقصى»، وترتب على ذلك دخول «أبي عبد الله الشيعي» في عدة معارك مع هذه القوى، كانت أشهرها معركة «كبيونة»، التي انتصر فيها على «الأغالبة» في سنة (293هـ/906م) ثم توالى انتصاراته بعد ذلك، ودخل مدينة «رقادة» وقضى على نفوذ «الأغالبة» ثم دعا «المهدي الفاطمي» إلى «المغرب» لتسلم مقاليد الأمور فلبى الدعوة، وتحفى في زى التجار حتى لا يقع في قبضة العباسيين، ودخل مدينة «رقادة» في سنة (297هـ/909م)، ثم بوع بالإمامة.

الخلفاء الفاطميون بالمغرب

حكم أربعة خلفاء فاطميين بلاد المغرب فى الفترة من سنة (297هـ/909م) إلى سنة (365هـ/975م) وكان المعز لدين الله الفاطمى هو آخر هؤلاء الخلفاء حيث انتقل بالخلافة إلى القاهرة التى اتخذها عاصمة جديدة للفاطميين، بعد أن تم له فتح مصر على يد قائده جوهر الصقلى فى سنة (358هـ/969م)، والخلفاء الأربعة هم: 1- المهدي: عبید الله أبو محمد [297 - 322هـ / 909-934م]. 2- القائم: محمد أبو القاسم [322 - 334هـ / 934-945م]. 3- المنصور: إسماعيل أبو طاهر [334 - 341هـ / 945-952م]. 4- المعز: معد أبو تميم [341 - 365هـ / 952 - 975م]. وقد وُلد «المهدي» أول الخلفاء بالعراق فى سنة (266هـ / 880م) وتوفى بالمهدية فى سنة (322هـ / 934م)، ثم تلاه ابنه «محمد» الذى ولد «بسلمية» فى الحرم سنة (278هـ / أبريل 891م)، ورحل مع أبيه إلى «المغرب»، وتولى الإمامة من بعده، ومات فى سنة (334هـ / 945م)، فجاء من بعده ابنه «إسماعيل» الذى وُلد «بالمهدية» فى الليلة الأولى من جمادى الآخرة فى سنة (303هـ / ديسمبر 915م) وبويع له فى شوال سنة (334هـ / 945م) وتوفى يوم الأحد فى الثالث والعشرين من شوال سنة (341هـ / فبراير 953م)، وكان فصيحًا بليغًا، خطيبًا حاد الذهن حاضر الجواب ثم جاء المعز آخر الخلفاء الفاطميين فتولى الأمر بعد أبيه فى شوال من العام نفسه، وكان عمره أربعة وعشرين عامًا، وقد وُلد بالمهدية فى يوم الاثنين 10 من رمضان سنة (319هـ)، وكان أول الخلفاء الفاطميين الذين دخلوا «مصر» وانتقلوا بالخلافة إليها، ومكث بها عامين وتسعة أشهر.

بعض المشكلات الداخلية

حين قدم المهدي إلى بلاد المغرب وجد أن داعيته «أبا عبد الله الشيعى» قد استحوذ على قلوب الناس فيها، وأصبح ذا نفوذ وسلطة كبيرين بالمنطقة، فأراد «المهدي» أن يجد من سلطاته ونفوذه فأنقلب عليه أبو عبد الله وتآمر ضده، وجمع زعماء كتامة وأخبرهم بتشككه فى شخص المهدي وأنه ربما يكون شخصًا آخر غير الذى دعا إليه، فبلغ هذا الأمر المهدي فتخلص منه بالقتل، فسخط الكتاميون وثاروا، وأتوا بطفل صغير وقالوا: إنه «المهدي»، فحاربهم «المهدي

الفاطمي» وقتل هذا الطفل. ثم تعرضت «المغرب» فى عهد «القائم بالله» وابنه «أبى العباس» من بعده لثورة «أبى يزيد مخلد بن كيداد اليعرنى»، الذى ينتمى إلى قبيلة «يعرن» الزناتية، وقد ولد بالسودان، ونشأ بتوروز وتعلم بها، ثم اتصل بالإباضية، ومن ثم هاجم ما استحدثه المذهب الشيعى على المجتمع المغربى واجتمع الناس حوله ورحل إلى جبل الأوراس عقب وفاة المهدي فانضمت إليه جموع القبائل، فقام بثورته واستولى على العديد من المدن، واستغرقت ثورته نحو أربعة عشر عاماً، فشملت عهد القائم بالله كله، وعامين من عهد أبى العباس الذى تصدى لها وتمكن من القضاء عليها وعلى زعيمها أبى يزيد وسجل انتصاره هذا بإنشاء مدينة المنصورية فى سنة (337هـ).

العلاقات الخارجية للفاطميين

قام الفاطميون بمجملات متكررة على مصر للاستيلاء عليها، فشلت جميعها، إلا حملة جوهر الصقلى الذى نجح فى دخول مصر فى سنة (358هـ/969م) ثم أسس بها مدينة القاهرة لتصبح عاصمة الفاطميين، فانتقلت إليها الأسرة الفاطمية وباتت القاهرة عاصمتهم حتى سقوط دولتهم. وقد سعى الفاطميون إلى بسط نفوذهم على بلاد الأندلس بالدعوة تارة وبالحراب أخرى، ولكن جهودهم ضاعت هباءً، ولم تجد دعوتهم صدى فى نفوس الأندلسيين من أهل السنة فضلاً عن أن حكام الأندلس وقفوا لهم بالمرصاد وحصنوا بلادهم، وعززو أسطولهم فتراجع الفاطميون عن ذلك واتجهوا إلى مصر. واستهدف الفاطميون من اتخاذ مصر قاعدة لحكمهم تحقيق الأمن والاستقرار لوجودهم خاصة بعد أن اشتعلت فى وجوههم الثورات الخطيرة التى كادت تودى بكيانهم على أرض المغرب فضلاً عن أملهم فى تحقيق أهداف سياسية واقتصادية فى مصر إذ إنها بموقعها وثرواتها وإمكاناتها تحقق لهم ما يريدون من مال وثروات وازدهار اقتصادى كما أن الاستيلاء عليها يعد ضربة قاصمة للعباسيين الذين قتلوا كثيراً من أبناء البيت العلوى ولذا أرادوا الانتقام منهم والثأر لأنفسهم.

النشاط المذهبي للفاطميين ببلاد المغرب

شهدت المنطقة طوال عهود الخلفاء الفاطميين في المغرب صراعاً مذهبياً بين المالكية غالبية أهل السنة - وبين الشيعة الذين استخدموا كل الوسائل الممكنة، لنشر مذهبهم وطمس معالم المذاهب الأخرى وجعلوا الوظائف قاصرة على الشيعة واستبدلوا قواعد مذهبهم بأحكام المذهب السني وعقدوا المجالس والمناظرات لإقناع أهل البلاد بصحة مبادئهم ثم لجؤوا إلى العنف والرعب والاضطهاد حين فشلت وسائلهم في إدخال سكان البلاد في مذهبهم، فشلت هذه الوسائل أيضاً حتى عاد المذهب السني مذهباً رسمياً للبلاد في عهد المعز ابن باديس .

بنو زيري بالمغرب ودخول الهلاليين

يرجع نسب «بنو زيري» إلى قبيلة «صنهاجة» البربرية التي تنتمي إلى فرع من «البرانس»، ولم تكن «صنهاجة» مجرد قبيلة بل كانت شعباً عظيماً، لا يكاد يخلو قطر من أقطار «المغرب» من بطونه وأفراده مما دفع «ابن خلدون» إلى القول بأنهم يمثلون ثلث البربر . وقد سكنت «صنهاجة» في مساحات شاسعة امتدت من «نول لمطة» في جنوب «المغرب الأقصى» إلى «القيروان» بتونس وهي منطقة صحراوية، آثروا السكنة فيها على غيرها من المدن الآهلة، لأنها - كما قلل ابن خلدون توافق مع طابعهم، ورغبتهم في الابتعاد عن الاختلاط بالناس، والفرار من الغلبة والقهر . وظهرت أسرة «بنو زيري» في أول أمرها في طاعة الفاطميين وتعاونت معهم في صد الأخطار التي تعرضت لها دولتهم بالمغرب وكان أول اتصال بينهما في عهد «المنصور الفاطمي»، حين قدم «زيري بن مناد» وأهل بيته وقبيلته لمحاربة «أبي يزيد الخارجي» في سنة (335هـ/946م)، فخلع عليه «المنصور»، ووصله، وعقد له على أهل بيته وأتباعه وقبيلته، فعظم شأنه، وصار «بنو زيري» أعواناً وأتباعاً للفاطميين، ومن ثم نشب الصراع بين الصنهاجيين، وقبائل «زناتة»، لأن «زناتة» كانت دائمة الإغارة على ممتلكات «الدولة الفاطمية». وحين عزم «المعز» على الرحيل إلى «مصر» في سنة (361هـ/972م) للانتقال إليها بخلافته، وقع اختياره على «يوسف بلكين ابن زيري بن مناد الصنهاجي» ليتولى الإمارة بالمغرب خلفاً للفاطميين .

(1) يوسف بُلْكِين بن زيرى بن مناد الصنهاجى [362-373هـ/973-983م] هذا عينه «المعز» على ولاية «المغرب»، واستثنى من ذلك «طرابلس المغرب»، و«أجدابية» و«سرت»، وعين معه «زيادة الله ابن القديم» على جباية الأموال، وجعل «عبدالجبار الخراسانى» و«حسين بن خلف» على الخراج، وأمرهما بالانقياد ليوسف بن زيرى. وواجه «يوسف» هذا عدة ثورات واضطرابات بالمغرب، كان منها عصيان أهل «تهيرت»، ثم سيطرة قبيلة «زناتة» على مدينة «تلمسان»، وقد توجه إلى «تهيرت» بجنوده وأعادها إلى طاعته، كما توجه إلى «تلمسان» وأعادها إلى حكمه فى سنة (365هـ/976م) وفى سنة (373هـ/984م) خرج الأمير «يوسف» على رأس جيوشه لاستعادة «سجلماسة» من أيدي بعض الثوار الذين استولوا عليها، ولكنه أصيب بمرض أودى بحياته فى شهر ذى الحجة سنة (373هـ/مايو 984م).

2- المنصور بن يوسف بُلْكِين بن زيرى [373-386هـ/984-996م] أوصى الأمير «يوسف بلكين» قبل وفاته بالإمارة من بعده لابنه «المنصور» الذى كان بمدينة «أشير» حين بلغه خبر وفاة والده، وأقبل عليه أهل «القيروان» وغيرها من المدن، لتعزيتة، وتهنئته بالولاية، فأحسن إليهم وقال لهم «إن أبى يوسف وجدى زيرى، كانا يأخذان الناس بالسيف، وأنا لا أخذهم إلا بالإحسان، ولست ممن يؤلى بكتاب، ويُعزل بكتاب»، وقصد «المنصور» من ذلك أن الخليفة الفاطمى بمصر لا يقدر على عزله بكتاب. وقد واجهت «المنصور» عدة مشاكل، كانت منها غارات قبائل «زناتة» المستمرة على المدن المغربية فى سنة (374هـ/985م)، واستيلاء «زيرى بن عطية الزناتى» على مدينتى «فاس» و«سجلماسة»، مما دفع «المنصور» إلى إرسال أخيه «يطوفت» على رأس جيش كبير لمواجهة هذه القبائل، ودارت معركة كبيرة بين جموع الفريقين، أسفرت عن هزيمة الصنهاجيين، وعودتهم إلى «أشير». ثم تصدى الأمير «المنصور» فى سنة (376هـ/986م) لعمه «أبى البهار» الذى نهب مدينة «تهيرت»، ففر «أبوالبهار» أمامه ودخل «المنصور» المدينة، وأعاد إلى أهلها الأمن والهدوء. ثم توفى فى يوم الخميس (3 من ربيع الأول سنة 386هـ/مارس 996م)، ودُفن بقصره.

3 - باديس بن المنصور [386-406/996-1015م]: وُلد «باديس» فى سنة (374/985م) وتكنى بأبى مناد، وخلف أباه على «المغرب» فى سنة (386/996م)، وأتته الخلع والعهد بالولاية من «الحاكم بأمر الله الفاطمى» من «مصر»، وباع للحاكم، وأعلن تبعية بلاده لخلافته، ثم أقطع عمه «حماد بن يوسف» مدينة «أشير»، وولاه عليها، وأعطاه خيالا وسلاحا، وجندا كثيرا فكانت هذه هى نقطة البداية لانقسام «بنى زيرى» إلى أسرتين: تحكم إحداهما بالمغرب الأدنى فى «ليبيا» و«تونس»، وتحكم الأخرى - أسرة «بنى حماد» - فى «الجزائر»، متخذة من قلعة «بنى حماد» مقرا للحكم. وانفرد «بنو حماد» بإقليم «الجزائر»، نظرا لضعف قبضة الأمير «باديس» على البلاد. وقد وصل «باديس» مطاردة «زناتة»، وأخبر فى سنة (387/997م) بأن «زيرى بن عطية الزناتى» قد اعتدى على مدينة «أشير»، فبعث إليه بجيشه لمواجهة، ولكن الجيش هُزم على أيدي الزناتيين، فاضطر الأمير «باديس» إلى الخروج بنفسه لمواجهةهم فى «أشير»، فلما علم الزناتيون بذلك انطلقوا إلى الصحراء، وتركوا المدينة، فدخلها «باديس»، وأقر الأمور بها، ثم مات فى سنة (406/1015م).

4 - المعز بن باديس [406-453/1015-1061م] أخذت البيعة للمعز بمدينة «المحمدية» وتولى الأمر يوم وفاة أبيه وفرح الناس بتوليته لما رأوا فيه من كرم ورجاحة عقل، فضلا عن تواضعه ورقة قلبه، وكثير عطائه على الرغم من حداثة سنه. وقد حدثت فى عهده بعض التطورات، حيث ألغى المذهب الشيعى، وخلع طاعة الفاطميين، ودعا على منابرهم للعباسيين، وتصالح مع أبناء عمومتهم الحماديين سنة (408/1017م) وواصل مطاردة «قبائل زناتة» جهة «طرابلس»، فى أبناء «حماد». ثم أصيب «المعز بن باديس» بمرض فى كبده أودى بحياته فى سنة (453/1061م)، بعد حكم دام سبعا وأربعين سنة.

5 - تميم بن المعز بن باديس [453-501 هـ / 1061-1108م]: وُلد بالمنصورية فى منتصف رجب سنة (422هـ/يونيو 1031م)، ثم تولى إمرة «المهدية» فى عهد والده «المعز» فى سنة (445هـ/1053م)، ثم خلف والده فى الإمارة فى سنة (453هـ/1061م) فواجه عددا من الاضطرابات والقتال، حيث سيطر العرب الهلاليون على كثير من مناطق

«إفريقية»، وثار عليه أهل «تونس» وخرجوا عن طاعته، فأرسل إلى «تونس» جيشاً، حاصرها سنة وشهرين فلما اشتد الحصار على الناس، طلبوا الصلح، وعاد جيش «تميم» إلى «المهدية»، ثم ثارت عليه مدينة «سوسة» فحاصرها وفتحها عنوة، وأمن أهلها على حياتهم. وقد تعرضت «المهدية» في عهده لهجمات الهلالية، لكنه تمكن من صدّهم، ثم حاصر «قابس» و«صفاقس»، واستولى عليهما من أيدي الهلالية الذين كانوا يحتلونهما. وعمد إلى مهادنة أبناء عمومته في «الجزائر»، وزوج ابنته للناصر بن علناس أمير «الجزائر»، وأرسلها إليه في موكب عظيم، محملة بالأموال والهدايا. ثم توفي في سنة (501/1107م).

6 - يحيى بن تميم بن المعز بن باديس [501 - 509/1107 - 1115م] ولد بالمهدية في (26 من ذى الحجة سنة 457هـ)، وولى الإمارة وعمره ثلاث وأربعون سنة وستة أشهر وعشرون يوماً، فوزع أموالاً كثيرة، وأحسن السيرة في الرعية، ثم فتح قلعة «أقليبية» التي استعصى على أبيه من قبل فتحها، كما جهز أسطولاً كبيراً، كان دائم الإغارة على الجزر التابعة لدولة الروم في البحر المتوسط، ومات فجأة في يوم عيد الأضحى سنة (509هـ - 1115م).

7 - علي بن يحيى بن تميم [509 - 515هـ / 1115 - 1121م]: ليكن الأمير «علي» حاضراً بالمهدية التي وُلد بها حين وفاة والده، فلما وصل إليه الخبر، حضر مسرعاً، ودفن والده، وتولى الإمارة خلفاً له ثم جهز أسطولاً كبيراً لمهاجمة جزيرة «جربة»، لأن أهلها قطعوا الطريق على التجار وتمكن الأسطول من إخضاع الجزيرة، وأمن الأمير أهلها وعفا عنهم، ثم قضى على عصيان «رافع» عامله على «قابس»، الذي سعى إلى شق عصا الطاعة وحشد الجموع لمهاجمة «المهدية» وقد توفي الأمير «علي» في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة (515هـ/يونيو 1121م).

8 - الحسن بن علي بن يحيى [515 - 543هـ / 1121 - 1148م]: ولى الإمارة عقب وفاة والده الأمير «علي»، وكان عمره آنذاك اثنتي عشرة سنة، فقام «صندل الخصى» بإدارة شؤون الحكم، إلا أنه توفي بعد فترة قصيرة، فتولى القائد «أبو عزيز موفق» الإشراف على أمور البلاد، وتمكن من صد الأسطول الرومي الذي هاجم بعض حصون الزيريين في سنة (517هـ/1123م)،

وكذلك الحق الأمير «الحسن» الهزيمة بجيش «يحيى بن عبدالعزيز بن حماد» أمير «بجاية» الذي جاء لمهاجمة «المهدية» والاستيلاء عليها في سنة (529هـ/ 1135م) وفي سنة (537هـ - 543هـ/ 1142 - 1148م) حل القحط يافريقية واستغل ملك «صقلية» ذلك وجهاز أسطولاً كبيراً، وتوجه به قاصداً «المهدية»، ولم يستطع «الحسن» الدفاع عنها، وهرب بأهله ومناعه إلى أبناء عمومه من «بنى حماد»، فوضعوه وأهله تحت الحراسة، ومنعوه من التصرف فى شىء من أمواله، ودخل الروم مدينة «المهدية» دون قتال أو مانعة، فسقط حكم «بنى زيرى»، وسقطت إمارتهم، وكان «الحسن بن على» آخر أمراء «الدولة الزيرية».

العلاقات الزيرية الفاطمية

شكلت العلاقات الزيرية الفاطمية حجر الزاوية فى وضع «بنى زيرى» بالمغرب إذ أسفرت هذه العلاقات عن هجوم القبائل الهلالية على أقاليم «الدولة الزيرية»، بمساعدة الفاطميين فى «مصر» وتوجيههم، وكان ذلك سبباً رئيسياً فى سقوط «بنى زيرى» وانتهاء دولتهم، كما اتخذ «المعز بن باديس» خطوات جريئة فى سبيل الاستقلال بإمارته عن الخلافة الفاطمية، حين قاطع أهل «إفريقية» صلاة الجمعة بالمساجد لأنها تمثل المذهب الشيعى، فضلاً عن نبذ الرعية للمذهب الشيعى وتمسكهم بالمذهب المالكى، وبدأ «المعز» فى السعى إلى الاستقلال عن الفاطميين وراسل الخلافة العباسية فى سنة (435هـ/ 1044م)، وبعث رسولا من قبله إلى «بغداد» ليأتيه بالعهد واللواء، ورحب «العباسيون» بذلك، للانتقام من الفاطميين، واسترجاع بعض مظاهر سيادتهم على هذه المناطق التى انفصلت عنهم منذ زمن بعيد، وبعثوا بالعهد واللواء مع «غالب الشيرازى» أحد رجالهم، ولكن «غالب» وقع فى قبضة الروم، وأرسلوه إلى أصدقائهم الفاطميين بمصر، فأحرق الفاطميون العهد واللواء، وطافوا بالرجل فى شوارع «القاهرة»، فقطع «بنو زيرى» علاقتهم بالفاطميين، وعادوهم ولعنوهم على المنابر، ودعوا للعباسيين، ثم دعوا استقلالهم وارتباطهم بالعباسيين، وهدموا دار الإسماعيلية مركز نشر الدعوة الفاطمية بالبلاد وغيروا العملة، واتخذوا اللون الأسود شعار العباسيين رمزاً لهم. وقد حاولت الخلافة الفاطمية إرجاع العلاقات إلى ما كانت عليه بالترغيب والترهيب حتى وصل

«اليازورى» إلى منصب الوزارة وقبض على مقاليد الأمور بالخلافة، فعمد إلى تشجيع القبائل الهلالية على التوجه إلى «القيروان» وأطلق لها العنان فى التدمير والتخريب، وامتلاك كل ما يقع تحت سيطرتها. ويرجع تشجيع الوزير الفاطمى لهذه القبائل لعدة أمور، منها: رغبته فى الانتقام من «المعز بن باديس»، وتوفير الأموال الطائلة التى ستنفقها الجيوش إذا ما خرجت إلى المغرب لمحاربة «بنى زيرى» فضلاً عن أمله فى التخلص من القبائل الهلالية ذاتها؛ لأنها تشكل مصدر إزعاج وقلق للسلطة الحاكمة بالقاهرة. وقد فرض الوزير الفاطمى «اليازورى» ديناراً وبعيراً لكل رجل من «الهلالية»، فخرجت هذه القبائل قاصدة «القيروان» واستولت على مدينة «برقة» دون مقاومة، وتقاسمت فيما بينها المناطق الشرقية، واستأثرت بعض قبائل «بنى هلال» بالمناطق الغربية، واتجهت جموع «دياب» و«عُرف» و«زغب». وبقية البطون الهلالية إلى «إفريقية»، واستولوا على «سرت» و«أجدابية» ودمروها، كما دمروا بقية المدن والقرى فى طريقهم إلى «القيروان». وخرج «المعز بن باديس» بجيشه وجموع «زناتة» و«صنهاجة» و«عبدة» لملاقاة الهلاليين، ولكنهم تغلبوا عليه وهزموه على الرغم من أن عددهم كان لا يتجاوز ثلاثة آلاف فارس، فى حين بلغ تعداد جيش «المعز» ثلاثين ألف مقاتل، وأسرع المعز إلى «القيروان» وأقام حولها سوراً لحمايتها فى سنة (446هـ/1054م)، ثم أمر السكان من النساء والأطفال والشيوخ بالانتقال إلى مدينة «المهدية» الحصينة للاحتماء بها فلما يئس من حماية القيروان انتقل برجال دولته وحاشيته إلى «المهدية»، فدخلها الهلاليون فى سنة (449هـ/1057م). ولم يمكث «المعز» طويلاً بعد سقوط «القيروان» والكثير من مدن دولته، وتوفى بالمهدية فى سنة (453هـ/1061م)،

ومن ثم انهار الحكم الزيرى بالمنطقة، وتحكمت فيها القبائل الهلالية، وامتد تأثيرهم السياسى حتى وصل إلى «المغرب الأوسط»، وهادنهم «بنو حماد»، وأعطوهم نصف غلات بلادهم اتقاء لشركهم، ودفعاً لأذاهم وخطرهم

(قال) ولد دولة الزيرية الفضل فى اختلاط الهلاليين بسكان «المغرب» مما له أثره الكبير فى تعريب جزء من هؤلاء السكان، حيث امتزج المغاربة بالعرب الهلاليين على مر الأيام، وتزاوجا، فاختلطت

الدماء، وتعلم سكان البلاد الأصليون لغة الوافدين العرب، فانتشرت اللغة العربية فى مناطق كثيرة من المغرب، ومن ثم انتشرت الثقافة العربية بهذه البلاد .

قيام دولة المرابطين

قامت «دولة المرابطين» على أساس دعوة دينية، نمت وازدهرت فى «ديار الملثمين» بجنوب «المغرب الأقصى» بفضل جهود الفقيه المالكي «عبدالله بن ياسين»، الذى تمتع إلى جانب علمه وفقهه بعبء النظر ونفاذ البصيرة، وتوجه إلى قبيلة «جدالة» بصحبة زعيمها «يحيى بن إبراهيم»، ففرحت بمقدمه، ثم ما لبث هذا الفرع طويلا حتى تحول إلى جفوة وإعراض حين بدأ «ابن ياسين» فى تغيير ما ألفوه من عادات وملذات تخالف أحكام الدين، وحسبه الزعماء والنبلاء ينتقص من حقوقهم، ويسوى بينهم وبين مواليتهم، وساءت العلاقة بينهم وبين «ابن ياسين» ونهبوا داره وهدموها، واضطر هذا الفقيه إلى الرحيل بمن تبعه إلى جزيرة منعزلة بالسنگال. وبدأ «ابن ياسين» فى هذه الجزيرة بإعداد التلاميذ ونشر الدعوة، فذاع صيته، وكثر عدد أتباعه، فأطلق عليهم لقب: «المرابطين»، ومضوا فى تنفيذ ما أمر به. وقد بدأ المرابطون نشر دعوتهم بين قبيلة «جدالة» التى تمردت على «ابن ياسين» من قبل، فقصدوا قبيلتى «لمتونة» و«سوقة» ونجحوا فى نشر دعوتهم بينهما، فكان ذلك مدعاة لانضواء بقية القبائل تحت لوائهم ولما توفى الأمير «يحيى بن إبراهيم الجدالى» فى سنة (447هـ/1055م) فاختر «ابن ياسين» «يحيى بن محلاكاكين اللمتونى» قائداً لجند المرابطين، فنقل بذلك السلطة العسكرية من «جدالة» إلى «لمتونة» التى كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين بقية «قبائل الملثمين»، فضلا عن سيطرتها على طرق التجارة الساحلية، وهكذا ظهرت قبيلة «لمتونة» على مسرح الأحداث، وتتابع أبناؤها فى السلطة حتى نهاية حكم المرابطين. وفى سنة (447هـ/1055م) استغاث فقهاء «درعة» و«سجلماسة» بعبدالله بن ياسين لإنقاذ بلادهم من الفساد والظلم، فاستجاب لهذه الدعوة وخرج بجيشه متوجهاً إلى «درعة» و«سجلماسة»، وتمكن من القضاء على أمراء «مغراة» وولى المرابطون عمالا تابعين لهم على هذه البلاد. ولم يستمر الهدوء طويلاً بمدينة «سجلماسة» وقامت بها ثورة اضطرت المرابطين بقيادة «يحيى بن محلاكاكين» إلى العودة إليها، ونجحوا فى إخماد

ثورتها، إلا أن قائدهم «يحيى الممتوني» استشهد في المعركة، فوقع اختيار «ابن ياسين» على الأمير «أبي بكر بن عمر» في سنة (448هـ/1056م) لقيادة الجيوش، فانتقل «أبو بكر» بالدعوة من مرحلة تلبية نداء المعونة لسجلماسة و«درعة» إلى مرحلة الغزو المسلح للمغرب الأقصى، ودخل مع قبائل «برغواطة» التي اعتنقت المجوسية في عدة معارك، فأصيب الداعية «ابن ياسين» في إحداها بإصابات قاتلة أودت بحياته في سنة (451هـ/1059م). وواصل «أبو بكر» جهاده وفرق جموع «برغواطة»، واستأصل شأفتهم، ثم رجع إلى مدينة «أغمات» التي اتخذها عاصمة له. وقد شاركه في نشاطه المسلح ابن عمه «يوسف بن تاشفين الصنهاجي الممتوني»، الذي أثبت كفاءة عالية، ومقدرة فائقة، وحقق نجاحاً بارزاً غير أن أحداثاً ما وقعت بالصحراء جعلت «أبا بكر» يتوجه إلى الجنوب تاركاً قيادة بقية المرابطين لابن عمه «يوسف بن تاشفين» ويعد «ابن تاشفين» المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى، وقد تجمعت فيه صفات الزعامة والشجاعة والقيادة والحزم، والتفت حوله قلوب المرابطين، وشرع في بناء مدينة «مراكش» عاصمته الجديدة في سنة (454هـ/1062م) ونجح في بسط نفوذه على «المغرب الأقصى» في سنة (467هـ/1074م). وقد نجح ابن «تاشفين» إلى جانب توحيد «المغرب الأقصى» في وقف الزحف النصراني على «الأندلس»، وضمها إلى «دولة المرابطين» التي اتسعت أطرافها وزادت خيراتها، وتمتعت بالازدهار والرقى في مختلف المجالات، ثم مرض «يوسف» في سنة (498هـ/1104م)، وتوفي سنة (500هـ/1106م) ودفن بمدينة «مراكش». وتولى بعده على بن يوسف بن تاشفين الحكم واقتفى سياسة والده، وسار بين الناس بالحكمة والعدل واستعان بالفقهاء والعلماء في حكم البلاد، فقبوا مكانة طيبة في نفوس رعيته. ومضى «على بن يوسف» في استكمال الجهود الحربية التي بدأها والده بالأندلس، وعبر إليها بنفسه أربع مرات لتثبيت سلطان المرابطين، ومواجهة الهجمات المتكررة للمسيحيين، فأحرز انتصارات كبيرة ونال رضا الخلافة العباسية. ثم بعده تولى ابنه «تاشفين» الحكم من بعده، فدخل في صراع مع دولة «الموحدين»، ولم تفلح جهوده في صد موجاتهم المتتابعة، وانتهى به الأمر إلى «وهران»؛ حيث قُتل في سنة (539هـ/1144م)، ففت ذلك في عضد الدولة، وسقطت أجزاء كثيرة منها في

أيدي الموحدين . حاول المرابطون الاحتفاظ بكيانهم المتداعي، وأمروا عليهم «إبراهيم بن تاشفين» إلا أنه لم ينعم بالسلطة طويلاً، حيث نازعه عليها عمه «إسحاق بن علي ابن تاشفين»، وتولى مكانه ولكنه لم يستطع أن يدفع حصار الموحدين بقيادة «عبد المؤمن» خليفة «ابن تومرت» حول العاصمة «مراكش» في سنة (541هـ/1146م)، فسقطت «مراكش» في يد «عبد المؤمن» الذي أعمل فيها السيف وقضى على كثير من أهلها، وترتب على ذلك سقوط «دولة المرابطين» . وقيام «دولة الموحدين» .

قيام دولة الموحدين

لم تنعم «دولة المرابطين» بالهدوء والاستقرار منذ ظهور الداعية «محمد ابن تومرت» على مسرح الأحداث، وقد نشأ «ابن تومرت» نشأة دينية بقبيلة «هرنمة» إحدى قبائل المصامدة، ولكن ما تلقاه من علوم في وطنه لم يروّظمأه، فسافر إلى المراكز الثقافية المشهورة بالعالم الإسلامي وبدأ رحلاته إلى «الأندلس» في مطلع القرن السادس الهجري، ثم إلى المشرق ماراً بالإسكندرية ومنها إلى «مكة» ثم إلى بغداد حيث التقى هناك بأكابر العلماء أمثال «أبي بكر الطرطوشي» واستغرقت رحلته في طلب العلم نحو خمسة عشر عاماً مكنته من التزود بقدر كبير من الثقافة والمعرفة، وتعرّف أحوال العالم الإسلامي، ومدى انقسام المسلمين وفرقتهم بالمشرق . وبعد أن عاد إلى «المغرب» بدأ دعوته بمدن المغرب محاولاً إصلاح الأوضاع الفاسدة وتغييرها . فوجدت دعوته قبولا وترحيباً من الجماهير، ورفضاً شديداً من الحكام؛ إذ رأوها خطراً يهدد مصالحهم ومراكزهم . والتقى «ابن تومرت» خلال هذه الرحلة بعبد المؤمن بن علي الذي أصبح من أخلص تلاميذه، وصاحبه في كل مكان يذهب إليه، ثم دخل «ابن تومرت» العاصمة «مراكش» في منتصف ربيع الأول سنة (515هـ/1121م)، وقام بدوره في الوعظ والإرشاد، واعترض على سياسة الدولة في بعض الأمور، ووصل خبره إلى الأمير «علي بن يوسف» الذي استدعاه، وجمع كبار العلماء والفقهاء لمناظرته . وانتهى الأمر بطرده من العاصمة خشية التأثير على العامة وإضعاف مراكز الفقهاء . وكانت الحصافة السياسية تقتضى سجن هذا الداعية أو التحفظ عليه لخطورته على الدولة، وهو ما تحقق عقب مغادرة «ابن تومرت» «مراكش»، إذ أعلن عن نيته في

مواجهة السلطة الحاكمة، وخلعه الأمير «علي بن يوسف»، وبايعه من حوله إماماً للدعوة الجديدة فى سنة (515هـ/ 1121م)، واتخذ من مدينة «تينملل» مقراً له، ومركزاً لدعوته، وشرع فى تحقيق أهدافه السياسية والدينية لإقامة خلافة إسلامية بالمغرب، ولم يدخر فى ذلك وسعاً ولا وسيلة إلا استغلها، وعمد إلى نشر دعوته بين السذج، وألف لهم فى التوحيد والعقيدة بلغتهم البربرية حتى يسهل عليهم التعلم، ويسهل عليه السيطرة عليهم، ومن ثم باتت له الكلمة العليا فى كل شئونهم. وشارك «ابن تومرت» فى الكفاح المسلح ضد «دولة المرابطين»، وتذكر المراجع أنه اشترك فى تسع غزوات، وكانت معركة «البحيرة» التى أصيب فيها الموحدون بالهزيمة هى السبب الرئيسى فى خيبة أمل «ابن تومرت» ومرضه؛ حيث قتل فيها عدد كبير من أتباعه، ولكن بقاء تلميذه ومساعدته «عبد المؤمن بن علي» على قيد الحياة كان سبباً فى تخفيف هذه الصدمة، ومع ذلك لزم «ابن تومرت» داره، واشتد عليه مرضه، وفارق الحياة فى سنة (524هـ/ 1130م)، وخلف وراءه حرباً مشتعلة على أرض «المغرب الأقصى». بعده تولى عبد المؤمن بن علي وحمل أعباء الدعوة عقب وفاة أساتذته، وشغل بتنظيم شئون الموحدين، مدة عام ونصف العام، ثم شرع فى الكفاح ضد المرابطين فى منطقة «الأطلس» جنوبى «مراكش» فى «وادي درعة» و«بلاد السوس» و«بلاد جاحة» القريبة من «تينملل»، ثم استولى الموحدون على «مراكش» عاصمة المرابطين فى سنة (541هـ/ 1146م)، بعد كفاح دام أكثر من عشر سنوات كان النصر فيها حليفاً للموحدين. وقد نجح «عبد المؤمن» فى إحكام قبضته وسيطرته على «المغرب الأقصى» بعد سقوط دولة المرابطين بسقوط عاصمتهم «مراكش»، ثم وجه اهتمامه إلى الشرق وبعث بجمالاته المتابعة التى وصلت حتى «طرابلس» بإفريقية، فساعد هذا النصر على تحقيق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامى، وتلقب «عبد المؤمن» بلقب خليفة واتخذ من «مراكش» عاصمة للخلافة ثم شرع فى تجهيز حملة كبيرة لدفع النصارى عن مدن «الأندلس» فى سنة (556هـ/ 1161م) إلا أن مرضه حال دون إتمام هذه الحملة، ومات فى سنة (558هـ/ 1163م) ثم جاء يوسف بن عبد المؤمن ويوبع فى سنة (558هـ/ 1163م)، ليكون خلفاً لوالده. وما إن استقر فى العاصمة حتى واجهته ثورة «مرزق الصنهاجى» بجبال «غمارة» فنجح

فى القضاء عليها وتفريق أعوانها ثم أمر بقتل «مرزوغ» وحمل رأسه إلى العاصمة «مراكش» ووجه «ابن عبد المؤمن» جل جهوده إلى دعم سلطة الموحدين بالأندلس، وبعث بالحملة المتابعة إليها وخرج على رأس إحداهما فى سنة (566هـ / 1170م)، لتأمين تغور «الأندلس» وضبطها وإصلاحها ثم خرج فى سنة (579هـ / 1183م) على رأس حملة كبيرة إلى «الأندلس» لغزوها إلا أنه أصيب بسهم عند أسوار «شنترين»، فأسرع الجند بحمله والعودة به مصاباً إلى «مراكش»، ف قضى نحبه فى سنة (580هـ / 1184م). وتولى «يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن» خلفاً لوالده فى سنة (580هـ / 1184م)، ولقب نفسه بالمنصور، وتوزعت جهوده العسكرية فى أكثر من ميدان حيث قامت ثورة بزعامة «الجزيرى» الذى أخذ يدعو لنفسه بين القبائل فى سنة (585هـ / 1189م) ف قضى عليها «المنصور» وقتل زعيمها ثم قامت ثورة أخرى ببلاد «الزاب» بزعامة رجل يدعى «الأشل» فى سنة (589هـ / 1193م)، فكان مصيرها الفشل مثل سابقتها. أما ثورة «بنى غانية» التى استهدفت إحياء «دولة المرابطين» والدعاء للخلافة العباسية على المنابر بإفريقية فكانت الخطر الحقيقى الذى هدد «دولة الموحدين»، فوجه «المنصور» إليها كل جهوده للقضاء عليها، وعلى الرغم من تكرار المحاولة فإنه لم ينجح فى القضاء عليها نهائياً وقد أولى «المنصور» «الأندلس» اهتمامه وعنايته ودخل فى عدة معارك مع الإفريج كانت أبرزها معركة «الأرك» فى سنة (591هـ / 1195م) تلك التى أوقفت زحف النصارى وزادت من هيبة الموحدين ومكانتهم بالشمال الإفريقى ثم أصيب المنصور بوعكة صحية أدت إلى وفاته فى سنة (595هـ / 1199م) وتولى «الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب» خلفاً لوالده «المنصور»، فحدثت فى عهده بعض التطورات السياسية والعسكرية التى انتقلت بدولة الموحدين من مرحلة القوة والسيادة إلى مرحلة الانهيار والسقوط حيث تمكن فى بداية حكمه من القضاء على ثورة «بنى غانية» بإفريقية التى دخلها فى سنة (598هـ / 1202م) وعاد منها فى سنة (604هـ / 1207م) بعد أن ولى على «إفريقية» «أبا محمد عبد الواحد بن أبى حفص» أحد أشياخ الموحدين، فعكف «ابن أبى حفص» على معالجة شؤون «إفريقية»، ودعم سلطان الموحدين بها إلا أن ولاية «أبى حفص» كانت البداية لقيام «دولة الحفصيين»

بتونس حيث استقل أبناؤه بعد ذلك بها وأسسوا ملكاً مستقلاً. وقد فُجع الموحدون بهزيمة قاسية بالأندلس فى معركة «العقاب» التى راح ضحيتها عدد كبير من الجند، مما أضعف «دولة الموحدين» وأفقدتهم هيبتهم، وأصيب «الناصر» بالمرض، وتوفى فى سنة (610هـ/ 1213م) وقد عرف الانهيار والضعف طريقهما إلى «دولة الموحدين» عقب وفاة «الناصر»، ودخلت الدولة مرحلة من الفوضى، والصراع بين أفراد البيت الموحدى، فضلاً عن اندلاع الثورات والقتال فى أماكن متعددة وظل هذا حالها حتى سنة (668هـ/ 1269م) التى قتل فيها «أبودبوس» آخر خلفاء الموحدين أمام أسوار العاصمة «مراكش» التى دخلها «المرينيون» وقضوا على «دولة الموحدين». وقد تولى عقب وفاة «الناصر» عدد من الخلفاء الضعاف، وهم:

- 1- أبويعقوب يوسف الثانى المستنصر بالله [611-620هـ]. و2- أبو محمد عبد الواحد المخلوع [620-621هـ/ 1223-1224م]. و3- أبو محمد عبد الله العادل [621-624هـ 1224-1227م]. و4- المأمون أبو العلاء إدريس ابن يعقوب المنصور [624-630هـ 1227-1233م]. و5- أبو محمد عبد الواحد الرشيد [630-640هـ/ 1233-1242م]. و6- أبو الحسن على السعيد المقدر بالله [640-646هـ/ 1242-1248م]. و7- أبو حفص عمر المرتضى [646-665هـ 1267/1248م]. و8- أبو العلاء إدريس الثانى (المعروف بأبى دبوس) [665-668هـ/ 1267/1269م]

وقد تمتع العرب الهلالية بما يتمتع به جند الموحدين، وأقطعهم ولاية الأمر بعض الأراضى، وأنفقوا عليهم النفقات الكبيرة، وأغدقوا عليهم بالعطايا حتى يوفروا لهم الاستقرار ويبعدوهم عن الفتن وإثارة القلاقل والاضطرابات.

الدول المغربية بعد سقوط الموحدين

كانت هزيمة الموحدين فى معركة العقاب بالأندلس فى سنة (609هـ 1212م) إيذاناً باضمحلال دولتهم حيث تسببت هذه المعركة فى سريان الضعف فى كيانات الدولة، بالإضافة إلى اعتلاء عرشها مجموعة من الخلفاء الضعاف وقيام عدد من الثورات وحركات الانفصال التى حدثت بالدولة. وقد استغلت القبائل المغربية ضعف الموحدين، وعدم قدرتهم على

التصدي لمحاولات الانفصال، فتأسست مجموعة من الدول على أرض «المغرب» وبسطت نفوذها وسلطانها على المنطقة، وهذه الدول هي: - (1) دولة «بنى مرين» بالمغرب الأقصى [668 - 869هـ / 1269 - 1465م]. - (2) دولة «بنى وطاس» التي قامت على أنقاض دولة «بنى مرين» بالمغرب الأقصى [869 - 962هـ / 1465 - 1555م]. - (3) دولة «بنى زيان» بالمغرب الأوسط (الجزائر وتلمسان) [637 - 962هـ / 1239 - 1555م]. - (4) «الدولة الحفصية» بإفريقية (تونس) [625 - 981هـ / 1519 - 1573م]. وهكذا فقد المغرب وحدته، وصارت تحكمه تجمعات قبلية فى أنحاء متفرقة.

دولة بنى مرين بالمغرب الأقصى

[668 - 869هـ / 1269 - 1465م]

ينتمى المرينيون إلى قبائل «زناتة»، وهم على أرجح الآراء من فرع بربر البتر، الذين كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر سعياً وراء الماء والكلاء، وبدأ ظهورهم على مسرح الأحداث خلال عهد المرابطين حيث شاركوا فى مجريات الأحداث بزعامة «المخضب بن عسكر» أحد أبناء «بنى مرين»، وكان زعيماً قويا مرهوب الجانب، ونجح فى السيطرة على جميع «بلاد زناتة» و«بلاد الزاب»، فحاول المرابطون مصانعة، وأرسلوا إليه الهدايا والأموال. ثم انتقل ولاء المرينيين إلى الموحدين وساعدوهم فى إقامة دولتهم، وثبتت أقدامهم وشاركوهم فى معاركهم بالميدان الأندلسى. ولقد كان ضعف الموحدين سبباً رئيسياً فى انتقال «بنى مرين» من المغربين الأدنى والأوسط إلى «المغرب الأقصى» حيث الخصب والرخاء. ومراحل قيام دولة بنى مرين: كالتالى:

(1) مرحلة تثبيت أقدامهم فى مناطق التلؤل والأرياف (592-614هـ / 1191-1217م). واتصاف الأمير عبدالحق زعيم قبائل بنى مرين بالتقوى والصلاح والشجاعة والعدل والعطف على الفقراء كان له أثره على جموع المرينيين الذين التفوا حوله، وجذبوا إليهم عدداً من القبائل المغربية التى انضمت إليهم، وعمدوا إلى التوسع وفرض النفوذ على حساب الموحدين، ودخلوا فى عدة معارك كانت أشهرها معركة «وادي نكور» التى خسرها الموحدون. وقد حمل «عثمان بن عبدالحق» (614-637هـ / 1217-1239م) راية المرينيين عقب

مقتل والده الأمير «عبدالحق»، فواصل حملاته العسكرية، وفرض نفوذه على مساحات واسعة من أرض «المغرب»، ثم دعا شيوخ القبائل واتفق معهم على خلع طاعة الموحدين، والقيام بأمر الدنيا والدين، والنظر فى صلاح المسلمين، فعملوا على تحقيق ذلك حتى عام (625هـ/1228م)، فقوى شأنهم، وخضعت لهم جميع قبائل «المغرب»، وسيطروا على جميع موانئ «المغرب» التى امتدت من «وادي ملوية» إلى «رباط الفتح».

(2) مرحلة الاستيلاء على المدن الكبرى: وحمل أعباء هذه المرحلة فارس «زناتة» الأمير «أبو يحيى أبوبكر ابن عبدالحق»، الذى كان بطلاً شجاعاً، قوى الإرادة، حازم الرأى، فقام بتأمين الجهة الداخلية للمرينيين وأخضعها لإشراف مالى وإدارى دقيق، ثم واصل مهاجمة المدن المغربية الكبرى واستولى على «مكناسة» و«فاس» و«سلا» و«رباط الفتح» و«سجلماسة» و«درعة».

(3) المرحلة الأخيرة للاستيلاء على العاصمة مراكش وهى الله لبنى مرين فى هذه المرحلة أن يقوم بقيادتهم الأمير «أبيوسف يعقوب بن عبدالحق» (656-685هـ/1258-1286م)، الذى اعتبرته المصادر سيد «بنى مرين» على الإطلاق، وبدأ عهده بمواجهة بعض المشاكل التى واجهت المرينيين فى هذه الفترة ودخل فى عدة معارك مع الموحدين تمهيداً لدخول العاصمة «مراكش» وقد أعد «أبيوسف» حملة كبيرة ثم خرج بها من «فاس» فى شعبان سنة (666هـ/إبريل 1268م) وعبر بها النهر المجاور لمدينة «فاس»، ثم هاجم كل القوي والقبائل المعاونة للموحدين ونجح فى إخضاعها والسيطرة عليها، ثم كانت المعركة الأخيرة بين الموحدين والمرينيين فى شهر الحرم سنة (688هـ/يناير 1289م) عند «وادي غفو»، ودارت بين الفريقين معركة قوية أسفرت عن هزيمة الموحدين ومقتل «أبى دبوس» خليفهم ثم دخل الأمير «أبيوسف يعقوب» العاصمة «مراكش» معلناً سقوط «دولة الموحدين»، وقيام «دولة بنى مرين». وظلت «دولة بنى مرين» فى اتساعها ودعم استقرارها مدة خمس وسبعين سنة، فى الفترة من سنة (685هـ/1286م) إلى سنة (759هـ/1359م)، وحكمها خلال هذه الفترة مجموعة من السلاطين الأقوياء هم: 1- أبويعقوب يوسف بن يعقوب [685-706هـ/1286-

1306م]. 2- أبو ثابت عامر بن أبي عامر [706 - 708هـ / 1306 - 1308م]. 3- أبو الربيع سليمان بن أبي عامر [708 - 710هـ / 1308 - 1310م]. 4- أبو سعيد عثمان (الثانى) بن يعقوب [710 - 732هـ / 1310 - 1332م]. 5- أبو الحسن على بن عثمان [732 - 749هـ / 1332 - 1348م]. 6- أبو عنان فارس المتوكل بن على [749 - 759هـ / 1348 - 1358م].

وقد اتسمت هذه الفترة بتوسع نفوذ «بنى مرين» بالمغرب و«الأندلس»، على الرغم من الثورات الكثيرة والقتال المتابعة التي واجهتهم. وسبب ضعف بنى مرين وسقوط دولتهم سنة [759 - 869هـ / 1358 - 1465م] أن مقتل السلطان «أبى عنان فارس المتوكل بن على» فى سنة (869هـ / 1358م) كان إيذاناً بدخول «دولة بنى مرين» فى مرحلة الضعف والانهار؛ حيث انتقلت السلطة من أيدي «بنى مرين» إلى أيدي الوزراء، فضلاً عن فقدان الدولة لنفوذها وانكماشها داخلياً حدودها بالمغرب الأقصى، وتعرضها للأزمات الاقتصادية، والأوبئة والكوارث الطبيعية التى حلت بالمغرب الأقصى، مما عجل بسقوط الدولة، فى عهد السلطان «عبدالحق بن أبى سعيد»، الذى تمكن الثوار من القبض عليه وقتله فى صبيحة يوم الجمعة (27 من رمضان سنة 869هـ / 23 مايو 1465م).

بنو وطاس بالمغرب الأقصى

[869 - 962هـ / 1465 - 1555م]

«بنو وطاس» فخذ من قبيلة «بنى مرين»، ولكنهم ليسوا من فرع الأسرة المرينية الحاكمة، وقد قامت علاقة حذرة بين أسرتي «بنى وطاس» و«بنى مرين»، ثم تعدى «بنو وطاس» هذا الحذر واتخذوا موقفاً عدائياً من دولة «بنى مرين» منذ قيامها، وساندوا الموحدين فى صراعهم معهم ومن ثم عمد المرينيون بعد قيام دولتهم واستقرار الأوضاع لهم إلى إحكام قبضتهم على حصن «تازوطا» الذى كان مقر «بنى وطاس» فى ذلك العهد، ولكن الوطاسيين قاموا بثورة فى سنة (691هـ / 1292م) للاحتفاظ بنفوذهم فى هذا الحصن، وامتدت ثورتهم فشملت منطقة الريف ثم طردوا والى المرينى وحاشيته، وسيطروا على الحصن، مما دفع السلطان «يوسف

بن يعقوب المريني» إلى تجهيز جيش كبير، وجعل عليه «عمر بن المسعود بن خرباش» أحد قادته المخلصين وأمره بالتوجه إلى حصن «تازوطا» ثم خرج السلطان بنفسه على رأس جيش آخر وحاصر الجيشان الحصن مدة عشرة أشهر، وتمكن «عمر» و«عامر» ابنا «يحيى بن الوزير الوطاسي» زعيما الوطاسيين من الفرار بأموالهما إلى «تلمسان»، ودخل السلطان الحصن وأنزل العقاب بالوطاسيين ثم عاد إلى عاصمته «فاس» في آخر جمادى الأولى سنة (692هـ/ أبريل 1693م) وقد تآمر «زيان بن عمر الوطاسي» مع الأمير «أبي عبد الرحمن المريني» ضد والده السلطان «أبي الحسن»، في محاولة للاستيلاء على السلطة، ولكن محاولتهما باءت بالفشل وسُجن الأمير، وفر «الوطاسي» إلى «تونس». وعلى الرغم من كل ما سبق فإن الوطاسيين نالوا حظا وافرا من المراكز العامة بالدولة المرينية، وتغلغل نفوذهم داخل مراكز الحكم المدني، وكذا العسكري، ووصل بعضهم إلى منصب الوزارة مثل: «رحوبن يعقوب الوطاسي» الذي ولي الوزارة في عهد السلطان «عامر بن عبد الله المريني»، واستمر إلى عهد «سليمان بن عبد الله»، وتولى «عمر بن علي الوطاسي» الإمارة في مدينة «بجاية» في عهد «أبي عنان المريني» في سنة (759هـ/ 1358م) ودخل «محمد الشيخ الوطاسي» سلطان الوطاسيين في مواجهة مستمرة منذ أسس دولته مع الفتن والقتال والثورات التي قامت بالدولة على أيدي العرب الذين أغاروا على «فاس» و«مكناسة» ودمروهما، ثم واجه ثورة «علي بن راشد» في «شفادن» وهي مدينة قريبة من «البحر المتوسط» و«المحيط الأطلسي»، و«مضيق جبل طارق»، ثم حاول «محمد ابن أحمد المريني» الاستقلال بمدينة «دبرو» التي تقع شمال شرق «المغرب»، ونجح في ذلك، وبسط نفوذه على المناطق الغربية منها فأدرك «محمد الشيخ» خطورته، وخرج لمواجهته مرتين، كانت الأولى في سنة (895هـ/ 1490م)، وهُزم فيها الوطاسيون، وكانت الثانية في سنة (904هـ/ 1498م) واتصر فيها «بنو وطاس»، وعقد سلطانهم الصلح مع «محمد بن أحمد المريني» وزوج السلطان ابنته لولدي الأمير «محمد»، فحل بينهما السلام. وقد واجهت هذه الدولة ثورة بالمنطقة الجنوبية قادها «عمرو بن سليمان الشيطمي» الشهير بالسياف في سنة (870هـ/ 1465م)، ولم تهدأ هذه الثورة إلا بعد أن اغتيل

«الشيظمي» على يد زوجته في سنة (890هـ / 1485م) والواقع أن «بنى وطاس» لم يتمكنوا من فرض سلطانهم ونفوذهم على كل «المغرب الأقصى» بل يمكن القول بأن نفوذهم لم يتجاوز العاصمة «فاس»، واقتسمت القبائل والأشراف والزعامات المحلية ومشايخ الصوفية باقى البلاد فأدى هذا إلى نشوب الاضطرابات والقلاقل بالبلاد، وتزايد الانقسامات بها، واستغلال البرتغال والإسبان لهذه الأوضاع للتوسع وفرض النفوذ ونشر المسيحية. ثم بدأت مرحلة أخرى من الصراع بين الوطاسيين والسعديين الذين حشدوا الناس إلى جانبهم بحجة الدفاع عن البلاد من خطر الإسبان والبرتغال، وكانوا فى حقيقة الأمر يسعون لإسقاط «دولة الوطاسيين»، ونجحوا فى السيطرة على بعض المدن المغربية، ثم دخلوا «مراكش»، وفشل «بنو وطاس» فى صدّهم، وتدخل العلماء للمصالح بينهما، ونجحت محاولتهم، وانفق الفريقان على اقتسام «بلاد المغرب الأقصى»، ولكنهما دخلا فى صراع ثانية، وتوسع السعديون على حساب أملاك الوطاسيين، ثم دخلوا مدينة «فاس»، وقتلوا السلطان الوطاسى «أبا حسون على بن محمد بن أبى ذكرى» فى يوم السبت (24 من شوال سنة 961هـ / 22 من سبتمبر 1554م) وبدأ السعديون بقيادة «محمد الشيخ السعدى» فى فرض نفوذهم على بقية المناطق التابعة للوطاسيين، وهكذا سقطت دولة «بنى وطاس».

دولة بنى زيان

[633-962هـ / 1235-1555م]

ترجع تسمية هذه الدولة بهذا الاسم إلى «زيان بن ثابت»، والد «يغمراس» مؤسسها، كما أنها تسمى بدولة بنى عبدالواد (العبد الوادية) نسبة إلى قبيلة «عبد الواد» التى ينتمى إليها «بنو زيان». وقد قامت هذه الدولة بالمغرب الأوسط (الجزائر حاليا) وكان يحدها غربا «نهر ملوية» ومدينة «قسنطينة» من الجانب الشرقى، وكانت هذه المنطقة آنذ تضم عدة مدن منها: «بجاية» و«الجزائر»، و«وهران»، و«قسنطينة» و«مليانة»، و«تلمسان».

قيام دولة بنى زيان

شجع ضعف «دولة الموحدين» عقب هزيمتهم فى معركة «العقاب» فى سنة (609هـ/ 1212م) بعض القوى على الاستقلال، فشجع ذلك بدوره «بنى عبدالواد» على الاستقلال بالمغرب الأوسط (أى الجزائر) فاستولوا على «تلمسان» فى سنة (627هـ/ 1230م). ويعد «يغمراس بن زيان» الذى تولى الإمارة بعد أخيه فى سنة (633هـ/ 1235م) هو المؤسس الحقيقى لهذه الدولة حيث سالم جيرانه من الموحدين كى لا يعرض دولته الناشئة لمعارك جانبية، تصرفه عن تأسيس الدولة، وبنى سياسته فى هذه المرحلة على عاملين مهمين هما:

العامل العسكرى حيث جاور «الحفصيون» «بنى زيان» من جهة الشرق، وجاورهم «بنومرين» من الغرب، وهاجم «بنوحفص» مدينة «تلمسان» فى سنة (640هـ/ 1242م) فهادنهم «بنوزيان» وبايعوهم، ودعوا على منابرهم للحفصيين، وفى الوقت نفسه بعثوا بجنودهم إلى الجبال واتخذوا من الإغارة على القوات الحفصية وسيلة لطردهم من «تلمسان» و«المغرب الأوسط»، فاضطر الحفصيون إلى عقد الصلح معهم وأعادوا «يغمراس» إلى مقر حكمه بتلمسان ثانية وكذلك فعل «بنوزيان» مع الموحدين فى سنة (646هـ/ 1248م) ثم قاموا بغارات كثيرة على القبائل الموجودة داخل «المغرب الأوسط» مثل قبائل «توين» و«مغراة».

العامل السلمى حيث لم يكتف «يغمراس» بالمعارك والغارات وعمد إلى تحصين بلاده شرقاً وغرباً وجاء بقبيلة «بنى عامر» وأقطعها نواحي «وهران» و«تلمسان» لتكون حائط الصد لأعدائه، ثم دعم كيان دولته بمصاهرة الحفصيين حيث زوج إحدى بناته لعثمان ابن الأمير الحفصى «أبى إسحاق» فأمن بذلك شرهم، وهجماتهم على الحدود الشرقية لدولته. وكانت القبيلة من أهم العوامل التى أثرت فى سياسة دولة «بنى زيان» وكيانها حيث دخلت هذه الدولة فى صراع طويل مع قبائل: «بنى توين» و«مغراة» من البربر، و«بنى عامر سويد» من العرب، لرفض هذه القبائل الخضوع لغيرها، ولتعصبها لبنى جلدتها وقبيلتها، وشقت عصا الطاعة، ثم زادت حدة موقفها بعد وفاة «يغمراس» فى سنة (681هـ/ 1282م)، واضطر الأمير «عثمان» الذى خلف والده «يغمراس» إلى مواجهتهم، فاستولى على «مازونة» من «مغراة» فى سنة (686هـ/

1287م) ثم احتل مدينة «تس»، ودخل «إنشريس» ولكن هذا الانتساع عاد إلى الانكماش ثانية نتيجة احتلال «بنى مرين» للمغرب الأوسط، وحصارهم «تلمسان» فى سنة (698هـ/1299م) وعادت القبائل مرة أخرى إلى التمرد والعصيان عقب وفاة الأمير «عثمان»، فخرج إليهم الأمير «أبوزيان محمد الأول» (703-707هـ/1303-1307م) ثم خضعت هذه الدولة أكثر من مرة لدولة بنى مرين مثلما حدث فى سنة (670-680هـ/1271-1281م) وسنة (689هـ/1290م) وسنة (737-749هـ/1336-1348م) ولكن بنى زيان كانوا يرفضون هذا الخضوع وينتهزون الفرصة للعودة إلى حكم بلادهم. وقد عاشت هذه الدولة فى حروب واضطرابات دائمة، ونشبت الخلافات بين أفراد البيت الزياني، وأدى التهافت على السلطة بينهم إلى أن يشهر الولد السيف فى وجه أبيه بل يتعدى ذلك ويقتل أباه مثلما حدث مع «أبى تاشفين (الثانى) عبد الرحمن» (791-795هـ/1389-1393م) ووالده السلطان «أبى حموموسى (الثانى) بن يوسف»، حين خلع «تاشفين» أباه من السلطة، واستولى على الحكم، ثم اعتقل أباه وإخوته فى سنة (788هـ/1386م) فقامت حروب بين أفراد هذه الأسرة، وعاد «أبوحمو» إلى عرشه، واستعان «ابنه تاشفين» ببنى مرين عليه، وحاربه، ثم قتله وعاد «تاشفين» إلى الحكم فى ظل التبعية لبنى مرين. وتفشت ظاهرة قتل السلاطين بدولة بنى زيان، وزاد التناحر بين أفراد البيت الزياني وتكررت هجمات الإسبان على الشواطئ المغربية، واستولوا على «مرسى وهران» فى سنة (911هـ/1505م) ثم استولوا سنة (912هـ/1506م) على «وهران» و«بجاية» و«تدلس» وهى موانئ تابعة «لبنى زيان»، وارتضى «أبوحمو الثالث» (909-923هـ/1503-1517م) دفع ضريبة سنوية للإسبان لكى يبقى فى مقعد الحكم فاستجد الناس بالأتراك العثمانيين لتخليصهم من هذا الاحتلال فأسرع لنجدتهم الأخوان «عروج» و«خير الدين» ابنا «يعقوب التركى» اللذان كانا يحملان المتطوعين فى السفن لإنقاذ مهاجرى الأندلس ونقلهم إلى أرض «المغرب» ودارت معركة بين الطرفين، وأرسلت إسبانيا بالإمدادات لتعزيز قواتها وحليفها «أبى حمو» الذى فر إلى «وهران» للاحتماء بالقوة الإسبانية هناك، وحاصر الإسبان مدينة «تلمسان» واستشهد «عروج» فى سنة (924هـ/

1518م)، ومات «أبوحمو الثالث» فى السنة نفسها وتوالت الاضطرابات وزاد التنافس على العرش، وأقبل السعديون من «المغرب الأقصى» واستولوا على «تلمسان» فى سنة (957هـ/1550م) وانقسم البيت الزيانى إلى طوائف ثلاث: إحداهما تضافت مع الأتراك، والأخرى استعانت بالأسبان، والأخيرة تحالفت مع السعديين، وتحرك الأتراك ودخلوا فى معركة مع السعديين وهزموهم فعادوا إلى «المغرب الأقصى»، ودخل الأتراك العاصمة «تلمسان» وكان آخر حكام «بنى زيان» هو «الحسن بن عبد الله» (957 - 962هـ/1550 - 1555م) الذى ثار عليه الناس لميله إلى الإسبان فخلعه الأتراك وضموا «تلمسان» إلى حكومة «الجزائر» التركية فى سنة (962هـ/1555م).

الدولة الحفصية

[625 - 893 هـ / 1228 - 1488 م]

ينتسب الحفصيون إلى «أبى حفص عمر بن يحيى» الذى ينتمى إلى «قبيلة هنتانة»، وهى من قبائل المصامدة التى عاشت بالمغرب الأقصى واتخذت المعقل والحصون، وشيدت المباني والقصور وامتحنوا الفلاحة وزراعة الأرض وقد طمع الحفصيون فى الاستقلال بإفريقية بعد هزيمة الموحدين فى معركة «العقاب» بالأندلس فى سنة (609هـ/1212م)، وعملوا على تحقيق ذلك حتى سنة (625هـ/1228م)، فوصل «أبوزكريا بن عبد الواحد الحفصى» إلى مقعد الإمارة بتونس ومهد لقيام «دولة الحفصيين» حتى سنة (627هـ/1230م) فبايعه الحفصيون واستقل عن طاعة الموحدين وضم إليه «الجزائر» و«تلمسان». وقد واجهت الدولة الحفصية عدة ثورات إلا أنها تمكنت من القضاء عليها فى عهد قوتها فلما حل الضعف بخلفاء الأمير «أبى زكريا الحفصى» زادت الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة، وقامت الثورات فى أماكن كثيرة، ولم يتمكن أمراء الحفصيين من مواجهة هذه الاضطرابات، فحل الضعف بدولتهم حتى سقطت على أيدي العثمانيين سنة (893هـ/1488م). وراجع التفاصيل فى المطولات.

الفصل الثاني

في

الطرق التي سلكها الإسلام إلى قارة إفريقيا

الطرق التي سلكها الإسلام إلى قارة إفريقيا (جنوب الصحراء) كثيرة ومتعددة، منها: طرق القوافل التجارية التي تربط بين شمالى القارة وبلاد السودان الغربى والأوسط (غرب إفريقيا)، ومنها الطريق الذى يبدأ من جنوبى «تونس» ويتجه إلى بلاد الكانم والبرنو» فى حوض بحيرة «تشاد»، والطريق الذى يبدأ من جنوبى «الجزائر» ويتجه إلى «بلاد الهوسا» فى شمال «نيجيريا»، والطريق الذى يبدأ من جنوبى «مراكش» ويصل إلى مصب «نهر السنغال» ومنحنى «نهر النيجر» و«نيجيريا» و«تشاد». وطريق بحرى يسير عبر مياه «البحر الأحمر» و«خليج عدن» و«المحيط الهندى» ويربط هذا الطريق بين «شبه الجزيرة العربية» وشرق إفريقيا، ومنه دخل الإسلام إلى شرق القارة وخاصة إلى «إريتريا» و«الصومال» و«الحبشة» و«زنجبار» وساحل شرقى إفريقيا حتى مدينة «سوفالة» جنوب «نهر الزمبيزي» فى «موزمبيق». وطريق وادى النيل وطريق درب الأربعين اللذان تدفق منهما الإسلام إلى «بلاد البجة» و«بلاد النوبة» وإلى «دارفور» وبقية «بلاد السودان الشرقى»، وهو «سودان وادى النيل» الذى يعرف الآن بجمهورية السودان ويلاحظ أن معظم هذه الطرق طرق تجارية ولم تستخدم كمعابر للجيوش إلا فى القليل النادر، مما يؤكد سمة الطابع السلمى لانتشار الإسلام فى قارة إفريقيا. ومما يؤكد ذلك أيضا أن أهل القارة أنفسهم سواء أكانوا من البربر أم من الزنج والسودان هم الذين قاموا بنشر الإسلام بعد أن وصلت الدعوة إلى بلدانهم وإلى ما وراءها من بلدان ولم تكن حركات الفتح والجهاد التى حفل بها تاريخ الإسلام فى القارة خلال بعض الفترات لاسيما فى عصر الخلفاء الراشدين والأمويين من بعدهم ذات أثر كبير فى نشر الإسلام إذ لم يكن هدفها نشر هذا الدين بقوة السلاح كما يدعى كثير من المستشرقين وأعداء الإسلام وإنما كان هدفها هو إزاحة العقبة التى كانت تحول دون وصول الإسلام بالحكمة والموعظة إلى أهل إفريقيا، وكانت هذه العقبة تتمثل فى جيوش الاحتلال البيزنطى، التى كانت تحتل «مصر» والساحل الشمالى لإفريقيا كله

قبل فتح الإسلام لهذه البلاد وبعد أن أنقذ المسلمون أهالي القارة من هذا الاحتلال البغيض، أصبح الطريق مفتوحاً أمام الدعوة ومن ثم تلقفها الأفارقة بشغف وحب شديدين واتخذت الدعوة إلى هؤلاء الأفارقة أشكالاً متعددة وعلى يد أناس مختلفي الصفات والاتجاهات منهم الدعاة الذين وهبوا حياتهم لهذا العمل العظيم ومنهم التجار الذين جمعوا بين الدعوة والتجارة ومنهم الحجاج الذين تأثروا بمظاهر الأخوة الإسلامية في موسم الحج وأثروا في إخوانهم وأهاليهم بعد أن عادوا من الحج مشحونين بشحنة دينية عميقة ومنهم المهاجرون الذين أتوا في هجرات عديدة شملت العرب وغيرهم وحملوا معهم الإسلام والثقافة الإسلامية ومنهم الصوفية الذين اخترقوا أعماق القارة ووصلوا إلى النجوع والكفور والقرى والغابات، وسوف نفضل الحديث عن هذه الوسائل التي انتشر الإسلام بها في لقارة الإفريقية (جنوب الصحراء ومن ذلك

1- (الدعاة: ويقصد بالدعاة الأفراد المسلمون الذين تلقوا قدرًا من العلوم الدينية، وعلى رأسهم الفقهاء والعلماء والمشايخ والقراء والقضاة، وكان هؤلاء يسمون في مختلف أنحاء القارة بأسماء مختلفة، مثل المرابط، والمعلم، والفقير، والشيخ، وسيدنا، ومولانا. وكانوا يحظون بنصيب كبير من الاحترام والتقدير، وكانت كل قرية في إفريقيا تقيم داراً لاستقبالهم واستضافتهم، وكان الحكام والملوك الأفارقة سواء أكانوا مسلمين أم وثنيين يعاملونهم باحترام كبير، وكانوا يتخذون منهم مستشارين ووزراء يصرفون لهم أمور الدولة، مثلما كان الحال في دولة «غانة» الوثنية، كما يقول «البكري» الذي عاش في القرن العاشر الميلادي. وكان هؤلاء الدعاة ينشئون الكتائب لتعليم الأطفال الوثنيين القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى، ومن ثم يصبح هؤلاء الأطفال بذرة إسلامية داخل الأسر الوثنية، وكذلك كان الدعاة ينشئون المدارس التي كانت تعد مركزاً مهماً لنشر الإسلام وثقافته، وكذلك المساجد والزوايا والأربطة والخلاوي التي كان يلتقى فيها الأفارقة بالدعاة ويتلقون عنهم العلوم الدينية؛ حيث يخرجون دعاة للإسلام بين أهليهم وأقاربهم من الوثنيين. ولذلك انتشر الإسلام بين الأفارقة، خاصة بعد أن اعتنقه بعض ملوكهم الذين كانوا يتحولون تلقائياً إلى دعاة للإسلام في بلادهم. ومن هؤلاء ملك «مالي» وملك «الكرور» وملك «سلي»، فقد نشر هؤلاء الإسلام بين شعوبهم من الكورور والسوتك والماندنغو وغيرهم من شعوب غرب

القارة. وخرج من هذه الشعوب دعاة تخصصوا في الدعوة إلى الإسلام حتى أصبحت كلمة تكروري أوسونكي تعنى داعية للإسلام عند شعوب هذه المنطقة. (قال) ومن أهم الدعاة الذين نشروا الإسلام بين البربر في «الصحراء الكبرى» والتكروري في «السنغال» والسونك في «غانة» الشيخ «عبد الله بن ياسين الجزولي» المتوفى عام (451هـ / 1059م)، والذي قامت على يديه «دولة المرابطين» الكبرى قبل ذلك بوضع سنين. وهناك داعية آخر قام بنشاط كبير في حوض «نهر#النيجر#الأعلى» هو «أبو القاسم علي بن يخلف»، الذي أسلم على يديه ملك مالي الذي اتخذ لقب المسلماني (أى الذي أسلم)، بعد إسلامه في القرن الحادى عشر للميلاد، وفي بلاد «الهوسا» نجد داعية إسلاميا كبيرا هو الشيخ «محمد عبد الكريم المغيلي» المتوفى عام (909هـ / 1503م) الذى نشر الإسلام فى بلاد «الهوسا»، ثم أتى بعده بعدة قرون داعية كبير من شعب الفولانى هو الشيخ عثمان بن فودى» الذى أتم حركة نشر الإسلام فى هذه البلاد، وخاصة «نيجيريا» و«الكامرون». وإذا اتجهنا شرقا ووصلنا إلى بلاد حوض «بحيرة تشاد» حيث «دولة الكانم والبرنو» نجد داعية إسلاميا عظيماً هو الشيخ «محمد بن مانى» الذى أسلم على يديه ملوك هذه البلاد فى القرن الحادى عشر للميلاد وكذلك دخل الإسلام كثير من النوبيين وأهالى «السودان النيلي» و«دارفور» على يد دعاة وفدوا من «مصر» و«اليمن» و«الحجاز» من أمثال «غلام الله بن عائذ اليمنى»، و«حمد أبى دنانة» من «الحجاز»، والشيخ «محمد القناوى الأزهرى» من «مصر»، وتلقف الدعوة وأذاعها سودانيون من أمثال الشيخ «محمود العركى» والشيخ «صغرون محمد بن سرحان العدوى» وغيرهم ووفد على منطقة القرن الإفريقى وساحل شرقى إفريقيا عدد كبير من الدعاة، من أمثال «ود بن هشام المخزومى» الذى أقبل إلى بلاد «الحبشة» فى عهد «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - وأنشأ أحفاده دولة إسلامية فى «إقليم شوا» وسط هضبة الحبشة كذلك وفد دعاة من «بنى عبدالدار» أو من «بنى عقيل بن أبى طالب» إلى بلاد «الزيبع» و«الصومال» و«إريتريا» وأنشأ أحفادهم سلطنة إسلامية أخرى فى هذه البلاد تسمى «سلطنة أوفات الإسلامية». وهكذا كان للدعاة فضل كبير

فى نشر الإسلام وثقافته، وفى إقامة سلطنات إسلامية فى كثر من نواحي القارة، كما سنرى ذلك فى حينه بالتفصيل فى هذا الجزء من السلسلة

2 - التجار: كان للتجار الدور الأول فى نشر الإسلام فى القارة بعد الدعاة ويظهر ذلك من قول السير «توماس أرنولد» فى كتابه «الدعوة إلى الإسلام» إن التجارة والدعوة إلى الإسلام مرتبطان كل الارتباط وقد تدفق الإسلام عبر الطرق التجارية الموصلة بين مختلف أنحاء القارة، واتى أشرنا إليها من قبل، إلى حوض نهري «السنغال» و«النيجر» ومنطقة حوض «بحيرة تشاد»، وكذلك إلى «الصومال» و«بلاد النوبة» و«السودان» و«الحبشة»، و«ساحل شرق إفريقيا». وقد قام العرب والبربر بدور كبير فى هذا النشاط التجارى، وأصبحت مدن الشمال الإفريقى مراكز للتجارة بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة، ووصلت إليها السلع الإفريقية، واتجه تجار العرب والبربر واخترقوا الصحراء الكبرى ووصلوا إلى بلدان إفريقيا جنوب الصحراء وكان لذلك أثره الكبير فى نشر الإسلام الذى أقبل مع قوافل التجار، وازداد انتشاره بعد أن انتقل معظم النشاط التجارى إلى أيدي السودان والزنج أنفسهم من تجار «الفولانى» و«التكرور» و«الهُوسا» و«الكانمية» والصوماليين وغيرهم من الأفارقة الذين اتخذوا التجارة حرفة رئيسية، وصار هؤلاء التجار الأفارقة دعاة للإسلام، وقلدوا المغاربة فى إقامة بعض الأسواق فى مدن معينة فى أيام معلومة. وكان هؤلاء التجار سواء كانوا من العرب أو البربر أو السودان ينزلون فى هذه الأسواق أو فى المراكز التجارية ويحتكون بالزنج ويؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم الشخصى القائم على قيم الإسلام وتقاليد السامية، وغالبًا ما ينتهى هذا الاحتكاك بدخول كثير من هؤلاء الزنج فى الإسلام الذى كان يتركز أولاً فى المدن التى ينشط فيها التجار بوجه خاص، وكانوا إذا ما استقر بهم المقام فى إحدى هذه المدن ينشئون كتائب أو مدارس لتعليم الإسلام وتحفيظ القرآن الكريم وبينون المساجد التى كانت مقرا للدعوة إلى الإسلام، وقاموا فى الوقت نفسه بمزاولة نشاطهم التجارى، وكانوا أثناء الليل يحولون دكاكينهم إلى مكان يتلقى فيه الأطفال الوثنيون مبادئ القراءة والكتابة على ضوء النيران، مما حبيبهم إلى الأهالى الذين وثقوا بهم، مما فتح الباب أمام الإسلام كى ينتشر بينهم. وكذلك وثق بهم رجال الطبقة الأرستقراطية من الملوك والأمراء ومشايخ القبائل؛

حيث كان التجار المسلمون يُستقبلون فى بلاط هؤلاء الملوك الوثنيين بترحاب شديد؛ لسمو أخلاقهم وكريم خصالهم وخبرتهم بالسياسة وشؤون الإدارة والمال، ونظراً لأنهم كانوا يجلبون لهذه الطبقة ما كانت تحتاج إليه من سلع فاخرة، ومن ثم أضفى هؤلاء الملوك حمايتهم على هؤلاء التجار، فنعمو بالأمان والاستقرار وازداد نشاطهم بين أفراد هذه الطبقة، التى سرعان ما تحولت إلى الإسلام فى عدد كبير من البلدان. ومن أهم المراكز التجارية التى أنشأها العرب أو أهالى البلاد المحليون واتخذوا منها مراكز للتجارة والدعوة: مدينة «أودغشت» فى «موريتانيا» الحالية، ومدينة «تمبكت» التى بناها المرابطون من المغاربة على ضفة نهر «النيجر» أواخر القرن الخامس الهجرى، كذلك كانت مدن: «كانو»، و«مالى»، و«جاد»، و«نجمى» فى غرب القارة مراكز للدعوة والتجارة. وكانت مدينة «عيذاب» التى تقع على ساحل «البحر الأحمر»، ومدينة «قوص» التى تقع على «نهر النيل» فى صعيد «مصر» مراكز انطلق منها تجار الكارم إلى «الحبشة» وشرق إفريقيا، كما انطلقوا من موانئ: «سواكن» و«باضع» (مصوع) و«زيلع» و«بربرة» و«مقديشيو» و«مبسة» و«مالندى» و«كلوة» و«سوفالة»، وكلها موانئ تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر وعلى الساحل الشرقى لإفريقيا، ونشط التجار فى هذه المراكز التجارية كلها ووصل نشاطهم إلى أعماق القارة فى بلاد «أوغندا» و«الكونغو»، وأسلم على أيديهم أعداد كبيرة من الأفارقة. وكانت قوافل الجمال التى تحمل تجارة القارة لاتستطيع العودة من هذه المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية فى موسم الأمطار، فكان التجار ينتظرون الشهر أو الشهور يتاجرون ويحتكون بالأهالى؛ مما كان يؤدى إلى إسلام الكثير منهم، ثم يعودون من حيث أتوا حينما تتحسن الأحوال الجوية، هذا فى الوقت الذى أصبح التجار المحليون المقيمون دائماً فى بلدان القارة عمداً للدعوة الإسلامية

3- الحجاج: نتيجة للنشاط التجارى الواسع الذى أشرنا إليه والذى ساد شمال القارة، ووسطها وغربها وشرقها وما نتج عنه من انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية؛ نشطت قوافل الحج التى كانت فى الوقت نفسه قوافل للتجارة التى كان يمارسها الحجاج على طول طريقهم إلى الأراضى المقدسة، وقوافل لتحصيل العلم عن طريق الالتقاء بعلماء البلدان التى يبرون بها، فكانت تخرج من

غرب القارة قوافل عديدة على رأسها ملوك هذه البلدان، الذين كانوا يحرصون على أداء هذه الفريضة رغم ما كانوا يتكبدونه من مشاق ومتاعب، نظراً لطول الطريق ومخاطره ووعورته، لكنهم كانوا يخرجون في رحلة قد تستغرق عاماً أو عامين ويلتقون في موسم الحج بإخوانهم المسلمين على اختلاف بلادهم وألسنتهم وألوانهم، فيشعرون جميعاً بالأخوة الإسلامية، ويشعر الإفريقي بآتمائه إلى عالم إسلامى واسع، وبأخوته لمسلمى ذلك العالم، فتتحطم الحواجز العرقية والقبلية واللغوية والاجتماعية، ويصبح الجميع شعباً واحداً يتكلمون بعبارات واحدة، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ومن ثم أصبح خروج المسلمين من غرب إفريقيا ووسطها وشرقها جماعات وفرادى إلى الحج، واتصلهم بالشعوب الإسلامية المختلفة فى بلاد الحجاز أو أثناء رحلة الذهاب والعودة تأكيداً لروح الأخوة الإسلامية التى فرضها الإسلام، فيعود هؤلاء الأفارقة ممتلئين بالحماسة لنشر هذا الدين، ووقف جهودهم على إعلاء شأنه فى بلادهم وما جاورهم من البلاد الوثنية، خاصة أن هؤلاء الحجاج كانوا يعودون محملين بالكتب الدينية التى تزيد من علم الأفارقة وثقافتهم كما كانوا يعودون أحياناً مصحوبين ببعض الدعاة والفقهاء والتجار من غير الأفارقة، مما كان له أثره فى نشر الإسلام، لاسيما وأنهم كانوا يقومون بإنشاء المدارس لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم ونشر الإسلام بين الوثنيين، ونشر عقائده الصحيحة بين المسلمين الأفارقة. وكان المسلمون الجدد من هؤلاء الأفارقة يرون ارتفاع المكانة الاجتماعية لإخوانهم وأقربائهم من الذين أدوا هذه الفريضة، فيقدمون هم الآخرون عليها، ولذلك تعددت قوافل الحج التى كانت تخرج من هذه البلدان، والتى كانت تضم آلاف مؤلفة وعلى رأسها الملوك والحكام فى أحيان كثيرة. ومن أشهر الملوك الذين أدوا هذه الفريضة من حكام إفريقيا «منسا موسى» سلطان «مالى الإسلامية»، الذى خرج إلى الحج من هذا المكان النائى فى غرب القارة على رأس موكب كبير تحدث عنه المؤرخون، وذلك فى عام (723هـ / 1323م) إذ كان موكبه يضم أكثر من عشرة آلاف حاج، وكان يحمل معه كميات كبيرة من الذهب الخام، أهدى منه إلى سلطان «مصر» وأمرائها وموظفيها، كما أفاض منه على فقراء «مكة» و«المدينة»، ومنح عن سعة حتى قيل إن قيمة الذهب أنخفضت فى «مصر» انخفاضاً ملحوظاً لكثرة ما أنفقه فيها. كذلك تحدثنا المصادر بأن ملوك «سلطنة صنغى

الإسلامية» التي خلفت سلطنة «مالي» فى غرب إفريقيا قاموا بأداء هذه الفريضة. ومن أشهرهم السلطان «أسكيا محمد الأول» فى عام (495هـ / 1101م)، وقد أدى بعض سلاطين «الكانم» و«البرنو» الذين كانت دولتهم تقوم حول «بحيرة تشاد» الحج ثلاث مرات، وبعضهم توفى أثناء الذهاب أو العودة ودفن فى «مصر» وكان حكام بلاد «السودان النيلية»، و«الصومال» و«الحبشة» وشرق إفريقيا بصفة عامة يؤدون هذه الفريضة فى سهولة ويسر، نظراً لقربهم من بلاد «الحجاز»، وكانوا يحرصون على ذكر لقب الحاج قبل أسمائهم مثلما كان يفعل إخوانهم فى شمال إفريقيا وغربها، حتى السلاطين أنفسهم؛ مما يدل على أهمية هذه الشعيرة لديهم، وعلى أن تأثيرها فى نفوسهم كان قويا، ولذلك كانوا يعودون من هذه الرحلة ممتلئين حماسة للإسلام ولنشره بين من لم يعتنقه من الوثنيين فى بلادهم وقراهم

4 - الهجرات: كان لتحركات القبائل وهجراتها سواء أكانت عربية أم بربرية أم سودانية وزنجية دور كبير فى نشر الإسلام وثقافته، واللغة العربية وثقافتها فى القارة الإفريقية. ومن أهم هذه الهجرات هجرات العرب إلى بلدان القارة المختلفة، وكانت «مصر» هى القاعدة والمنطلق الذى انطلقت منه هذه الهجرات العربية غرباً إلى شمال إفريقيا، وبلاد «النوبة» و«السودان»، فقد هاجرت جماعات عربية من «ربيعة» و«جهينة» و«بلى» إلى «أرض البجة» منذ منتصف القرن السابع للميلاد، ونجحوا فى نشر الإسلام بين الأهالى، ودفعت شهرة «وادي العلاقى» الذى يقع فى الصحراء الشرقية بين «أسوان» و«البحر الأحمر» بالذهب والزمرد إلى جذب جماعات كبيرة من «ربيعة» و«جهينة» منذ عام (238هـ / 852م) إلى هذه المنطقة، حيث استقر العرب هناك وتزاوجوا مع «البجة» وأقاموا إمارة عربية مدت نفوذها إلى «أسوان» وشمال «بلاد النوبة»؛ حيث صاهروا حكام مملكة «مقرة» النوبية المسيحية، ونتج عن ذلك انتقال الحكم إلى هؤلاء العرب من الذين عرفوا باسم «بنى كنز» نسبة إلى لقب كان قد أطلقه أحد الخلفاء الفاطميين فى «مصر» على أحد أمراءهم نظير مساعدته لهذا الخليفة فى القضاء على أحد الثائرين والخارجين على دولته فى صعيد «مصر». وتطورت أحوال «بنى كنز» هؤلاء حتى استطاعوا أن يقيموا دولة «بنى كنز» العربية فى «بلاد النوبة» واتخذوا «دقلة» عاصمة لهم منذ عام (723هـ /

1323م). وقيام هذه الدولة انفتح باب الهجرة العربية على مصراعيه، فهاجرت قبائل عربية كثيرة إلى وسط «السودان»، وأقاموا بين نهري «النيل الأبيض» و«الأزرق»، وتحالفوا مع قبائل سودانية تسمى «الفونج»، واستطاعوا أن ينشئوا معاً دولة إسلامية أخرى هي دولة «الفونج» التي كانت عاصمتها «سنار»، وذلك عام (911هـ / 1505م). كذلك هاجرت قبائل عربية كثيرة من «مصر» إلى مملكة «دارفور» الوثنية منذ القرن الحادى عشر للميلاد، ووفدت إلى هذه المملكة هجرات عربية أخرى من «تونس» و«شمال إفريقيا»، واختلط هؤلاء المهاجرون بالأهالى وصاهروا ملوك «دارفور»، ونتج عن هذه المصاهرة انتقال الحكم إليهم، فأصبحت «دارفور» سلطنة عربية إسلامية منذ عام (849هـ / 1445م). كذلك تواصلت الهجرات العربية إلى بلاد «الزليغ» و«الحبشة»، وهى المنطقة التى تعرف الآن باسم منطقة القرن الإفريقى. ومنها هجرة «ود بن هشام المخزومى» فى عصر «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - وقد تبع ذلك هجرات عربية استقرت على طول ساحل هذه المنطقة، وأقامت فى المدن الساحلية التجارية، مثل «سواكن» و«باضع» (مصوع) و«زليغ» و«بربرة» وانطلقت إلى الداخل وسكنت مع الأهالى واشتغلت بالتجارة والزراعة والرعى، وازداد عددها حيناً بعد حين حتى تمكنت من إقامة سلطنات إسلامية، مثل «سلطنة شوا» و«سلطنة أوفات» و«سلطنة عدل» الإسلامية. وقد ازدادت هجرات العرب على ساحل شرق إفريقيا وأنشئوا مراكز تجارية بطول هذا الساحل، حتى قال بعض المؤرخين إنهم أنشئوا ستاً وثلاثين مدينة، بدءاً من «مقديشيو» فى «الصومال» وحتى «سوفالة» جنوب نهر «الزمبىزى» فى «موزمبيق». ومن أشهر هذه الهجرات هجرة «سليمان» و«سعيد» ابنى «عباد بن عبد بن الجندى»، وكانا ملكين فى «عمان»، واضطرتهما ظروف القتال مع «الحجاج بن يوسف الثقفى»، الذى أراد أن يفرض نفوذه على «عمان» بالقوة المسلحة، إلى ترك وطنهما والاتجاه فى سفن إلى ساحل شرق إفريقيا؛ حيث وصلا ومن معهما من رجال وجند وأهالى إلى جزر «أرخبيل لامو» التى تقع فى دولة «كينيا» الآن، وذلك فى الفترة (75 - 85هـ = 694 - 704م)، واستقروا هناك وأنشئوا إمارة صغيرة كان لها أثرها فى نشر الإسلام بين الأهالى الموجودين فى تلك المنطقة. كذلك هاجر بعض الشيعة

الزيدية ثم مقتل إمامهم «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» رضي الله عنهم أجمعين - فى عام (122هـ / 741م) على يد الخليفة الأموى «هشام بن عبد الملك»، فاضطر أتباعه بعد مقتله إلى الهجرة خوفاً من اضطهاد الحكام لهم، فوصلوا إلى ساحل «بنادر» بالصومال، وأقاموا هناك نحو مائتى عام أرسوا فيها قواعد الإسلام والثقافة الإسلامية بين الصوماليين. ولم تلبث أن وفدت هجرة أخرى إلى هذا المكان نفسه تعرف باسم هجرة الإخوة السبعة، جاءت من «الأحساء» فى عام (292هـ / 904م) ووصلت إلى ساحل «بنادر» بالصومال، بعد أن ضاق بهم المقام فى منطقة الخليج؛ نتيجة لصراعات سياسية ومذهبية، وكان هؤلاء الإخوة من قبيلة «الحارث» العربية، ولما وصلوا إلى هذا الساحل استطاعوا أن يطردوا الزيدية إلى الداخل. وأن ينشؤا مدينة «مقديشيو» فى عام (295هـ / 907م) ويتخذوها عاصمة لدولتهم التى أقاموها هناك، والتى كانت تعرف باسم «سلطنة مقديشيو الإسلامية». وبذلك ظهر إلى الوجود مركز إسلامى كبير كان له أثره القوى فى نشر الإسلام لابين الصوماليين فحسب، بل بين كثير من سكان شرق إفريقيا كله. وقد أعقب تلك الهجرة هجرة شيرازية فارسية أتت من «شيراز» بإيران، كان على رأسها أمير يدعى «على بن حسن بن على الشيرازى»، وذلك فى عام (365هـ / 975م) نتيجة خلافات وقعت بينه وبين إخوته فى «شيراز»، اضطرتهم إلى الهجرة هو وأتباعه ورجاله فى سبع سفن ضخمة إلى شرق إفريقيا؛ حيث استقر بهم المقام فى جزيرة «كلوة» التى تتبع دولة «تنزانيا» الآن، واستطاع أن يؤسس سلطنة إسلامية تسمى «كلوة»، ظل يحكمها هو وأحفاده نحو قرنين من الزمان حتى أتت هجرة عربية أخرى من «اليمن» من «بنى الحسن بن طالوت المهدي»، وحكمت هذه السلطنة، ومن ثم تغلبت الصبغة العربية فيها على الصبغة الشيرازية الفارسية واستمرت هذه السلطنة قائمة حتى جاء البرتغاليون وتغلبوا عليها فى عام (911هـ / 1505م). ونتيجة لهذه الهجرات العربية المتتابعة انتشر الإسلام واللغة العربية بين السكان المحليين فى منطقة «القرن الإفريقى»، وفى منطقة الساحل الشرقى لإفريقيا، وكذلك فى الجزر المواجهة لهذا الساحل، مثل «جزيرة زنجبار»، و«جزر القمر»، و«جزيرة مدغشقر» (مالاجاش الآن) وغيرها من الجزر، وتكوّن عالم إسلامى واضح المعالم والقسمات، نشأت فيه دول

وسلطنت إسلامية ظلت موجودة حتى اصطدمت بالبرتغاليين والأحباش، ثم بالاستعمار الأوروبي في العصر الحديث. كذلك خرجت هجرات عربية من «مصر» في اتجاه الغرب إلى بلاد المغرب العربي منذ عصر الفتوحات الإسلامية في القرن الأول للهجرة، وظلت هذه الهجرات تتابع حتى القرن الخامس للهجرة؛ حيث نزح من «مصر» إلى هناك «بنو هلال» و«بنو سليم»، ولاشك أن الحكم العربي الإسلامي لهذه البلاد بالإضافة إلى هذه الهجرات قد أديا في النهاية إلى تعريب أهل البلاد الأصليين، فانتشرت بينهم اللغة العربية وأصبحت لسانهم، وغدت هذه البلاد بلدانا عربية إسلامية، وقد انطلقت من هذه البلاد هجرات عربية لكنها كانت قليلة العدد قليلة الأفراد، اتجهت جنوباً إلى الصحراء الكبرى ومنها إلى حوض «نهر السنغال» و«النيجر»، وحوض «بحيرة تشاد» مثل «بنى جذام» و«بنى حسان» و«بنى معقل» و«أولاد سليمان» و«جهينة» وغيرهم، واستقرت هذه القبائل هناك ولا تزال توجد إلى الآن بعض هذه القبائل التي تحتفظ بأصولها العربية، ولكن نظراً لقلّة هذه الهجرات وقلّة عدد أفرادها فإنها لم تؤدّ إلى انتشار اللغة العربية بين الأهالي هناك، وكانت لغة العلم والتعليم والتجارة والوثائق الرسمية للدولة فقط، ولما جاء الاستعمار الأوربي إلى هذه البلاد حارب هذه اللغة وحارب الإسلام بكل ما يستطيع من قوة، ولا يزال يحاربه رغم الاستقلال. وإذا كان العرب قد هاجروا إلى البلدان الإفريقية في مختلف أنحاء القارة، وكان لهم أثرهم الكبير في نشر الإسلام ولغته وثقافته، وكذلك في إقامة سلطنت إسلامية، فقد كان لهجرات البربر أثر كبير أيضاً في هذه الميادين، وخاصة «بربر صنهاجة»، الذين كانوا يسكنون الصحراء الكبرى، واستطاعوا نتيجة لجهود داعية عظيم أشرنا إليه وهو الشيخ «عبدالله بن ياسين الجزولي» أن يقيموا «دولة المرابطين» منذ عام (448هـ = 1056م)، وأن يضموا إليها «بلاد المغرب الأقصى» و«بلاد الأندلس»، ثم «مملكة غانة» الوثنية، وانطلق دعواتهم بين أهالي «غانة» و«السودان الغربي» ينشرون الإسلام، كذلك وفد كثير من قبائل البربر الأخرى إلى هذه البلاد مهاجرين إليها، واستقروا فيها وأنشؤا المدن والمراكز التجارية مثل مدينة «أودغشت» ومدينة «تمبكت» وغيرهما. كما هاجرت قبائل من البربر منذ ما قبل الإسلام إلى حوض «بحيرة تشاد» وأقامت دولة تسمى «دولة الكانم والبرنو»، ولم يلبث ملوك هذه الدولة أن

اعتنقوا الإسلام في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، وظلوا يحكمون هذه البلاد وينشرون الإسلام فيها حتى القرن التاسع عشر. كذلك كان لهجرات النوبيين والصوماليين والجلالا والأعفار والزنج أثر كبير في نشر الإسلام في منطقة «القرن الإفريقي»، وفي «ساحل شرق إفريقيا»، وكانت هذه الهجرات وراء توسع السلطنات الإسلامية التي قامت في هذه المنطقة، وساعدتها في رد عدوان الأقباش على المسلمين في منطقة «القرن الإفريقي» وخاصة في القرن السادس عشر الميلادي .

5- الطرق الصوفية: ارتبط نشاط الدعوة إلى الإسلام لاسيما في غرب إفريقيا وشرقها بانتشار الطرق الصوفية، وخاصة بين المشتغلين بالتجارة، وكانت هذه الطرق قد بنى نجمها في الأفق منذ أن تعرض العالم الإسلامي لخطر الاستعمار الأوروبي الحديث بدءاً من القرن السادس عشر الميلادي، واستطاعت الطرق الصوفية أن تسهم إسهاماً كبيراً في الدعوة إلى مقاومة الاستعمار، وكذلك في الدعوة إلى الوحدة الدينية، وفي نشر الإسلام بين من لم يعتنقه، ونتيجة لذلك جذبت هذه الطرق إليها كثيراً من الشباب الأفارقة. ففي شرق إفريقيا وبلاد «سودان وادي النيل» ظهرت «الطريقة الميرغنية» في القرن التاسع عشر للميلاد والتي كان لها تأثيرها الكبير على الناس هناك، وكانت قد ظهرت قبلها بعدة قرون «الطريقة القادرية والشاذلية والرفاعية»، وانتشر أتباع هذه الطرق على طول الساحل الشرقي لإفريقيا، وفي الجزر المواجهة له وكذلك في المناطق الداخلية. وفي سنة (1253هـ / 1837م) ظهرت في شمال إفريقيا الطريقة السنوسية على يد الفقيه الجزائري «محمد بن علي السنوسي»، الذي استطاع أن يقيم دولة دينية في الأراضي الليبية، دون أن يريق قطرة دم واحدة، وتمكنت هذه الطريقة من خلال أتباعها وزواياها التي انتشرت في إفريقيا جنوب الصحراء أن تنشر الإسلام بين العديد من القبائل الإفريقية الوثنية، مثل قبيلة «بيلي» التي كانت تسكن منطقة «إندي» شرق «بوركو» في شمال «نيجيريا»، وعمقت الإسلام بين جماعات «التدا» في شمال «بحيرة تشاد». وكان للسنوسيين فضل كبير في نشر الإسلام في «واداي»، التي تقع شرق «بحيرة تشاد»، وبين قبائل «الجلالا» في «الحبشة»؛ حيث كانوا يشترون العبيد أو الأطفال ثم يحررونهم ويرسلونهم إلى مركز الطريقة الرئيسي في «واحة جغبوب» في الصحراء الكبرى بين «مصر» و«ليبيا»، فيتعلمون ثم يعودون إلى

بلادهم دعاة للإسلام. كذلك كان لأتباع «الطريقة القادرية» التي انتشرت في شمال إفريقيا وغربها أثر كبير في نشر الإسلام في هذه البلاد، فقد اتخذ أتباعها من مدينة «ولاتة» بموريتانيا أول مركز لهم في تلك البلاد منذ القرن الخامس عشر الميلادي ثم لجؤوا إلى «تبتكت»، وانتشر أتباعهم ودعاتهم في أنحاء «السودان الغربي»، وكذلك في منطقة «القرن الإفريقي» وساحل «شرق إفريقيا»، ووصل أتباعها في الداخل حتى «الكونغو»، وكان أتباع هذه الطريقة يقومون بتأسيس المدارس لتعليم الدين ونشر الإسلام، ويرسلون نوابغ الطلاب إلى مدارس «القيروان» و«تونس» و«فاس» و«الأزهر»، وغيرها، فإذا ما أتموا دراستهم عادوا إلى أوطانهم دعاة للإسلام. ومن الطرق الأخرى التي انتشرت في القارة «الطريقة التيجانية» التي أنشأها «أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن سالم التيجاني» المتوفى عام (1231هـ / 1815م)، وقد قام أتباعه بنشر هذه الطريقة بين رجال القوافل والتجار، فانتشرت تعاليمها في حوض «السنغال» وفي «تبتكت» وفي سائر أنحاء غرب إفريقيا، وظهرت هذه الطريقة أيضاً في «السودان النيلي» وشرق إفريقيا على يد بعض التيجانية القادمين من غرب إفريقيا. وقد انخرط في سلك هذه الطريقة عليّة القوم في «الحبشة»، مثل سلطان «جمّة» «أبي جفار»، و«الرأس علي» نائب الإمبراطور الحبشي، وعمل هذان الرجلان على نشر الإسلام بين الوثنيين من الأحباش، ونجحوا في ذلك نجاحاً عظيماً فتحول معظم سكان الولايات الوسطى والشمالية في «الحبشة» إلى الإسلام. 6 طبيعة الإسلام: ذلك أن الإسلام لم يفرض كما رأينا على الشعوب الوثنية الإفريقية فرضاً، إنما حمله قوم من أهل إفريقيا نفسها، اتخذوا صفة التجار أو المعلمين أو الدعاة أو الصوفية فليس غريباً أن يلقى قبولا منهم، فهو في نظرهم دين إفريقي غير دخيل، والدعوة إليه تتم بالطرق السلمية وليس بالغزو المسلح كما فعل الاستعمار الأوربي في العصر الحديث. كما أن الإسلام لم يستعبد هذه الشعوب، إنما أشعرها بالعزة والكرامة، فخلق منها دولاً كبرى وقوى فيها النزعة إلى الحرية والاستقلال، ولم يقض على نظمها المحلية بل تواءم معها وخلق منها ومن تقاليد تقاليد إسلامية الطابع إفريقية الروح. ومن ثم تقبله الأفارقة، خاصة أن الإسلام لم يكن ديناً أوروبياً فحسب، وإنما كان ديناً وحضارة تقوم على أساس تعمير الدنيا والفوز بالآخرة، ومن ثم لزم أن ينشر الإسلام نور العلم والثقافة بين

أُتباعه ومعتقيه، فارتبط الإسلام بالعلم والتعليم منذ البداية، وكان الإفريقي لا يكاد يسلم حتى يتعلم القراءة والكتابة ويرتفع قدره اجتماعياً كلما زادت ثقافته، ولذلك سمعنا عن عدد كبير من العلماء الأفارقة الذين ظهرُوا في مختلف ميادين العلم والثقافة، ولم يكونوا في ذلك أقل من إخوانهم علماء المغاربة أو المشاركة، زد على ذلك أن الإسلام لم يعترف بالفرقة العنصرية، فهو لا يعرف حواجز الطبقات أو العرق أو اللون، ولا يميز بين إنسان وآخر على أساس اللون أو الثروة، لأن معيار التفاضل في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح، ولذلك أُقبل الأفارقة على اعتناقه، فوحد بينهم وقضى على عناصر الفرقة والتشردم، كما وحد بينهم لغوياً؛ إذ انتشرت اللغة العربية بين كثير من شعوب القارة، وصارت هي أداة الفكر والعلم والمخاطبة، أما الشعوب التي احتفظت بلغاتها، فقد كانت العربية هي وسيلة العلم والتعامل كما كانت اللغة الرسمية، لأن اللغات الإفريقية لم تكن لغات مكتوبة. وكما وحد الإسلام بينهم دينياً وحد بينهم سياسياً وقضى على التشردم القبلي والنزاعات القبلية، وأنشأ دولا كبرى، بل إمبراطوريات عظمى مثل «إمبراطورية مالي»، التي ضمت معظم منطقة غرب إفريقيا بالكامل، وكانت مساحتها تفوق مساحة دول غرب أوروبا مجتمعة، ليس هذا فحسب بل إن الإسلام جعل الإفريقي يشعر باتمائه ليس إلى بلاده فقط بل إلى عالم إسلامي واسع، يستطيع أن ينتقل بين أرجائه سواء كان تاجراً أو حاجاً أو طالب علم، وفي كل مكان يجد هذا الإفريقي القوت والمأوى والمساعدة والاستقبال الودود، على أساس من أخوة الإسلام التي جمعت بين أفراد هذا العالم الإسلامي الواسع، الذي يمتد من الصين شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن هنا اعتبر الأفارقة الإسلام ديناً إفريقياً قام بنشره بينهم قوم منهم، اتخذوا الدعوة أو التجارة أو التصوف وسيلة إلى ذلك، وطبقوا مبادئ الإسلام السمحة وأخلاقه الحميدة وقيمه السامية من إخاء ومساواة وتكافل وتعاون، ومن ثم انتشر الإسلام في هذه البقاع الواسعة في القارة، حتى إنه يمكن القول بأن قارة إفريقيا هي القارة المسلمة الوحيدة في عالم اليوم، على اعتبار أن غالبية سكانها يعتنقون الإسلام. وتبين ذلك بوضوح من خلال حديثنا عن السلطنات والممالك الإسلامية التي قامت بالقارة جنوب الصحراء في العصور الوسطى.

الكتاب الثامن

في بيات كيفية تكون المجتمع الإسلامي وأسس وأسابيق تفوقه وعوامل تفرقه وانكماشه

*

الفصل الاول

في

تكون المجتمع المسلم

نشأة المجتمع المسلم وخصائصه

في هذا المجال وبعد سرد عينات من الفتوحات الإسلامية ينبغي لي أن أذكر هنا نشأة المجتمع المسلم الذي نحن جزء منه حتى نعرف مدى تمسكنا بمنهجه نحن كأتباع وكأحفاد وعليه فأقول إن الدعوة الإسلامية على يد سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ذكر الاستاذ محمد قطب تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الدعوة الطويلة إلى الإسلام بقيادة موكب الرسل الكرام. وهذه الدعوة على مدار التاريخ البشري كانت تستهدف أمرا واحدا: هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الحق وتعبيدهم لربهم وحده ونبذ ربوبية الخلق. ولم يكن الناس فيما عدا أفرادا معدودة في فترات قصيرة ينكرون مبدأ الألوهية ويجحدون وجود الله البتة، إنما هم كانوا يخطئون معرفة حقيقة ربهم الحق، أو يشركون مع الله آلهة أخرى: إما في صورة الاعتقاد والعبادة، وإما في صورة الحاكمية والاتباع وكلاهما شرك كالآخر يخرج به الناس من دين الله، الذي كانوا يعرفونه على يد كل رسول، ثم ينكرونه إذا طال عليهم الأمد، ويرتدون إلى الجاهلية التي أخرجهم منها. ويعودون إلى الشرك بالله مرة أخرى. إما في الاعتقاد والعبادة، وإما في الاتباع والحاكمية. وإما فيها جميعا. هذه طبيعة الدعوة إلى الله على مدار التاريخ البشري. إنها تستهدف "الإسلام" إسلام العباد لرب العباد، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، بإخراجهم من سلطان العباد في حاكميتهم وشرائعهم وقيمهم وتقاليدهم، إلى سلطان الله وحاكميته وشريعته وحده في كل شأن من شؤون الحياة. وفي هذا جاء الإسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما جاء على أيدي الرسل الكرام قبله. جاء ليرد الناس إلى

حاكمة الله كشأن الكون كله الذي يحتوي الناس ، فيجب أن تكون السلطة التي تنظم حياتهم هي السلطة التي تنظم وجوده ، فلا يشذوا هم بمنهج وسلطان وتدير غير المنهج والسلطان والتدير الذي يصرف الكون كله . بل الذي يصرف وجودهم هم أنفسهم في غير الجانب الإرادي من حياتهم فالناس محكومون بقوانين فطرية من صنع الله في نشأتهم ونموهم ، وصحتهم ومرضهم ، وحياتهم وموتهم ، كما هم محكومون بهذه القوانين في اجتماعهم وعواقب ما يحل بهم نتيجة لحركتهم الاختيارية ذاتها ، وهم لا يملكون تغيير سنة الله في القوانين الكونية التي تحكم هذا الكون وتصرفه . ومن ثم ينبغي أن يثوبوا إلى الإسلام في الجانب الإرادي من حياتهم ، فيجعلوا شريعة الله هي الحاكمة في كل شأن من شؤون هذه الحياة ، تنسيقاً بين الجانب الإرادي في حياتهم والجانب الفطري ، وتنسيقاً بين وجودهم كله بشطريه هذين وبين الوجود الكوني . ولكن الجاهلية التي تقوم على حاكمة البشر للبشر والشذوذ بهذا عن الوجود الكوني ، والتصادم بين منهج الجانب الإرادي في حياة الإنسان والجانب الفطري . هذه الجاهلية التي واجهها كل رسول بالدعوة إلى الإسلام لله وحده ، والتي واجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوته . هذه الجاهلية لم تكن متمثلة في " نظرية " مجردة بل ربما أحيانا لم تكن لها " نظرية " على الإطلاق ! إنما كانت متمثلة دائماً في تجمع حركي . متمثلة في مجتمع ، خاضع لقيادة هذا المجتمع ، وخاضع لتصوراته وقيمه ومفاهيمه ومشاعره وتقاليد وعاداته . وهو مجتمع عضوي بين أفراد ذلك التفاعل والتكامل والتناسق والولاء والتعاون العضوي ، الذي يجعل هذا المجتمع يتحرك بإرادة واعية أو غير واعية للمحافظة على وجوده ، والدفاع عن كيانه والقضاء على عناصر الخطر التي تهدد ذلك الوجود وهذا الكيان في أية صورة من صور التهديد . ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في " نظرية " مجردة ، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية ، ورد الناس إلى الله مرة أخرى ، لا يجوز ولا يجدي شيئاً . أن تتمثل في " نظرية مجردة فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي ، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها كما هو المطلوب في حالة محاولة إلغاء وجود قائم بالفعل لإقامة وجود آخر يخالفه مخالفة أساسية في طبيعته وفي منهجه وفي كليته وجزئياته . بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية ، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك المجتمع الجاهلي

القائم فعلاً . والقاعدة النظرية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التاريخ البشري هي قاعدة " شهادة أن لا إله إلا الله " أي إفراد الله - سبحانه - بالألوهية والربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية . إفراده بها اعتقاداً في الضمير ، وعبادة في الشعائر ، وشريعة في واقع الحياة فشهادة أن لا إله إلا الله ، لا توجد فعلاً ، ولا تعتبر موجودة شرعاً إلا في هذه الصورة المتكاملة التي تعطيها وجوداً جدياً حقيقياً يقوم عليه اعتبار قائمها مسلماً أو غير مسلم . ومعنى تقرير هذه القاعدة من الناحية النظرية . أن تعود حياة البشر بجملتها إلى الله ، لا يقضون هم في أي شأن من شؤونها ، ولا في أي جانب من جوانبها ، من عند أنفسهم ، بل لا بد لهم أن يرجعوا إلى حكم الله فيها ليتبعوه . وحكم الله هذا يجب أن يعرفوه من مصدر واحد يبلغهم إياه ، وهو رسول الله . وهذا يتمثل في شطر الشهادة الثاني من ركن الإسلام الأول : " شهادة أن محمداً رسول الله " هذه هي القاعدة النظرية التي يتمثل فيها الإسلام ويقوم عليها وهي تنشئ منهجاً كاملاً للحياة حين تطبق في شؤون الحياة كلها يواجه به المسلم كل فرع من فروع الحياة الفردية والجماعية في داخل دار الإسلام وخارجها ، في علاقاته بالمجتمع المسلم وفي علاقات المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى . ولكن الإسلام - كما قلنا لم يكن يملك أن يتمثل في " نظرية " مجردة يعتنقها من يعتنقها اعتقاداً ويزاولها عبادة ، ثم يبقى معتقوها على هذا النحو أفراداً ضمن الكيان العضوي للتجمع الحركي الجاهلي القائم فعلاً . فإن وجودهم على هذا النحو - مهما كثر عددهم - لا يمكن أن يؤدي إلى " وجود فعلي " للإسلام ، لأن الأفراد المسلمين نظرياً " الداخلين في التركيب العضوي للمجتمع الجاهلي سيظلون مضطربين حتماً للاستجابة لمطالب هذا المجتمع العضوية سيتحركون طوعاً أو كرهاً ، بوعي أو بغير وعي لقضاء الحاجات الأساسية لحياة هذا المجتمع الضرورية لوجوده ، وسيدافعون عن كيانه ، وسيدافعون العوامل التي تهدد وجوده وكيانه لأن الكائن العضوي يقوم بهذه الوظائف بكل أعضائه سواء أرادوا أم لم يريدوا أي أن الأفراد " المسلمين نظرياً " سيظلون يقومون " فعلاً " بتقوية المجتمع الجاهلي الذي يعملون " نظرياً " لإزالته ، وسيظلون خلايا حية في كيانه تده بعناصر البقاء والامتداد وسيعطونه كفاياتهم وخبراتهم ونشاطهم ليحيا بها ويقوى وذلك بدلاً من أن تكون حركتهم في اتجاه تقويض هذا المجتمع الجاهلي لإقامة المجتمع الإسلامي . ومن ثم لم يكن بد أن تمثل القاعدة النظرية للإسلام (أي العقيدة) في تجمع عضوي . حركي منذ اللحظة

الأولى . لم يكن بد أن ينشأ تجمع عضوي حركي آخر غير التجمع الجاهلي ، منفصل ومستقل عن التجمع العضوي الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إلغاءه ، وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة المتمثلة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم . ومن بعده في كل قيادة إسلامية تستهدف رد الناس إلى ألوهية الله وحده وربوبية وقوامته وحاكميته وسلطانه وشريعته . وأن يخلع كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي - أي التجمع الذي جاء منه - ومن قيادة ذلك التجمع - في أية صورة كانت ، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم ، أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية كالتي كانت لقريش - وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامياً الجديد ، وفي قيادته المسلمة . ولم يكن بد أن يتحقق هذا منذ اللحظة الأولى لدخول المسلم في الإسلام ، ولنطقه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لأن وجود المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما تبلغ كثرتهم ، لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون ، له وجود ذاتي مستقل ، يعمل أعضاؤه عملاً عضوياً - كأعضاء الكائن الحي على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه ، وفي الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه ، ويعملون هذا تحت قيادة مستقلة عن قيادة المجتمع الجاهلي ، تنظم حركتهم وتنسقها ، وتوجههم لتأصيل وتعميق وتوسيع وجودهم الإسلامي ولمكافحة ومقاومة وإزالة الوجود الآخر الجاهلي . وهكذا وجد الإسلام . وهكذا وجد متمثلاً في قاعدة نظرية مجملية - ولكنها شاملة - يقوم عليها في نفس اللحظة تجمع عضوي حركي ، مستقل منفصل عن المجتمع الجاهلي ومواجه لهذا المجتمع . ولم يوجد قط في صورة " نظرية " مجردة عن هذا الوجود الفعلي . وهكذا يمكن أن يوجد الإسلام مرة أخرى ، ولا سبيل لإعادة إنشائه في المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية وبعد فإن الإسلام - وهوي بني الأمة المسلمة على هذه القاعدة وفق هذا المنهج ، وقيم وجودها على أساس التجمع العضوي الحركي ، ويجعل أصرة هذا التجمع هي العقيدة - إنما كان يستهدف إبراز " إنسانية الإنسان " وتقويتها وتمكينها وإعلاءها على جميع الجوانب الأخرى في الكائن الإنساني وكان يمضي في هذا على منهجه المطرد في كل قواعده وتعليماته وشرائعه وأحكامه . إن الكائن

الإنساني يشترك مع الكائنات الحيوانية - بل الكائنات المادية - في صفات توهم أصحاب "الجهالة العلمية". مرة بأنه حيوان كسائر الحيوان، ومرة بأنه مادة كسائر المواد! ولكن الإنسان مع اشتراكه في هذه "الصفات" مع الحيوان ومع المادة له "خصائص" تميزه وتفرد، وتجعل منه كائناً فريداً، كما اضطر أصحاب "الجهالة العلمية!" أخيراً أن يعترفوا والحقائق الواقعية تلوي أعناقهم لئلا فيضطرون لهذا الاعتراف في غير إخلاص ولا صراحة ولقد كان من النتائج الواقعية الباهرة للمنهج الإسلامي في هذه القضية، ولإقامة التجمع الإسلامي على أصرة العقيدة وحدها، دون أوامر الجنس والأرض واللون واللغة والمصالح الأرضية القريبة الحدود الإقليمية السخيفة! ولإبراز "خصائص الإنسان" في هذا التجمع وتمييزها وإعلائها، دون الصفات المشتركة بينه وبين الحيوان. كان من النتائج الواقعية الباهرة لهذا المنهج أن أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً مفتوحاً لجميع الأجناس والأقوام والألوان واللغات، بلا عائق من هذه العوائق الحيوانية السخيفة! وإن صبّت في بوتقة المجتمع الإسلامي خصائص الأجناس البشرية وكفائاتها وانصهرت في هذه البوتقة وتمازجت وأنشأت مركباً عضوياً فائقاً في فترة تعد نسبياً قصيرة، وصنعت هذه الكتلّة العجيبة المتجانسة المتناسقة حضارة رائعة ضخمة تحوي خلاصة الطاقة البشرية في زمانها مجتمعة، على بعد المسافات وبطء طرق الاتصال في ذلك الزمان لقد اجتمع في المجتمع الإسلامي المتفوق: العربي والفارسي والشامي والمصري والمغاربي والتركي والصيني والهندي والروماني والإغريقي والأندلسي والأفريقي. إلى آخر الأقوام والأجناس وتجمعت خصائصهم كلها لتعمل تمازجة متعاونة متناسقة في بناء المجتمع الإسلامي والحضارة الإسلامية. ولم تكن هذه الحضارة الضخمة يوماً ما "عربية" إنما كانت دائماً إسلامية "ولم تكن يوماً" قومية "إنما كانت دائماً" عقيدية "ولقد اجتمعوا كلهم على قدم المساواة وبأصرة الحب، وبشعور التطلع إلى وجهة واحدة. فبدلوا جميعهم أقصى كفائاتهم، وأبرزوا أعماق خصائص أجناسهم، وصبوا خلاصة تجاربهم الشخصية والقومية والتاريخية في بناء هذا المجتمع الواحد الذي ينتسبون إليه جميعاً على قدم المساواة، وتجمع فيه بينهم أصرة تتعلق بربهم الواحد، وتبرز فيها إنسانيتهم وحدها بلا عائق، وهذا لم يجتمع قط لأي تجمع آخر على مدار التاريخ. لقد كان أشهر تجمع بشري في التاريخ القديم هو تجمع الإمبراطورية الرومانية مثلاً. فقد جمعت بالفعل أجناساً

متعددة، ولغات متعددة، وألواناً متعددة، وأمزجة متعددة ولكن هذا كله لم يقم على "أصرة إنسانية" ولم يمثل في قيمة عليا كالعقيدة، لقد كان هناك تجمع طبقي على أساس طبقة الأشراف وطبقة العبيد في الإمبراطورية كلها من ناحية، وتجمع عنصري على أساس سيادة الجنس الروماني بصفة عامة - وعبودية سائر الأجناس الأخرى من ناحية أخرى. ومن ثم لم يرتفع قط إلى أفق التجمع الإسلامي ولم يؤت الثمار التي آتاها التجمع الإسلامي. كذلك قامت في التاريخ الحديث تجمعات أخرى. تجمع الإمبراطورية البريطانية مثلاً. ولكنه كان كالتجمع الروماني الذي هو وريثه! تجمعا قوميا استغلاليا، يقوم على أساس سيادة القومية الإنجليزية، واستغلال المستعمرات التي تضمها الإمبراطورية ومثله الإمبراطوريات الأوربية كلها: الإمبراطورية الأسبانية والبرتغالية في وقت ما، والإمبراطورية الفرنسية. كلها في ذلك المستوى الهابط البشع المقيت! وأرادت الشيوعية أن تقيم تجمعا من نوع آخر يتخطى حواجز الجنس والقوم والأرض واللغة واللون، ولكنها لم تقمه على قاعدة "إنسانية" عامة، إنما أقامته على القاعدة "الطبقية". فكان هذا التجمع هو الوجه الآخر للتجمع الروماني القديم هذا التجمع على قاعدة طبقة "الأشراف" وذلك تجمع على قاعدة طبقة "الصعاليك" (البروليتريا) والعاطفة التي تسوده هي عاطفة الحقد الأسود على سائر الطبقات الأخرى! وما كان لمثل هذا التجمع الصغير البغيض أن يثمر إلا أسوأ ما في الكائن الإنساني. فهو ابتداء قائم على أساس إبراز الصفات الحيوانية وحدها وتنميتها وتمكينها باعتبار أن "المطالب الأساسية للإنسان هي" الطعام والمسكن والجنس" وهي مطالب الحيوان الأولية. وباعتبار أن تاريخ الإنسان هو تاريخ البحث عن الطعام. لقد تفرد الإسلام بمنهج الرباني في إبراز أخص خصائص الإنسان وتنميتها وإعلائها في بناء المجتمع الإنساني. وما يزال متفردا بذلك والذين يعدلون عنه إلى أي منهج آخر، يقوم على أية قاعدة أخرى من القوم أو الجنس أو الأرض أو الطبقة إلى آخر هذا التن السخيف هم أعداء الإنسان حقا! هم الذين لا يريدون لهذا الإنسان أن يتفرد في هذا الكون بخصائصه العليا كما فطره الله ولا يريدون لمجتمعه أن ينتفع بأقصى كفايات أجناسه وخصائصها وتجاربها في امتزاج وتناسق. وهم الذين يقول الله سبحانه في أمثالهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ

الفارسي»، و«صهيب الرومي»، و«بلال الحبشي»، وكانت منزلتهم عند رسول الله تفوق منزلة كثير من الصحابة، كما كان الصحابة أنفسهم يعاملونهم أكرم معاملة، حتى إن «عمر بن الخطاب» يقول عن «بلال بن رباح الحبشي»: «أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا»، يقصد بلالا.

كيف انحسر مفهوم الإسلام في نفوسنا إلى مجرد تشكيلات

قال أحد علماء العصر (كيف) انحسر الإسلام من مفهوم شامل للحياة البشرية في جميع اتجاهاتها بل مفهوم شامل في الحقيقة للكون والحياة والإنسان. لكي يصبح مجرد عبادات تؤدي على نحو من الأنحاء بل لا تؤدي أحياناً إلا بالنية بل لا تؤدي أحياناً على الإطلاق، لا بالنية ولا بغير النية ثم يظل يدور في أخلاذنا مع ذلك أننا مسلمون صادقوا الإسلام (إلا من رحم ربك) (كيف) انحسر من دستور شامل يحكم الحياة البشرية كلها وينظمها يحكم اقتصادياتها واجتماعياتها ومادياتها وروحانياتها وسياستها وأفكارها ومشاعرها وسلوكها العملي في واقع الحياة لكي يصبح مجرد مشاعر هائمة لا رصيدها من الواقع. مشاعر تدور في نفس صاحبها - إن دارت - وهو يعيش في مجتمع لا يلتزم بمنهج الإسلام ولا يستنكر الحياة فيه ولا يحاول تغييره وتدور في نفسه إن دارت وهو ذاته لا يسلك سلوك المسلمين في حياته الخاصة ولا العامة فتقاليد غير إسلامية وأفكاره غير إسلامية وتصورات غير إسلامية وسلوكه اليومي لا يمت بصلة إلى الإسلام سواء في علاقة الفرد بالفرد أو الفرد بالجماعة أو العكس (كيف) انحسر من حياة كاملة قائمة على مبادئ الإسلام وأفكاره ومثله وسلوكه الواقعي تشمل الدنيا والآخرة والأرض والسماء والحاكم والمحكوم والرجل والمرأة والأسرة والمجتمع لكي يصبح جزئيات مبعثرة لا رابط بينها ولا دلالة فيها كالرقعة الشائثة في نسيج غير متناسق الأجزاء (كيف) نبتت تلك الأفكار العجيبة التي تقسم الإسلام مشاعر من ناحية وسلوكاً عملياً من ناحية أخرى ثم تفصل بين هذه وتلك وتتصور أن المشاعر وحدها يمكن أن تكون إسلاماً بمعزل عن السلوك (كيف) دار في أخلاذ المسلمين أنهم يستطيعون أن يستوردوا اقتصادياتهم من أي نظام على وجه الأرض غير إسلامي ويستوردوا أصول مجتمعاتهم وقواعده من أية فكرة على وجه الأرض غير إسلامية ويستوردوا تقاليدهم من أي مجتمع على وجه الأرض غير مسلم ثم يظلوا مع ذلك على ادعائهم (كيف) أمكن أن يتصور المسلم أنه يستطيع أن يخالف تعاليم ربه في كل شيء ويخون أماناته

كلها فيغش ويكذب ويخون ويخدع ويتجاوز المتاع المباح إلى المتعة المحرمة ويقبل الذل والمهانة حرصاً على هذا المتاع ويخلي نفسه من تبعة إقامة المجتمع المسلم سواء بسلوكة الذاتى أو بالدعوة إلى ذلك المجتمع ويشارك بذلك كله في إقامة مجتمع غير مسلم قائم على الظلم والانحراف والمعصية ثم يتصور بعد ذلك أن يضع ركعات في النهار مخلصاً أو غير مخلصاً يمكن أن تسقط عنه تبعاته أمام الله وتسلكه في عداد المسلمين (كيف) أمكن أن تتصور المسلمة أنها تستطيع أن تخالف تعاليم ربها وتخون أماناته فتغش وتكذب وتحقد وتغتاب وتخرج عارية تعرض فنتها في الطريق لكل عين نهمة وجسد شهوان وتحلي نفسها من تبعة إقامة المجتمع المسلم سواء بالسلك المستقيم في ذات نفسها أو بتربية أبنائها عليه أو بالدعوة إلى ذلك المجتمع وتشارك بذلك كله في إقامة مجتمع غير مسلم قائم على الظلم والانحراف والمعصية ثم يدور في خلدنا بعد ذلك أن النية الطيبة في داخل قلبها يمكن أن تسقط عنها تبعاتها أمام الله وتسلكها في عداد المسلمات من أين أتت تلك الأفكار الغريبة التي تقول ما للدين ونظام المجتمع ما للدين والاقتصاد ما للدين وعلاقات الفرد بالمجتمع وبالذولة ما للدين والسلوك العملي في واقع الحياة ما للدين والتقاليد ما للدين والملبس وخاصة ملابس المرأة ما للدين والفن ما للدين والصحافة والإذاعة والسينما والتلفزيون وباختصار ما للدين والحياة ما للدين والواقع الذي يعيشه البشر على الأرض لا شك أن هناك أسباباً كثيرة لهذا الانحسار الذي يعانیه الإسلام في نفوس المسلمين فلم يكن كذلك المجتمع المسلم حين كان يمارس حقيقة الإسلام بل لم يكن كذلك المجتمع المسلم إلى عهد قريب مع كل ما أصابه من فساد خلال القرون إلى ما قبل الحملة الفرنسية على وجه التحديد لقد بدأت الفرقة بين مثل الدين والسلوك الواقعي مبكرة في تاريخ الإسلام من عهد الأمويين مثلاً ولكنها كانت فرقة لا تحل بقواعد المجتمع المسلم في مجموعه كانت الحكومة في العاصمة هي التي تفسد فسداً جزئياً في سياسة الحكم والمال ولكن المجتمع في غير العاصمة ظل إلى حد كبير يمارس أصول الإسلام وقواعده وتحكم حياته المفاهيم الإسلامية في الكليات والجزئيات والأهم من ذلك كله أن نظام المجتمع كان يقوم على الإسلام ابتداءً ويستمد قوانينه كلها من شريعة الإسلام ولا يستمدها من أي مصدر سواه ثم اتسعت هذه الفرقة حين حكم الأتراك ومع ذلك فقد ظل كثير من أمور المجتمع ومفاهيمه الإسلامية خالصة وكذلك سلوكة العملي وأخلاقه ومعاملاته وتصوراته وأفكاره حتى كان الغزو الصليبي الأخير في القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر وامتداده في القرن العشرين وعند ذلك حدث اختلاف كبير في المجتمع المسلم واختلال كبير

(قلت) وبعد هذه التساؤلات علينا أن تتبع الخط الذي أدى إلى انحسار المفهوم الإسلامي الضخم الشامل لكي يصبح جزئيات مبعثرة لا رابط لها ولا دلالة فيها ولكي يصبح مجرد عبادات مخلصة أو غير مخلصة يحسب أصحابها أنها الإسلام كله وأنهم ملاقور بهم بها وقد رضي عنهم ورضوا عنه حتى وهو يقول لهم في كتابه العزيز إن ذلك ليس هو الإسلام كما أراد الله فإذا عرفنا (كيف) نبع هذا الانحراف و(كيف) امتد إلينا صحونا إلى ما يدور حولنا من كيد وأنبنا إلى الله وإلى أنفسنا. ونعود حينئذ مسلمين والله الموفق إلى ما يريد

(وللبشارة) إن أمتنا الإسلامية اليوم ونحن في الجزائر منها قد عادت رويدا رويدا إلى دين ربها وإلى سالف مجدها وما المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد والزوايا وما تقنين الدساتير وما ورد فيها من مواد: الإسلام دين الدولة وما تقنين قوانين الأسرة وما المسابقات القرآنية والفكرة والملتقيات والندوات والجامع الفقهية والمؤتمرات التي تقام هنا وهناك إلا ظاهرة إبانة تدل بقوة على حسن التوجه لأنظمتنا الرشيدة التي تدفع بالمجتمع إلى الرقي والحضارة

(أقول) وليحذر المجتمع من مظاهر الشطط والانحراف والتهور الخالي من كل دليل فإن في ذلك ابتلاء عظيمًا وخطرا جسيما عانت منه مجتمعاتنا أمدا طويلا ولا زالت تعاني لولا فسحة الوثام والمصالحة والسلام المرغوبة التي سؤتي أكلها بعد حين إذا وفقت قدرة الغني الوهاب .

أسباب اختلاف الأمة بعده عليه السلام

نظرا لأهمية ما جرى من اختلاف بين الأمة بعد أن تركها رسولها الكريم على المحجة البيضاء يجدر بنا قبل ذكر آل البيت موضوع كتابنا هذا أن نذكر أسباب ذلك الاختلاف لما لها من أهمية بالموضوع ولنحذر منها وعليه فأقول جاء في الموسوعة العربية قولهم: ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين على كلمة جامعة ووحدة محكمة فلم تمض غير سنين معدودة حتى نشأت روح الخلاف تدب في المسلمين لا من الوجهة السياسية فإن الخلاف فيها يفيد ما لم يكن زمن حرب أو ضعف، بل حدث الخلاف من الوجهة الدينية في أصول العقائد وفي فروع المسائل واستحال الخلاف إلى شهوة

عقلية فافترق الناس إلى فرق كثيرة متنوعة وقد أجاد كتابة هذا الموجز العلامة البغدادي المتوفي سنة (429) هـ في كتابه (الفرق بين الفرق) حيث قال رحمه الله: «كان المسلمون عند وفاة رسول الله عليه السلام على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا . وأول خلاف وقع منهم اختلافهم في موت النبي صلى الله عليه وسلم فزعم قوم منهم أنه لم يمت وإنما أراد الله تعالى رفعه إليه كما رفع عيسى ابن مريم إليه وزال هذا الخلاف وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسوله عليه السلام (إنك ميت وإنهم ميتون) وقال لهم من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت . ثم اختلفوا بعد ذلك في موضع دفن النبي عليه السلام فأراد أهل مكة رده إلى مكة لأنها مولده ومبعثه وقبلته وموضع نسله وبها قبر جده إسماعيل عليه السلام وأراد أهل المدينة دفنه بها لأنها دار هجرته ودار أنصاره . وقال آخرون بنقله إلى أرض القدس ودفنه ببيت المقدس عند قبر جده إبراهيم الخليل عليه السلام وزال هذا الخلاف بأن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبي (إن الأنبياء يدفنون حيث يقبضون) فدفنوه في حجرته بالمدينة . ثم اختلفوا بعد ذلك في الإمامة وأذعت الأنصار إلى البيعة لسعد بن عباد الخزرجي . وقالت قريش إن الإمامة لا تكون إلا في قريش ثم أذعت الأنصار لقريش لما روى لهم قول النبي عليه السلام : الأئمة من قريش وهذا الخلاف باق إلى اليوم لأن ضراراً أو الخوارج قالوا بجواز الإمامة في غير قريش . ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن فدك وفي توريث التركات عن الأنبياء عليهم السلام . ثم نفذ في ذلك قضاء أبي بكر بروايته عن النبي عليه السلام (إن الأنبياء لا يورثون) ثم اختلفوا بعد ذلك في مانعي الزكاة ثم اتفقوا على رأي أبي بكر في وجوب قتالهم ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال (المرتد طليحة) حين تنبأ وارتد حتى انهزم إلى الشام ثم رجع في أيام عمر إلى الإسلام وشهد مع سعد بن أبي وقاص حرب القادسية وشهد بعد ذلك حرب نهاوند وقتل بها شهيدا . اشتغلوا بعد ذلك بقتال مسيلمة الكذاب إلى أن كفى الله تعالى أمره وأمر (المتنبئة سجاح) وأمر (الأسود بن زيد العنسي) ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال سائر المرتدين إلى أن كفى الله تعالى أمرهم ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال الروم والعجم وفتح الله تعالى لهم الفتح وهم في أثناء ذلك كله على كلمة واحدة في أبواب العدل والتوحيد والوعد والوعيد وفي سائر أصول الدين وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه كميراث الجد مع الإخوة والأخوات مع الأب والأم أو مع الأب

وكمسائل العدل والكلالة والرد وتعصيب الأخوات من الأب والأم أو من الأب مع البنت أو بنت الابن وكاختلافهم في مسألة الحرام ونحوها مما لم يورث اختلافهم فيه تضليلاً وتفسيقاً . وكانوا على هذه الحالة في أيام أبي بكر وعمر وست سنين من خلافة عثمان . ثم اختلفوا بعد ذلك في أمر عثمان لأشياء فقموها منه حتى أقدم لأجلها ظالموه على قتله ثم اختلفوا بعد قتله في قاتليه وخاذليه اختلافاً باقياً إلى يومنا هذا ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن علي وأصحاب الجمل وفي شأن معاوية وأهل صفين وفي حكم الحكمين أبي موسى الأشعري وعمر بن العاص اختلافاً باقياً إلى اليوم ثم حدث في زمان المتأخرين من الصحابة خلاف القدريّة في القدر والاستطاعة من معبد الجهني وغيلان الدمشقي والجعد بن درهم وتبراً منهم المتأخرون من الصحابة كعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن أبي أوفى وعقبة بن عامر الجهني وأقرانهم وأوصوا أخلافهم بأن لا يسلموا على القدريّة ولا يصلوا على جنائزهم ولا يعودوا مرضاهم ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها فصارت مقدار عشرين فرقة كل واحدة تكفر سائرهما ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا عند سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة لا عزّاهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر . وأما الروافض فإن السببية منهم أظهرت بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه فقال بعضهم لعلي أنت الله فأحرق علي قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى سباط المدائن . وهذه الفرقة ليست من فرق أمة الإسلام لتسميتهم علياً إلهاً . ثم افترت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترت الزيدية فرقا وإمامية فرقا والغلاة فرقا كل فرقة منها تختلف عن (غيرها) فأما فرق الزيدية وفرق الإمامية فمعدودون في فرق الأمة . وافترت البخارية بناحية الري بعد الزعفراني فرقا (ينكر بعضها بعضاً) وظهر خلاف البكرية من بكر بن أخت عبد الواحد بن زياد وخلاف الضرارية من ضرار بن عمرو وخلاف الجهمية من جهم بن صفوان وكان ظهر جهم وبكر وضرار في أيام ظهور واصل بن عطاء في ضلّاته وظهرت دعوة الباطنية في أيام المأمون من حمران قرمط ومن عبد الله بن ميمون القداح . وليست الباطنية من فرق ملة الإسلام بل هي من فرق الجوس

على (مأبين) . وظهر في أيام محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بنجراسان خلاف الكرامية المجسمة . فأما الزيدية من الرافضة فمعظمها ثلاث فرق وهي الجارودية والسليمانية . وقد يقال الحريرية أيضا والبترية وهذه الفرق الثلاث يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في أيام خروجه وكان ذلك في زمان هشام بن عبد الملك والكيسانية منهم فرق كثيرة ترجع عن المتحصل إلى فرقتين إحداهما تزعم أن محمد بن الحنفية حي لم يمت وهم على انتظاره ويزعمون أنه المهدي المنتظر . والفرقة الثانية منهم مقررون بإمامته في وقته وموته وينقلون الإمامة بعد موته إلى غيره ويختلفون بعد ذلك في المنقول إليه . راجع المطولات ولو أن الموضوع لم تعد له اليوم أي جدوى .

الفرق بين الخلاف والإختلاف

هنا يتبادر إلى الذهن ذكر الفرق بين الخلاف والإختلاف . حيث أن الخلاف قد تدعو إليه الطائفة والتعصب للرأي ومخالفة الند ولو بالباطل . أما الإختلاف فأغلب ما يكون منشؤه الإجتهد ومن هذا القبيل كانت مذاهب الأئمة المجتهدين وغيرهم ممن يبحثون عن الحقيقة .

الإختلاف الفقهي

بما أني ذكرت سابقا الإختلاف السياسي والفكري فإني أذكر هنا الإختلاف الفقهي وما نشأ عنه من مذاهب فقهية اجتهادية وذلك لإزالة اللبس المتوقع حول المذاهب وعليه فالمذاهب جمع مذهب وهو لغة من قولهم ذهب فلان أي قصد قصده وطريقته ، وذهب في الدين مذهباً: أي رأى فيه رأياً . واصطلاحاً: لا يخرج المعنى الاصطلاحى عن ذلك المعنى اللغوى . وحكم الاجتهاد فى الإسلام مشروع ، فقد اجتهد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما لم يجدوا فيه نصاً ، وكذلك اجتهد التابعون ومن بعدهم فى الحوادث التى عرضت لهم مما لم يجدوا فيه نصاً من الكتاب أو السنة فنشأ عن هذا الاجتهاد اختلاف فى الرأى ، ثم زاد هذا الاختلاف بعد الفتنة التى أدت إلى مقتل سيدنا عثمان ثم الإمام على رضى الله عنهما ، فكان أن انقسم المسلمون إلى طوائف ثلاثة: شيعة ، وخوارج . وأهل السنة . وكان السبب الرئيسى لاختلافهم هو الخلاف والأحقق بها ، وما صاحبها من التحكيم فى النزاع بين الإمام على ومعاوية فكان لكل طائفة رأى يخالف رأى غيرها وحاولت كل فرقة أن تعمل لنصرة مبادئها ، فتولد عن ذلك اختلاف آخر فى بعض الأحكام العملية مما

أدى إلى وجود فقه للخوارج وآخر للشيعة، وثالث لأهل السنة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى وجود اختلاف بين كل طائفة، فتعددت المذاهب الفقهية. والمذاهب الفقهية كثيرة ومتعددة منها ما اشتهر وكتب له البقاء ومنها ما لم تدون فيه مراجع خاصة به كمذهب الإمام الليث ابن سعد والإمام ابن جرير الطبري، والإمام الأوزاعي وغيرهم، أما المذاهب المشهورة والتي لها ذبوع وانتشار فهي ثمانية مذاهب وهي: المذهب الإمامي والمذهب الزيدي وهما لطائفة الشيعة والمذهب الإباضي وهو لطائفة الخوارج، والمذهب الظاهري والمذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي وهي لأهل السنة والجماعة. فأما المذهب الشيعي الإمامي فهو لبعض الشيعة، وهم الذين يعتقدون أن الرسول أوصى بالخلافة لعلي بالذات ثم من بعده لولده، وأن الأئمة معصومون من الخطأ إلى آخره، فهم يختلفون مع أهل السنة في كثير من الفروع والأحكام، فضلاً عن إنكارهم القياس وينتشر هذا المذهب في إيران والعراق والهند وأما المذهب الشيعي الزيدي فهو لطائفة ينتسبون إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ومن مبادئهم أن الإمامة لا تكون بالنص عليها كما يقول الإمامية وإنما تكون لكل فاطمي عالم زاهد شجاع في الحق والزيدية أعدل فرق الشيعة في تعاليمها ومع ذلك فقد خالفوا فقه أهل السنة في كثير من الفروع والأحكام ولهم كتب كثيرة منها المجموع المنسوب للإمام زيد وشرحه الروض النضير وأتباع هذا المذهب موجودون الآن في بلاد اليمن وقد تشعب هذا المذهب إلى شعب منها: القاسمية والناصرية والهادوية وأما المذهب الإباضي فهو مذهب طائفة معتدلة من الخوارج وهو منسوب إلى عبد الله بن إباضي الذي توفي سنة 80 هـ وهم يرون أن الخلافة تكون بالاختيار الحر من المسلمين وهذا المذهب يتفق في كثير من الفروع مع أهل السنة وإن خالفهم في بعض الأحكام ومن أهم كتب هذا المذهب كتاب شرح النيل وشفاء العليل للشيخ محمد بن يوسف بن أطفيش الجزائري وينتشر هذا المذهب في بعض بلاد المغرب العربي وكذلك سلطنة عمان وأما المذهب الظاهري فمؤسسه أبو سليمان داود بن علي الأصفهاني وهذا المذهب يعتمد على ظواهر النصوص من القرآن والسنة ويترك كل أنواع الرأي والقياس ومن علماء هذا المذهب أبو علي محمد بن حزم الذي له كتاب "المحلى" في الفقه، وكتاب "الإحكام في أصول الأحكام" في أصول الفقه. وأما المذهب الحنفي فهو من مذاهب أهل السنة

أسسه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة 150هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع وقول الصحابي فيما ليس للاجتهاد فيه مجال ثم القياس والاستحسان وهذا المذهب له كتب كثيرة مشهورة ومعروفة، وينتشر هذا المذهب في العراق وسوريا وباكستان وأفغانستان وتركيا ومصر وأما المذهب المالكي فمؤسسه إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة 179هـ ويعتمد هذا المذهب أيضا على الكتاب والسنة والإجماع والقياس وعمل أهل المدينة والعمل بالمصالح المرسلة وهذا المذهب أيضا له كتب كثيرة ومشهورة منها الموطأ والمدونة والذخيرة وشراح خليل والرسالة وينتشر في صعيد مصر والسودان والكويت وقطر والبحرين وبلاد المغرب العربي كلها. وأما المذهب الشافعي فمؤسسه الإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة 204هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة والإجماع قول الصحابي والقياس وللإمام الشافعي كتاب في الفقه وهو "الأم" وكتاب آخر في الأصول وهو "الرسالة" ويعد به الشافعي أول من دون في علم الأصول وينتشر بالوجه البحري بمصر وفلسطين وحضرموت وأندونيسيا وأما المذهب الحنبلي فمؤسسه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى سنة 241هـ ويعتمد هذا المذهب على الكتاب والسنة وفتاوى الصحابة المتفق منها والمختلف فالحديث المرسل فالقياس ولهذا المذهب كتب كثيرة مشهورة منها مسند الإمام أحمد وينتشر هذا المذهب في السعودية.

الإصلاح

بما أن في المنطقة الجفافية وخصوصا منها المنطقة السعداوية يتواجد من اشربت انفسهم بفكرة الاصلاح واستقوا من جمعياتها وهيئاتها الاصلاحية والتي كانت اصولها الريادية من عهد جمعية العلماء ومن قبلهم من الدعاة. تحاول ترشيد ما رآته في ضرورة الى التعديل والترشيد والتقييم بل وتدعو الى التفتح على الفضاءات الواسعة لاقتباس واخذ ما فيها من محاسن معارفية وحضارية وهذا في ميدان الفكر السليم والحضارة القومية امر ضروري يدعوا اليه الاساس الشرعي لاصلاح الكيان البشري شريطة ان لا يضر بكيان الهرم الكبير المبني على القيم والاصالة والوطنية ولعبت في ذلك المدرسة العصرية دورا كبيرا لما المناهجها من اسس وعناصر زيادة على ما تنميه الشاشات ووسائل المعلومات الكثيرة التي لا تحصى عدداً وعليه فلا بد من إدراج كلمة حول الإصلاح ولذا

فالإصلاح لغة هو ضد الإفساد وهو من الإصلاح المقابل للفساد وللسيئة وفى القرآن الكريم ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ﴾ ﴿ ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ﴾ فالإصلاح هو التغيير إلى الأفضل فالحركات الإصلاحية هى الدعوات التى تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد فى الميادين الاجتماعية المختلفة، انتقالاً بالحياة إلى درجة أرقى فى سلم التطور الإنسانى. والإصلاح اصطلاحاً: لا يفرق بينه وبين مصطلح الثورة فى مستوى التغيير وشموله، وإنما من حيث الأسلوب فى التغيير وزمن التغيير فكلاهما إسلامياً - يعنى التغيير الشامل والعميق، لكن الثورة تسلك سبل العنف غالباً والسرعة فى التغيير، بينما تتم التغييرات الإصلاحية بالتدرج وكثيراً ما تعطى الثورة الأولية لتغيير الواقع، بينما تبدأ مناهج الإصلاح عادة بتغيير الإنسان: وإعادة صياغة نفسه وفق الدعوة الإصلاحية، وبعد ذلك ينهض هذا الإنسان بتغيير الواقع وإقامة النموذج الإصلاحى الجديد. ولذلك وصفت رسالات الرسل عليهم الصلاة والسلام بأنها دعوات إصلاح فيقول رسول الله شعيب عليه السلام: ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾ والناظر فى تاريخ المجتمعات الإنسانية يرى سلسلة من التدافع بين دعوات الإصلاح وحركاته وبين الفساد والإفساد فى تلك المجتمعات، وعلى سبيل المثال، نجد الحركة الإصلاحية التى قادها جمال الدين الأفغانى منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر، بدءاً من مصر وشمولاً لكل العالم الإسلامى تمثل إحياء وتجديداً للفكر الإسلامى بالعودة إلى منابعه الجوهرية "القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة" ومناهج السلف الصالح. وقد عبر الإمام محمد عبده عن أهداف هذه الحركة فقال: (إنها ثلاثة): الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع فى كسب معارفه إلى منابعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لتتم حكمة الله فى حفظ نظام العالم الإسلامى. الثانى: هو إصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير. الثالث: هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة وهكذا مثلت هذه الحركة الإصلاحية منهاجاً وسطاً بين أهل الجمود والتقليد وبين المتغربين المنبهرين بالنموذج الحضارى الغربى، وكانت دعوتها الإصلاحية شاملة لميادين الفكر الدينى، واللغة العربية وعلومها وآدابها، وعلاقات الحاكمين بالحكومين. ولقد تحولت فكرية هذه الدعوة الإصلاحية إلى

روح سارية في الكثير من الدعوات والحركات والمشاريع الفكرية للعديد من العلماء والمفكرين على امتداد العقود التي تلت ، وعلى امتداد أقاليم عالم الاسلام . راجع التفاصيل والتواريخ في مضافها .

الصحة

قد يتبادل للذهن أن هناك ترابطا بين الإصلاح والصحة وعليه فسأدرج هنا كلمة حول موضوع الصحة . الصحة لغة من الصحو وهو ذهاب الغيم وارتفاع النهار ، وذهاب السكر ، وترك الباطل . (كما في اللسان) . واصطلاحا هي اليقظة تصيب الفرد أو الأمة بعد سنة وغفلة وتختلف وتراجع . ويشيع إطلاقها في واقعنا المعاصر على نزوع أمتنا إلى النهضة الإسلامية بعد عصر التراجع الحضاري الذي امتد تحت حكم العسكر المماليك والسلطنة العثمانية وهي صحة تجاهد على صعيدين ، وفي جبهتين :

- 1- صعيد وجبهة التخلف الذاتي الموروث عن حقبة التراجع الحضاري .
- 2- وصعيد وجبهة التحديات الغربية، التي تريد تهميش دور الأمة الإسلامية وإلحاقها بالتبعية للغرب ، ليتأبد استغلال الغرب وهيمنته على عالم الإسلام .
- 3- ووصف هذه الصحة بالإسلامية، إنما يأتي تمييزا لها عن مشاريع النهوض التي اختار أصحابها المذاهب والفلسفات الغربية مرجعية لدعوات النهوض ، ونماذج التحديث التي يبشرون بها ليبرالية أو اشتراكية أو قومية . فالصحة الإسلامية : هي ذلك التيار العريض المتعدد الفصائل والمستويات الذي يسعى إلى تجديد الدين الإسلامي لتجدد به دنيا المسلمين . ولما كانت سنة الله سبحانه وتعالى في مسارات الأمم والحضارات ، هي سنة الدورات التي تتداول فيها الأمم والحضارات فترات وحقب التقدم والتراجع ، والصعود والهبوط ، والنهوض والركود ، والحياة والموت ، وهي السنة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ وقوله ﴿ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ وقوله ﴿ ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ والتي بينها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيه (لا يلبث الجور بعدى إلا قليلا حتى يطلع ، فكما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله ، حتى يولد في الجور من لم يعرف غيره ، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل فكما

جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد فى العدل من لا يعرف غيره) (رواه أحمد) فإذا كانت سنة الدورات هى التى تحكم مسارات الأمم والحضارات ، فإن هذه السنة تقتضى الصحوة، واليقظة، والتجديد ، خروجاً من مراحل ودورات الغفلة، والتراجع، والجمود، فصحة التجديد هى الأخرى سنة من سنن الله فى الاجتماع الإنسانى وفى مسارات الحضارات ، وعن هذه الحقيقة ينبىء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى قال فيه (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) (رواه أبو داود) . وإذا كانت الحضارات الإنسانية هى مواضع بشرية وإبداعات مدنية، لا توصف بالخلود ولا بالإطلاق ، ومن ثم يجوز عليها الموت وإخلاء الطريق لحضارات أخرى وارثة لأممها وشعوبها وتاريخها ، بمعنى أن سنة الصحوة والتجديد قد تأتى فى صورة تداول الحضارات لا بعثها وتجدها ، فإن الحضارة الإسلامية – وأيضاً اللغة العربية – مع أنهما مواضع بشرية وإبداعات إنسانية، هما استثناء من مصير موت وفناء الحضارات واللغات ، وذلك لارتباطهما بالطلق الدينى ، وهو الإسلام الخالد والخاتم والقرآن الكريم الذى تعهد الله بحفظه بلسان عربى مبین . ولذلك ، كانت الصحوة وكان التجديد سنة مطردة وقانوناً لازماً فى مسار الحضارة الإسلامية ، يقودها إلى النهوض بعد كل ركود ، وهذا هو الذى جعل حضارتنا الإسلامية ومعها اللغة العربية أطول الحضارات المعاصرة عمراً ، وأرسخها قدماً على درب النهوض من العثرات ، وأكثرها استعصاء على فقدان الهوية والخصوصية ، لارتباط ذلك فيها بالطلق الدينى والخالد الإلهى ، فهى إبداع مدنى بشرى ، حفز إليه وصبغه وحدد معايير الوضع الإلهى المتمثل فى وحى الله ونبأ السماء العظيم وتلك خصوصية حضارتنا الإسلامية تفردت بها دون كل الحضارات . وإذا كانت الحقبة المملوكية العثمانية ، قد مثلت مرحلة التراجع فى مسيرة حضارتنا الإسلامية ، فإن بواكير الصحوة الإسلامية قد بدأت فى بلادنا منذ أكثر من قرنين من الزمان ، وفى استطاعة المؤرخ لهذه الصحوة أن يتخذ من نداء الشيخ حسن العطار (1180-1250هـ/1711-1835م) أواخر القرن الثامن عشر الميلادى علامة على مرحلة التبلور لبواكير هذه الصحوة ، ذلك النداء الذى قال فيه هذا الشيخ الرائد : إن بلادنا لا بد أن تتغيز ويتجدد بها من العلوم والمعارف ما ليس فيها . ولقد كان تلاميذ الشيخ حسن العطار وفى طليعتهم الشيخ رفاعه الطهطاوى (1216-1290هـ/1801-

1873م) الذين سعوا إلى تجديد "الذات الإسلامية" بالأحياء، وإلى الاستفادة من علوم المدينة الغربية - علوم الواقع والتمدن المدني - بالتفاعل، وليس بالحاكاة والتقليد هم طلائع وجذور الصحوة الإسلامية الحديثة والمعاصرة. فلما حدث وعاجل المد الاستعماري الغربي مشروع النهضة الذي قاده محمد علي باشا الكبير (1184-1265هـ/1770-1846م). والذي جسد إلى حد كبير فكر هذه الصحوة تسلم زيادة هذه الصحوة تيار الجامعة الإسلامية، الذي تبلور شعبياً عبر العالم الإسلامي حول جمال الدين الأفغاني (1254-1265هـ/1770-1849م) والذي كان الإمام محمد عبده المهندس الأول لمشروعه الفكري النهوضي، والذي حملته إلى العالم الإسلامي على امتداد أربعين عاماً مجلة (المنار) التي رأس تحريرها الإمام محمد رشيد رضا (1282-1354هـ/1865-1935م)، ثم أسلم أمانة هذه الصحوة إلى الحركات والتنظيمات الإسلامية الحديثة سواء منها تنظيمات الصفوة أو التنظيمات الجماهيرية تلك التي نشأت عقب عموم بلوى الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى (1332-1336هـ/1914-1918م) وبعد إسقاط الخلافة الإسلامية (1342هـ)، ولأن هذه الصحوة كانت تواجه جناحي المآزق الحضاري: التخلف الموروث والزحف الاستعماري الغربي، ولأنها قد سعت إلى الإحياء والتجديد الديني، لبلورة معالم المشروع النهوضي العصري، في مواجهة الجمود والتقليد اللذين أوجدا "الفراغ الفكري" في بلادنا، وهو الفراغ الذي سعى الاستعمار الغربي إلى ملئه بنموذجه الحضاري الوضعي العلماني، فلقد كان تركيز. هذه الصحوة على تجديد دين الإسلام لتجدد به وليس بالنموذج الغربي دنيا المسلمين. وهذه الحقيقة هي التي جعلت رفاعة الطهطاوي يدعو إلى إحياء الشريعة الإسلامية بالاجتهاد الجديد وإلى تقنين فقه معاملاتنا، ليحكم بدلاً من القانون الوضعي الفرنسي حركة الاجتماع والاقتصاد والسياسة في بلادنا لأن بحر هذه الشريعة الغراء، على تفرع مشاريعه، لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها بالسقي والري، ولقد انطلق الأفغاني من ذات الموقف إسلامية الصحوة فرفض أن نبداً صحوتنا من حيث انتهى المشروع الغربي العلماني، قائلاً: "إنه لا ملجئ للشرقي في بدايته أن يقف موقف الغربي في نهايته" فالتمدن الغربي هو في الحقيقة تمدن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة

وسير الاجتماع الإنساني، والإسلام هو السبب المفرد لسعادة الإنسان، ومن طلب إصلاح الأمة
بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها شططا، ولا يزيد لها إلا نحسا، ولا يكسبها إلا تعسا. وعلى هذا
الدرب في إسلامية الصحوة سار الإمام محمد عبده، الذي قال: "إن الإسلام دين وشرع، وهو لم يدع
ما لقيصر لقيصر وإنما كان من شأنه أن يحاسب قيصر على ماله، ويأخذ على يديه في عمله" فهو
كمال للشخص. ولم تكف هذه الصحوة عند حدود الفكر والدعوة وإنما سلكت سبيل التنظيم
لإبلاغ الرسالة، واستمرارية الدعوة، فعرفت مسيرتها تنظيمات: عديدة.

(قال المؤلف) وليس صحيحا ما يظنه البعض من أن الصحوة الإسلامية قد تمثلت فقط في الحركات
والتنظيمات الإسلامية، فأوسع وأعرض فصائل الصحوة الإسلامية هو التيار الشعبي المستمسك
بالهوية الإسلامية، وفي مقدمة مؤسسات الصحوة الإسلامية الأزهر الشريف، الذي ظل يرفع علم
الشريعة والعربية ويجرس الوجدان الإسلامي للأمة عبر تاريخها الطويل. فلقد سعى على هذا الطريق
العديد من أعلام الفقه والقانون، وكان الدكتور عبدالرازق السنهوري باشا (1313-
1391 هـ/1895-1971 م) واحدا منهم، جعل هذه المهمة مشروع حياته، تأليفا وتطبيقا،
مؤكدًا أن دول الشرق لا يمكن أن تجتمع على شيء واحد غير الإسلام، فالإسلام بالشرق والشرق
بالإسلام. وإذا كانت العقود الأخيرة قد شهدت تعاظم الصحوات الدينية، في مختلف الديانات، بعد
أن فشلت مشاريع النهوض والتحديث اللادينية، فإن تعاظم الصحوة الإسلامية يستند إلى خصيصة
إسلامية، ينفرد بها الإسلام عن غيره من الديانات، هي منهاجه الشامل الذي يجعله بديلا حضاريا،
وليس مجرد عقائد وعبادات. وهكذا ارتبطت الصحوة الإسلامية بمجمل الأمة في النهوض والانعقاد
من أسر التخلف الموروث، ومن الهيمنة الاستعمارية والحضارية الغربية، منذ فجر هذه الصحوة
وحتى الآن.

(قلت) وهنا أقول إنه لا بد من أن تكون قيادة الصحوات على يد علماء البلد العارفين بمجرباته كما
هو حال جمعية العلماء الجزائريين الذين لم يتطرفوا ولم ينتهكوا لأمة حرمة وبقوا فقط في التنوير
والتوعية.

(قلت) ومن رجال الصحوة البارزين عندنا في الجزائر الإمام عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي ومحمد العيد آل خليفة والشيخ الطيب العقبي والشيخ مبارك المليبي والشيخ العربي التبسي وغيرهم ممن ضمتهم جمعية العلماء من علماء وأساتذة الجزائر المبرزين وكان من بينهم في ناحيتنا الجلفاوية: الشيخ عبد القادر بن إبراهيم الطعبي السعداوي والشيخ الأخضر الأبقع بن الغويني الأبلولي السعداوي والشيخ محمد بن عبد الرحمن الرايس المسعدي والشيخ محمد بن الأخضر حساني والشيخ محمد بوعلدي وغيرهم كثير .

ضوابط الصحوة

في العصر الحاضر⁴⁵ جرى اصطلاح ذكر الصحوة . وكما هو معلوم هذه الصحوة إذا لم تضبطها ضوابط أهلكت الحرث والنسلة ولذا نجد الشيخ القرضاوي يذكر هذه الصحوة ويقول في مقدمتها فلايزعجني أن يكون للصحوة الإسلامية المعاصرة أعداء من خارجها يترصون بها، ويكيدون لها، فهذا أمر منطقي اقتضته سنة التدافع بين الحق والباطل، والصراع بين الخير والشر، والتي أقام الله عليها هذا الكون الذي نعيش فيه : (كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) . وقد قال تعالى في شأن أعداء الأمة والأمة : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) . إنما الذي يزعجني ويؤرقني ويذيب قلبي حسرات أن تعادي الصحوة نفسها وأن يكون عدوها من داخلها، كأن يضرب بعضها بعضا، ويكيد بعضها لبعض، وأن يكون بأسها بينها . لا يزعجني أن يكون في الصحوة مدارس أو فصائل أو جماعات لكل منها منهجه في خدمة الإسلام، والعمل على التمكين له في الأرض، وفقا لتحديد الأهداف وتربيتها، وتحديد الوسائل ومراحلها، والثقة بالقائمين على تنفيذها من حيث القوة والأمانة، أو الكفاية والإخلاص . ومن السذاجة بحيث أدعو إلى جماعة أو حركة واحدة، تضم جميع العاملين للإسلام في نظام واحد، وتحت قيادة واحدة، فهذا تقف دونه حوائل شتى، وهو طمع في غير مطمع . وقد ذكرت في أكثر من بحث لي أنه لا مانع أن تتعدد الفصائل والجماعات العاملة لنصرة الإسلام (والوطن) إذا كان تعدد تنوع وتخصص، لا تعدد تعارض وتناقض على أن يتم بين الجميع قدر من التعاون والتنسيق، حتى يكمل بعضهم بعضا ويشد بعضهم أزر بعض، وأن يقفوا في القضايا المصيرية

45 راجع الصحوة الاسلامية بين الاختلاف . . والفرق . . للشيخ القرضاوي

والهموم المشتركة، صفا واحدا كأنهم بنیان مرصوص. ولكن الذي يدمي القلب حقا أن يوجد بين الدعاة والعاملين من لا يقدر هذا الأمر حق قدره، وأن يبذر بذور الفرقة أينما حل، وأن يبحث عن كل ما يوقد نيران الخلاف، ويورث العداوة والبغضاء، وتركيزه دائما على مواضع الاختلاف، لا نقاط الاتفاق، وهو دائما معجب برأيه، مذك لنفسه وجماعته، متهم لغيره. والحق أن الاختلاف في ذاته ليس خطرا، وخصوصا في مسائل الفروع، وبعض الأصول غير الأساسية، إنما الخطر في التفرق والتعادي الذي حذر الله ورسوله منه. لهذا كانت الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها في حاجة إلى وعي عميق بما نسميه (فقه الاختلاف). وهو أحد أنواع خمسة من الفقه ينبغي التركيز عليها، لأننا أحوح ما نكون إليها، وهي:

1. فقه المقاصد: الذي لا يقف عند جزئيات الشريعة ومفرداتها وحدها، بل ينفذ منها إلى كلياتها وأهدافها في كل جوانب الحياة واستكمال الشوط الذي قام به الإمام الشاطبي في (مواقفاته) وإبراز العناية بالمقاصد الاجتماعية خاصة.
2. فقه الأولويات ومراتب الأعمال: وكنت نبهت عليه في كتابي "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" ولا زال يحتاج إلى مزيد من التعميق والتأصيل والتفصيل والتطبيق على الواقع.
3. فقه السنن: أعني القوانين الكونية والاجتماعية التي أقام الله عليها عالمنا هذا، وقضى بأنها لا تبدل ولا تتحول مثل سنن: التغيير والنصر والتدرج. وغيرها.
4. فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد: وهو مبني على فقه الواقع ودراسته دراسة علمية مبنية على ما يسره لنا عصرنا من معلومات وإمكانات، لم يكن يحلم بها بشر سواء واقعا وواقع الآخرين، بعيدا عن التهوين والتهويل.
5. وأخيرا (فقه الاختلاف): الذي عرفه خير قرون الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى، فلم يضرهم الاختلاف العلمي شيئا، وجهلناه فأصبحنا يعادي بعضنا بعضا، بسبب مسائل يسيرة، أو بغير سبب إلى آخره.

الغلو والوسطية

بما ان هناك غلوفي بعض الحالات الملاحظة في وسطنا ومنطقتنا سواء من طرف الكبار او من طرف الصغار فلا بد من اشارة خاطفة حول الغلو والوسطية ليعرف النشء ما له وما عليه نحو ربه ونحو مجتمعه ووطنه ولنبتعد عن هذه الدوامة التي كادت ان تقضي على وحدة الامة وعليه فقد قال الدكتور: الغلو لغة هو مجاوزة حد الاعتدال، وفي مقابل طرفه هذا طرف آخر هو التفريط أو التسبب، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. واصطلاحا: نجد النصوص الشرعية تقرن بين "الغلو" و "التشدد" و "التنطع" وكأنها جميعا مجاوزة حد الاعتدال المطلوب من المسلم أن يلتزم به. والغلو قد يم قدم انحراف الفكر والسلوك حين يتجاوزان حد الاعتدال لسبب أو لآخر. وفي القرآن الكريم نهى لأهل الكتاب عن الغلو لأنه انحراف عن الحق في الدين، وقد جاء هذا في آيتين هما: قوله تعالى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد، سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً﴾ وقوله ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا، وضلوا عن سواء السبيل﴾ وتدل الآيتان على أن الغلو والانحراف كان في باب العقيدة، فيما يخص الذات الإلهية وصفاتها، وفيما يخص اعتقاد النصارى في المسيح بما يخرجهم عن حقيقته غلوا وتجاوزا. لذا كانت الوسطية إحدى الخصائص العامة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميز الله بها أمته صلى الله عليه وسلم عن غيرها ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يميناً أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم. وفي السنة تحذير واضح من الغلو والتنطع والتشدد لمخالفتها وسطية الإسلام واعتداله. وفي الوقت ذاته تحفل السنة القولية والعملية بالأمر باليسير والرفق والتسامح. وحسبنا أن نشير إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم ربط بين الغلو والهلاك وكذا التنطع والتشدد حيث قال (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) وقال (هلك

46 راجع كتب الشيخ القرضاوي والموسوعة الفقهية الكويتية وتفسير المنار.

المتنعون) وقال (لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فقلك بقاياهم في الصوامع والديارات) (رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) . أما التيسير والأمر به فأشهر من أن لا يعلم ، فقد عاتب الرسول صلى الله عليه وسلم معاذا حين شكأ أحد الناس أن معاذا يطيل في الصلاة فقال له وللمسلمين جميعا (يسروا ولا تعسروا ، بشروا ولا تنفروا) . وقد وقعت في تاريخ المسلمين مظاهر غلوبيت عليها فهم معين ، أو مبالغته مرذولة ، فكان موقف الأمة بيان خطأ أصحاب هذه المظاهر حتى ولو كانت اجتهادا بشكل أو بآخر .

ففي باب العبادات لم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم موقف النفر الذي قال أحدهم : أنا أصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أصلي ولا أنام ، وقال الثالث : أنا أعتزل النساء بل بين الرسول الكريم خطأهم وقال : (أما أنا فأصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) . وفي بابا الحكم على الآخرين حين كفر الخوارج مرتكب الكبيرة ، ورتب بعضهم على هذا جواز قتله واعتبر بعضهم ديار مخالفه ديار كفر ، وقفت الأمة منهم علماء وحكاما موقف المحاور لهم ، ثم رفض هذه الآراء .

وفي باب الغلو في المعتقدات ، حين ألهت السبئية عليا رضى الله عنه ، وحين قالت بعض فرق الشيعة بتناسخ الأرواح ، والرجعة ونحو هذا ، عددهم مؤرخو الفرق من الغلاة الذين حادوا عن العقيدة الحقة وكذلك حين غالى بعض الصوفية في فهم التوحيد وقالوا بوحدة الوجود ، أو الاتحاد ، أو الحلول أو وحدة الأديان ، هوجموا من الصوفية المعتدلين وقيل إنهم غلطوا في كذا وكذا .

وفي باب الممارسات الحياتية ، حين انعزل بعض الزهاد عن الحياة ، وسكنوا الكهوف ووقعوا في رهبانية لا يقبلها الإسلام ، نظر إليهم على أنهم سقام الفهم للزهد والتوكل مضطربو السلوك . (قال) وأما خطر الغلو فيمكن في ضرره بالدعوة ووجه الإسلام . فهو من جهة ينفر عامة الناس حيث لا يطيقه الناس ، فينصرفون عن الارتباط . بالجماعة أو الاستمرار في العبادة ، وهو من جهة أخرى أصعب من أن يستمر صاحبه عليه ، فيفتر فيفقد صداقته أمام من عرفوه . وهو من جهة ثالثة يضر بالتوازن المطلوب في شخصية المسلم ، أعنى أنه يضيع بعض الحقوق ، ولعل هذا هو الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن عمرو حين بلغه صوم النهار وقيام الليل باستمرار : (لا تفعل

صم وأفطر وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا) الحديث فإذا أضفنا إلى ما سبق تعصب صاحب الغلو لرأيه وجموده عليه ، وعدم اعترافه بالرأى الآخر ، والتسرع فى الحكم على الآخرين فى عقائدهم . أقول: إذا علمنا هذه المظاهر أدركنا خطر الغلو فى الدين بكل مناحيه ومجالاته ، وهو خطر يكتوى به صاحبه قبل الآخرين .

(قال) وأما أسباب الغلو فكثيرة ، وحسبنا أن نشير إلى أن هناك أسبابا تتصل بذات الشخص وأسبابا تتصل بالجو العام . وعلى رأس ما يتصل به قلة العلم ، وما يتفرع عنه من جهل بأدب الحوار ، وضوابط الاختلاف وعدم التمكن من روافد الفهم الصحيح للإسلام ، وأخذ الإسلام من كتب معينة دون غيرها وتتصل به كذلك الظروف النفسية التى تكون عليها وتأثر بها جمودا ، أو زعامة ، أو حبا للشهرة ونحو هذا . وهذا ما نبه إليه الشاطبى حين ذكر أن أسباب الابتداع وأخطرها أن يعتقد إنسان فى نفسه أو يعتقد فيه أنه من أهل العلم والاجتهاد فى الدين ، وهو لم يبلغ تلك الدرجة . أما ما يتصل بالجو العام ، فانتشار الفساد ، وغياب العدالة ، والتضييق فى الحريات ، وعدم الاهتمام بالتربية الحوارية ، فكل هذا يحدث رد فعل يتسم بالغلو .

(قال) ولاشك أن علاج هذه الظاهرة الخطرة لا بد أن تقوم به كل أجهزة التربية والتثقيف من تعليم وإعلام وثقافة ومؤسسة دينية ، وكلها على التوازي مع البيت والأسرة .

المعاصرة

فى السنوات الأخيرة ما قبل الحالية ظهرت موجة تدعوا إلى نبذ الماضي بما فيه من ثوابت وأصول من ناحية القيم ومن العادات ومن اللباس بل ومن ناحية الثقافة والتفقه فى الدين ونظرا لأهمية الموضوع فلا أدع الفرصة تمر دون أن نناقش قضية المعاصرة وعليه كما جاء فى موسوعة مفاهيم الحاسوبية أن المعاصرة لغة هي على وزن مفاعلة من العصر ، وللعصر عدة معان أهمها وقت وجوب صلاة العصر وهو الوقت فى آخر النهار إلى احمرار الشمس . وعاصر فلانا لجأ إليه ولاذ به وعاش معه فى عصر واحد (كما فى المعجم الوسيط) . واصطلاحا: ورد لفظ العصر فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

47 راجع موسوعة الفتاوى المصرية وكذا موسوعة المفاهيم

بالصبر ﴿ يقول البيضاوى فى تفسير الآية الأولى من هذه السورة " أقسم سبحانه بصلاة العصر فضلها ، أو بعصر النبوة ، أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب " والمعاصرة حسب هذا التعريف هى المعاشة بالوجدان والسلوك للحاضر والإفادة من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقية . وتستخدم المعاصرة فى مقابل الأصالة ، فيقال مثلا " الإسلام بين الأصالة والمعاصرة " بمعنى كيفية تمكن الإسلام من مسايرة العصر والوفاء بمتطلباته والتعامل مع مقتضياته المتغيرة بثوابته الأصلية . والمعروف أن الإسلام يتضمن إلى جانب ثوابته الأصلية التى تتعلق بأصوله ، مناهج تفتح كل الأبواب للتعامل مع كل المستجدات . فبجانب ثوابت العقيدة التى تصلح بطبيعتها لكل زمان ومكان لأنها متأسسة على الرسالة الخاتمة ومستمدة من فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وهناك مناهج للتشريع تعتمد فى تطبيقاتها على الاجتهاد بإعمال العقل السليم فيما يجلب المصلحة العامة ويدرا المفسدة ويسد الذرائع ، فهى توجد ، كما يقول الشاطبى " حيث يكون العمل فى الأصل مشروعاً لكن ينتهى عندما يؤول إليه من المفسدة " وقد عمل به الإمام مالك فى أكثر أبواب الفقه . ويعتبر الإمام محمد أبو زهرة ذلك توثيقاً لمبدأ المصلحة التشريعية الإسلامى .

(قال) وينبغى أن نفرق بين المعاصرة التى لا تتناقض من وجهة النظر الإسلامية مع الأصالة وبين العصرية (العلمانية) التى تعتبر العصر وحده مصدراً للتشريع فى الحياة الاجتماعية العامة ، وهذا الاتجاه الفكرى يحاول إبعاد الدين عن الحياة العامة واعتباره مجرد مسألة خاصة بكل إنسان ، ويعتبره فى أحسن الأحوال مصدراً للمبادئ الخلقية والمعاملات الشخصية . أما السياسة وكل ما يتصل بالحياة العامة للإنسان لا للدين بها ، أى علاقة وهذا مما يتناقض مع مبادئ التصور الإسلامى الصحيح .

اقوال العلماء فى التعصب المذهبي

ولو أن المرجعية ضرورية لتوحيد كيان الأمة وعدم تفرق الكلمة خصوصاً الكلمة الدينية فإن التعصب هو داء يسرى فى النفوس يحمل صاحبها على مخالفة الدليل من أجل مذهب درج عليه ، فتراه ينافح عن قول إمامه ومذهبه وإن علم أن الحق بخلافه والأئمة الأربعة رحمهم الله ، نصوا على الأخذ بالدليل وإن كان مخالفاً لقولهم . وهذا من تعظيمهم رحمهم الله للأثر ، وصرف أتباعهم إلى الأخذ

بالدليل وأن يكونوا مع الدليل والحق حيثما دار . قال الإمام أبو حنيفة: (إذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس) وقال الإمام مالك (ما من أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر) وأشار إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم). وقال الإمام الشافعي (كل ما قلت وكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي مما يصح فحديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى ولا تقلدوني) وقال الإمام أحمد: (لا تكتبوا عني شيئا، ولا تقلدوني، ولا تقلدوا فلانا وفلانا - وفي رواية: مالكا، والشافعي والأوزاعي ولا الثوري وخذوا من حيث أخذوا) ومع أن الأئمة نصوا على عدم تقليدهم والأخذ بالدليل وإن كان مخالفا لأقوالهم، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود طائفة تعصبت لأقوال أئمتهم، وغلوا في ذلك غلوا كبيرا، فمن أقوال بعض المتعصبة قال الحنفكي في أبيات يمدح بها الإمام أبا حنيفة منها:

فلعنة ربنا أعداد رمل على من رد قول أبي حنيفة

أبيات الامام منذر

وأشده منذر بن سعيد عدة أبيات تصور حالة تشبث المالكية بقول الإمام بدون دليل فقال:

عذيري من قوم يقولون كلما	طلبت دليلا: هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب	وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا: قال سحنون مثله	ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت: قال الله، ضجوا وأكثروا	وقالوا جميعا: أنت قرن مباحك
وإن قلت: قد قال الرسول، فقولهم	أنت مالكا في ترك ذاك المسالك

وقال إمام الحرمين الجويني الشافعي نحن ندعي أنه يجب على كافة العاقلين وعامة المسلمين شرقا وغربا، بعدا وقربا اتحال مذهب الشافعي . ويجب على العوام الطغام والجهال الأندال أيضا اتحال مذهبه بحيث لا يبغون عنه حولا، ولا يريدون به بدلا) وقال أحد الحنابلة:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

قلت والحق هو اتباع الدليل والأخذ به ممن قاله، ولا يقدح ذلك فيمن ترك مذهبه في مسألة، ولا يعتبر مخالفاً لإمامه، بل هو متبع له كما نصوا على ذلك قال أبو مزاحم الخاقاني في شعره:

أبيات الخاقاني

أقول الآن في الفقهاء قولاً	على الإنصاف جد به اهتمامي
أرى بعد الصحابة تابعيهم	لذي قتيهم بهم ائتمامي
علمت إذا عزمتم على اقتدائي	بهم أني مصيب في اعتزامي
وبعد التابعين أئمة لي	سأذكر بعضهم عند انتظام
فسفیان العراق ومالك في	حجازهم وأوزاعي شام
الأوابن المبارك قدوة لي	نعم والشافعي أخوالكرام
ممن أرتضي فأبوعبيد	وأرضى بابن حنبل الإمام
فأخذ من مقالهم اختياري	وما أنا بالمباهي والمسامي
وأخذي باختلافهم مباح	لتوسيع الإله على الأنام
ولست مخالف إن صح لي عن	رسول الله قول بالكلام
إذا خالفت قول رسول ربي	خشيت عقاب رب ذي انتقام
وما قال الرسول فلا خلاف	له يارب أبلغه سلامي

صورة من صور التعصب: قال الطوفي: رأيت بعض العامة، وهو يضرب يداً على يد، ويشير إلى رجل، ويقول: ما هذا إلا زنديق، ليتني قدرت عليه، فأفعل به، وأفعل، فقلت: ما رأيت منه؟ فقال: رأيتَه وهو يجهر بالبسملة في الصلاة.

أمر خطير في تكفير الأمة

هناك في الساحة الإسلامية . اليوم . أمر خطير أدى بالأمة إلى مزالق كثيرة لا بد من الإشارة إليه ألا وهو مسائل التكفير والتبديع (قال) وهو مسألة من المسائل الشائكة التي تحتاج إلى نظر وتأمل في حال المعين وهناك شروط لا بد من توفرها، وموانع لا بد من انتفاءها، إلى أشياء كثيرة جداً يطول ذكرها .

ولكن هناك من جرد لسانه وقلمه، وأطلق لهما العنان في الناس تكفيرا وتبديعا وتفسيقا، وكأنه قد تعبد بذلك. فإلى أولئك وغيرهم هذا الأصل العظيم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فإذا رأيت إماما قد غلظ على قائل مقاله أو كفره فيها، فلا يعتبر هذا حكما عاما في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه، والتكفير له فإن من جحد شيئا من الشرائع الظاهرة وكان حديث العهد بالإسلام أو ناشئا ببلد جهل، لا يكفر حتى تبلغه الحججة النبوية. وكذلك العكس إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم فاغترت لعدم بلوغ الحججة له، فلا يغتر لمن بلغته الحججة ما اغتر لأول، فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا يبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم، فهذا أصل عظيم قد بره فإنه نافع)

الحث على التمسك بالسنة والنهي عن البدعة

استفاض النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحب والسلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين في الحث على التمسك بالسنة، والنهي والتحذير من البدعة، فقال إمام المتقين صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) أي مردود على صاحبه. والصحب رضوان الله عليهم والسلف الصالح من بعدهم كانت لهم جهود مشكورة في حفظ السنة (قال) ولوسقنا أخبارهم في هذا الطال بنا المقام، ولكن حسبنا قول ابن مسعود رضي الله عنه من الصحب الكرام وقول الفضيل بن عياض من السلف الأعلام: قال ابن مسعود أو أبي بن كعب رضي الله عنهما (عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحانت عنه خطايا كما يتحات الورق اليابس عن الشجر، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خاليا فدمعت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدا، وإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة. فاحرصوا أن تكون أعمالكم إن كانت اجتهادا أو اقتصادا على منهاج الأنبياء وسنتهم) وقال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى ﴿لِيبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ قال: أخلصه وأصوبه. قيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة (وكان يقول) من وقر صاحب بدعة

فقد أعان على هدم الإسلام ومن زوج كريمة لصاحب بدعة فقد قطع رحمها، ومن اتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا .

الكتاب التاسع

في بيان تقلب العجم على العرب في الأقاليم الإسلامية

الفصل الأول

في

تقلب العجم على العرب في شتى الأقاليم الإسلامية قديما

لما استقلت مضر وفرسانها وأنصارها من اليمن بالدولة الإسلامية، فيمن تبع دينهم من إخوانهم ربعة ومن وافقهم من الأحياء اليمنية . كما قال العلامة بن خلدون في كتابه العبر: وغلبوا الملل والأمم على أمورهم، وانزعوا الأمصار من أيديهم وانقلبت أحوالهم من خشونة البداوة وسذاجة الخلافة إلى عز الملك وترف الحضارة، ففارقوا الحلل وافترقوا على الثغور البعيدة والأقطار البائنة عن ممالك الإسلام فنزلوا بها حامية ومرابطين عصباً وفرادي . وتناقل الملك من عنصر إلى عنصر ومن بيت إلى بيت، واستفحل ملكهم في دولة بني أمية وبني العباس من بعدهم بالعراق، ثم دولة بني أمية الأخرى بالأندلس، وبلغوا من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم . فاقتمسوا في الدنيا ونبتت أجيالهم في ماء النعيم، واستأثروا مهاد الدعة واستطابوا خفض العيش، وطال نومهم في ظل الغرف والسلم، حتى أفوا الحضارة ونسوا عهد البادية وانقلبت من أيديهم الملكة التي نالوا بها الملك، وغلبوا الأمم من خشونة الدين، وبدأوة الأخلاق، ومضاء المضرب . فاستوت الحامية والرعية لولا الثقافة، وتشابه الجند والحضر إلا في الشارة . وأنف السلطان من المساهمة في المجد والمشاركة في النسب فجدعوا أنوف المتطاولين إليه من أعياصهم وعشائهم ووجوه قبائلهم، وغضوا من عنان

طموحهم، واتخذوا البطانة مقرهم من موالي الأعجم وصنائع الدولة، حتى كثروا بهم قبيلتهم من العرب الذين أقاموا الدولة، ونصروا الملة، ودعموا الخلافة، وأذاقوهم وبال الخلابة من القهر، وساموهم خطة الخسف والذل، فأنسوهم ذكر المجد وحلاوة العز، وسلبوهم نصره العصبية حتى صاروا أجراء على الحماية، وخوّلوا لمن استعبدتهم من الخاصة وأوزاعا متفرقين بين الأمة، وصيروا لغيرهم الحل والعقد والإبرام والنقض، من الموالي والصنائع فداخلتهم أريحية العز، وحدثوا أنفسهم بالملك فيجدوا الخلفاء ولعبوا بدست الأمر والنهي. (قال) واندرج العرب أهل الحماية في القهر، واختلطوا بالهَمْج ولم يراجعوا أحوال البداوة لبعدها، ولا تذكروا عهد الأنساب لدروسها. فدرثوا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم. سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

كيف أنفقت الدولة الإسلامية العرب

كانت قبائل من العرب موفورة العدد، عزيزة الأحياء. فنصروا الإيمان والملة، ووطدوا أكفاف الخلافة، وفتحوا الأمصار والأقاليم، وغلبوا عليها الأمم والدول (أما) من مضر: فقريش وكنانة وخرزاعة وبنو أسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوازن، وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر ومن إليهم من الشعوب والبطون والأفخاذ والعشائر والخلفاء والموالي. (وأما) من ربيعة فبنو تغلب بن وائل وبنو بكر بن وائل وكافة شعوبهم من بني شكر وبني حنيفة وبني عجل وبني ذهل وبني شيبان وتيم الله ثم بنو النمر من قاسط ثم عبد القيس ومن إليهم (وأما) من اليمنية فكهلان بن سبأ وأنصار الله الخنزرج والأوس أبناء قبيلة من شعوب غسان وسائر قبائل الازد وهمدان وختعم وبجيلة ومذحج وكافة بطونها من عبس ومراد وزبيد والتخع والاشعريين وبني الحرث بن كعب ولحي وبطونها ولخم وبطونها وكندة وملوكها (وأما) حمير بن سبأ فقضاة وجميع بطونها ومن إلى هذه القبائل والأفخاذ والعشائر والأحلاف. هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة الإسلامية العربية فنبت بهم الثغور القصية، وأكلتهم الأقطار المتباعدة، واستلحمتهم الوقائع المذكورة، فلم يبق منهم حي يطرق ولا حلة تنجع ولا عشير يعرف، ولا قليل يذكر ولا عاقلة تحمل جنابة، ولا عصاة لصريح الإسمع من ذكر أسمائهم، في أنساب أعقاب متفرقين في الأمصار التي الخموها بجملتهم، فتقطعوا في البلاد؟ ودخلوا بين الناس فامتنهوا واستهينوا وأصبحوا خوولا للأمرء، ريبا للذائد وعالة على الحرف. وقام بالإسلام والملة غيرهم، وصار الملك

والأمر في أيدي سواهم، وجلبت بضائع العلوم والصنائع إلى غير سوقهم، فغلب أعاجم المشرق من الديلم والسلجوقية والأكراد والغز والترک على ملكه ودولته، فلم يزل مناقلة فيهم إلى هذا العهد (عهد ابن خلدون) وغلب أعاجم المغرب من زناتة والبربر على أمره أيضاً، فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما ذكر في مواضعه.

انحياز العرب إلى الأفاق بعد مجدهم

بعد تلك الفتوحات انقرض أكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء العرب ولم يبق لهم ذكر وانتبذ بقية هذه الشعوب من هذه الطبقة بالقفار وأقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحلل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورطوا في مهلكة الترف ولا غرقوا في بحر النعيم، ولا فقدوا في غيابات الأمصار والحضارة (قال وأقامت) هذه الأحياء في صحارى الجنوب من الغرب والمشرق بأفريقية ومصر والشام والحجاز والعراق وكرمان كما كان سلفهم من ربيعة ومضر وكهلان في الجاهلية، وعتوا وكثروا وانقرض الملك العربي الإسلامي. وطرق الدول الهرم الذي هو شأنها، واعتز بعض أهل هذا الجيل غرباً وشرقاً فاستعملتهم الدول وولوهم الإمارة على أحيائهم وأقطعوهم في الضاحية والأمصار والتلول وأصبحوا جيلاً في العالم ناشئاً، كثروا سائر أهله من العجم. ولهم في تلك الإمارة دول فاستحقوا أن تذكر أخبارهم، وتلحق بالأجيال من العرب سلفهم. ثم إن اللسان المضري الذي وقع به الإعجاز ونزل به القرآن ثوى فيهم وتبدل أعرابه فما لوال إلى العجمة وإن كانت الأوضاع في أصلها صحيحة واستحقوا أن يوصفوا بالعجمة من أجل الأعراب فلذلك قيل فيهم أنهم العرب المستعجمة.

العرب والمغرب ومواطنهم

العرب لم يكن المغرب لهم في الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الثانية جمع من الإدارة وفي أواسط المائة الخامسة دخلت أفريق من بني هلال وسليم اختلطوا في الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها وأما آخر مواطن العرب فكانت برقة، وكان فيها بنو قرة ابن هلال بن عامر وكان لهم في دول العبيديين أخبار، وحكايتهم في الثورة أيام الحاكم والبيعة لأبي ركوته من بني أمية في الأندلس معروفة ولما أجاز بنو هلال وسليم إلى المغرب خالطوهم في تلك المواطن، ثم ارتحلوا معهم إلى المغرب.

قبائل من العرب واستقرارهم بالمغرب

كما سبق أن ذكرت قال ابن خلدون لما جاءت الملة الإسلامية وظهر العرب على سائر الأمم بظهور الدين فسارت عساكرهم في كل صوب ومنها المغرب واقتحوا سائر أمصاره ومدنه وعانوا من حروب البربر شدة وقد تقدم لنا ما ذكره ابن أبي زيد من أنهم ارتدوا إثنتي عشر مرة. ثم رسخ فيهم الإسلام ولم يسكنوا بأجياهم في الخيام ولا نزلوا أحياء لأن الملك الذي حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية، ويعدل بهم إلى المدن الأمصار. فلهذا قلنا إن العرب لم يوطنوا بلاد المغرب عدا سيدنا إدريس الأكبر كما سيأتي ذكره ثم أنهم دخلوا إليه في منتصف المائة الخامسة، وأوطنوه وافترقوا بأحيائهم وحللهم في جهاته (قلت) وتجدد الإشارة هنا إلى أن من حل بالمغرب من الفاتحين أيام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إنما دخلوا فاتحين لمستوطنين غير أنه ينبغي معرفة شأن الإمام إدريس الأكبر وسبب دخوله إلى المغرب وسيأتي تفصيل ذلك.

البربر

البربر هم السكان الأصليون لشمال إفريقيا من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلنطي وهم ليسوا سلالة نقيية على حدة ولكنهم أخلاط سلالية وحضارية متعددة على مر التاريخ ويسكنون الآن مناطق منفصلة متباعدة في الصحراء الكبرى من واحة سيوة إلى موريتانيا وجبال الأطلس في المغرب والجزائر. ويعود مصطلح البربر في الأغلب إلى الأصل اللاتيني برباري أي: الشعوب الأجنبية بالنسبة إلى الرومان، وقد كانت القبائل البربرية تقاوم كل أجنبي يغزو بلادها، فقاوموا القرطاجنيين والرومان والوندال والقوط والروم البيزنطيين، كما قاوموا الفتح الإسلامي لبلادهم مقاومة شديدة كانت سبباً في إطالة مدته التي استمرت أكثر من نصف قرن تقريباً، وأشهر المعارك التي دارت بين المسلمين والبربر موقعة تهودة سنة (62هـ) التي استشهد فيها عقبة بن نافع الفهري، ومعارك حسان بن النعمان مع كاهنة البربر التي انتهت بهزيمتها سنة (83هـ) كما سبق أن ذكرنا. وشارك البربر بعد إسلامهم في الفتوح الإسلامية في الأندلس ونبغ القائد البربري طارق بن زياد في هذا الفتح وقام البربر بعدة ثورات ضد العرب في المغرب والأندلس وانضموا إلى صفوف الخارجين على دولة بنى العباس

وساعدوا على إقامة دول مستقلة مثل الأدارسة والرسومية كذلك ظهرت للبربر كيانات مستقلة، مثل دول (بنى زيري وبنى يفرن والحمايرية والمرابطين وبنى مرين وبنى وطاس) واشتهر من البربر عدد من الأعلام منهم: طارق بن زياد فاتح الأندلس، ويوسف بن تاشفين مؤسس دولة المرابطين، والمهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحديين. وقد فشل الفرنسيون في القرن العشرين في إذكاء روح الفرقة بين العرب والبربر.

تعريب الإسلام الأمة الإسلامية وما يتعامل معها من أمم

إن بلاد العرب كانت تطلق على الجزيرة العربية فقط، وعندما امتد نور الإسلام في الأرض وافتتح جند الله عز وجل من المسلمين العرب نصف الأرض في نصف قرن، كان لا بد للشعوب التي دخلت في الإسلام أن تتعلم العربية حتى تؤدي شعائر عبادتها، فلا بد من تعلم القرآن الكريم لأن صلاتهم لا تجوز إلا بتلاوة القرآن باللسان العربي المبين، ولا بد من حفظ الأذكار والأدعية بالعربية ولا بد من معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصبحت العربية جزءاً أساسياً من حياة الشعوب الإسلامية فأخذت تتعرب تدريجياً، فكل مسلم: عربي بلغة قرآنه، وعربي: بنبيه صلى الله عليه وسلم العربي، وقبلته التي يتوجه إليها كل يوم خمس مرات واقعة في بلاد العرب، وحجه الذي يسعى إليه من استطاع سبيلاً في جزير العرب. وبعد أن عربت الدواوين في زمن عبد الملك بن مروان (56 - 68 هـ) ونقلت إلى أيدي المسلمين بعد أن كانت باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة في العراق) وبالرومية في الشام وبالقبطية (المصرية القديمة في العصر المسيحي). فأصبحت العربية لغة الدولة والشعوب وبارزاد الإختلاط والإمتزاج بين الفاتحين العرب والشعوب المفتوحة ازداد التعريب وتسبق المسلمون إلى تعلم العربية خاصة الموالي الذين كانوا يعيشون في بلاد العرب، ونبغ هؤلاء وفاقوا العرب الأصليين باللغة فاستلموا القضاء ونقلوا الحديث والتفسير، وحسبك من هذه الأسماء: طاووس ومكحول وعكرمة ومجاهد من تلاميذ ابن عباس الذين نقلوا لنا دين الله. وقد سأل عمر بن الخطاب والي مكة من أنبت بعدك على مكة فقال ابن ابيزى رجل من مواليها فقال: أمرت عليهم مولى؟ فقال: إنه أعلمنا فقال عمر رضي الله عنه: (لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين) وعليه فأبو حنيفة وسيبويه من النحاة والبخاري وابن اسحق وابن

سينا والفرايبي وابن حبان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والرازي والسرخسي وهؤلاء كلهم ليسوا من العرب أصلاً، ولكن عربهم الإسلام. ثم حافظ الإسلام والقرآن على العرب والعربية من الإندثار رغم المحاولات المستميتة لحو العربية، وتوسعت الرقعة العربية فأصبحت تطلق على كل الشعوب التي عرب الإسلام لسانها وأفصح القرآن بيانها فصارت مصر والشام (بأكملها) والعراق والشمال الإفريقي من العرب. وكان الأعاجم ينظرون إلى العرب نظرة إجلال واحترام لأنهم قادتهم وأساتذتهم ومعلموهم ومنقذوهم كيف حصل الإنقسام النكد بين الإسلام والعرب في القرن الأخير؟

الأمة العربية والاسلامية ومخاطبة الرصافي

يخاطب الشاعر الكبير العراقي معروف الرصافي الأمة العربية بقصيدة معبرة ذات تأثير كبير ويذكرها بسالف عهدا وسابق مجدها ويؤنبها على حاضر الأليم فيقول:

هو الليل يغريه الأسى فيطول	ويرخى وما غير الهموم سُدُول
أبيتُ به لا الغارباتُ طوالع	علي ولا اللطاعات أفول
وينشر فيه الصمت لبداء مضاعفا	فتطويه مني رنة وعويل
ولي فيه دمع يلذع الخدَّ حره	وحزن كما امتد الظلام طويل
بكيت على كل ابن أروع ماجد	له نسب في الأكرمين جليل
يليح من الضميم المذل بغرة	لها البدر تررب والنجوم قبيل
من العرب: أما عرضه فموفر	مصون، وأما جسمه فهزيل
له سلف عزوا فبزوا بناهة	ولم تعورهم فترة وخمول
وساروا بنهج المكرمات تقلهم	قلاتص من سعي لهم وخلول
وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقت	به غرر من مجدهم وحجول
أولئك قوم قد ذوى روض مجدهم	ولم تسرفيه نسمة وقبول
وقد أعطشته السحب حتى لقد علت	على الزهر منه صفرة وذبول
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا	لهم كان فوق الفرقدين مقيلا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما	له عندهم دون الأنام ذحول

فأُست من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا
وقوضت الأيام ببيان مجدها
نظرت إلى عرض البلاد وطوها
ولم تبدي فيها معاهد عزها
نظرت إليها من خلال ذوارف
فكنت كراء من وراء زجاجة
ولم أتبين ما هنالك من على
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطا
وأوسعت صدري للكآبة فاغتدت
وأرسلت دمع العين فانهل جاريا
أمنع عيني أن تجودَ بدمعها
فإن تعجبوا أن سال دمعني لأجله
وما عشتُ أني قد تناسيت عهده
وإن امرءاً قد أثل الهمة قلبه
أفي الحق أن أنسى بلادي سلوة
أقول لقومي قول حيران جازع
متى ينجلي يا قوم بالصبح ليلكم
وينطق بالجد المؤثّل سعيكم
تريدون للعليا سبيلا وهل لكم
أناشدكم أين المدارس إنها
وأين الغني المرتجى في بلادكم
بلاد بها جهل وفقركلاهما

فهن حُزون قفرة وسهول
تجرّبها للرامسات ذبول
فربع المعالي بينهن محول
فما راقني عرض هناك وطول
ولكن رسوم رثة وطلول
من الدمع طرفي بينهن كليل
بعينيه كيما يستين ضئيل
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفي على قلب يكاد يزول
بأرجائه تحت الضلوع تجول
له بين أطلال الديار مسيل
على وطني، إنني إذن لبخيل
فإن دمي من أجله سيسيل
ولكن صبري في الخطوب جميل
كقلبي ولم يلق الردى لحمول
وما لي عنها في البلاد بدليل
تهيج به أشجانه فيقول
فتذهب عنكم غفلة وذهول
فيسكت عنكم لائم وعذول
إليها وأنتم جاهلون سبيل
على الكون فيكم والحياة دليل
يحود على تشييدها ويطول
أقول شرّوب للحياة قتول

ولكن كثير الجاهلين قليل
لهان عليكم للمرام وصول
تلقاه منكم بالعناد جهول
فريق طلبو للمحال خذول
فعول وألف في مدهاء قؤل
إلى اليأس أحياناً أكاد أميل
به كل جهل في الأنام قتيال
وإن كان منها في الطباعة فلؤل
فتنعش أرواح بها وعقول
وينشط للمسعى الحثيث كسول
فعتي عليكم والملام فضول

أجل إنكم أنتم كثير عديدكم
ولو أن فيكم وحدة عصبية
ولكن إذا مستهض قام بينكم
وأي فريق قام للحق صده
وإن كان فيكم مصلحون فواحد
على أن لي فيكم رجاء وإن أكن
ألستم من القوم الألى كان علمهم
لهم هم ليس الطباعة تفلها
الأنهضة علمية عريية
ويشجع رعديد ويعتز صاغر
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم

الكتاب العاشر

في بيان الاستعمار الغربي ومدته وكيفية مقاومته وكيف تم استقلال البلدان والشعوب

الفصل الأول

في

الإستعمار الأوروبي حتى الحرب العالمية الأولى وما يتبعه من استقلال

الاستعمار: هو السيطرة التي تفرضها دولة قوية على أخرى ضعيفة، وهذه السيطرة قد تأخذ أشكالاً مختلفة، مثل السيطرة العسكرية على البلاد أو السيطرة الفكرية والاقتصادية على الأمم المقهورة. وقد ادعت الدول الأوروبية كذباً أنها قامت بحركة التوسع الاستعماري بهدف تحضير وتطوير العالم الثالث، وأن ذلك رسالة الرجل الأبيض تجاه شعوب العالم الثالث، وليس أبلغ في الدلالة على كذب هذه الدعوى من رفض الكتاب والمفكرين الغربيين لها.

العثمانيون والإستعمار

كانت الدولة العثمانية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر قوة عظمى تسيطر على غرب ووسط «آسيا» وشمال «إفريقيا»، وجنوب شرق «أوربا»، ثم أخذت الدولة العثمانية فى الضعف وطمعت دول «أوربا» فى ممتلكاتها .

الاستعمار البريطانى

الإستعمار البريطانى احتل :

(أولاً): الجنوب العربى : فقد تعرض الجنوب العربى وبخاصة «عدن» لسيطرة الاستعمار المبكرة فى سنة (1214هـ/1799م) احتلت «بريطانيا» «بريم» وعين أول مندوب بريطانى فى اليمن سنة (1216هـ/1801م) ثم أنشأ الإنجليز مستودعاً للفحم سنة (1245هـ / 1829م) وأرادت «إنجلترا» أن تشتري مرفأ «عدن» من السلطان العثمانى ولكنه رفض واستولت عليه بالقوة فى (1255هـ/1839م) وبعد افتتاح «قناة السويس» سنة (1286هـ/1869م) امتد نفوذ «بريطانيا» إلى «حضر موت»، واخترعت نوعاً جديداً للسيطرة الاستعمارية وهو فرض الحماية على كل زعماء ومشايخ المنطقة كل على حدة .

(ثانياً): وادى النيل: حيث أراد «إسماعيل باشا» والى «مصر» أن يتشبه بالمدينة الأوربية، وأن يجعل «مصر» قطعة من «أوربا»، وعمل على أن تكون له إمبراطورية إفريقية امتدت جنوباً إلى خط الاستواء حيث ضمت «دارفور» ومنابع «نهر النيل»، كما ضمت «إريتريا» و«هرر» و«الصومال» فى شرق «إفريقيا»، ولكنه مع ذلك أغرق نفسه فى الديون التى شجعت عليه دول «أوربا» حتى وقع فى أزمة مالية، فانهزت «إنجلترا» الفرصة للتدخل فى شؤون «مصر» مالياً، فجاءت البعثات الغربية للمحافظة على أموال الدائنين، ثم أنشئ صندوق الدين للحد من حرية تصرف الدولة المصرية فى الإدارة والحكم، وكان هذا التدخل السياسى تمهيداً للتدخل العسكرى من جانب «إنجلترا» فى عهد الخديو «توفيق»، الذى تولى بعد عزل الخديو «إسماعيل». ولما قامت الثورة العراقية بقيادة «أحمد عرابى» مطالبة بحق المصريين فى قيادة الجيش ومناصب الدولة العليا، أذعن الخديو لبعض مطالبها ثم تشكلت وزارة برئاسة «محمود

سامى البارودى» تولى «عرايى» فيها نظارة الحربية، ولكن «إنجلترا» و«فرنسا» أخذتا فى تصعيد الأزمة بين الخديو ووزارة «البارودى»، ثم تطور الأمر فأرسلت «إنجلترا» و«فرنسا» أساطيلها إلى مياه «الإسكندرية» وطالبتا فى مذكرة مشتركة الحكومة المصرية بإبعاد زعماء الحركة العرايية عن «مصر» وإقالة حكومة «البارودى»، فرفض الوزراء والشعب هذه المذكرة، ولكن الخديو قبلها، وكان من الصعب تشكيل وزارة بدون «عرايى»، الذى أصبح ينال تأييد كل من الجيش والشعب، ولكن «إنجلترا» التى كانت مصممة على احتلال «مصر» بدأت أساطيلها فى ضرب «الإسكندرية» يوم (11 من يوليو 1882م) واضطر الجيش المصرى إلى إخلاء المدينة، ثم تقدمت القوات الإنجليزية حتى احتلت «القاهرة»، بعد أن هزمت العرايين فى معركة «التل الكبير» فى (ذى القعدة 1300هـ/ سبتمبر 1882م).

(ثالثا) الحركة المهديّة ونشأت الحركة المهديّة فى «السودان» على يد السيد «محمد أحمد المهدي» الذى نشأ بالقرب من «دقلة»، وحفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والحديث والتوحيد. نادى «المهدي» بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه، وهاجم الاختلاف فى الشروح والمسائل الفقهية الفرعية. وكان من أسباب قيام الحركة المهديّة إرهاب حكومة «السودان» المواطنين بالضرائب، واحتكارها للمحاصيل والسلع التجارية المهمة، وإهمال السودان وعدم إرسال الإمدادات إليه أثناء انشغال «مصر» بالحركة الوهابية فاستغل أنصار «المهدي» انشغال العرايين بالاحتلال الإنجليزي فاستولوا على «كردفان»، فقاد «هكس باشا» حملة مصرية للقضاء على المهديين، ولكن الحملة فشلت وقضى المهديون عليها، فطلب الإنجليز من الحكومة المصرية سحب قواتها من «السودان»، ولكن «شريف باشا» رئيس الوزارة رفض وقدم استقالته احتجاجاً على السياسة البريطانية، وخلفه «نوبار باشا» الذى استجاب وسحب الجيش المصرى من «السودان». ثم عهد الإنجليز إلى «غوردون باشا» بأمر الانسحاب فاستهان بأمر «المهدي» وحركه، فزحف «المهدي» إليه وحاصره فى «الخرطوم» وقتلوا «غوردون باشا»، مما كان له أثر كبير فى انتشار المهديّة فى ربوع «السودان». ثم توفى «المهدي» فى سنة (1303هـ/ 1885م) وخلفه «عبد الله التعايشى» الذى لم يكن على مستوى «المهدي» ونفوذ،

فحاول غزو «مصر» ولكنه فشل ثم أرسل الإنجليز حملة كبيرة بقيادة «كشنر» تمكنت من هزيمة المهديّة والقضاء على حركتهم واحتلال «السودان» .

الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي

الإحتلال الفرنسي في المغرب العربي خطير وأليم وطويل الأمد وقاست من ويلاته وانتهاكاته وآلامه الشعوب الأمرين وهو مختلف من قطر إلى قطر على النحو التالي :

احتلال الجزائر

الإستعمار الفرنسي احتل أولاً الجزائر لأن الحكومة الفرنسية أرادت في عهد الملك شارل العاشر أن تصرف شعب فرنسا عن الثورة وأن تشغله عن المشاكل الداخلية بالدخول في مغامرات خارجية تحقق بها أمجاداً وانتصارات ترضيه بها وكانت الجزائر في ذلك الوقت دولة لها ديون على فرنسا والتي اتخذت من قصة المذبذبة المشهورة ذريعة لاحتلال «الجزائر» في يوليو سنة (1246هـ / 1830م) ولكن «الجزائر» لم تهدأ فقاومت بحروب شرسة بقيادة زعماء وعظماء ومن بينهم الأمير عبد القادر الجزائري الذي أعلن قيام إمارة مستقلة في جنوب الجزائر ونادى بدعوة الجهاد ولبى الشعب الأبي الدعوة وانضم في صفوف المقاومة وبعد سنوات من النضال وقد حشدت فرنسا عدتها وعددها وأساطلها ثم وبعد مكابذات ومجاهدات اضطر الأمير عبد القادر إلى أن يعقد معها معاهدة تحدد حقوق الأمة ولكن فرنسا بعد عقدها تلك المعاهدة مع الأمير نقضت بنودها، وتشدت في قتاله حتى استولت على أغلب مدن الجزائر فالتجأ الأمير عبد القادر إلى مراكش ولكن فرنسا أذرت سلطان مراكش بعدم قبول اللجوء، فسلم عبد القادر نفسه إليهم، حيث نفى إلى دمشق ليقتضى بقية حياته بالشام ودفن هناك وبقي ضريحه مشهوراً بأرض سورية إلى أن أعادت الدولة الجزائرية الحرة المستقلة رفاتة إلى أرض الوطن في حفل مهيب

نبذة من تاريخ الجزائر الأبية

ليلا تفوتني فرصة ذكر الجزائر الحبيبة هاهي ذي نبذة من تاريخها أذكرها هنا مختصرة وهي كما جاء في أطلس الحاسوب على النحو التالي: الجزائر Algeria : تحتل المرتبة الثانية بين دول أفريقيا من حيث المساحة بعد السودان. ويمتد شمال الجزائر بطول البحر المتوسط. والمنطقة الضيقة

الواقعة على البحر المتوسط ذات مناخ دافئ وبها أراض زراعية خصبة . ويتركز السكان كلهم تقريبا في تلك المنطقة وتقع مدينة الجزائر العاصمة وأكبر مدنها على شاطئ البحر المتوسط أما في الجنوب ، فإن الصحراء المترامية الأطراف بشمسها المحرقة تغطي أكثر من أربعة أخماس الجزائر . والجزائر جمهورية ذات نظام رئاسي، ومن حيث الحكم المحلي فالجزائر مقسمة إلى 48 ولاية . والاسم الرسمي : جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية والعاصمة: مدينة الجزائر Algiers والقارة : أفريقيا . وكود الدولة: AG . وتعداد السكان : 32,818,500 نسمة (يوليو 2003)، 32,277,942 نسمة (يوليو 2002)، 31,736,053 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 2381740 كيلومتر مربع . والموقع : دولة عربية أفريقية ، ويحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الشرق تونس وليبيا ، ومن الجنوب النيجر و موريتانيا ، ومن الغرب المغرب وأرض الصحراء . ومعدل النمو السكاني: 1.65% (يوليو 2003)، 1.68% (يوليو 2002)، 1.71% (يوليو 2001) وكثافة السكان : 13.78 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 13.32 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 37.74 وفاة (يوليو 2003)، 39.15 وفاة (يوليو 2002)، 40.56 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 21.94 مولود (يوليو 2003)، 22.34 مولود (يوليو 2002)، 22.76 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.09 وفاة (يوليو 2003)، 5.15 وفاة (يوليو 2002)، 5.22 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 70.54 سنة (يوليو 2003)، 70.24 سنة (يوليو 2002)، 69.95 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 55.8 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 167 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 140.2 بليون دولار (1998) والعملة: واحد دينار جزائري يساوي 100 سنتيم . نوع الحكومة : جمهورية والدستور: أقر في 19 نوفمبر 1976 . وحقوق التصويت : عمومي في سن 18 . والتقسيم الإداري: 31 إقليمًا . والاستقلال عن فرنسا تم في 5 يوليو 1962 . و بالنسبة للشعب وأسلوب الحياة فمعظم شعب الجزائر ينحدر من العرب والبربر . وقد عاش البربر هناك حوالي خمسة آلاف

عام على الأقل . وبدأ وصول العرب من شبه الجزيرة العربية خلال القرن السابع الميلادي . وهكذا تزواج الكثيرون من العرب والبربر من بعضهم البعض ، بحيث أصبح من الصعب اليوم فصل المجموعتين على أساس السلالة . غير أن الكثيرين من البربر في البلاد احتفظوا بلغتهم وثقافتهم أما ذوو الأصل الأوروبي فيشكلون أقل من 1 % من الشعب ومنذ أن حصلت الجزائر على استقلالها من فرنسا في عام 1962، عملت الحكومة على التخلص من نفوذ الثقافة الفرنسية، وحلت اللغة العربية محل اللغة الفرنسية في تعليم تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية . وقد نادى الكثيرون من الجزائريين بالالتزام الدقيق بتعاليم الإسلام في الحياة اليومية . ويعيش أهل الجزائر الريفيون عادة في عائلات كبيرة تضم عدة أجيال . ومعظم المنازل مبنية من الطين والقش أو من الحجارة ولها أسطح مستوية . واليوم الدولة قائمة على قدم وساق في إنشاء سكنات ريفية تليق بأهل الريف . ومعظم أهل الريف الجزائريين يربون الحيوانات أو يزرعون رقعا صغيرة من الأرض والعمارة في المدن الكبيرة بالجزائر تعكس التأثير الإسلامي، كما تعكس التأثير الأوروبي . فالمساجد والأسواق المقامة في الهواء الطلق شائعة هناك والأحياء القديمة في المدن تسمى قصبة . أما الأحياء الجديدة فتتميز بشوارع فسيحة ومبان مرتفعة للمكاتب والشقق السكنية وفي المدن الجزائرية يعمل الكثيرون في المصانع والمكاتب والأسرة المنزلية التقليدية تتألف من أب وأم وأولادهما فحسب . وكرة القدم هي أكثر الألعاب الرياضية شعبية في الجزائر . وأكثر من 90 % من الأطفال يدرسون في مدارس ابتدائية، ولكن لا يلتحق بالمدرسة الثانوية إلا من نجح في المسابقات الأولى . وجامعات الجزائر منتشرة بالبلاد ويدرس بها مآت آلاف الطلاب . والكثير من الأعمال الفنية في الجزائر تعكس التأثير الإسلامي . إذ توجد المساجد ذات القباب الجميلة في طول البلاد وعرضها . وقد اشتهر الجزائريون أيضا بصناعة المجوهرات ، والفخار ، والسجاجيد، وصناعات يدوية أخرى . وبالنسبة للتاريخ فالجزائر تحيا العرب المسلمون في القرن السابع الميلادي ووقعت تحت الحكم العثماني منذ عام 1518م إلى عام 1830م عندما تم احتلالها من قبل فرنسا وقد هاجر إليها العديد من الجنسيات الأوروبية وانتقلت إليها الثقافة الفرنسية ولكن لم تمح الثقافة

العربية والإسلامية منها. ونالت استقلالها عام 1962م بعد كفاح طويل وميرير كما سبق أن ذكرت. ومظاهر السطح الجزائري تتكون من أربعة مناطق طبيعية رئيسية تمتد من الشرق إلى الغرب بشكل متواز: في الشمال بطول ساحل البحر المتوسط وعلى امتداد 80 إلى 190 كم داخلها (50 - 118 ميل)، كما توجد منطقة "التل" وهي تتكون من سهل ساحلي ضيق ومتقطع تحلفه منطقة جبال أطلس التل. وتوجد معظم الأراضي الصالحة للزراعة داخل منطقة الوديان الوفيرة الموجودة في هذه المنطقة، والمنطقة الثانية تقع بين الجنوب والجنوب الغربي وهي منطقة "الهضبة العليا"، وهي عبارة عن أرض مرتفعة، وتعدد الأحواض التي تتجمع فيها المياه خلال فترات المطر مشكلة مجيرات ضحلة تتحول بمجرد جفافها إلى مسطحات للملح يطلق عليها "الشطوط"، وتقع المنطقة الثالثة إلى الجنوب من الهضبة العليا حيث توجد سلسلة جبال أطلس الصحراء، أما المنطقة الرابعة فتشكل أكثر من 90% من المساحة الاجمالية للدولة وهي الصحراء الجزائرية الممتدة. ويغطي الحصى معظم الأرض وإن كان "العرق الشرقي الكبير" و"العرق الغربي الكبير" يشكلان مناطق واسعة من الكثبان الرملية وفي الجنوب توجد مرتفعات الأحجار التي تبلغ أعلى قممها في جبل الطاحات. والنهر الرئيسي في الدولة هو نهر "الشلف" الذي يبلغ طوله 725 كم (450 ميل) والذي ينبع من أطلس التل متدفقا نحو البحر المتوسط، ولا توجد أنهار دائمة جنوب منطقة التل. وبالنسبة للمناخ فإنه يسود منطقة التل في الشمال مناخ بحر متوسط نموذجي دفيء جاف صيفا معتدل ممطر شتاء وتعتبر هذه المنطقة من أكثر مناطق الجزائر رطوبة حيث يبلغ معدل سقوط الأمطار ما بين 400 إلى 1000 مم (16 إلى 39 بوصة)، وتتراوح درجة الحرارة بين 25 درجة مئوية في الصيف (77 فهرنهايت) و11.1 درجة مئوية في الشتاء (52 فهرنهايت)، وخلال الصيف تهب الرياح الممتدة الحارة والجافة المسماة بـ (السيروكو) والتي تعرف محليا باسم (الشهيلي) شمالا من الصحراء وكلما توغلنا جنوبا يزداد المناخ جفافا، ويبلغ معدل سقوط الأمطار في الهضبة العليا و صحراء أطلس نحو 200 إلى 400 مم (حوالي 8 إلى 16 بوصة)، وتعتبر منطقة الصحراء من المناطق المتطرفة في درجات الحرارة اليومية فضلا عن الرياح والجفاف

الشديد ، و عموماً لا يزيد معدل سقوط الأمطار سنوياً عن 102 مم (4 بوصة) . وبالنسبة للبيئة فإنه يعتبر تآكل التربة بسبب فقر أساليب الزراعة والتصحر فضلاً عن تلوث الأنهار والمياه الساحلية وبخاصة مياه البحر المتوسط من الأمور ذات الأهمية الشديدة التي تحاول جاهدة الدولة للتخفيف منها، كما أن المياه النقية نادرة في الجزائر ، ويحصل الأغلبية سواء في الريف أو الحضر على المياه الصالحة للشرب بصعوبة وقد حاولت الدولة لاستخراج الأمياه الجوفية وتصفية المياه بطرق عصرية، والمناطق المحمية تشكل 5 % من مساحة الجزائر (1992م) كما أقرت العديد من الاتفاقات حول الحياة البرية والبيئية ، و النمو السكاني أقل من معدله وهو في انخفاض مستمر ، و خلال العقد الماضي أدخلت تحسينات على الخدمات التي لها علاقة بمتوسط العمر ، ومعدلات الوفيات بين الأطفال . والمنتجات الرئيسية كثيرة ومتنوعة منها الزراعية : القمح ، الشعير، البطاطس ، الموالح ، الكروم ، البلح ، والزيتون الحيوانية : اللبن ، اللحم ، وبالنسبة للتصنيع فالغاز الطبيعي السائل ، ومنتجات البترول المكرر والحديد والصلب وسيارات النقل ومواد البناء والمنسوجات والفلين الخ . وبالنسبة للتعدين فالذهب والغاز الطبيعي والبترول وخام الحديد والفوسفور والزنك والرصاص .

والجزائر عضو في المنظمات الدولية التالية : البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا ، بنك التنمية الأفريقي ، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، الجامعة العربية ، صندوق النقد العربي ، اتحاد المغرب العربي ، رابطة الدول الأفريقية المنتجة للبترول ، مجلس التعاون الجمركي ، منظمة الأغذية والزراعة ، مجموعة ال 15 ، مجموعة ال 19 ، مجموعة ال 24 ، مجموعة ال 77 ، الوكالة الدولية للطاقة النووية ، البنك الدولي للإنشاء والتعمير ، المنظمة الدولية للطيران المدني ، الحركة الدولية للهلال والصلب الأحمر ، بنك التنمية الإسلامي ، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية ، الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصلب الأحمر ، منظمة العمل الدولية صندوق النقد الدولي . المنظمة الدولية للملاحة البحرية ، المنظمة الدولية للملاحة عبر الأقطار الصناعية ، المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية ، المنظمة الدولية للبوليس الجنائي ، اللجنة الأولمبية الدولية ، المنظمة الدولية للتوحيد القياسي ، اتحاد الاتصالات العالمي ، حركة

عدم الانحياز، منظمة الدول العربية المصدرة للبترول، منظمة الدول الأمريكية (مراقب)، منظمة الوحدة الأفريقية، منظمة المؤتمر الإسلامي، منظمة الدول المصدرة للبترول، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين، منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، اتحاد البريد العالمي، اتحاد العمال العالمي، منظمة الصحة العالمية، منظمة حماية حقوق التأليف العالمية، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، منظمة السياحة العالمية.

والجزائر Algiers; Alger : هي عاصمة جمهورية الجزائر Algeria وأهم موانئها، وكانت على دوام حقب التاريخ جيدة التحصين لأنها مدينة تجارية هامة. ولقد أسس العرب مدينة الجزائر عام 325هـ/935م وأسموها مدينة الفضة بسبب البريق الذي كان يشع من مبانيها التي كانت تبدو من بعيد وكأنها خارجة من مياه البحر المتوسط مظهرة مظهرا رائعا خلافا. ولقد عاشت قرونا، وهي مقر حكم (الباي) الذي كان يسيطر على تجارة البحر المتوسط، ولقد هاجمها اللورد أكسموس مما أدى لتدمير الميناء والأسطول الجزائري ومنذ ذلك الوقت خضعت للفرنسيين الذين أخذوا يسيطرون على أنشطة المدينة، وبنوا فيها أحياء للأجانب وخاصة البريطانيين، وأقاموا فيها قاعدة بحرية لأسطولهم. وموقع مدينة الجزائر القديم كان يسمى إيكوسيم Ikosim، وهو تسمية فينيقية قديمة، وفي العصر الإسلامي شهدت ازدهارا واسعا في عهد دولة آل زيري، ثم شهدت توسعا عمرانيا كبيرا في عهد الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وكان يسكنها حوالي مائة ألف نسمة، ولكنها تدهورت بعد الاحتلال الفرنسي لها عام 1244هـ/1830م، وهجرها أهلها فلم يبق منهم سوى 30 ألف نسمة فقط. وقد قاومت المدينة الاحتلال حتى نالت استقلالها عام 1381هـ/ والمدينة فيها ميناء تجاري هام يصدر منه الكثير من المنتجات الجزائرية، مثل: الزيتون والفاكهة والحبوب والحديد، وهي أكبر مركز تجاري في البلاد، وفيها مقر الحكومة والجامعة والمحطة المركزية للسكك الحديدية علاوة على مصانع للنسيج. ويبلغ عدد سكان الجزائر العاصمة حاليا حوالي ثلاثة ملايين نسمة يعملون في عدد كبير من الأنشطة الاقتصادية.

وجرت عند ميناء الجزائر معركة كبيرة بين خير الدين بربروس حاكم البلاد والحملة الإسبانية التي أرسلها شارل الخامس بقيادة نائب الملك (أوغودي مونكادا) لاحتلال المدينة. وكان قوام الحملة ثمانية آلاف جندي فتصدى لهم خير الدين بجيش قوامه خمسة آلاف مقاتل من أبناء البلاد. واتخذوا لهم مواقع - حصينة في المدينة. واستغل خير الدين عاصفة هوجاء حطمت السفن الإسبانية في الميناء وحرمت الحملة من الدم البحري فحمل عليهم حملة رجل واحد. واشتد القتال بين الطرفين وكان انتصار خير الدين ساحقا. ومات نحو أربعة آلاف إسباني بين قتل وغريق ووقع الباقي في الأسر. وشهدت مدينة الجزائر آخر حملة إسبانية كبيرة كان على رأسها الإمبراطور الإسباني شارل الخامس وتضم الحملة 12 ألف بحار و24 ألف جندي من جنسيات مختلفة (من إسبانيا وإيطاليا وألمانيا). وعندما لاحت رايات وأشرعة الحملة بالأفق استعد حسن آغا الذي كان يحكم الجزائر نيابة عن خير الدين بربروس فدعم التحصينات وقطع أشجار الغابات في ضواحي العاصمة، وحشد كل قادر على حمل السلاح فبلغت قواته أحد عشر ألفا يدعمهم عدد كبير من المتطوعين. وأثار رجال الدين حماس المقاتلين واعتبروا الاشتراك في هذه المعركة واجبا مقدسا للدفاع عن البلاد. وعندما حاول البدو التصدي للقوات الغازية عند نزولها إلى البر تمكنت المدفعية الإسبانية من تشتيتهم. ورغم الانتصارات الأولية للإسبان لكن قوات الجزائر تشبثت في مواقعها واستقادت من العواصف التي حطمت السفن والأمطار الغزيرة التي حولت التربة إلى وحل، مع تدني الحرارة بشكل عرقل حركة الجنود، فبدأ المدافعون الجزائريون يستدرجون الغزاة إلى معارك صغيرة جانبية بينما كانت مدفعية القلعة تصلحهم نارا حامية. وفي نوبة من اليأس قرر الإسبان الانقضاء على مدينة الجزائر في 27 تشرين الأول، دون إعداد مسبق، ولكن مدفعية الأبراج وسهام الرماة وسيوف الفرسان الجزائريين حصدت الجنود المهاجمين وأرغمت معظمهم على الفرار. واندفع حسن آغا يتقصى أثر فلولهم، بينما كانت الأمطار تعيق سرعة فرارهم. وبعد أن هدأت العاصفة كان شارل الخامس قد خسر على أسوار مدينة الجزائر قرابة 150 سفينة واثني عشر ألف

جندي. واحتفلت الجزائر بالنصر، وكانت هذه آخر محاولة جدية للإسبان للسيطرة على الجزائر.

مراحل تاريخ الجزائر المستقلة

الجزائر بشعبها الأبي وثوارها الأحرار وزعمائها الأبطال وشهدائها البواسل أعادت استقلالها عام 1962م بعد كفاح طويل ومرير ضد الاحتلال الذي غزا الوطن وبقي محتلاله لأكثر من 130 عاما وبعد ثورة شعبية راح ضحيتها مليون ونصف مليون شهيد أعلن مرغما ومكرها (الجنرال الفرنسي شارل ديغول انسحاب قواته من الجزائر ونالت الجزائر استقلالها بيد أحرارها وتشكلت أول حكومة وطنية مؤقتة برئاسة فرحات عباس وفي سبتمبر (أيلول) من عام 1962 انتخب فرحات عباس رئيسا للجمهورية وأحمد بن بله رئيسا للوزراء، وفي 13 سبتمبر أيلول 1963 انتخب أحمد بن بله رئيسا جديدا لمدة خمس سنوات وجمع بين رئاسته للحكومة والدولة ومنصب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وفي 19 يونيو (حزيران) 1965 تزعم قائد جيش التحرير الزعيم هواري بومدين القيادة وشكل مجلسا للرئاسة أطلق عليه مجلس قيادة الثورة برئاسته وعضوية عشرين عضوا وكان من الأسماء اللامعة في ذلك المجلس المجاهد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية آنذاك، وفي عام 1967 أعلنت الجزائر نفسها دولة اشتراكية وظل الرئيس هواري بومدين يحكم الجزائر حتى وفاته في السابع والعشرين من ديسمبر (ديسمبر) 1978 فخلفه المجاهد راجح يبطاط رئيس "الهيئة البرلمانية" كرئيس مؤقت حيث ينص الدستور على أن يتولى رئيس الجمعية الوطنية منصب الرئاسة لمدة خمسة وأربعين يوما في حالة خلوه فجأة لحين انتخاب رئيس جديد للبلاد. وبعدها اختير الرئيس المجاهد الشاذلي بن جديد الذي أجري استفتاء شعبيا عليه في السابع من فبراير/ (شباط) 1979 كان قد انتهى بفوزه بمنصب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات وأعيد انتخاب الرئيس الشاذلي بن جديد لفترة رئاسية ثانية في يناير (جانفي) 1984 تنتهي في عام 1989. وفي عام 1988 وقع اندلاع عمليات عنف في البلاد راح ضحيتها بحسب المصادر الرسمية أكثر من 100 ألف قتيل واستقال الرئيس الشاذلي بن جديد من الحكم ليخلفه الزعيم الثوري المجاهد محمد بوضياف الذي كان يعيش في المغرب منذ عقود طويلة، ولم يدم حكمه غير عدة أشهر. بعده اختير الأمين زروال رئيسا جديدا للبلاد خلفا

لمحمد بوضياف في عام 1994، وأجريت انتخابات برلمانية في يونيو (جويلية) 1997 اشترك فيها عشرة أحزاب. وفي 15 أبريل (نيسان) 1999 انتخب المجاهد الحاج عبد العزيز بوتفليقة رئيساً للجمهورية بعد أن انسحب المرشحون الآخرون الذين كانوا يتنافسون على هذا المنصب. ثم بعد انتهاء العهدة أعيد انتخابه وفي عهد هذا الرئيس الفذ حل الأمن والوثام والسلم والمصالحة ولله الحمد والمنة أدامها الله نعمة وحفظ الجزائر وشعبها وقيادتها من كل ضير بجاه السراج المنير.

الخطبة الثانية في المصالحة

قلت وأنا أكتب هذا الفصل طلبت للمشاركة في مسابقة أحسن خطبة بمناسبة دعوة فخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة للمصالحة الوطنية والسلم فشاركته بخطبتين نجحت بهما الأول على مستوى الولاية وذلك في رمضان سنة 1427هـ / 2005م. ومن بينهما الخطبة الثانية هذه التي أدرجها هنا للمناسبة قلت فيها (الحمد لله العالم الخير. أحمد سبجانه وهو بالحمد جدير. وأشهد أن لا إله إلا الله الخالق البصير. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين. البشير النذير. صلى الله وسلم وبارك عليه. وعلى آله وصحبه. ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد فقد جاء في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما عمل ابن آدم شيئا أفضل من الصلاة وصلاح ذات البين وخلق حسن) (عباد الله) إن أمتنا الجزائرية الوفية. تعلم علم اليقين أن المصالحة ستعود بكل خير على المجتمع أفرادا وجماعات وأنها كفيلة بتعزيز ما بيدها من مكاسب. إنها تعلم علم اليقين ومنذ أن اعتنقت عن بكرة أبيها سياسة الوثام المدني التي قالت كلمتها فيها بكل سيادة وريادة. أن سياسة الوثام المدني على غرار سياسة الرحمة التي سبقتها مكنت من تشبيط المسعى الذي كان يروم تشتيت شمل الأمة كما مكنت من حقن الدماء. وتعجيل الشفاء واستعادة استقرار الجزائر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ومؤسساتيا. واليوم وبسياسة إضافة سياسة السلم والمصالحة ستكتمل. بإذن الله. الجهود المبذولة من قبل الأمة وقادتها. وعقلائها وساستها. ولذلك (معشر الأحاب) ها هي اليوم الأمة مدعوة إلى الأدلاء بكلمتها حول بنود هذا الميثاق التاريخي الجليل. من أجل ترسيخ المشروع المبارك النزيه وتجنب الزل. وكما قلتها وكررتها على مسامعكم (أيها الأحاب) وبما أن (الذكرى تنفع

المؤمنين) فإني أحسب: أن أمتنا الجزائرية هي على محك الإمتحان وهي مقبلة على فترة حاسمة ستقرر فيها مصير مسيرتها وهي ومن الآن على ابواب استقاء خطير يُحسب له ألف حساب . ويلاحظ فيه فقط رب الأرباب . ومسبب الأسباب . ومجري السحاب . وذلك التقرير إما قبول للمصالحة والوئام . والسلامة والسلام . وذلك يعني العافية والهناء . وإما نفور وانهيار . وانتكاسة واندثار وذلك يعني الخراب والفناء فالله الله (عباد الله) أصلحوا ذات بينكم يصلح لكم شأنكم . وتتعش لكم شؤون دينكم ودنياكم . كما نص على ذلك نبيكم ومولاكم . ودعوا الفتنة فإنها حالقة للدين واليقين . وميمنة للبنات والبنين . وعالجوا أحوالكم بأيديكم . ولا تنتظروا العلاج من خارج محيطكم ولا تكونوا من الغافلين . فإن الله (لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) واعلموا علما لا شك معه . أن الإدلاء بالصوت هو عبارة عن شهادة ملزمة يؤديها المرء مختارا وسيُسأل عنها يوم الرجوع إلى الله واللقاء . وكلنا بلا ريب مسؤول عما نحن فيه يوم الدين والجزاء . ثم إن الدال على الخير كفاعله وكما قال عليه السلام (من سن سنة حسنة فعمل بها كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده لا ينقص من أوزارهم شيئا) فخضوها مدوية . واجعلوها ناجحة مُلبية . جعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . فإن الرب الرحيم . والخالق الحليم . قال وقوله الحق (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات . والمسلمين والمسلمات . الأحياء منهم والأموات . إنك سميع قريب مجيب الدعوات . رب العالمين . اللهم إني نسألك موجبات رحمتك . وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم . والغنيمة من كل بر . والفوز بالجنة . والنجاة من النار . اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع . ومن قلب لا يخشع . ومن دعاء لا يسمع . ومن نفس لا تشبع . ونعوذ بك من الجوع والخيانة . ومن الكسل والبخل . ومن الجبن والهرم . ومن فتنة الدجال وعذاب القبر . ومن فتنة الحيا والممات . اللهم إنا نسألك قلبا أو أوهة محبته منيبة في سبيلك . اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك . ومنجيات أمرك . اللهم أصلح الرعاة والرعية . واجعل هذه البلدة وسائر بلاد المسلمين آمنة مطمئنة رخيية . بفضلك وجودك وكرمك يارب البرية . وصلى

الله وسلم على سيدنا محمد وآله (عباد الله) (إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .*)

ذكرى أول نوفمبر لسي بن عيسى بن الهدار

على ذكر الثورة الجزائرية اعجبني قصيدة الشيخ الوالد سي بن عيسى الهدار التي ذكر فيها مجاد الثورة والتي يقول فيها رحمه الله تعالى :

قلت انجيب ابيات والله ايسهل
صل ياربي اعلى خير الرسل
عيد الثوره الخالده عنا قبل
ذكريات الشعب بيهما يحتفل
للجزاير شعب ما يعرفش الذل
كذا من ثورا التاريخ امسجل
قرن وثلث القرن والشعب يناضل
عبد القادر حارب الزيش المحتل
بعدو ثوره بعد ثوره امرا حل
اللي سارامع الدرب لا بد يوصل
في الربعا وخمسين قمر الثوره هل
المستعمر قال هذا شي ساهل
جاب الجنده اكثر باسلاح امدجل
مرتزقه من اجنوس ابيض واكحل
بهزو ودزو عام في البر ايقبل
قلنا لوقا جيب جنده الحلف اكل
ثار الشعب اجمع كي وقفت راجل

باسمك يا معين ذا الكلمه تسهال
جد الحسنين واصحاب بووال آل
كل أمه تاريخها شاهد سجال
يوم ان شن الحرب ضد الاحتلال
والتاريخ ايجابك عن كل اسوال
لنا ذكريات في كل الاجيال
تعذبنا في الحروب اسنين اطوال
دار امعاهم حرب ما عندو مثال
والمستعمر كان دايم في تهوال
والنتيجه نصر على كل حال
في أول نوفمبر عاد النيضال
مادارش باحسابنا في اول حال
طيارت اسراب صنع اعلى لشكال
ودار امعاه اعوان غلظهم باقوال
حس المدفع كانهو واقع زلزال
رانام سعدين لكل احتمال
والايمان اسلاح وعم القتال

⁴⁸ خطبة جمعة شعبان 1426هـ / 2005م بالجلفة وقد نلت بهذه الخطبة وأولاهما جائزة أحسن خطبة سلمت لي ليلة بمسجد سي أحمد بن الشريف . الجلفة .

واطوالو ليام والحرب اسفحل
سبع اسنين ونصف والشعب ايقاتل
اجيوش الكفرة عادت اتخاف امن الظل
ماقدروش ايجارو والزيش افشل
قاللهم ديقول حلوذا المشكل
كي طولت الحرب حربي وين اوصل
مدي حقو حرب عاجل اوءاجل
اياواتشوفو امعايا كانش حل
طلبو منا الصلح والهدف اتحول
المستعمر كان دايم يتامل
من غدو دار اطريق اعلى لول
شاوو في المرصى ولعقاب ايجمل
راه الظلم ايزول وش اذا طول
شعب البهجه رد جوابو قايل
مانرضى من كان يحكم بالباطل
المستعمر ما ابقالو غاير حل
الجزاير عن حقها ماتتنازل
الجزاير باحدو ودها ماتتبدل
من وجدو لوريس والصحرا والتل
الشعب اتحرر عادلو حقو كامل
اعلامو مرفوع للشعب ايمثل
بفضل الجندي وفضل المسبل
والثروه ولات بيد العامل

وارصاص الثوره اعلى الكفرا ينهال
اشيوخا وشبان ونسا وريجال
ماقدروش ايجارو زل الامان
واكثر رعبو ما ابقا في الحرب اينال
في ذا للشعب ابطال راه الحق يقال
الشعب اخطانا كي راد الاستقلال
لابد تفاوضو في ذا المجال
هذا الشعب اللي امصم عنا صال
في خمسه جوليت قررنا الاجال
كي فرز الاصوات ظهر تلو لحوال
خسر الحرب امع الريح وراس المال
وبعضو يرمي في البحر فالمتريال
ظلم الظالم يعود عنو بالوبال
المستعمر ما ايدوم اهننا محال
مانرضى من كان ظلمو عنا طال
تظهر منوارضنا وحكموزال
وابصراحه عندها صدق المقال
جمله عم اترابه ادم الابطال
جبال وسهوب جنوب وشمال
والحق المسلوب جا ما فيه اجدال
ابيض واخضر طبعو ونجمه واهلال
وبفضل اللي عان بالكسوه والمال
واتخاوا ذا الشعب وللى فرد اعيال

خير اتول للشعب والثوره تعدل
يا شعب البهجا اعليك المستقبل
لستعمار اللي امقنع يتحايل
لكن هذا الشعب موهوشي غافل
حب الوطن اعليك واجب يا عاقل
دير الواجب ما تكونش متكاسل
والعلم ايوريك تعرف ما تعمل
نختم ذا الايات والقصيد اكمل
في الواحد وتسعين جماد الاول
سي بن عيسى من انواحي عين الابل
في الجلفه سكان واعروشو ترحل
مرحبا بالضيوف والضيف امبجل
مرحبا ذا الشعب بيكم ايوهل
مرحبا واهلا وسهلا واتفضل
شقيق و صديق من كل السدول

المسواة تعمنا رايسنا قال
عنك واجبات ما يخف اش الحال
كما هي عاد تو طامع مزال
عندو تجريبات دايم راد البال
الشهادا دمهم عن ارضك سال
واعمل للبيان لا بد راك اتنال
كل صنعا تقوم بالعلم ولعمال
هذا باختصار والباقي مزال
ثلثيا والالف والتاريخ اهلال
ولد الصحرا النايلي هذا القوال
واعبيد الله نسبت الاب ولخوال
الضيف ابقدرو اعلى الناس الكمال
بالفرحا واسرور في ارض الابطال
مرحبا باللي جا و حضرو الاحتفال
في البهجه تلقاو حسن الاستقبال

حي الجزائر

على ذكر الجزائر الغالية ولكون ارض عين الابل هي جزء لا يتجزؤ منها هاهي ذي القصيدة
العصماء المتغنية بأرض الجزائر وذكرياتها الخالدة للأديب الود الود بن المغربي السعداوي . علما أن
الشاعر في الظاهر يتكلم على الجزائر كقطر ووطن ولكنه في الحقيقة يلحح الى منطقته عين الابل التي
هي جزء لا يتجزؤ من الجزائر الايبه وهنا اشير الى ان الشاعر يسلك في وصفه هذا مسلك شعراء
المهجر بل في القصيدة ايجاء من كلام جبران خليل جبران (رحم الله ايام زمان كنت اقرا فيها مدونات
جبران خليل جبران ووصفه للخريف وارياحه والشتاء وثلوجه فاه آه يا لغة العرب وآه لتصويراتك
الجمالية) حبيت يا (السعيد حساني بن عبد الله) وحي الله مراجعك وسهراتك) وهاهي ذي

القصيدة حسبما وجدتها غير أنني أبدلت فيها كلمة (الغر) بكلمة (البر) لتكون كلمة (الغر) جمع مؤنث لايتلاءم مع وصف كلمة (شهر) كما نبهني إلى ذلك الأستاذ يحي مسعودي . أقول ونصها الكامل هو :

فشهرها (البرُّ) بان اليوم واقتربا
ونجمة غلبت انوارها الشهبا
إن ضاقت الاغيار في ارجائك طربا
ولا تعربد سكران اذا شربا
إن عب كاسا هوى في اثرها نجبا
ومشعل الحب في قلبي قد التهبها
وكم لها خافتت وكم لها لعبا
بأطيب العيش ما فينا الذي نصبا
عشتت فيها نسيم الفجر ان قربا
وان تبسم في ارضي او اكتبها
ولو غدا حره في موطنني لهما
ذكا اريجه في الزهر الذي شذبا
ورونق الورد في ابانه شحبا
قد برح الشوق وها انا بها وصبا
ولا تردى لشغول به طلبا
وفوق افنانها في نقة وشبا
شهد لشاربه من سيله انسكبا
ومن شموخ الربا قد ضاهت الشهبا
وصخرها الصلد من مجادها صلبا
فكم اوت سائحا فيها ومغتربا

حي الجزائر في ذكرى بطولتها
يا غرة في جبين العرب قد سطعت
وسلوة القلب في اوقات محنته
وخمرة الكاس ما ضاق النديم بها
لا يرتوي هائم من كاسها ابدا
اني انا جيك والاشواق تغمرني
اكلم الارض . كم عانتت تربتها
فيها الصحاب واترابي احادثهم
عشتت فيها الدجى اشدت حوالكه
اهوى شتاءها ان هبت عواصفه
واعشق الصيف رمضاء اصائله
واعشق النور ان حل الربيع وان
كذا خريفها ان بانات طلائعه
في كل وقت بنات الشوق نظرقني
لا تحرمي مغرما بالوصل ملتمسا
اهيم بالطير غنى في حدائقها
وماؤها العذب ميسور لطلبه
من رقة البحر قد رقت سمائمها
تراها بدماء العز مختلط
وموطن النخل والواحات انشده

فموطن النخل مضياف لقاصده
اهوى بيوتها بالشعر قد نسجت
أكاد من تباريح لاشوق يورقني
جمالها قد ثوى قلبي بواحنه
جزائر . حصنتنا في مرابضها

للجود والمنح فيها منزل رحبا
اهوى جمالا واهوى النوق والقسبا
اعانق النخل فيها احتضن الكتبا
متيما وخيالي ساهما سلبا
وضمننا تربها الغالي أبا فابا

شعب الجزائر

نما نظمه الإمام عبد الحميد بن باديس قوله رحمه الله :

شَعْبُ الْجَزَائِرُ مُسْلِمٌ
مَنْ قَالَ حَادٍ عَنِ أَصْلِهِ
وَرَامَ إِدْمَاجَ أَلْسِنَةٍ
يَأْنِشُ أَنْتَ رَجَاؤُنَا
خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا
وَأَرْفِعْ مَنَارَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَأَقْلِعْ جُذُورَ الْخَائِنِينَ
وَأَذِقْ نَفْسَ الظَّالِمِينَ
وَأَهْزِزْ نَفْسَ الْجَامِدِينَ
مَنْ كَانَ يُبْغِي وَدَّتْنَا
أَوْ كَانَ يُبْغِي ذَلَّنَا
هَذَا نَظْمٌ حَيَاتِنَا
تَسِي يَعُودُ لِقَوْمِنَا
هَذَا الْكَيْفُ عَهْدِي بِهِ
فَإِذَا هَلَكْتُ فَصِيحْتِي

وَأَلَى الْعُرُوبَةِ يَتَسَبَّبُ
أَوْ قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبُ
رَامَ الْمُحَالَ مِنَ الطَّلِبِ
وَبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبُ
وَوَخُضَ الْخَطُوبِ وَلَا تَهَبُ
بَانَ وَأَصْدُمَ مَيْنَ غَصَبُ
فَمَنْهُمْ كُلِّ الْعَطَبِ
سُمِّيَ يُنْزَجُ بِالرَّهَبِ
فَرَبَّمَا حَيَّ الْخَشَبِ
فَعَلَى الْكِرَامَةِ وَالرَّحْبِ
فَلَهُ الْمَهَانَةُ وَالْحَرْبُ
بِالتُّورِ خُطُّ وَبِاللَّهَبِ
مِنْ مَجْدِهِمْ مَا قَدْ ذَهَبُ
حَتَّى أَوْسَدَ فِي التَّرَبِ
تَحْيَا الْجَزَائِرُ وَالْعَرَبُ

احتلال تونس

أراد حكام تونس الوطنيين إدخال المدينة الغربية إلى بلادهم، ومن أجل ذلك قبلوا الاستدانة من دول أوروبا مما أوجد في النهاية الفرصة للتدخل الأجنبي في شؤون تونس وكانت فرنسا هي المعنية بالدرجة الأولى بأمر تونس ولكي تبرر تدخلها السافر في أمر تونس ادعت قيام إحدى القبائل التونسية بالاعتداء على عمال فرنسيين، فدخلت قوات فرنسا تونس وحاصرت العاصمة وأجبرت الباي على توقيع اتفاقية تارود سنة (1299هـ / 1881م)، والتي يعترف فيها بالحماية الفرنسية على تونس وبحق فرنسا في إبقاء قواتها في الأراضي التونسية بالإضافة إلى رعاية فرنسا لمصالح تونس في الخارج، أي قبوله احتلال «فرنسا» لتونس. ولكن الشعب التونسي رفض قبول هذه الاتفاقية وثار عليها، ولكن القوات الفرنسية المجهزة بأحدث الأسلحة أخمدت هذه الثورة بكل عنف سنة (1301هـ / 1883م) وقيدت الباي بمعاهدة جديدة استكملت بها احتلال تونس. ثم وبعد نضال كبير من مجاهدي تونس أعادت تونس استقلالها وهاهي نبذة من تاريخها كما ذكرته موسوعة أطلس الحاسوبية:

تونس

تونس Tunisia هي دولة تقع في أقصى شمال أفريقيا، ويحيط بها من الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط، ومن الغرب الجزائر ومن الجنوب ليبيا. وتونس جزء من العالم العربي، ويتحدث أهلها كلهم تقريبا العربية ويعيشون حياة ذات طابع عربي. ومدينة تونس هي العاصمة، وهي أكبر المدن التونسية وتعتبر مركز الحياة الثقافية والسياسية بالبلاد. الاسم الرسمي: الجمهورية التونسية. العاصمة: مدينة تونس Tunis. القارة: أفريقيا. كود الدولة: TS. تعداد السكان: 9,924,742 نسمة (يوليو 2003)، 9,815,644 نسمة (يوليو 2002)، 9,705,102 نسمة (يوليو 2001) المساحة: 163610 كيلومتر مربع. الموقع: دولة عربية تقع في شمال أفريقيا يحدها من الشمال والشمال الشرقي البحر المتوسط - من الجنوب الشرقي ليبيا - من الجنوب الغربي والغرب الجزائر. معدل النمو السكاني: 1.09% (يوليو 2003)، 1.12% (يوليو 2002)، 1.15% (يوليو 2001). كثافة السكان: 60.66 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 59.32

نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001). وفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 26.91 وفاة (يوليو 2003)، 27.97 وفاة (يوليو 2002)، 29.04 وفاة (يوليو 2001). معدل المواليد لكل 1000 نسمة: 16.53 مولود (يوليو 2003)، 16.83 مولود (يوليو 2002)، 17.11 مولود (يوليو 2001). معدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.02 وفاة (يوليو 2003)، 5 وفاة (يوليو 2002)، 4.99 وفاة (يوليو 2001). متوسط عمر الفرد: 74.40 سنة (يوليو 2003)، 74.16 سنة (يوليو 2002)، 73.92 سنة (يوليو 2001). نسبة الحضر: 57.2 (1999). إجمالي الناتج المحلي: 63 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 49 بليون دولار (1998). العملة: 1 دينار تونسي = ألف مليم. نوع الحكومة: جمهورية. الدستور: 1 يونيو 1959 وعدت مواده في 12 يوليو 1988. حقوق التصويت: عمومي في سن 20. الاستقلال: استقلت عن فرنسا في 20 مارس 1956. الحكومة: نظام الحكم في تونس هو النظام الجمهوري ويرأس الجمهورية رئيس ينتخه الشعب لدورة مدتها خمس سنوات ويعين الرئيس حكومة يرأسها رئيس الوزراء وهناك هيئة تشريعية واحدة في تونس هي الجمعية الوطنية، ويبلغ عدد أعضائها 163 عضوا يتم اختيارهم بالانتخاب لفترة خمس سنوات وحق التصويت مكفول لكل من استوطن البلاد لمدة خمس سنوات فأكثر ومن بلغ من العمر عشرين سنة فصاعدا ويعين رئيس الجمهورية محافظي المحافظات التونسية البالغ عددها 13. الناس وطريقة الحياة: تتميز الحياة في تونس بأنها أكثر انتظاما عنها في معظم البلدان الأخرى في أفريقيا والشرق الأوسط ويرجع ذلك في المقام الأول إلى وحدة اللغة والدين. ومعظم المواطنين التونسيين من العرب ويتحدث عدد كبير من أفراد الشعب الفرنسية كلغة ثانية. وتنقسم معظم المدن التونسية إلى أحياء قديمة وأحياء حديثة، وتسم الأحياء القديمة بالشوارع الضيقة والأسواق المغطاة، أما الأحياء الحديثة فتتميز بالشوارع العريضة المزدانة بالأشجار وبالأبنية ذات الطراز الأوروبي. ويرتدي كثير من الناس في المدن الملابس ذات الطابع الغربي وفي الريف، يعيش معظم الناس في بيوت من الحجر أو الإسمنت المسلح. ويرتدي الكثيرون الزي العربي التقليدي. التاريخ: ظلت تونس تمثل أفريقيا في نظر الشعوب القديمة على مدى قرون طويلة. وقد أنشأ الفينيقيون الإمبراطورية القرطاجية في تونس نحو عام 1100 قبل الميلاد وشيدت مدينة قرطاج الشهيرة بالقرب من الموقع الحالي لمدينة تونس نحو عام 814 قبل الميلاد وفي عام 146، قبل الميلاد احتل الرومان قرطاج وظلوا يحكمون

تونس لمدة 600 عام. وفى 439 م، اجتاح الواندال، وهم قبيلة أوروبية، تونس وهزموا الرومان واحتلوا قرطاج، وظلوا يحكمون المنطقة لمدة تناهز مائة عام. ثم جاء البيزنطيون من القسطنطينية (استامبول الحالية) ودحروا الواندال فى عام 534 م. ووفد العرب على تونس عام 27 هـ [647م] فى خلافة عثمان بن عفان على يد واليه عبد الله بن أبي السرح بعد أن تم لهم فتح مصر وبرقة، وفى خلافة معاوية بن أبي سفيان قضى واليه معاوية بن حديج عام 45 هـ على البقية الباقية من الاستعمار الروماني فى شمال أفريقيا وفتح سوسه و بنزرت عنوة، وأعقبه على ولاية أفريقيا عقبة ابن نافع عام 50 هـ [670م] فبنى مدينة القيروان وجعلها قاعدة الدولة الإسلامية الأفريقية ثم أقام الوالي حسان بن النعمان أول دار للصناعة البحرية فى تونس ومنها سارت الأساطيل الإسلامية لفتح صقلية وشواطئ إيطاليا وجزر البليار ومالطة. وتولى على تونس عدد من الولاة الخاضعين للخلافة الأموية والعباسية قامت بها سلسلة من الدول الحاكمة هي ما يأتي: 1- دولة بني الأغلب أو الأغالبة نسبة إلى الأغلب بن سالم، والتي حكمت بين عامي [184-296 هـ] [800-908 م].

2- دولة العبيديين أو العلوم نسبة إلى عبيد الله المهدي، وحكمت بين عامي 296-361 هـ [908-971م]. 3- دولة بني زيزي الصنهاجية، حكمت بين عامي 361-542 هـ [971-1114م]. 4- دولة الموحدين بالمغرب، وبسطت حكمها على تونس بين عامي 555-603 هـ [1160-1206م]. 5- الدولة الحفصية أو بني حفص، نسبة إلى أبي حفص عمر الهنتاتي حكمت بين عامي 692-982 هـ [1206-1574م] 6- دولة الدايات، وقامت باستيلاء العثمانيين على تونس على يد بارباروسة وسانان باشا عام 981 هـ [1573م]. 7- الدولة الحسينية، أو دولة البايات، قامت عام 1117 هـ [1705م]، وفى سنة 1298 هـ [1881م] و8- دخلت تونس تحت الحماية الفرنسية حتى أعلن استقلالها عام 1376 هـ [1956م] ثم أعلن النظام الجمهوري بها فى السنة التالية فكان الباى محمد الأمين آخر من حكم تونس من الأسرة الحسينية وانتخب الحبيب بورقيبة رئيسا للدولة عام 1377 هـ [1957م] والحكومة ونص الدستور على اعتبار اللغة العربية هي اللغة الرسمية والإسلام دين الدولة وظل الحبيب بورقيبة على رأس السلطة فى تونس طيلة ثلاثين عاما (1957-1987) إلى أن تدهورت حالته الصحية، فانقلت السلطة إلى الوزير الأول (رئيس

الوزراء) زين العابدين بن علي الذي استطاع تولي المسؤولية وفي الثاني من أبريل/ نيسان 1989 أجريت انتخابات نيابية ورئاسية فاز فيها زين العابدين بن علي بمنصب رئيس البلاد. وفي 20 مارس/ آذار 1994 أعيد انتخاب بن علي بعد انتخابات برلمانية ورئاسية، وفي 24 أكتوبر/ تشرين 1999 أعيد انتخاب بن علي في انتخابات شارك فيها للمرة الأولى مرشحون آخرون غيره، كما فازت المعارضة بـ 20% من مقاعد البرلمان البالغة 182، وفازت النساء بـ 21 مقعداً. ومظاهر السطح التونسي يمكن تقسيمها من الشمال إلى الجنوب إلى أربعة مناطق طبوغرافية: ففي الشمال يقطع الدولة بعض توءات قليلة الارتفاع من جبال أطلس التل في الاتجاه جنوب غربي إلى شمال شرقي حيث يتراوح معدل الارتفاعات بين 610 إلى 1.520 متر (2.001 إلى 4.987 قدم) وتنتشر الأودية والسهول الخصبة حول الجبال في هذه المنطقة. إلى الجنوب تفصح الجبال عن هضبة يبلغ ارتفاعها حوالي 610 متر (2.001 قدم). وإلى الجنوب أكثر تنحدر الهضبة تدريجياً نحو سلسلة من "الشطوط" المنخفضة (بحيرات ملح) تمتد من الشرق إلى الغرب عبر الدولة. ويقع العديد من هذه البحيرات تحت مستوى البحر. وفي الجنوب تجاور الشطوط الصحراء الكبرى التي تشكل حوالي 40% من مساحة الأرض التونسية. ونهر الدولة الوحيد هو "وادي مجردة" وهو يمر بشمال تونس من الغرب إلى الشرق ويصب في خليج تونس. وبالنسبة للمناخ فشمال تونس يسوده مناخ بحر متوسط معتدل، وبالاتجاه جنوباً يزداد المناخ حرارة وجفافاً، وتتراوح درجات الحرارة بين 11 درجة (52 فهرنهايت) في يناير و 26 درجة (79 فهرنهايت) في يوليو، يبلغ معدل سقوط الأمطار سنوياً حوالي 610 مم (24 بوصة) ولكنه قد يختلف اختلافاً كبيراً من عام إلى عام، وفي المناطق الشمالية تتعرض لموسم المطر في الفترة من أكتوبر إلى مايو، ويقل معدل سقوط الأمطار السنوي كلما اتجهنا جنوباً حيث يكون حوالي 178 مم (7 بوصة) فقط في الصحراء. وبالنسبة للبيئة فلمياه في تونس نادرة والجفاف متكرر، وثلث سكان الريف فقط هم اللذين يحصلون على المياه الصالحة للشرب، كما زاد الإنتاج الزراعي خلال العقد الأخير ولكنه تسبب في التآكل الشديد في التربة حيث زادت الزراعات الهامشية وزاد الرعي. و

أصبحت تونس من الدول القادرة على التعامل مع مشكلة مخلفات الصرف الصحي بفاعلية أكثر من جيرانها ولكن مخلفات الحضر التي لم تعالج لازالت تشكل مشكلة حيث تسبب في تلويث مصادر المياه بما فيها البحر المتوسط. وبالنسبة للاقتصاد فتعد تونس من أكبر البلدان المنتجة للفوسفات، كما أن لديها موارد نفطية تكفي لتلبية الحاجة المحلية والتصدير. وتشكل الأغذية والسلع الأساسية معظم المنتجات الصناعية في تونس وأهم المحاصيل والمنتجات الزراعية هي القمح والشعير والعب (المستخدم في صناعة البيذ) والزيتون وزيت الزيتون والتمر. كما يسهم قطاع السياحة بنسبة كبيرة من الدخل القومي. وتقع معظم المدن التونسية الكبرى، والصناعات والأراضي الخصبة في شمالي وشرقي البلاد. وتتم هذه المناطق بأنها أغنى من الجنوب الجاف والأقل تطورا. وتونس لديها شبكة جيدة من الطرق وخطوط السكة الحديد. وأهم الموانئ التونسية هي تونس العاصمة وحلق الوادي وبنزرت وسوسة وصفاقص. والمنتجات الرئيسية: الزراعة: الشعير والموايح والزيتون والقمح والكروم. وبالنسبة للتعدين فيتمثل في الحديد والرصاص والليجنيت (نوع من الفحم الحجري) والفوسفات والزنك. والأشجار (الأخشاب) هي البلوط والصنوبر. وتونس هي عضو في المنظمات الدولية التالية: البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا، وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي، بنك التنمية الأفريقي، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة العربية، صندوق النقد العربي، اتحاد المغرب العربي، التعاون الاقتصادي لمنطقة البحر الأسود (مراقب)، مجلس التعاون الجمركي، منظمة الأغذية والزراعة، مجموعة ال 77، الوكالة الدولية للطاقة النووية، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، المنظمة الدولية للطيران المدني، الغرفة الدولية للتجارة، الاتحاد الدولي لاتحادات التجارة الحرة، الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر، بنك التنمية الإسلامي، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر، منظمة العمل الدولية، صندوق النقد الدولي، المنظمة الدولية للملاحة البحرية، المنظمة الدولية للملاحة عبر الأقمار الصناعية، المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية، المنظمة الدولية للبوليس الجنائي، اللجنة الاولمبية الدولية، المنظمة الدولية للتوحيد القياسي، اتحاد

الاتصالات العالمي، حركة عدم الانحياز، منظمة الدول العربية المصدرة للبترول (سحبت من الأعضاء النشطين عام 1986)، منظمة الدول الأمريكية (مراقب)، منظمة الوحدة الأفريقية. منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين، منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، اتحاد البريد العالمي اتحاد التجارة الحرة العالمية، منظمة الصحة العالمية، منظمة حماية حقوق التأليف العالمية، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، منظمة السياحة العالمية، منظمة التجارة العالمية

وتونس Tunis : هي عاصمة دولة تونس وإحدى أهم المدن الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تطل على خليج تونس لجهة الشرق حيث مرفؤها التجاري المزدهر، وتقع على خط 36 47 39 شمالاً، وخط طول 51 7 شرقياً جرينيتش. وتونس مدينة تاريخية قديمة عمرت من أنقاض قرطاجنة، وكان اسمها في القديم ترشيش، وهي في الوقت الحاضر مدينتان متصلتان متباينتان تمام التباين تختلف الحياة في إحدهما عن الأخرى اختلافاً عظيماً، فالأولى مدينة يسكنها أهل البلاد وليسوا جميعاً من المسلمين، وهي أثر من آثار القرون الخوالي بقي على حاله أو كاد، أما الأخرى فمدينة أوروبية حديثة النشأة مظهرها جديد وما زالت تنمو وتتسع باطراد. والمدينة القديمة على مسيرة ثلاثة أرباع الميل تقريباً من طرف البركة المسماة ببحيرة تونس، وهي ترتفع شيئاً فشيئاً من الشرق إلى الغرب حتى تشرف على مغيض من ماء ملح يكاد يجف يعرف بـ "سبخة السيجومي"، وعلى هذا الجانب خارج أرباض تونس ذروة "المنوبة" وفيها مشارف مترامية وإلى الجنوب الشرقي من المدينة وفي كنفها هضبة أبي الحسن وجبل الجلود، وعلى مسافة أخرى تلال "بيركسه" وإلى الشمال هضبة "بلفادير" و "رأس الطابية" ووراءهما جبل أحمر وجبل نهيل ولا تحول هذه المعارح بين تونس وبين سهولة الاتصال بسهل مرناق ووادي نهر ملينة من ناحية وبسهل منوبة ووادي مجردة من ناحية أخرى كما يصلها ساحل البحيرة الشمالي بمجلق الوادي Goulette قرطاجنة وحصونها الطبيعية جيدة وإن لم تكن ممتازة فكثيراً ما احتلت تونس من غير عناء كبير، ولولا صهاريجها لجلب الناس

ماء الشرب من بعيد، وموقع تونس موات جدا من الناحية الاقتصادية فهي على المخارج من أواسط بلاد تونس في موضع جد خصيب، وهي قريبة من البحر والصلة بينها وبين السواحل الأوروبية الدانية قريبة. ولم تصبح تونس مدينة عظيمة إلا بعد ذلك بأمد طويل ولم يكن لها شأن خاص في عهود الرومان والوندال والبيزنطيين. وقد افتتحها المسلمون في عهد عبد الملك بن مروان، فنزل عليها من قبله حسان بن نعمان بن عدي الأسدي فسأله الروم أن لا يدخل عليهم، وأن يضع عليهم خراجا يقسطه عليهم فأجابهم إلى ذلك، ولما رجع حسان إلى القيروان رجعت الروم إلى تونس فاستباحوا المسلمين فأرسل حسان من أخبر عبد الملك فأمدّه بجيش كبير فقاتل به الروم حتى ملكها عنوة وكان ذلك في سنة 70 هـ / 690م، فأحكم بناءها وجعلها رباطا للمسلمين. ومن ذلك التاريخ برزت مدينة تونس من الظلمات إلى النور وسجلت اسمها في صفحات التاريخ بوصفها المدينة الإسلامية التي ورثت بعض مفاخر قرطاجنة، ثم سرعان ما أخذت تنافس مدينة القيروان، فلما استولى حسان بن النعمان عام 78 هـ / 698م على قرطاجنة العاصمة القديمة ودمرها بادر إلى البلدة القائمة عند نهاية البحيرة وأخذ يحولها إلى قاعدة بحرية تفلح منها الأساطيل في سفرات نائية ويحتمي فيها من مباحة الروم. ومدينة تونس كانت مجمع المعارضة ومركز مناهضة السلطان في القيروان، وكان الجند من بني تميم الذين تضمهم أسوارها مبعث الفلاقل والفتن واشتركت تونس في جميع الفتن التي أخذها أمراء الأمويين والعباسيين ثم أمراء الأغلبة واشتركت في الثورة الكبيرة التي حمل لواءها منصور الطنبذي ففتحها زيادة الله الأول عنوة وخرب أسوارها عام 218 هـ / 833م، وأنزل بها إبراهيم الثاني كل غضبه بعد فتنة من هذه الفتن ورأى أن يضبط أمورها بنقل بلاطه وقصبة حكومته إليها عام 281 هـ / 894م وشيد لهذا الغرض عددا من المباني منها "القصبة" ولكنه قفل راجعا إلى رقادة بعد عامين اثنين، ولما حاول ابنه عبد الله الثاني أن يعود إلى الاستقرار في تونس عام 290 هـ / 903م قتل في قصر بناه لنفسه وشيكا وقتل قاتلاه وعلق الأول على باب الجزيرة والثاني على باب القيروان ولم تكن الأسباب قد تهيأت بعد لكي تصبح تونس قصبة إفريقية. وقد كانت تونس في أمن ورخاء ما يقرب من قرن حتى وقعت في

منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي تحت سيطرة العرب الهلالية، وغلب الفاتحون الجدد بني زيري الضعفاء على أمرهم فاعتكفوا في المهديّة، ووقعت تونس زمانا في يد عابد ابن أبي الغيث أمير بني رياح عام 446هـ / 1055م لم تأمن على نفسها فدخلت في طاعة الناصر الحمادي صاحب القلعة فأرسل إليها عامله عبد الحق بن خراسان الصنهاجي عام 451هـ / 1059م، وسرعان ما جاهر هذا العامل باستقلاله فتأسست بذلك أول دولة تونسية، ومكنت هذه الدولة لنفسها قرنا من الزمان إلا عشرين عاما من 487هـ / 1094م إلى 567هـ / 1172م حتى دخلها الموحدون بعد ذلك بقرن. وقد أخذ شأن مدينة تونس يعظم حتى أصبحت قسبة إفريقية، وظل هذا حالها من أيام عبد المؤمن عام 554هـ / 1159م فاندمج تاريخها السياسي في تاريخ سلطنة تونس. وقد أفرغت الناس غارات ابن عبد الكريم الرغراغي الفاشلة عليها عام 595هـ / 1199م. كما شق عليهم حكم آخر المرابطين يحيى ابن غانية عام 563هـ / 1168م العابر فكان من نصيب الحفصيين أن يعيدوا إلى تونس أمنها وسلامتها وأن يزيدوا في منشآتها وأن يجعلوا منها قسبة جديدة باسمها. وكان أول حفصي تولى شؤون تونس واليا للموحدين إلا أن هذا الولى أبا زكريا لم يلبث أن خلع طاعة الموحدين ولقب بالإمارة ودعا لنفسه على المنابر. وفي أيامه 625-647هـ / 1228-1249م عقدت الإمارة الحفصية معاهدات تجارية مع كل من البندقية وبيزا وجنوة، كما تمت في أيامه مراسلات دبلوماسية مع فريدريك الثاني ملك صقلية ومع أرغوان. وفي أيام خليفته عبد الله 647-675هـ / 1249-1277م كانت بينه وبين النروج وكانم وبورنو، في أواسط الصحراء الإفريقية، سفارات. وقد أعلن أبو عبد الله نفسه خليفة وتسمى بأمر المؤمنين عام 650هـ / 1253م وتلقب بالمنتصر. وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد 656هـ / 1258م اعترف به شريف مكة خليفة وريثا للعباسيين. وفي عام 668هـ / 1271م قاد لويس التاسع الفرنسي حملة ضد تونس وهدد المدينة ولكن الحملة باءت بالفشل، إذ توفي لويس وهو على الحصار. وقد مرت تونس بفترة مضطربة بعد وفاة المنتصر امتدت أكثر من قرن، ولم يعد للدولة الحفصية قوتها وتنظيمها ثانية إلا في أيام ثلاثة من كبار حكامها وهم: أبو العباس

المستنصر وأبو فارس المتوكل وأبو عمرو عثمان الذين حكموا من 772-893هـ / 1370-1488م، وقد كان للدولة في أيام الأخيرين بشكل خاص دور كبير في شؤون المغرب العربي، إلا أن السنوات الأخيرة التي امتدت من 893 إلى 982هـ / 1488-1574م كانت سنوات اضطراب داخلي وخارجي. وقد تعاقبت على تونس حكام استجدوا بالخارج ودفعوا ثمن ذلك من البلاد. وفي القرن السادس عشر وصل الضعف بالأسرة الحفصية إلى الاستجداد بالأسبان، وتوقيع معاهدة معهم تعطي الأسبان امتيازات ضخمة تبيح لهم السكنى بجميع أنحاء القطر التونسي، بل وتنازلت لهم عن مدينة "عنابة" و"بنزرت" و"حلق الوادي". وأدى هذا لثورة انتهت بتولية السلطان الحفصي أبي العباس الثاني الذي حكم تونس 942-980هـ / 1536-1573م لكن الأمور في تونس لم تستقر. وحين اشتد الخلاف بين الأمير الحفصي أبي العباس الثاني ووزيره أبي الطيب الحضار اتصل الأخير بوالي الجزائر وحرضه على احتلال تونس، فتنهز العليج هذه الفرصة وخرج على رأس جيش حيث التقى بجيش الأمير الحفصي عند سهل "باجة" وبعد قتال مرير انخزل أبو العباس وتقدم العليج عليّ صوب المدينة المحاصرة ودخلها عام 972هـ / 1565م ونصب عليها أحد قواده، وأخذ البيعة بها للسلطان سليم الثاني العثماني، أما أبو العباس فقد لجأ إلى الأسبان مستجدا بهم، فأعد الملك فيليب الثاني قوة كبيرة لمواجهة تونس على أن يقتسم مع أبي العباس حكم البلاد ودخلها الأسبان بقبول محمد بن الحسن أخو أبي العباس شروطهم. وفي ربيع الأول 981هـ / 1573م خرجت قوة عثمانية كبيرة من إسطنبول على رأسها سنان باشا الوزير العثماني، بالإضافة إلى قوة بحرية بقيادة العليج علي بعد أن أصبح قائدا للأسطول العثماني، وحاصر العثمانيون "حلق الوادي" برا وبحرا فاضطر الأسبان والأمير الحفصي الموالي لهم إلى الهرب والالتجاء للحصون، فلحق بهم الجيش العثماني وتمكن سنان باشا من تضيق الخناق على الحاميات الأسبانية حتى سلمت للجيش العثماني وقبض على الأمير الحفصي محمد بن الحسن وأرسله إلى إسطنبول، وانطوت بذلك صفحة حكم الحفصيين في تونس على أيدي الأتراك عام 982هـ / 1574م الذين ضموا القطر إلى دولتهم المترامية الأطراف. وفي

القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي احتل أهل الجزائر تونس مرتين أولهما عام 1045هـ / 1636م والثانية عام 1053هـ / 1643م وأصبحت فتنا سفكت فيها الدماء، ولم تكن الأسوار من المناعة بحيث ترد هجوما عنيفا. وفي ربيع الأول عام 1117هـ / 1705م انتقلت الولاية في تونس إلى حسين بن علي فأسس أسرة حاكمة هي الأسرة الحسينية التي استمرت في حكم في تونس إلى الاستقلال وإعلان الجمهورية بها عام 1976م. وتتميز مدينة تونس بمناخها المتوسطي المعتدل، وبهوائها الطيب، وبكثرة البساتين والحدائق المتعددة الثمار الموجودة في شمال المدينة، والتي تدين إلى المهاجرين الأندلسيين بتنوع زراعتها وإتقانها وترتيبها المحكم والملائم للذوق السليم. وقد كانت الضيعات الخاصة مجاورة للمنزهات والقصور السلطانية، التي كان السلطان وأعضاء حاشيته يلتجئون إليها ليستريحوا فيها. وبالنسبة للأسوار فتميز مدينة تونس بأسوارها وأبوابها الجميلة المبنية بالطوب، فنجد في الشمال باب السويقة الذي يفتح على الرض وهو مطابق لباب السقائين سابقا، وفي الجهة الشمالية الشرقية يوجد باب قرطاجنة الذي كان متجها إلى قرطاج، ومن الناحية الشرقية يقع باب البحر قرب الباب الذي يحمل الآن اسم "باب فرنسا" وهو يربط بين المدينة والميناء، وفي الجنوب الشرقي نجد باب الجزيرة. كذلك تنتصب القلعة أو القصبية في وسط الجانب الغربي والتي لم يبق منها الآن أي أثر ما عدا جامعها، وهي تقع على ربوة قليلة الارتفاع تمكن في آن واحد من مراقبة المدينة ومسالك تونس الوسطى والشمالية، وقد أعاد عبد المؤمن بناءها تماما بروجها المثلثة الزوايا وفصلها عن المدينة بسور، ثم أعاد تهيئتها أبو زكرياء وذلك في الربع الثاني من القرن الثالث عشر، ثم أتمها ابنه المستنصر. وبالنسبة للقصور فيوجد في تونس عدة قصور شهيرة منها قصر باردو الشهير المقتبس من أسبانيا، إلى جانب ستة قصور ملكية توجد في شارع طوله نصف ميل ترتفع هذه القصور على جانبيه. ويعد متحف قصر باردو من أجمل الأماكن في مدينة تونس، حيث يتميز بمحتوياته التي تكاد تشمل العصور والأمكنة في تونس، ويخز المتحف بمجموعات نادرة وفريدة من الفسيفساء والنحوتات التي تعتبر شواهد على كل أحقاب التاريخ التونسي والحضارات التي تعاقبت على البلاد، وتعتبر

الفسيفساء المعروضة من أضخم المجموعات العالمية وتتألف من لوحات تعود إلى العهد الروماني، هذا عدا بناء المتحف الذي يعود إلى عام 1299هـ / 1882م والذي أقيم في جناح الحرير بقصر باردو البديع، والبناء بذاته نموذج للفن المعماري التونسي في القرن التاسع عشر الميلادي، وشكل القباب في بعض القاعات مجد ذاته من العجائب حيث الحجم الكبير والدقة في الزخرفة والألوان التي يدخلها الذهب أو تطلّى به بين المسافة والأخرى، ويتميز باردو بتنوع معروضاته حسب الزمان والمكان. كما يوجد قصر رأس الطابية المثير للإعجاب، يشتمل وسط البساتين الغناء على أربعة أقسام ذات ثلاثة طوابق في شكل مقاطع وساحات داخلية مبلطة ومزدانة بعدد من الفورات. وعلى مسافة غير بعيدة من رأس الطابية كان يوجد شمال العاصمة قبل أريانة رياض أبي فخر المشهور بأيكته وأجنحته ذات المرمر والخشب المزخرف، وحوضه الضخم الذي كان يتنزه فيه. وكذلك المنتزه الملكي المعروف باسم روض السناجرة الذي كان موجودا بالقرب من مدينة تونس. وبالنسبة للمساجد فتميز مدينة تونس بكثرة مساجدها، ومن أبرزها مسجد الزيتونة الذي بناه عبد الله بن الحبحاب عام 114 هـ / 732 م، وأتم بناءه أبو العباس محمد بن الأغلب وكان ذلك في عهد المعتصم. والمسجد مميّز بعمارته وصومعته وقبابه وأقواسه وأعمدته الرخامية، والخطوط العربية وأعمال السراميك. ومن مساجد تونس مسجد القصبية الذي شيده الحفصيون، والقصبية هي القلعة الرئيسية ودار الحكم ومقام الأمير، وجامعها كان موضع عناية الذين أسسوا القصبية والذين استقروا فيها على طول السنين. وهندسة المئذنة في جامع القصبية هي موحدية في أسلوبها، وهي أولى المآذن ذات الأسلوب الموحد في تونس وهي تشبه مئذنة جامع الكئبية في مراكش. وفي داخل المدينة مسجد جميل هو جامع يوسف داي أنشئ في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي ومئذنته المزركشة زليجا(قيشانيا) وجبسا غاية في الأناقة والجمال، وجامع حمودة باشا المرادي المعاصر لجامع يوسف داي، ويكمن جمال هذا الجامع بشكل خاص بالحراب والزخرف القائم فوقه والأعمدة المحيطة بالحراب. وهناك أيضا مسجد القصر الذي يرجع تاريخه إلى بني خراسان، ومسجد الهواء أو التوفيق، إلى غير ذلك من

الزاوية الكثيرة المنتشرة في أرجاء المدينة. وبالنسبة للبيمارستانات فيعود تاريخ أقدم بيمارستان في تونس إلى القريب من سيدي محرز الذي لا يزال موجودا ولكنه قد تغير معالمه، ويرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر الميلادي. وقد أنشأه أبو فارس عبد العزيز بن سلطان أبي العباس لطبيب الضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين، وأوقف على ذلك أوقافا كثيرة تقوم به. ومن الأطباء الذين عملوا ببيمارستان تونس محمد الشريف الحسنى الزكراوي الذي كان أديبا وطيبيا لبيبا. وبالنسبة للأسواق فتعد مدينة تونس مركزا مهما من مراكز التجارة والصناعة حيث كانت الأسواق تعمل في تونس في نشاط، وتصدر البضائع إلى بلاد البحر المتوسط، وأهم هذه الصادرات القمح في سنوات الخصب، ثم التمور والزيتون والعسل والشمع والأسماك المملحة والأقمشة والبسط والصوف والجلود المدبوغة والمصنوعات الجلدية والعاج والتحف المصنوعة منه والأبنوس والتوابل الإفريقية وبعض الأخشاب المصنوعة والكتان والقطن والعطور وبعض أصناف النسيج. وقد تجمعت دكاكين بعض أرباب الحرف اليدوية حول المدينة فالصباغون داخل باب الجزيرة والحدادون عند الباب الجديد والسروجية عند باب المنارة، وكانت تجاور باب البحر بطبيعة الحال عدة فنادق يتوزعها تجار النصارى فلما ضاقت بهم هذه البقعة بادروا إلى بناء حي صغير أو ربض خاص بهم خارج الباب وهو الصورة الأولى للحي الأوروبي وكانت الدور تبنى متلاصقة لا فسحة بينها ولا رحبة للأسواق والمحافل. وقد اصطف معظم هذه الأسواق حول الجامع الأعظم الذي يمثل قلب المدينة الحقيقي، وهي أسواق كلها مغطاة تقريبا في مأمن من الشمس والمطر. وأشهر هذه الأسواق سوق العطارين، أو باعة التوابل والعطور، وسوق القماشين، وسوق الصاغة، وسوق الغزل، وسوق القشاشين أو باعة الخردة، وسوق الكتبيين، وسوق باعة الشمع، وسوق العرافين، وغيرها كثير من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدينة. وبالنسبة للمكانة العلمية: فقد كانت غاية التعليم في البلاد التونسية كما هو الشأن في سائر البلاد الإسلامية بث القواعد والمعلومات التي تمكن المتعلم من تدعيم عقيدته واكتساب لغة كتاب الله العزيز، فالتعليم هو دراسة قواعد الدين الإسلامي والعلوم الدينية والشرعية. وكذلك العلوم المساعدة عليها كالعلوم اللغوية

والأدبية. وكان هذا التعليم يعتمد على إقراء وحفظ الكتب والدواوين التي وضعها السلف الصالح، ويتم هذا إما باقتراح من الشيخ ورغبة منه في تدريس كتاب معين أو بطلب من تلاميذه واقتراح منهم في تدريس كتاب فكان الشيخ لا يتأخر عن قبول اقتراحهم، وإذا ما بدأ في تدريس الكتاب لا ينتقل منه لغيره إلا بعد ختمه وربما استغرق ذلك سنوات. وكان المتلقي للعلم غير مقيد بسن معين ولا برتبة وربما كان تاجرا أو عاملا أو فلاحا أو غير ذلك. وكان مقر التعليم في ذلك الوقت هو المسجد، وكان مسجد الزيتونة يقوم بدوره في بث العلوم الإسلامية لكنه لم يستقل بذلك خصوصا قبل دولة أحمد باشا باي الحسيني فقد كانت الدروس تلقي وتلقن بالجوامع والمساجد والزوايا وبيوت العلماء. واستمر التعليم في ذلك العصر متصفا بطابعه هذا غير خاضع إلى نظام مسطر ولا مقيد بمكان معين وإنما كان يسير بدفع همم طلاب العلم ونصح العلماء لهم وتلقي بعضهم من بعض الطريقة التقليدية، إلا أن هذا العصر - الموحدين - قد تميز بظهور صنف من أصناف أمكنة التعليم لم يكن معروفا وهو المدرسة، وتأسيس المدارس كان مرتبطا بجرص الموحدين وولاتهم على بث نظريتهم وإبراز علوم القرآن والحديث والأسانيد طبقا للنزعة الموحدية، ثم تطورت في القرن الثامن عشر ففقدت صبغتها الموحدية وصارت أمكنة لبث العلم من طرف علماء المذهب المالكي يدرسون فيها سائر العلوم الدينية لا فرق بين المدارس والمواضع الأخرى كالمساجد والجوامع. وبعد الفتح العثماني تفهقر حال العلم بالنسبة لما كان عليه في العهد الحفصي من توفير المرافق للمعلمين والطلبة، فلما آل الحكم إلى حسين باي على عام 1116هـ / 1705م، عقد العزم على الرفع من شأن العلم ورجاله فبنى المدارس لسكنى الطلبة وللتدريس، وأجرى المرتبات للمدرسين من مال الجزية وريع الأوقاف العامة، وواصل من جاء بعده من البايات وبعض الوزراء مثل يوسف صاحب الطابع فزادوا عدد المدارس، وجعلوا أوقافا لفائدة أهل العلم فازدهر بذلك التعليم وبرز أعلام من المدرسين تخرج على أيديهم كبار علماء النصف الثاني من القرن التاسع عشر منهم الشيخ بيرم الثاني الحنفي والشيخ إسماعيل التميمي المالكي وغيرهم. وفي نطاق التعاون بين الزيتونة والحلدونية أحدثت إدارة مشيخة الجامع مناصب

تدريسية خاصة بالرياضيات والطبيعات والتاريخ والجغرافيا والفلسفة ينتخب لها أساتذتها بطريق المناظرة من بين خريجي معهد الخلدونية ثم قررت تكوين إرساليات على نفقتها للتخصص في هذه المواد بجامعة الشرق العربي. ومن أشهر المدارس في مدينة تونس على مر العصور التي انتشرت ابتداء من القرن الثالث عشر المدرسة التي تقع في سوق الشماعين وأطلق عليها المدرسة الشماعية وذلك بالقرب من جامع الزيتونة، ومدرسة التوفيقية أو مدرسة الهواء الملاصقة للجامع الذي يحمل نفس الاسم، ومدرسة عنق الجمل أو المدرسة العنقية والتي أنشأتها امرأة من الأسرة المالكة أخت أبي يحيى ابن أبي بكر، وكذلك مدرسة المنتصرية، كما أن بها العديد من الجامعات والمعاهد الفنية والصناعية والزراعية. وبالنسبة للمكتبات فيميز مدينة تونس أيضا مكتباتها الزاخرة بالكُتب النادرة، ومن هذه المكتبات المكتبة الأحمديّة التي أسسها المشير أحمد باشا وكون لها رصيدها بشراء سائر كتب الوزير حسين خوجة وغيرها، ثم أضاف إليها كتب عائلة الحسينية الموضوعة في باردو، وأمر بنقل تلك المجموعة إلى جامع الزيتونة بعد أن حبسها على طلبة العلم فوضعت الكتب في عشرين خزانة أحدثت داخل بيت الصلاة على يمين المحراب ويساره، ورتب أحمد باي وكيلين يأتي كل واحد منهما إلى الجامع يوما لينيل الطلبة ما يحتاجونه، وأباح للمنتفع إخراج الكتاب من موضعه لمدة عام، وبعد وفاة الشيخ إبراهيم الرياحي اشترى أحمد باي كتبه وحبسها وضمها إلى المكتبة الأحمديّة التي أصبحت تحتوي على 2696 مجلدا ثم أضيف إليها كتب أخرى بعد وفاة أحمد باشا باي. وهناك أيضا المكتبة الصادقية التي أسسها محمد الصادق باشا بإشارة من وزيره خير الدين وجعل مركزها بالمحل الذي كانت المكتبة به وهو الرواق الشرقي بجامع الزيتونة، وقد تكون رصيد هذه المكتبة من كتب جمعت من عدة مواضع كالمدراس والمساجد بتونس وخارجها، وأضاف إليها الوزير خير الدين ألف كتاب من خزائنه الخاصة، وقد تميزت هذه المكتبة على نظام المكتبة الأحمديّة بتججير إخراج الكتب والاقتصار على انتفاع بها مطالعة واستنساخا على عين المكان. وبالنسبة للعلماء فينسب إلى تونس جماعة من أهل العلم منهم المحدثان علي بن زياد، وعباس بن الوليد الفارسي، وأبو زيد شجرة بن عيسى التونسي وقاضيها، وعبد

الوارث بن عبد الغني بن علي بن يوسف التونسي المالكي الأصولي الزاهد، و عبد الرحمن بن خلدون، وأبو الحسن الشاذلي، وغيرهم كثيرون. وبالنسبة لمسجد الزيتونة فإن للمسجد ثلاثة عشر بابا: اثنان منها في الجدار القبلي فالواقع منها إلى يمين المحراب يقود إلى غرفة المنبر، والآخر هو باب الخطيب، وبقية الأبواب موزعة كما يلي: ثلاثة أبواب في الغرب وثلاثة في الشمال وخمسة في الشرق أحدهما مسدود، وهذه الأبواب تؤدي إلى الأسواق المختلفة المحيطة بالجامع. والداخل إلى المسجد من الباب الشرقي يتسلق بضع درجات فإذا اجتاز هذا الباب والرواق الذي يليه اتجه إلى صحن المسجد، ويتكون هذا القسم من خمسة عشر رواقا يفصل بينها أربعة عشر عقدا، وطول بيت الصلاة أربعة وخمسون مترا وعرضه ستة وعشرون مترا، والعقود فيه متعامدة على جدار القبلة إلا أنها لا تتصل به، وإذا توسطت الصحن كان موقفك مقابلا للمحراب وللرواق الأوسط في بيت الصلاة. والعقود القائمة في المسجد تتركز على أعمدة هي في غالبيتها من الرخام الأبيض، أما صفا الأعمدة القائمة في الرواق الأوسط فهي من الرخام الأحمر، وثمة مجموعتان من الأعمدة تتركز على إحداها القبة القائمة أمام المحراب، وتتركز العقود الأمامية من الرواق الأوسط على الأخرى، هذه الأعمدة رخامية لكنها مختلفة الألوان. وفي الزاوية الجنوبية الغربية من الجامع ترتفع مئذنته المربعة الجميلة، وهذه المئذنة لم تضاف للمسجد إلا في عام (1312 هـ / 1895م) على طراز جامع القصبية. وللمسجد منبر يعود إلى عهد الأغالبة وهو شبيه بمنبر جامع القيروان وإن كان أقل زركشة وإتقانا منه، وهذا المنبر يجر على العجلات من الغرفة المعدة له بجانب المحراب إلى مكانه في بيت الصلاة يوم الجمعة، كما به أثاث خشبي مربع معد لحفظ المصاحف يسمى الختمة، وتتركب هذه الختمة من قطعتين: قاعدة من صنع حديث وجزء فوقاني مربع بالآيات القرآنية. وبالمسجد أيضا خزائن للكتب يبلغ عددها عشرين خزينة، يرجع تاريخها إلى مدة المشير الأول أحمد باشا باي الحسيني الذي أمر بوضعها داخل بيت الصلاة على يمين المحراب وشماله لتوضع فيها الكتب التي حبسها على جامع الزيتونة.

احتلال المغرب

أرادت «فرنسا» أن تكون «مراكش» مكاملة لمستعمراتها في «المغرب العربي» فدخلت في صراع مع عدد من دول أوروبا ، فإسبانيا ترى فيها مجالا حيويا لتمد سلطانها إلى الجنوب و«إنجلترا» تريد السيطرة على «مضيق جبل طارق»، و«ألمانيا» التي دخلت حلبة الصراع الاستعماري متأخرة تريد أن تكون «مراكش» مستعمرة لها، ولكن «إنجلترا» التي خشت من تزايد قوة البحرية الألمانية عقدت مع «فرنسا» ما عرف بالاتفاق الودي (1322هـ/1904م) والذي أنهى النزاع حول «مراكش»، فقد أيدت «بريطانيا» احتلال «فرنسا» لمراكش في مقابل عدم مطالبة «فرنسا» «إنجلترا» بالانسحاب من «مصر»، كما عقدت «فرنسا» معاهدة مع «إسبانيا» اعترفت فيها «إسبانيا» بمركز «فرنسا» في «مراكش» في مقابل اعتراف «فرنسا» بمركز «إسبانيا» في منطقة الريف الساحلية المواجهة لإسبانيا. ولكن «ألمانيا» رفضت ذلك وساندت السلطان المغربي في مطالبته باستقلال مدينة «طنجة». وعقد مؤتمر الجزيرة الذي وقفت فيه «إنجلترا» و«إسبانيا» و«إيطاليا» إلى جانب «فرنسا»، وتقرر في هذا المؤتمر الاعتراف بالنفوذ الفرنسي والإسباني في «مراكش». وانتظرت «فرنسا» الفرصة لاحتلال «المغرب» وواتها الفرصة سنة (1330هـ/911م) عندما ثارت القبائل على السلطان «عبد الحفيظ» الذي استنجد بفرنسا التي سارعت إلى نجده و دخلت قواتها مدينة «فاس» في (ربيع 1330هـ/أرس 1911م)، ثم عقدت معاهدة الحماية مع السلطان «عبد الحفيظ» سنة (1331هـ/1912م)، كما تمت التسوية بين «فرنسا» و«إسبانيا» في (نوفمبر 1912م) وحددت مناطق نفوذ كل منهما، واتفق على أن يعين السلطان خليفة له في منطقة الريف التي تخضع للنفوذ الإسباني، وبذلك دخل «المغرب» تحت الاحتلال الفرنسي من ناحية، والإسباني من ناحية أخرى .

المغرب

المغرب Morocco : بلد يقع في الركن الشمالي الغربي من أفريقيا . يحده البحر المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب ويفصل المغرب عن إسبانيا مضيق جبل طارق وهو نفسه الذي يصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي . وعاصمة المغرب هي الرباط ، أما الدار البيضاء فهي أكبر مدنه و المغرب دولة ذات نظام ملكي دستوري، ويرأسها ملك . ودستورها يمنح الملك سلطات واسعة ويدير أعمال حكومة المغرب اليومية رئيس الوزراء (ويلقب بالوزير الأول) ووزارة تضم باقى الوزراء، وجميعهم (في القديم) معينون من قبل الملك . ومجلس النواب هو الذى يضع القوانين للمغرب . ويقضى أعضاؤه البالغ عددهم 306 مدة العضوية فى المجلس وقدرها ست سنوات وينتخب الشعب ثلثى الأعضاء أما باقى الأعضاء فيختارهم مندوبو الحكومات المحلية، والهيئات المهنية والفئات الأخرى . وكل المواطنين الذين بلغوا 20 عاماً أو أكثر لهم حق الإدلاء بأصواتهم وللمغرب جيش وأسطول بحرى وآخر جوى . وكل رجل يجند إلزامياً لمدة عام ونصف عام بعد أن يصل سنه إلى الثامنة عشرة . والاسم الرسمي هو المملكة المغربية . والعاصمة هي الرباط Rabat والقارة : أفريقيا . وكود الدولة : MO . وتعداد السكان : 31,689,265 نسمة (يوليو 2003)، 31,167,783 نسمة (يوليو 2002)، 30,645,305 نسمة (يوليو 2001) والمساحة : 446550 كيلومتر مربع . وبالنسبة للموقع فهو دولة عربية تقع في شمال أفريقيا ، ويحدها من الشمال مضيق جبل طارق والبحر المتوسط ، و من الشرق والجنوب الشرقي الجزائر ، و من الجنوب الصحراء ومن الغرب المحيط الأطلسي ، والحدود الجنوبية الشرقية للدولة في الصحراء الكبرى - غير محددة بدقة حالياً . وتحل حالياً إسبانيا مدينتي سبتة ومليلة على ساحل البحر المتوسط إلى جانب العديد من الجزر الصغيرة الملاصقة للساحل الشمالي للمغرب وتابعة لإسبانيا . ومعدل النمو السكاني : 1.64% (يوليو 2003)، 1.68% (يوليو 2002)، 1.71 (يوليو 2001) وكثافة السكان : 70.96 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 68.63 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة : 44.87 وفاة (يوليو 2003)، 46.49 وفاة (يوليو 2002)، 48.11 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل

1000 نسمة: 23.26 مولود (يوليو 2003)، 23.69 مولود (يوليو 2002)، 24.16 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 5.78 وفاة (يوليو 2003)، 5.86 وفاة (يوليو 2002)، 5.94 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 70.04 سنة (يوليو 2003)، 69.73 سنة (يوليو 2002)، 69.43 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضرة: 48.4 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 115 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 107 بليون دولار (1998) والعملية: درهم مغربي يساوي 100 سنت ونوع الحكومة: ملكية دستورية. والدستور: أقر في 10 مارس 1972 روجعت مواده 4 سبتمبر 1992. وحقوق التصويت: عمومي في 21 سنة. والتقسيم الإداري: 36 إقليم و5 بلديات. وبالنسبة للاستقلال فقد استقلت عن فرنسا في 2 مارس 1956. وبالنسبة للشعب فمعظم المغاربة من العرب والبربر وكان البربر يعيشون فيما يسمى الآن المغرب منذ ما يقرب من 3000 عام. وبدأ العرب في الانتقال إلى هذه المنطقة في القرن السابع الميلادي. وقد امتزج العنصران - العرب والبربر - على مر السنين امتزاجاً وثيقاً وواسع النطاق، بحيث لم يعد هناك من ينتمي للأحد العنصرين دون الآخر إلا أقل القليل. ويمكن - في معظم الأحوال - تحديد الأصل العربي أو البربري من خلال اللغة الرئيسية التي يتكلمها الفرد ومعظم العرب يعيشون في المدن. أما البربر، فمعظمهم يعيش في المناطق الجبلية. والإسلام هو الدين الرسمي للمغاربة. إذ أن 98% من الشعب مسلمون والتعاليم الإسلامية هي التي تنظم أحوال المغاربة الشخصية والجماعية. ويعيش الكثيرون من أبناء الشعب المغربي في الجنوب في البيوت المبنية من الطوب النيء، وتشيد البيوت من الخشب والحجارة في المناطق الريفية الأخرى، وكثير من البيوت لا تحوى إلا على حجرة واسعة واحدة (واليوم الدولة قائمة بإنشاء السكنات الريفية. ويجتمع الناس في سوق يعقد في الهواء الطلق كل أسبوع لشراء البضائع وبيعها وتبادل الأحاديث مع الجيران. أما في المناطق الصحراوية فيعيش بعض المغاربة حياة رعوية متنقلة وقيمون في الخيام. وكثير من أهل الحضرة المغربية يعيشون في بيوت صغيرة متلاصقة. أما الأثرياء فيعيشون في بيوت أكثر رحابة أو في شقق سكنية

حديثة. وتوجد بعض الأحياء العشوائية (مدن الصفيح) حول المدن الكبرى. وتسم الأحياء القديمة في المدن المغربية الكبيرة بالتكدس الشديد. ويرتدى الأهالي في جميع أنحاء المغرب الملابس التقليدية رغم أن أهل المدينة يمزجون بين هذه الملابس والثياب الغربية. ويرتدى الرجال "الجلابة" (نوع من الجلباب) وهو رداء فضفاض ذو غطاء للرأس وأكمام طويلة واسعة. كما يرتدون "البرنوس" وهو يشبه الجلابة ولكنه أثقل ويرتديه الريفيون غالباً. ومعظم الرجال يرتدون العمامة أو قبعة بدون حواف. والنساء - كالرجال - يرتدين الجلابة خارج المنازل. أما في البيت أو في المناسبات الاجتماعية فيرتدين جلباباً طويلاً وجميلاً يسمى "القفظان". ويلتزم بعض كبار السني وبعض الريفيات بالتقاليد ويغطين وجوههن بالنقاب. والطعام المكون من الشعير والقمح هو الوجبة الرئيسية لمعظم المغاربة. والطبق الشعبى هو (الحريرة) وكذا "الكسكسى" المتكون من دقيق القمح "المفروك" الذى يطهى بخار الماء، ويقدم للأكل مع الخضراوات أو السمك أو اللحم ومع صلصة تشبه الحساء ويجب المغاربة أكل الفطائر بعسل النحل واللوز. والمشروب القومى هو الشاي بالنعناع. ويتوافر في المغرب التعليم الابتدائى والتعليم الثانوى. ويتم التدريس باللغتين العربية والفرنسية. والأطفال من سن السابعة إلى الثالثة عشرة ملزمون بالالتحاق بالمدرسة، ولكن نسبة الذين يستمرون في الدراسة لا تزيد على 70%. وفي المغرب ست جامعات، وحوالى 25 كلية جامعية ومدرسة فنية. وبالنسبة للتاريخ المغربي فإنه قد وجدت المجتمعات الزراعية في المنطقة التى تسمى الآن المغرب منذ 8000 سنة على الأقل. ومنذ ألف عام قبل الميلادهاجر البربر إلى المنطقة. ولعلم أتوا من أوروبا، أو جنوب غرب آسيا، أو شمال شرق أفريقيا. ومنذ عام 40 م وحتى القرن السابع الميلادى، حكم المنطقة الرومان، والواندال، والبيزنطيون. وفي الثمانينات من القرن السابع الميلادى، فتح العرب المسلمون بلاد المغرب. وفي أواخر القرن الثامن الميلادى، تولى زعيم يدعى إدريس بن عبد الله توحيد البربر والعرب في شتى المناطق تحت قيادته، وبذلك ولدت دولة المغرب الأولى. كما أنه أسس الأسرة الإدريسية الحاكمة (مجموعة من الحكام ينتمون لأسرة واحدة) التى حكمت المغرب لحوالى 200 عام. وكان

يطلق على حكام المغرب لقب "السلطين". ومنذ حوالى عام 1050 للميلاد وحتى أواسط القرن الخامس عشر، حكمت المغرب ثلاث أسر حاكمة مسلمة من البربر. وفى القرن السادس عشر، بدأت الدولتان المسيحيتان إسبانيا والبرتغال الاستيلاء على بعض المناطق الساحلية فى المغرب. وقد عملت القبائل العربية وعائلات "الأشراف" على مساعدة المغاربة فى مناهضتهم لاستيلاء المسيحيين على أراضى البلد وكان الأشراف من سلالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الإسلام. وفى أواسط القرن السادس عشر كانت هناك أسرة حاكمة من الأشراف تدعى الأسرة السعدية تمكنت من السيطرة على المغرب، وأسست الأسرة التى حكمت حتى أواسط القرن السابع عشر. ومنذ ذلك الحين تولت حكم المغرب الأسرة العلوية، وهى أسرة أخرى من الأشراف. وقد سيطرت كل من فرنسا وإسبانيا إما عن طريق الغزو العسكرى أو بعقد الاتفاقيات السلمية، على الشؤون الاقتصادية والسياسية لبعض مناطق المغرب منذ أوائل القرن العشرين وقد اجتمعت القوى الكبرى فى مدينة الجشراز بإسبانيا فى عام 1906 لمناقشة سلطة فرنسا المتزايدة فى المغرب وأعلن المؤتمر تأييده لاستقلال المغرب، وإن كانت فرنسا وإسبانيا قد احتفظتا بامتيازات خاصة. وتزايد العداء فى المغرب إزاء تنامى النفوذ الأوروبى فى البلد. وقد طلب السلطان عبد الحفيظ من الفرنسيين أن يساعده فى إعادة النظام إلى الدولة. وفى عام 1912، وقع عبد الحفيظ ما يسمى بمعاهدة فاس مع فرنسا وقد منحت المعاهدة فرنسا السلطة على المغرب وأنهت استقلال البلد. وكانت إسبانيا قد منحت السلطة على جزء من المغرب ووضعت طنجة تحت الإدارة الدولية فى عام 1923. وكان المغرب مسرحا للقتال بين قوات الحلفاء وقوات المحور خلال الحرب العالمية الثانية (1939-1945). وفى عام 1943، تقابل فرانكلين روزفلت رئيس الولايات المتحدة وونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى فى الدار البيضاء لمناقشة خطط الحرب. وفى نفس هذا العام تأسس حزب الاستقلال للعمل على تحرير المغرب. وفى عام 1947، طالب السلطان محمد الخامس بإعادة الأراضى التى تسيطر عليها فرنسا وإسبانيا إلى المغرب، كما طالب بمنح المغرب الحكم الذاتى. وقد رفضت فرنسا

النظر فى القيام بأية إصلاحات كبرى . وفى عام 1953 ، نفى الفرنسيون السلطان محمد ، وأودعوا السجن بعض قادة حزب الاستقلال . وقد أثار نفى السلطان ثائرة الكثيرين من المغاربة . وشكل القادة الجدد لحزب الاستقلال جيشا وطنيا للتحرير ، وأخذ هذا الجيش فى محاربة القوات الفرنسية حربا شاملة . وحرصا من الفرنسيين على إعادة النظام إلى نصابه ، أعادوا السلطان محمد فى أواخر عام 1955 وواعدوا بمنح المغرب حريته . وفى 2 مارس عام 1956 ، حصل المغرب على استقلاله عن فرنسا . وفى أبريل من نفس العام ، تخلت إسبانيا عن كل مطالبها تقريبا فى المغرب . وأصبحت طنجة مرة أخرى جزءا من المغرب فى أكتوبر . وفى عام 1957 ، غير السلطان محمد لقبه ليصبح ملكا ، وذلك فى إطار تحويل المغرب إلى ملكية دستورية . وفى عام 1960 ، أصبح الملك مسيطرا سيطرة تامة على الحكومة ، وتولى بنفسه منصب رئيس الوزراء . ولكنه توفى فجأة فى عام 1961 . وأصبح ابنه الحسن الثانى ملكا ورئيسا للوزراء . وفى عام 1962 وضع المغرب أول دستور له . ونص الدستور على أن المغرب دولة ملكية دستورية يحكمها ملك ، ورئيس وزراء ، ومجلس وزراء ، ومجلس تشريعى منتخب . وفى عام 1972 وافق المغاربة على دستورهم الحالى . وفى أوائل السبعينيات من القرن العشرين ، بدأ الملك الحسن يتعجل المطالبة بالصحراء الغربية ، ذلك المطلب الذى طال أمده . والصحراء الغربية منطقة كانت تسيطر عليها إسبانيا وتقع على الحدود الجنوبية للمغرب . كذلك طالبت موريتانيا بأجزاء من هذه المنطقة . ولكن جبهة البوليساريو ، وهى منظمة فى الصحراء الغربية ، طالبت باستقلال ذلك الإقليم وفى عام 1976 ، تخلت إسبانيا عن المنطقة وطالبت المغرب بالجزء الشمالى وطالبت موريتانيا بالجزء الجنوبى . وهكذا اكتسبت المنطقة اسمها الحالى وهو الصحراء الغربية . ونشب القتال بين جبهة البوليساريو ، وقوات من المغرب وموريتانيا . وأمدت كل من الجزائر وليبيا الجبهة بالمساعدات العسكرية . وفى عام 1979 ، تخلت موريتانيا عن مطالبتها بالصحراء الغربية ، أما المغرب فقد طالب بالمنطقة بكاملها . واستمر القتال بين المغرب وجبهة البوليساريو وتم إعلان وقف إطلاق النار بين القوات المغربية وقوات جبهة البوليساريو فى سبتمبر 1991 . وتوفى الملك

المغربي الحسن الثاني في عام 1999 عن عمر يناهز السبعين عاماً ليخلفه بطريقة طبيعية ابنه وولي عهده محمد السادس . وبالنسبة لمظاهر السطح فإن المغرب يتميز بوجود أوسع السهول وأعلى الجبال في شمال افريقيا ،ويمكن تقسيم الدولة إلى أربعة مناطق جغرافية طبيعية هي : منطقة مرتفعات الريف ، وهي توازي ساحل البحر المتوسط ، ومنطقة جبال أطلس ، وهي تمتد بطول الدولة في اتجاه جنوب الغرب إلى شمال الشرق بين المحيط الأطلسي ومنطقة الريف التي تفصلها عن الجبال منخفضات تازة . المنطقة الثالثة هي منطقة سهل ساحلي واسع ممتدة عبر المحيط الأطلسي يحيط به اقليم للريف وجبال أطلس . أما المنطقة الرابعة فهي منطقة السهول والوديان إلى الجنوب من جبال أطلس والتي ترتبط بالصحراء في الحدود الجنوب شرقية للدولة . ويعتبر جبل "طوبكال" هو أعلى الجبال حيث يبلغ ارتفاعه 4.165 متر (13.665 قدم) في جبال أطلس العليا . ويوجد في المغرب العديد من الأنهار التي - وإن كانت غير صالحة للملاحة - تستخدم في الري وفي توليد الطاقة الكهربائية . وأهم هذه الأنهار هو نهر الميوية الذي يصب في البحر المتوسط ، ونهر سبو الذي يتدفق نحو المحيط الأطلسي . وبالنسبة للمناخ فإنه على الحدود مع البحر المتوسط يسود مناخ شبه استوائي تطلقه التأثيرات المحيطية التي تضيف على المدن الساحلية مناخاً معتدلاً . ففي الصويرة على سبيل المثال تتراوح درجات الحرارة بين 16 درجة مئوية (61 فهرنهايت) في يناير و 22 درجة مئوية (72 فهرنهايت) في شهر أغسطس ، وإذا توجهنا نحو الداخل نجد الشتاء أكثر برودة والصيف أكثر حرارة ، ففي مدينة فاس تتراوح درجات الحرارة بين 10 درجات مئوية (50 فهرنهايت) في يناير و 27 درجة مئوية (81 فهرنهايت) في أغسطس ، وعلى الارتفاعات العليا نجد درجات حرارة تقل عن -18 درجة مئوية (أقل من صفر فهرنهايت) كما تغطي الثلوج قمم الجبال خلال معظم شهور العام ، ويتركز سقوط المطر غالباً خلال شهور الشتاء ويكون أغزره في الشمال الغربي وأقله في الشرق والجنوب ، ويبلغ معدل سقوط الأمطار السنوي حوالي 955 مم (38 بوصة) في طنجة و 430 مم (17 بوصة) في الدار البيضاء 280 مم (11 بوصة) في الصويرة وأقل من 102 مم (4 بوصة) في الصحراء الكبرى

.وبالنسبة للبيئة فإنه قد زاد الإنتاج الزراعي وأدى إلى تآكل التربة والمشكلات المرتبطة بذلك ، منها تلوث بعض منابع المياه بالمخلفات ، كما تلوثت مياه السواحل بالبتروول . وبالنسبة للمنتجات الرئيسية فهي: الزراعة : القمح ، الشعير، الذرة، بنجر السكر، الموالح ، البطاطس ، والطماطم. صيد السمك: السردين ، المكاريل ، التونة، والأنشوجة. والصناعة: الأسمدة، منتجات النفط ، الصناعات الغذائية، النسيج، المنتجات الجلدية، الإسمت، والكيمويات. التعدين: خام الفوسفات. وبالنسبة للعضوية فإن المغرب عضو في المنظمات الدولية التالية: البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا، وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي (شريك)، بنك التنمية الأفريقي، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة العربية، صندوق النقد العربي، اتحاد المغرب العربي، مجلس التعاون الجمركي، البنك الأوروبي للإنشاء والتعمير، منظمة الأغذية والزراعة، مجموعة ال 77، الوكالة الدولية للطاقة النووية، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، المنظمة الدولية للطيران المدني، الغرفة الدولية للتجارة، الاتحاد الدولي لاتحادات التجارة الحرة، الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر، بنك التنمية الإسلامي، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر، منظمة العمل الدولية، صندوق النقد الدولي، المنظمة الدولية للملاحة البحرية، المنظمة الدولية للمطاط الطبيعي، المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية، المنظمة الدولية للبوليس الجنائي، اللجنة الاولمبية الدولية، المنظمة العالمية للهجرة (مراقب)، المنظمة الدولية للتوحيد القياسي، المنظمة الدولية للأخشاب الاستوائية، اتحاد الاتصالات العالمي، منظمة الدول الأمريكية (مراقب)، حركة عدم الانحياز، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، مكتب المفوض العام للأمم المتحدة للاجئين، منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، اتحاد البريد العالمي، منظمة الصحة العالمية، منظمة حماية حقوق التأليف العالمية، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، منظمة السياحة العالمية، منظمة التجارة العالمية.

الصحراء الغربية

الصحراء الغربية Western Sahara; Formerly: Spanish Sahara: صحراء في الجزء الشمالي الغربي من إفريقيا . تحدها المملكة المغربية (شمالا)، والجزائر (شمالا بشرق)، وموريتانيا (شرقا وجنوبا)، والمحيط الأطلسي (غربا) . وتنقسم إلى إقليمين اثنين: (نهر الذهب) وهو الإقليم الجنوبي، و(الساقية الحمراء) وهي الإقليم الشمالي . أخضعت عام 1884 للحماية الإسبانية ثم جعلت عام 1958 مقاطعة إسبانية في ما وراء البحار . وفي أواخر فبراير 1976 انسحبت منها القوات الإسبانية فاقسمتها المملكة المغربية وموريتانيا في ما بينهما . ولكن فريقا من أبناء الصحراء سارع إلى إعلان قيام (الجمهورية الصحراوية العربية الديمقراطية) وأقام حكومة في المنفى مقرها الجزائر، مطالبا بحق تقرير المصير . وما هي غير فترة حتى وقعت المجابهة المسلحة بين جبهة البوليزاريو . وبين القوات المغربية والموريتانية . وفي أغسطس 1979 عقدت موريتانيا معاهدة صلح مع جبهة البوليزاريو وتخلت عن جميع دعاواها في الصحراء الغربية، ومن ثم احتلت القوات المغربية الأراضي الصحراوية التي انسحب منها الموريتانيون (وهي تمثل الثلث الجنوبي من البلاد) . ومنذئذ تواصل الصدام المسلح بين جبهة البوليزاريو وقوات المملكة المغربية . ومساحتها 266,000 كيلومتر مربع . عاصمتها: العيون . والقضية اليوم في النظر الدولي .

موريتانيا

ونختم هذا الفصل بذكر موريتانيا حسب ما جاء في أطلس الحاسوب وذلك على النحو التالي : موريتانيا Mauritania : تقع دولة موريتانيا في غرب أفريقيا، ويحدها من الشمال المغرب والجزائر ومن الشرق مالي ومن الجنوب السنغال ومن الغرب إقليم الصحراء الغربية والمحيط الأطلسي . وكانت تعرف قديما باسم بلاد شنقيط ، وقد دخل الإسلام موريتانيا في القرن الأول الهجري عندما فتحها موسى بن نصير . ومما ساعد على انتشار الإسلام هناك وفود الكثير من القبائل العربية التي استقرت واختلطت من سكان البلاد الأصليين ويشكل البربر، الذين يتحدثون اللغة العربية، معظم سكانها . ومن بين سكانها أيضا أفريقيون سود وهم بدورهم يتحدثون اللغة العربية وجميع الموريتانيين تقريبا مسلمون ونواكشوط البالغ سكانها

35000 نسمة هي عاصمة البلاد وأكبر مدنها. وتقع معظم أراضي موريتانيا في الصحراء الأفريقية الكبرى، ويعيش 80% من السكان في المناطق الجنوبية، حيث يتوافر المطر الكافي للزراعة والرعى. ومن أهم محاصيل الغذاء في موريتانيا. الذرة الرفيعة والتمور والذرة والبقول والأرز، كما أنها تصدر خام الحديد - بشكل رئيسي - إلى أوروبا. ومنذ القرن الرابع للميلاد حتى القرن السادس عشر، كانت المنطقة التي تشغلها موريتانيا الآن جزءاً من ثلاث إمبراطوريات كبرى في غرب أفريقيا: إمبراطورية غانة، وإمبراطورية مالي، وإمبراطورية سنغى (أو صنغى أو صنغاي)، وقد تأسست على أرضها دولة المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي التي هيمنت على بلاد المغرب والأندلس ثم تعاقب على حكمها الموحدون ثم الميرينون ثم الأشراف السعديون ثم الأشراف العلويون. وبدأ اتصال الأوروبيين بسواحلها يأخذ طابع الاستعمار في القرن الخامس عشر. وقد استولى البرتغاليون على بعض المناطق الساحلية وأسسوا مراكز تجارية هناك ثم أُنزَعها منهم الهولنديون، وأصبحت موريتانيا مستعمرة ضمن نطاق غرب أفريقيا الفرنسية في سنة 1903، وحصلت على استقلالها في سنة 1960. والاسم الرسمي لموريتانيا هو جمهورية موريتانيا الإسلامية والعاصمة هي نواكشوط Nouakchott والقارة: أفريقيا. وكود الدولة: MR. تعداد السكان: 2,912,584 نسمة (يوليو 2003)، 2,828,858 نسمة (يوليو 2002)، 2,747,312 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 1025520 كيلومتر مربع والموقع: دولة عربية تقع في غرب أفريقيا، ويحدها من الشمال الصحراء الغربية والجزائر ومن الشرق والجنوب مالي، ومن الجنوب الغربي السنغال ومن الغرب المحيط الأطلسي. ومعدل النمو السكاني: 2.91% (يوليو 2003)، 2.92% (يوليو 2002)، 2.93 (يوليو 2001) وكثافة السكان: 2.84 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003) 2.68 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 73.80 وفاة (يوليو 2003)، 75.25 وفاة (يوليو 2002)، 76.7 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 42.16 مولود (يوليو 2003)، 42.54 مولود (يوليو 2002)، 42.95 مولود

(يوليو 2001) معدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 13.04 وفاة (يوليو 2003)، 13.34 وفاة (يوليو 2002)، 13.65 وفاة (يوليو 2001) ومتوسط عمر الفرد: 51.93 سنة (يوليو 2003) 51.53 سنة (يوليو 2002)، 51.14 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضرة: 53.8 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 5.3 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 4.7 بليون دولار (1998) والعملة: 1 اوجواي يساوي خمس . ونوع الحكومة: جمهورية والدستور: 12 يوليو 1991 وحقوق التصويت: عامة في سن 18 والاستقلال: استقلت عن فرنسا في 28 نوفمبر 1960 والتاريخ: هي همزة الوصل بين أفريقيا البيضاء وأفريقيا السوداء ، حملت مدينتها شنقيط مشعل الحضارة العربية الإسلامية إلى ما وراء الصحراء وعبر نهر السنغال لتصل به إلى عمق القارة السوداء ، وكان لأهلها فضل الريادة في نشر الإسلام إلى مختلف أصقاع أفريقيا الغربية ، وقد أصبحت أصبحت في عام 1903 تحت الحماية الفرنسية، نالت استقلالها عام 1960م، وضع دستور جديد للبلاد عام 1991م . وحصلت موريتانيا على استقلالها عن الاحتلال الفرنسي في 28 نوفمبر 1960، وتولى السلطة فيها المختار ولد داهه وظل يشغل هذا المنصب حتى عام 1978، إلى أن قاد الكولونيل المصطفى ولد محمد السالك انقلاباً عسكرياً ناجحاً تولى من خلاله السلطة . ولم يترك صراع الأجنحة داخل اللجنة العسكرية للخلاص الوطني الحاكمة فرصة استقرار لولد السالك ومن بعده لولد أحمد لوي مما اضطرهما للاستقالة قبل أن يستلم السلطة الكولونيل محمد خونه ولد هيداله . وبعد أربعة أعوام (1984) استطاع الكولونيل معاوية ولد سيدي أحمد طابع القيام بانقلاب سياسي استولى به على الحكم . وفي عام 1992 أجريت أول انتخابات رئاسية فاز فيها معاوية ولد سيدي أحمد طابع، ثم فاز في انتخابات أخرى أجريت عام 1997 ولا يزال على رأس السلطة في الجمهورية الإسلامية الموريتانية حتى الآن . ومظاهر السطح: وباستثناء قطعة صغيرة من الأرض بمحاذاة نهر السنغال في الجنوب ، فإن موريتانيا تقع بالكامل داخل الصحراء . وتتراوح الارتفاعات بين حوالي 150 متر (492 قدم) في الجنوب الغربي إلى حوالي 460 متر (1.509 قدم) في الشمال الشرقي . والمناخ: تصل

درجات الحرارة نهاراً في معظم الدولة إلى 38 درجة مئوية (100 فهرنهايت) ويكون ذلك لمدة تصل إلى أكثر من ستة أشهر من العام ، بينما يكون الليل بارداً ، تهب الرياح الحارة الجافة الحملة بالرمال والمسمامة بـ (السيوكو) في شهري مارس وأبريل ، يتنوع معدل سقوط الأمطار سنوياً ما بين أقل من 130 مم (5 بوصة) في الشمال إلى حوالي 660 مم (26 بوصة) في وادي السنغال . والبيئة: نظراً لوقوع حوالي 80 % من موريتانيا في الصحراء و تعرضها للجفاف والمبالغة في الرعي وإزالة الغابات فإن ذلك أدى إلى زيادة مخاطر التصحر في الدولة ، وعلى الرغم من نقص المياه إلا أن الانتاج الزراعي استمر من خلال الاعتماد على المياه الجوفية ، ولكن النمو السكاني السريع أدى بالطبع إلى النقص في نصيب الفرد من الانتاج الزراعي ، و هناك مشروع لتنظيم مياه نهر السنغال (من خلال اقامة سد) مما قد يزيد من امكانية توافر المياه مع وجود تأثيرات بيئية غير مناسبة تعذر تجنبها نتيجة لمثل هذا المشروع . وأهم المنتجات: التمور، والصمغ العربي، والأبقار، والغنم والماعز، والذرة الرفيعة، وأسمك المحيط والمياه العذبة . وفى مجال التعدين: خام الحديد . وعضو في المنظمات الدولية التالية: هي عضو في البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا، وكالة التعاون الثقافي والتكنولوجي (شريك)، اتفاقية الدول الأفريقية و الكاربية و الباسيفيكية، بنك التنمية الأفريقي، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية، الجامعة العربية، صندوق النقد العربي، اتحاد المغرب العربي، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، مجلس التعاون الجمركي، اللجنة الدائمة لمكافحة الجفاف في دول الساحل الأفريقي، التجمع الاقتصادي لدول غرب أفريقيا، منظمة الأغذية والزراعة، مجموعة ال 77، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، المنظمة الدولية للطيران المدني، الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر، بنك التنمية الإسلامي، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر، منظمة العمل الدولية، صندوق النقد الدولي، المنظمة الدولية للملاحة البحرية، المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية، المنظمة الدولية للبوليس الجنائي، اللجنة الاولمبية الدولية، اتحاد الاتصالات العالمي، حركة عدم الانحياز، منظمة الوحدة الأفريقية، منظمة المؤتمر الإسلامي، الأمم المتحدة.

مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، اتحاد البريد العالمي، منظمة الصحة العالمية، منظمة حماية حقوق التأليف العالمية، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، منظمة السياحة العالمية، منظمة التجارة العالمية انتهى .

الاحتلال الإيطالي لليبيا

بعد أن أتمت «إيطاليا» وحدتها أخذت تهيم نفسها لدخول حلبة الاستعمار الأوربي، ولكنها وجدت معظم الأقطار الإفريقية والآسيوية وقعت فريسة في يد «إنجلترا» أو «فرنسا»، ولكنها رأت أن «ليبيا» التي تقع في شمال «إفريقيا»، والتابعة للدولة العثمانية من الممكن أن تكون مستعمرة إيطالية، فأخذت الحكومة الإيطالية ترسل الإرساليات المختلفة من مدارس ومستشفيات وبنوك لتقرض الأهالي ثم تستولى على أراضيهم. ثم لعبت السياسة الاستعمارية دورها فأعلنت «إيطاليا» الحرب على الدولة العثمانية، وقامت باحتلال «ليبيا» سنة (1330هـ/1911م)، لتكون مستعمرة لها، ومن أجل صرف نظر السلطان العثماني عن «ليبيا» قامت «إيطاليا» بمهاجمة ميناء «الدردنيل» وميناء «بيروت» وساحل «اليمن»، وافتعلت ثورة في منطقة «البلقان» لتجبر السلطان العثماني على توقيع معاهدة سنة (1331هـ/1912م) والتي اعترف فيها باستعمار «إيطاليا» لليبيا، مقابل اعتراف «إيطاليا» بالسيادة الروحية لتركيا، ولكن الشعب الليبي أخذ يقاوم الاحتلال عن طريق الزوايا لسنوسية التي نظمت حركة الجهاد أثناء الحرب العالمية الأولى وعقدت عدة اتفاقيات حتى لحرب العالمية الثانية حيث نالت «ليبيا» استقلالها

ليبيا

دولة عربية في شمال أفريقيا تطل على ساحل البحر المتوسط . وتغطي الصحراء الأفريقية الكبرى الشاسعة والجافة معظم مساحتها . ولم يكن في ليبيا سوى القليل من الموارد الطبيعية، لكنه بعد اكتشاف النفط في سنة 1959 انتعشت خزانة البلاد، فاستخدمت الحكومة مواردها في تحسين الزراعة والخدمات العامة . وسكان ليبيا في غالبيتهم العظمى عرب

مسلمون ، وحتى بدايات القرن العشرين كانت ليبيا مقسمة إلى أقاليم ثلاثة منفصلة، لكنها اتحدت وأصبحت جميعا دولة واحدة مستقلة في سنة 1951 .وقد أسسها رافع بن مطروح، واستمرت في الفترة من 541هـ/1146م، إلى 690هـ/1291م، وعاصمتها طرابلس، والاسم الرسمي الآن هو الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى والعاصمة: طرابلس Tripoli. والقارة: أفريقيا. وكود الدولة: LY . وتعداد السكان: 5,499,074 نسمة (يوليو 2003)، 5,368,585 نسمة (يوليو 2002)، 5,240,599 نسمة (يوليو 2001) والمساحة: 1759540 كيلومتر مربع. والموقع: دولة عربية ، تقع في شمال افريقيا ، ويحدها من الشمال البحر المتوسط ، ومن الشرق مصر ، ومن الجنوب الشرقي السودان ومن الجنوب تشاد والنيجر ، ومن الغرب الجزائر ، ومن الشمال الغربي تونس . ومعدل النمو السكاني: 2.39% (يوليو 2003)، 2.41% (يوليو 2002)، 2.42 (يوليو 2001) وكثافة السكان: 3.13 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2003)، 2.98 نسمة لكل كيلومتر مربع (يوليو 2001) ووفيات الأطفال لكل 1000 نسمة: 26.80 وفاة (يوليو 2003)، 27.9 وفاة (يوليو 2002)، 28.99 وفاة (يوليو 2001) ومعدل المواليد لكل 1000 نسمة: 27.43 مولود (يوليو 2003)، 27.59 مولود (يوليو 2002)، 27.67 مولود (يوليو 2001) ومعدل الوفيات لكل 1000 نسمة: 3.49 وفاة (يوليو 2003)، 3.5 وفاة (يوليو 2002)، 3.51 وفاة (يوليو 2001) . ومتوسط عمر الفرد: 76.07 سنة (يوليو 2003)، 75.86 سنة (يوليو 2002)، 75.65 سنة (يوليو 2001) ونسبة الحضر: 86 (1999) وإجمالي الناتج المحلي: 41 بليون دولار أمريكي (يوليو 2002)، 38 بليون دولار (1998) والعملة: 1 دينار ليبي يتكون من 1000 درهم . ونوع الحكومة: جماهيرية. والدستور: أقر في 11 ديسمبر 1969، وعدل في 2 مارس 1977. وحقوق التصويت: عمومي وإلزامي في سن 18 . والاستقلال: 24 ديسمبر 1951 . وبالنسبة للحكم فالعقيد معمر القذافي هو رأس الدولة، رغم أنه لا يحمل لقباً رسمياً، وكان العقيد قد قام في سنة 1969 بثورة مسلحة أطاح فيها بالحكم الملكي ويقوم الحكم في ليبيا على نظام

اللجان الشعبية، ويمكن لكل ليبي بلغ الثامنة عشرة من عمره أن يدلى بصوته فى الانتخابات العامة وأن يشغل منصبا . أسلوب الحياة: يعيش حوالى 70 % من الليبيين فى مناطق حضرية أما الذين يعيشون فى المناطق الريفية - ويشكلون حوالى 30 % من السكان - فمعظمهم فى قرى أو واحات . وهناك بعض البدو الذين يتجولون فى الصحراء مجثا عن المرعى لأغنامهم وماعزهم وجمالهم . ومنذ منتصف القرن العشرين ، أدى نمو الاقتصاد الليبى إلى هجرة كبيرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، وتطلب هذا من المهاجرين إعادة تكييف حياتهم لتتماشى مع أساليب الحياة فى المدن ، فعلى سبيل المثال كان أهل الريف يعيشون وفقا لنظام الأسرة الممتدة أو العائلة التى تضم عددا من الأسر من أجيال مختلفة (الأب وأسر الأبناء وأسر الأحفاد) كلها فى بيت واحد، ولم يعد ذلك مناسبا للحياة فى المدن المزدهمة. وتغير وضع المرأة الليبية فى أواخر القرن العشرين تغيرا هائلا، فقد كانت المرأة قبل ذلك لا تتعلم أو تتلقى قدرا ضئيلا من التعليم ، وكانت - إلى حد كبير - حبيسة بيتها، أما الآن فمن حقها أن تشارك مشاركة كاملة فى المجتمع الليبى . ومعظم الليبيين مسلمون على المذهب السنى، ويقضى دستور البلاد بضرورة اتفاق جميع القوانين مع الشريعة الإسلامية. وبالنسبة للتاريخ: فقد دخلها الإسلام على يد عمرو بن العاص الذى فتحها عام 642م ولكن ظلت بعض نواحيها فى يد البربر حتى أرسل عقبة بن نافع فوصل إلى زويلة فصار ما بينها وبين برقة للمسلمين ، وليبيا الحديثة هي المنطقة الممتدة ما بين مصر وتونس وتشاد والتي احتلت القوات والإيطالية بعض شواطئها منذ سنة 1911م واضطرت الدولة العثمانية للتنازل عنها فى معاهدة لوزان سنة 1912م. لكن الثورات فيها والثوار ظلوا يقاومون وبلاذ ذلك الاحتلال وقسوته الوحشية عشرين سنة حتى سقط زعيمهم عمر المختار فى أيدي الإيطاليين سنة 1931م، ولم تهنا إيطاليا بالمستعمرة الليبية التى هياها لها الجنرال غراتزيانى سوى سنوات محدودة، وحين دخلت الحرب العالمية الثانية سنة 1940م كان وجودها هناك سببا فى تبادل منطقة بطرق خاصة أكثر من مرة بين المحور الذى تنتمي إليه إيطاليا وبين الحلفاء الذى اتخذوا مصر قاعدة لهم . وقد بدأت عملية تحرير ليبيا من مصر . وو خرجت ليبيا من الحرب وهي

محتلة من قبل قوى الحلفاء و عرضت قضية ليبيا على مؤتمر وزراء الخارجية للدول الكبرى فاختلّفوا في امرها واحالوها إلى الأمم المتحدة. و أعلن الليبيون استقلال بلادهم في المنار بنغازي (ابريل 1949م)، ثم قررت الأمم المتحدة في 1949/11/21م استقلال ليبيا و وحدثتها على ألا يتأخر ذلك عن يناير سنة 1952م وعلى ان يجتمع مندوبون عن برقة و طرابلس و فزان لوضع دستور لبيبي. وقد اجتمعت الجمعية الوطنية الليبية في 1951/12/24م وقررت إعلان الاستقلال، وأن تكون ليبيا دولة ديمقراطية اتحادية مستقلة ذات سيادة، وأن تكون ملكية دستورية، وأن تكون ملكها هو السيد محمد إدريس السنوسي. و قد استمرت ليبيا مملكة مستقلة 19 سنة و تحولت إلى مملكة موحدة في 27 ابريل 1963م. ثم قامت مجموعة من الضباط في الفاتح من سبتمبر سنة 1969م بانقلاب اسقط النظام الملكي و اقام الجمهورية العربية الليبية التي دعيت فيما بعد بالجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية. و دخلت ليبيا في نزاع حدودي مع تشاد عام 1980م. و قامت ازمة سياسية بين ليبيا و الأمم المتحدة منذ عام 1986 عندما اتهمت ليبيا بتفجير طائرة تابعة لشركة بان أمريكان فوق قرية لوكربي الاسكتلندية و قد رفضت ليبيا تسليم المتهمين الذين حددتهم المنظمة مما ادى إلى توقيع عقوبات اقتصادية عليها ما زالت ماثلة حتى اليوم. و أعلن عن استقلال المملكة الليبية المتحدة في 24 ديسمبر/ كانون الأول 1951 مملكة دستورية تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسي، و تشكلت أول حكومة ليبية برئاسة محمود المنتصر في 29 مارس/ آذار 1951، و صدر أول دستور للمملكة في 7 أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه (1951)، و قد منح ذلك الدستور الملك سلطات واسعة. و قام العقيد معمر القذافي بانقلاب أبيض عام 1969، و ألغى الملكية و الدستور و أعلن الجمهورية، و حكم البلاد مجلس قيادة الثورة بعد أن حل المجالس الإقليمية، ثم تشكلت الوزارة برئاسة عبد السلام جلود. و في عام 1976 ألغى مجلس قيادة الثورة من قبل مؤتمر الشعب العام الذي يعتبر ملتقى المؤتمرات السياسية و الاتحادات و النقابات و الروابط المهنية و اللجان الشعبية. ثم تم إعلان قيام سلطة الشعب في 1977 لتنتقل ليبيا إلى صورة جديدة من الحكم انقسمت مؤسساتها إلى

المؤتمرات الشعبية الأساسية التي يلزم كل ليبي بلغ 18 عاما التسجيل فيها وحضور اجتماعاتها، وهي تعتبر الهيئة التشريعية في ليبيا. وإلى اللجان الشعبية المنتخبة من أعضاء المؤتمرات الشعبية الأساسية والتي تمثل السلطة التنفيذية في ليبيا. وعلى رأس المؤتمرات الشعبية يوجد مؤتمر الشعب العام الذي يعتبر أعلى هيئة تشريعية في ليبيا. وقد أصدر مؤتمر الشعب العام عام 1991 وثيقة أطلق عليها "الشرعية الثورية" نصت المادة الأولى منها على اعتبار كل توجيهات العقيد القذافي لازمة التنفيذ. ومظاهر السطح: حوالي 95% من ليبيا عبارة عن سهول صخرية وبحار رملية، كما يوجد مساحات قليلة جدا من التلال في الشمال الغربي والشمال الشرقي، وفي الجنوب، توجد جبال التبستي على الحدود مع تشاد. والمناخ: مناخ ليبيا مناخ شديد الحرارة، شديد الرطوبة، ويقل سقوط الأمطار على المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية، أما على الساحل فلا يزيد المعدل السنوي لسقوط الأمطار عن 380 ملليمتر (15 بوصة). البيئة: الموارد المائية نادرة في ليبيا إلا أن هناك سعي لتوفير المياه بالرغم من ذلك، وقد وقعت ليبيا على معاهدات دولية خاصة بالبيئة بالرغم من أن مخلفات الصرف الصحي ومخلفات البترول مستمرة في تلويث مياه البحر المتوسط والمناطق الساحلية، وتعاني الدولة من ظاهرة التصحر. وأهم المنتجات في المجال الزراعي: الطماطم والقمح والزيتون والبطاطس والتمور والمواالح (الحوامض) والشعير، بالإضافة إلى تربية الحيوان. وفي المجال الصناعي: المنتجات النفطية. في مجال التعدين: النفط. وليبيا عضو في المنظمات الدولية التالية: البنك العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا، بنك التنمية الأفريقي، الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة العربية، صندوق النقد العربي، اتحاد المغرب العربي، رابطة الدول الأفريقية المنتجة للبترول، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، مجلس التعاون الجمركي، منظمة الأغذية والزراعة، مجموعة ال 77، الوكالة الدولية للطاقة النووية، البنك الدولي للإنشاء والتعمير، المنظمة الدولية للطيران المدني، الحركة الدولية للهلال والصليب الأحمر، بنك التنمية الإسلامي، الصندوق الدولي للتنمية الزراعية، الاتحاد الدولي لمنظمات الهلال والصليب الأحمر، منظمة العمل الدولية، صندوق النقد الدولي، المنظمة الدولية للملاحة

البحرية، المنظمة الدولية للاتصالات عبر الأقمار الصناعية، المنظمة الدولية للبوليس الجنائي، اللجنة الأولمبية الدولية، المنظمة الدولية للتوحيد القياسي، اتحاد الاتصالات العالمي، حركة عدم الانحياز، منظمة الدول العربية المصدرة للبترول، منظمة الوحدة الأفريقية، منظمة المؤتمر الإسلامي، منظمة الدول المصدرة للبترول، الأمم المتحدة، مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة، منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية، اتحاد البريد العالمي، اتحاد التجارة الحرة العالمية، منظمة الصحة العالمية، منظمة حماية حقوق التأليف العالمية، المنظمة العالمية للأرصاد الجوية، منظمة السياحة العالمية

(فائدة) الحركة السنوسية تنسب إلى مؤسسها السيد «محمد بن علي السنوسي الجزائري» الذي اتصل بالحركة الوهابية وتأثر بها أثناء قيامه بأداء فريضة الحج ثم قام بإنشاء أول زاوية له بالحجاز سنة 1253هـ/1837م ثم اتجه إلى موطنه الأصلي في «الجزائر» سنة (1256هـ/840م) لكنه أثر تركها لوجود الاحتلال الفرنسي بها واتجه إلى «ليبيا» وهناك التقى حوله الأنصار والأتباع واتسعت حركته وانتشرت الزوايا السنوسية في أنحاء «ليبيا»، وكانت تخضع للزاوية الرئيسية في واحة «جغبوب» ثم في «واحة الكفرة» وقد نادى «السنوسي» بالعبادة الإسلامية الصحيحة وتحكيم شرع الله والعمل على محاربة البدع والمنكرات التي انتشرت في بعض أنحاء العالم الإسلامي كما دعا وتمسك بضرورة الانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية على أنها الأمل الباقي لجمع المسلمين وتوحيد كلمتهم وقد تصدى السنوسيون بكل قوة للاحتلال الإيطالي وقادت الزوايا السنوسية حركة الجهاد ضده وقد أحرز السنوسيون العديد من الانتصارات على القوات الإيطالية

بلاد العرب وأحوالها منذ الأعصر الخالية

لقد أثبتت المباحث الحديثة أن الإنسان وجد على الأرض قبل المسيح بألوف من السنين وأن بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم، فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد الخالي يا ترى؟ لا ريب في أنها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن. والمعروف عنها الآن - ومنذ عدة مئات من السنين أيضاً - أنها برية قاحلة ذات أرض جرداء خالية من

الماء [1] على أنها في الأعصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسمهما الشماليان أشد بردًا مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحًا مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصًا للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء عديدة من آسيا وإفريقيا بقاعًا مخصبة جدًا وهي الآن قفار جرداء ، وما الأودية الكاشفة سوى بحار كانت تتدفق فيها الأنهار . ومن تلك البلاد بلاد العرب ، فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتقي رياح السموم وتجري منها أنهر على هضاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج العجم . ومن تلك الأنهار نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير ، وكان منبعه في الهضاب المكية . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج العجم . ولا يخفى أن للحالة الجوية تأثيرًا عظيمًا في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك أنه في تلك الأزمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن . ثم بدأت الأحوال الجوية في نصف الكرة الأرضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الأمطار . وأصبحت البلاد التي بين أوربا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغيير العظيم . وبتماذي الزمن بدأ شمالي إفريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملاءمة البلاد لسكانها . ولا حاجة إلى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق أوفًا من السنين وكان تدريجيًا ، وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها غزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حربية بل كان معظمها ناشئًا عن اعتبارات سلمية مجتة كهجرة الإيرلنديين اليوم إلى أمريكا ، وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأنًا وقد حدثت عند ظهور الإسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقًا وشمالًا وغربًا وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية ؛ إذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة إلى قسمين : (1) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية إلى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر . (2) الوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي

العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضرموت) فقائم بنفسه . فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق إذا شمالاً إلى فلسطين وسوريا أو غرباً إلى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً إلى العراق ووادي دجلة و الفرات . وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات الأخرى في الأزمنة التاريخية المعروفة . (1) المهاجرة الأولى- قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا إلى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الأمة البابلية ، ويعتقد العلامة (قيطاني - أو - كاتياني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الأحمر واستعمروا أولاً مصر العليا كانوا ساميين ، وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم إلى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثار سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف إليه (2) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين ستة آلاف و 2500 قبل المسيح ، وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضاً إلى شمال العراق وجنوبه ويتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير . (3) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة 2500 إلى سنة 1500 قبل المسيح وفي أثنائها نزح الآشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أعالي دجلة ، وفي ذلك الزمن عينه نزح الرعاة (الهكسوس) من غربي البلاد العربية إلى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين . (4) هجرة الآراميين : بعد سنة 1500 قبل المسيح وانتشر الآراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغاتهم لغة التجارة ؛ إذ كان بيدهم طريق التجارة المار بجلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل الصائية والحميرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتمادي الزمن نشوءاً بطيئاً جداً . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصباً من شرقيها ، وقد كان طريقاً للتجارة بين الهند و البحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي إلى غزة وهذا يأتي بنا إلى : (5) ظهور الإسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة العربية لتستوطن البلاد المجاورة فإن بعضها سبق فاستوطن

غسان و الحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد -صلى الله عليه وسلم- فعودوها المهاجرة والاستيطان ، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو . ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم . أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات إلى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجمعت بين القبائل المتخاصمة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها إلى الخارج . وهكذا فتحت أبواب العربية وخرج العرب ليغزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية . وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة ، فمنهم الشديد القوي كعمر والقائد المحنك كخالد ، ومنهم المجازف ، ومنهم المسوق إلى الحرب بطمع الأسلاب . على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدده ومنحهم قوة ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا إليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر وكان الجانب الأكبر من جيش محمد -صلى الله عليه وسلم- رجالا قد دانوا حديثا بالإسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة ؛ لأن معرفتهم كانت ناقصة ، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليمسكوا بعروة الإسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ، ولولا انقلابهم من ضيق العيش إلى سعته . وكان في جيش الميدان الغربي مئات من المكيين الذين أيدوا الأمويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم : إنهم لم يكونوا على شيء من الإسلام وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في بيئة هي عربية أكثر منها إسلامية . أما حروب الإسلام التي أفضت إلى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها من بخارى شرقا إلى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات السامية من شبه الجزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير جدا لا نزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الأسباب التي أفضت إلى المهاجرات السابقة أي إحمال بلاد العرب . أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الأمة العربية ظهورا بينا واتخاذها مجرى جديدا وبيئة مشرقة . وقد ذكر الأستاذ هركرونجه أن عرب حضرموت الذين هم أفقر سكان تلك البلاد

فكوا القيود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا إلى الهند وجزائر الهند الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطاً غربياً. فقد أصبحوا خبيرين بأمور التجارة مع أنهم كانوا يجهلون في موطنهم الأصلي ولا تزال الأعمال والأشغال تنتقل إلى قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الأغنياء , ولا ينحصر تفوقهم في الأعمال والمتاجر فقط بل في الأمور العقلية أيضاً. وهذه صورة مصغرة للعرب الذين نزلوا بسوريا و بلاد فارس في المائة الأولى للهجرة. وهي تنطبق على حالة العرب عموماً منذ ألوف من السنين حتى اليوم ، وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الأخيرة أن العرب لا يزالون يابون الضيم ويعشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل الدفاع عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباحثات جديدة مدهشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟

جامعة الدول العربية

بمناسبة ذكر العرب نختم هذا الفصل بإشارة إلى جامعة العرب التي تجمعهم كأمة في عصرنا هذا وكيف أنشئت . وعليه فأقول إن جامعة الدول العربية كما جاء في الموسوعة تعرف أيضاً باسم (League of Arab States (LAS)) وهى منظمة إقليمية أنشئت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتضم الدول العربية المستقلة الموقعة على ميثاق الجامعة، وتهدف إلى تحقيق التعاون الاختيارى بين الدول الأعضاء، واحترام سيادتها ويقع ميثاق جامعة الدول العربية فى (20) مادة وثلاثة ملاحق، أحدها خاص بفلسطين. وبدأ تطبيق الميثاق فى (11 من مايو سنة 1945م). ويبلغ عدد الدول الأعضاء بالجامعة (22) عضواً، والعضوية بها مقتصرة على الدول المستقلة. وتمتع الجامعة العربية بكيان قانونى دولى؛ لذلك كان من سلطتها إبرام المعاهدات الدولية بين أحد أعضائها وأى دولة أخرى. وتكون الجامعة من عدة أجهزة رئيسية، هى مجلس الجامعة الذى يُعد أعلى سلطة فى الجامعة، و الأمانة العامة ومقرها القاهرة، ويرأسها الأمين العام، و اللجان الدائمة التى تهدف إلى تحقيق الأهداف التى أنشئت من أجلها الجامعة، ويبلغ عدد هذه اللجان (12) لجنة، فى المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية. ولتحقيق التعاون بين أعضاء الجامعة قررت الدول السبع المؤسسة للجامعة توقيع

اتفاقية الدفاع المشترك سنة (1950م)، وكذلك السوق العربية المشتركة سنة (1964م)، وقد شجعت الجامعة على إنشاء المنظمات المتخصصة في المجالات المختلفة، مثل: منظمة العمل العربية و اتحاد البريد العربي . وكان للجامعة دور بارز في حل النزاعات العربية، مثل: النزاع السوري اللبناني سنة (1949م) ورغم أهمية دور الجامعة العربية في تحقيق التعاون العربي فإن هناك بعض المعوقات تؤثر في عملها، أهمها: تباين الآراء والمواقف، واختلاف تبعات القرارات على الدول الأعضاء، وكذلك المعوقات الخاصة بالميثاق، ومحاولات الصهيونية العالمية عرقلة الوحدة العربية . وقد تعرضت الجامعة لأزمة كبيرة؛ بسبب نقل مقرها إلى تونس سنة (1978م) بعد اتفاقية كامب ديفيد، واستمر هذا الأمر حتى عادت مرة أخرى إلى مقرها في القاهرة سنة (1990م) كذلك أثر الغزو العراقي للكويت في الموقف العربي، وأدى إلى انقسام العرب . ويشغل عمرو موسى منصب أمين عام جامعة الدول العربية اعتباراً من عام 2001م. والدول الأعضاء فيها هي (21 زائد منظمة التحرير الفلسطينية) والدول هي : الجزائر . البحرين . جزر القمر . جيبوتي . مصر (تم تجميد عضويتها من عام 1979 إلى عام 1988 بسبب معاهدة السلام التي وقعتها من العدو الصهيوني إسرائيل) العراق . الأردن . الكويت لبنان . ليبيا . موريتانيا . المغرب . عمان . قطر . السعودية . الصومال . السودان . سوريا تونس . الإمارات ، اليمن .

قلت وبعده هذه الفذلكة من معالم التاريخ العام والخاص نرجع إلى ما نحن بصدده ونبدأ في تحرير الجزء الثاني .

﴿ انتهى الجزء الأول ويليه بإذن الله تعالى الجزء الثاني أوله ذكر آدم وعقبه ﴾

الفهرست

- 3..... دراسة حول المؤلف والكتاب بقلم الأستاذ الشيخ أبي محمد الجابري سالت
- 6..... المقدمة بقلم مؤلف الكتاب المبلود قويسم
- 11..... فوائد التأليف والتصنيف
- 12..... التعريف بالكتاب
- 13..... توزيع الكتاب
- 14..... مصادر الكتاب
- 17..... كتابات مجحفة
- 18..... قصيدة الفرزدق
- 22..... التحذير من السرقة والإختلاس
- 24..... الإقتباس
- 25..... شهادة الزور
- 27..... قال عدنان مردم بك
- 27..... قال الشيخ عمرو بن الوردي
- 27..... الكتاب الأول في بيان علم الأنساب وما يتبعه
- 27..... النسب

28.....	علم الأنساب
29.....	اعتناء الامم القديمة بالأنساب
30.....	معرفة الأنساب
31.....	الاختلاف في النسب العالي
31.....	أجزاء النسب
31.....	أبو بكر والفتى في استقراء النسب
32.....	المشهورون بعلم النسب
33.....	المؤلفون في علم الأنساب
33.....	معرفة طبقات الأنساب وما يلحق بذلك
34.....	الطبقات النسبية المحلية
34.....	رسم شجرة النسب
35.....	توسع الفقهاء في ثبوت النسب
36.....	حكم نسب التبني في الإسلام والقانون
37.....	الإستلحاق
37.....	أحكام الإستلحاق
37.....	العدل في شرعة الإتنساب

- 38.....الانتساب
- 38.....بيان أمور يحتاجها الناظر في علم الأنساب
- 40.....أسماء القبائل في الإصطلاح
- 41.....الخلاف في تهجية الأسماء
- 41.....أجيال الأمم وانتسابهم
- 41.....العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه
- 42.....الصریح من النسب واین یوجد
- 43.....الأبوة الأولى وفروعها
- 44.....اختلاط الأنساب كيف يقع
- 45.....حكاية الرحماني المباركي
- 45.....الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبية
- 46.....الرئاسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم
- 47.....البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لأهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه
- 48.....البيت والشرف للموالي وأهل الاصطناع إنما هو بمواليهم لا بأنسابهم
- 50.....نهاية الحسب في عقب الواحد أربعة اباء
- 51.....هل في العرب قبيلة تشرف على الأخرى

52.....	ضعف الإمتياز بالنسب حالياً
52.....	أشراف العرب بين يدي كسرى
54.....	المرء حيث يثبت لاحتث يثبت
56.....	عدم العصبية
56.....	معنى العصبية
57.....	حكاية في النساء والنسب
58.....	صفات النساء المحمودة
60.....	المرأة السوء
61.....	الجلس الصالح
62.....	الكتاب الثاني في ذكر مجوث لها تعلق حثيث بعلم الأنساب
62.....	فصل الأول في مجوث لها تعلق بعلم الأنساب
62.....	صلة الرحم
63.....	الكفاءة
67.....	الشرف
68.....	الحسب
68.....	القومية العربية

69	الشعوبية
72	الماسونية
74	الاستشراق
79	العولمة
82	العلمانية
83	الهوية
83	الفصل الثاني في بيان التفرقة العنصرية
83	التفرقة العنصرية
86	التفرقة عند اليهود والمسيحيين
87	العلم والتفرقة العنصرية
87	الاهتمام بالأبحاث العنصرية
88	اثار النزعة العنصرية
90	أمثلة من مظاهر العنصرية الحديثة
92	فلسفة الإسلام في رفضه للتفرقة العنصرية
98	رد بعض الشبهات حول التفرقة
99	حكم التعرض لمثالب الماضين

101	الكتاب الثالث في بيان بحوث التاريخ ولواحقه ومراحله
101	الفصل الأول في التاريخ وفنه ونقده وتمحيصه
102	فن التأريخ
102	نقد التأريخ وموارده
103	التأريخ في الأخبار والتحقيق
104	الإكتفاء بما قيل في الأسماء
104	قيمة علم التأريخ وما أخذه وأهمية تمحيصه
105	عينات من المبالغات
109	الفصل الثاني في لمحة تاريخية إسلامية
109	الجاهلية
111	الفترة الجاهلية
111	عصر النبي
111	الخلافة
113	الخلفاء الراشدون
115	قيام الدولة الأموية
115	طور نظام الخلافة في العصر الأموي

119 الخلافة العباسية
121 موقف العباسيين من الأمويين
121 موقف الخلافة من بعض زعماء الدعوة العباسية
122 حركة سنباذ سنة (137هـ/754م)
122 حركة الروادية (141هـ/758م)
123 حركة أستاذ سيس سنة (150هـ/767م)
123 حركات الخوارج
123 شأن البرامكة
124 عهد القلق العباسي
124 ما يميز به العصر العباسي الأول
124 ما حدث خلال العصر العباسي الأول
125 قسام الثغور في العصر العباسي الأول
126 الدولة المأوية بالأندلس
126 الدولة الكارولونجية
127 العصر العباسي الثاني
127 عصر نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية

128 عهد الملوك
128 حركة القرامطة
129 انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد
129 الدول القائمة في عهد العباسيين
130 الدولة الصفارية
131 الدولة السامانية
132 دولة بنى حمدان فى الموصل وحلب
133 الحمدانية فى حلب
134 دولة بنى بويه قبل انتقالها إلى بغداد
136 عصر نفوذ السلاجقة
139 العثمانيون
142 الكتاب الرابع فى بيان الجغرافية المبسطة
142 الفصل الاول فى نبذة من الجغرافية المبسطة
142 الجغرافيا
143 تاريخ الجغرافيا
143 العرب وعلم الجغرافيا

144	القارات
144	أكبر القارات بالترتيب
145	نشوء القارات
145	مصدر أسماء القارات
145	آسيا
150	أمريكا
150	إفريقيا
156	أوروبا
166	استراليا
413	جامعة الدول العربية
169	منظمة الأمم المتحدة
174	العدل
177	الكتاب الخامس في بيان العروبة والعرب
177	الفصل الأول في بيان ما يقع عليه اسم العرب وذكر أنواعهم
177	أنواع العرب
178	سمة العرب

179	جيل العرب بعد الطوفان
180	جغرافية بلاد العرب
181	ذكر مساكن العرب القديمة
182	قحطان
183	عرب عدنان
183	فائده
183	رجوع أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان
185	جرهم واسماعيل
185	عرب الحجاز وجرهم والبيت العتيق
185	تغلب جرهم على ابناء اسماعيل
186	تمالؤ خزاعة على جرهم
186	أقسام العرب
187	أحوال العرب
187	الأحوال السياسية
188	الحكم والإمارة في العرب
188	الملك باليمن

190 الملك بالحيرة
191 الملك بالشام
192 الإمارة بالحجاز
193 الحكم في سائر العرب
194 الحالة الاجتماعية
196 الطوائع والمساجب
197 طبقات الناس عند العرب في الجاهلية
197 الحالة الاقتصادية
197 الحالة الأخلاقية
199 العرب قبل البعثة المحمدية
202 الحالة الدينية
202 ديانة أهل الأرض عموماً قبل الإسلام
203 تدهور ديانات العرب
208 العرب وما امتازوا به
209 الحياة الثقافية
210 الكتاب السادس في بيان نبذة من الأدب العربي

210	ويتضمن تبين معنى الأدب العربي ومراحله وإدراج نصوص منه
210	الفصل الأول في نبذة من الأدب العربي
210	الأدب
211	اللغة العربية
216	اصل اللغات
217	اللسانية
217	لسان العرب
217	تقسيم عصور الأدب
220	الأدب الإسلامي
221	تقسيم أدبي لإسلامي
222	مختارات من الأدب العربي
222	خطبة قس بن ساعدة
222	قصة البردين
223	قصة مارية
223	المقامة السمرقندية التي لا يوجد فيها حرف معجم عدا حرف التاء
224	تقريظ الامام الحموي الذي لا يوجد فيه حرف معجم عدا حرف التاء

225	حكاية الإمام الأعمش
225	الجارية والمأمون
226	هند والحجاج
227	قصيدة زهير بن أبي سلمى
230	قصيدة الأستاذ أحمد الهاشمي المصري
	لامية العجم . خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
236	استراحة في السيادة والشيم
237	الإستشارة
	نظم الأجرومية للشيخ سي بن ناجي غويني بن المسعودي المخوي . . . خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة.
238	المقدمة
238	الكلام
238	أقسام الكلام
239	باب الإعراب وعلاماته
239	باب معرفة علامات الإعراب
240	باب المُعْرَبَات

240	باب الأفعال والنواصب والجوازم
241	باب مرفوعات الاسماء
241	باب الفاعل
241	باب نائب الفاعل
242	باب المبتدأ والخبر
242	باب النواسخ
243	باب النعت
244	باب العطف
244	باب التوكيد
244	باب البدل
245	باب منصوبات الأسماء
245	باب المفعول به
245	باب المصدر
246	باب ظرف الزمان والمكان
246	باب الحال
246	باب التمييز

246	باب الإستثناء وأدواته
247	باب لا
247	باب المنادى
247	باب المفعول لأجله
247	باب المفعول معه
248	باب محفوضات الأسماء
248	الخاتمة
248	الكتاب السابع في بيان الفتوحات الإسلامية والمغرب العربي
249	الفصل الأول في الفتح الإسلامي والدول القائمة في المغرب العربي
249	الفتوحات الإسلامية
249	فتح الشرق
251	فتح الشمال الإفريقي
252	المغرب الإسلامي
254	سكان المغرب قبل الفتح الإسلامي
254	حالة المغرب قبل الفتح الإسلامي
256	مراحل الفتح الإسلامي للمغرب العربي

256	المرحلة الأولى مرحلة عمرو بن العاص
259	المرحلة الثانية مرحلة عقبة بن نافع
261	المرحلة الثالثة مرحلة زهير وحسان وموسى
261	زهير بن قيس
262	حسان بن النعمان
265	موسى بن نصير
266	أسباب صعوبة فتح المغرب العربي
266	عصر الولاة فى المغرب الإسلامى
267	محمد بن يزيد
268	إسماعيل بن عبد الله
268	يزيد بن أبى مسلم
269	بشر بن صفوان
269	عبدة بن عبد الرحمن السلمى
270	كلثوم بن عياض القشيرى
270	حنظلة بن صفوان الكلبى
273	الأغلب بن سالم

273	عمر بن حفص
274	#يزيد بن حاتم
274	داود بن يزيد بن حاتم
274	روح بن حاتم
274	نصر بن حبيب
275	الفضل بن روح بن حاتم
275	هرثمة بن أعين
275	محمد بن مقاتل العكي
276	إبراهيم بن الأغلب
276	عصر الدول الإقليمية
277	دولة الأغالبة
280	الدولة الرستمية
283	دولة الأدارسة
285	دولة بني مدرار
286	الدولة الفاطمية بالمغرب
288	الخلفاء الفاطميون بالمغرب

289	العلاقات الخارجية للفاطميين
290	النشاط المذهبي للفاطميين ببلاد المغرب
290	بنو زيري بالمغرب ودخول الهلاليين
296	قيام دولة المرابطين
298	قيام دولة الموحيدين
301	الدول المغربية بعد سقوط الموحيدين
302	دولة بني مرين بالغرب الأقصى
304	بنو طاس بالمغرب الأقصى
306	دولة بني زيان
309	الدولة الحفصية
310	الفصل الثاني في الطرق التي سلكها الإسلام إلى قارة أفريقيا
323	الكتاب الثامن في بيات كيفية تكون المجتمع الإسلامي وأسس وأسباب تفوقه وانكماشه
323	الفصل الأول في تكون المجتمع المسلم
323	نشأة المجتمع المسلم وخصائصه
329	عالمية الرسالة الإسلامية
330	كيف انحسر مفهوم الإسلام في نفوسنا إلى مجرد شكليات

332	أسباب اختلاف الأمة بعده عليه السلام
335	الفرق بين الخلاف والإختلاف
335	الإختلاف الفقهي
337	الإصلاح
339	الصحة
343	ضوابط الصحة
345	الغلو والوسطية
347	المعاصرة
348	اقوال العلماء في التعصب المذهبي
349	آيات الامام منذر
350	آيات الخاقاني
350	أمر خطير في تكفير الأمة
351	الحث على التمسك بالسنة والنهي عن البدعة
352	الكتاب التاسع في بيان تقلب العجم على العرب في الأقاليم الإسلامية
352	الفصل الأول في تقلب العجم على العرب في شتى الأقاليم الإسلامية
353	كيف أنفقت الدولة الإسلامية العرب

354	نحياز العرب إلى الآفاق بعد مجدهم
354	العرب والمغرب ومواطنهم
355	قبائل من العرب واستقرارهم بالمغرب
355	البربر
356	تعريب الإسلام الأمة الإسلامية وما يتعامل معها من أمم
357	الأمة العربية والإسلامية ومخاطبة الرصافي
359	...	الكتاب العاشر في بيان الاستعمار الغربي ومدته وكيفية مقاومته من طرف الشعوب
359	..	الفصل الأول في الإستعمار الأوروبي حتى الحرب العالمية الأولى وما يتبعه من استقلال
360	العثمانيون والإستعمار
360	الاستعمار البريطاني
362	الاحتلال الفرنسي للمغرب العربي
362	احتلال الجزائر
369	مراحل تاريخ الجزائر المستقلة
372	ذكرى أول نوفمبر لسي بن عيسى بن الهدار
374	حي الجزائر للأستاذ الود
351	شعب الجزائر للإمام ابن باديس

377	احتلال تونس
392	احتلال المغرب
393	الاحتلال الإيطالي لليبيا
415	الفهرست

﴿ أعزائي القراء الأفاضل ﴾

هذا تعريف بالكتاب ومؤلفه

الكتاب بأجزائه الأربعة يسمى: (التحقيق المتكامل) ويتضمن جملة من المقدمات وعدة ملاحظات وثمانية وعشرين كتابا كل كتاب يتضمن عدة فصول كل فصل يتضمن عدة أبواب. تتبع ذلك خاتمة حسنة. وتقايرظ مستحسنة وردت على المؤلف من مشايخ علماء وأساتذة حكماء وإطارات نبلاء. أفادوها بها تشجيعا له على البحث والمتابعة والاسترسال في الكتابات الهادفة. وتلك الموضوعات كلها (مقدمات. وكتبا وفصولا. وأبوابا وتقايرظ) ترد بإذن الله تعالى مفصلة ومنظمة بأسلوب سلس عذب. وبطريقة بديعة سهلة. تحتوي معلومات نسبية. ونصوصا تراثية معتمدة. واقتباسات مروثقة منقولة من مراجع موثوقة. ومن ذكريات حافظة لا تكمل ولا تنسى والكمال المطلق لله الواحد الأحد. وهذا للإفادة والاستفادة بإمكان القارئ الكريم أن يتعرف على صور بعض الشخصيات الواردة أثناء نصوص هذا الكتاب في المؤلف المسمى (بغية الوصال في معرفة صور بعض الرجال) والكتابان من تأليف الفقير إلى الله تعالى: الميلود قويسم بن الهدار العبيدي الرقادي السعداوي النايلي الجلفاوي إمام عين الإبل ومعتمدها وعضو المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية والأوقاف حاليا.

وبعد : إخواني القراء النبلاء :



هذه حالتي وهذا شعاري
يا صحابي يارفتي يادياري
وعساه الكريم يرضى اعتذاري

هذه صورتي وهذا خيالي
أذكروني بها لأحظي بعفو
إني عبد ضعيف والعمر فان

*